مشارق الأنوار
في فوز أهل الاعتبار

تأليف

العلم الشهير والعلامة النحرير
الحبر الهمام الذي هو للفضائل حاوي
الشيخ حسن العدوي الحمزاوي
نفع الله به ومتعه مع أهل قربه آمين

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يمن بجمع الأحباب بعد الممات، فيحظون فى الجنان بالنظر إلى الوجه الكريم وجميع اللذات، والصلاة والسلام على منهاج روضة أهل الشفاعات، وعلى آله وصحبه السادات ما دامت الأرض والسموات، وفاز محب بصحبة عروس أهل الحضرات (أما بعد) فيقول ذو التقصير والمساوى حسن العدوى الحمزاوى: قد سألنى بعض الإخوان أصلح الله لى ولهم الحال والشأن جمع كليمات تتعلق بالموتى حال احتضارهم وبعد الموت من سؤال وخلافه وكيفية الزيادة المطلوبة لاسيما أهل البيت فأجبته بالتسويف لعلمى بقصورى عن ذلك المرام فأكثر على الطلب المرة بعد المرة فقلت له: الفقير يعترف بقصور حجاه وسماعك بالمعيدى خير من أن تراه فأبى إلا الإجابة، فأم لسان القلم إلى الكتابة، فقلت وبالله التوفيق إلى سلوك طريق التحقيق: اعلم أنه يتعل بالشخص المريض أمور قبل خروج روحه وبالميت قبل دفنه وفى قبره وفى كيفية زيارته وفى حال قيامه من قبره وغير ذلك إلى زن يصل إلى دار المقامة، ورتبته على سبعة أبواب وخاتمة وسميته (مشارق الأنوار فى فوز أهل الاعتبار) أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه.

* (الباب الأول فيما يتعلق به إلى أن يستقر فى القبر، وفيه فصول أربعة).
* (الفصل الأول فيما يطلب منه وهو فى حالة صحة عقله).
* (الفصل الثانى فيما يتعلق به حال الاحتضار).
* (الفصل الثالث فى كيفية خروج روحه)
* (الفصل الرابع فى بيان حقيقة الموت وما جاء فى فضل تعجيل الدفن وما جاء فى معرفته للحاملين والمغسلين له وما للمشيع من الأجر).
* (الباب الثانى فيما يتعلق به بعد استقراره فى القبر، وفيه فصول خمسة).
* (الفصل الأول فى كيفية السؤال وعمومه وخصوصه وتعدده واتحاده).

* (الفصل الثانى فـيما يفعله لنفســه، ويصنعه الحى له مما يكون سببا للتـثبيت وتخفيف الأهوال).

* (الفصل الثالث فيما يتعلق به فى القبر من نعيم دائم وتعذيب دائم ومنقطع).

* (الفصل الرابع فى مستقر الأرواح واختلاف محالها من سعيد وخلافه).

* (الفصل الخـامس فى نبذة تتعلق بالأمـوات مما تدل على ما هم فيـه تنشيطا للراغبين كما ذكره العارفون).

* (الباب الثالث فيما يتعلق بزيارة القبور، وفيه فصول ستة).

* (الفصل الأول فى الدليل الوارد بطلبها والترغيب فيها).

* (الفصل الثانى فى الأوقات التى تتأكد الزيارة فيها).

* (الفصل الثالث فيما ينبغى للحى فعله وقت الزيارة ولا ينبغى).

* (الفصل الرابع فى بيان المتفق على وصوله للميت والمختلف فيه).

* (الفصل الخامس فـى جملة من الأحاديث من جوامع كلمـه ﷺ وبيان عدد أزواجه وأجداده وأولاده وفضل أهل بيته ﷺ).

* (الفصل السادس فى بيـان جملة من أهل بيته المدفونين بمصر وبيـان محالهم كما حـققه القطب الشعرانى فى مننـه وطبقاته، والعلامة المناوى فى طبـقاته وإمام المحدثين جلال الدين السيوطى فى رسالته الزينبية، والعلامة الأجهورى وذكروا أن من تمام نعمة الله على عبده المسلم توفيقه لزيارتهم مقدمًا لهم على غيرهم.

* الباب الرابع فى بيان كيفية انقراض الدنيا إلى النفخة الثانية، وفيه فصول ستة).

* (الفصل الأول فى بعض علامات الساعة الصغرى).

* (الفصل الثانى فى الإمام المهدى وما جاء فيه من الأحاديث).

* (الفصل الثالث فى الدجال وما جاء فيه من الأحاديث).

* (الفصل الرابع فى السيد عيسى عليه السلام).

* (الفصل الخـامس فى خروج الدابة ويأجوج ومأجـوج، وطلوع الشمس من مغربها، وموت المؤمنين بريح لينة، وقيام الساعة على أشرار الخلق).

* (الفصل الرابع فى بيان أول من يكسى، وما ورد فى أناس من كونهم جالسين على منابر من نور أو كثبان من مسك، وبيان أول من يدخل الجنة).

* (الفصل الخامس فى أخذ العباد صحفهم وكونه قبل الصراط والميزان، وبيان أول من يأخذ كتابه بيمينه وبالعكس، ومن لا يحتاج لأخذه).

* (الفصل السادس فى الشفاعة العظمى وعدد شفاعاته ﷺ وبيان من يشفع من الأخيار).

* (الفصل السابع فى الصراط والميزان).

* (الفصل الثامن فى الحوض المورود وبيان هل هو لكل نبى وهل هو قبل الصراط أو بعده).

* (الباب السابع فيما يتعلق بالجنة والنار، ولكل منهما فصول تذكر فى محلها ونختم ذلك بالتكلم على النظر إلى الوجه الكريم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خاتمتنا آمين).

ونحن الآن شارعون فيما قصدناه على الترتيب السابق فنقول:

الباب الأول فيما يتعلق بالميت إلى أن يستقر فى القبر، وفيه فصول

الفصل الأول: فيما يطلب منه وهو فى حال صحة عقله

(اعلم) أنه يجب على المريض فى حال صحة عقله أن يخلص نفسه بتأدية الحقوق المطلوبة منه مالية كانت أو غيرها لله أو للآدمى، فإن بقاءها فى ذمته يوجب مطالبته فى الآخرة حيث لا دينار ولا درهم، فيقضيها من حسناته فإن لم يكن له حسنات طرح عليه من سيئات غيره الذى هو صاحب الحق كما هو منصوص، ففى البخارى عن النبى ﷺ أنه قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإذا لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**» وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح فى النار**» وفى حديث مرفوع «**صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين**» وفى مسلم عنه ﷺ «**لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»* وتؤدين فى الحديث بالبناء للمجهول كما ضبطه بذلك العلامة المناوى على الجامع الصغير، وقوله الجلحاء بجيم ولام وحاء أى التى لا قرن لها، وفيه دليل على بعث البهائم وحشرها والقصاص لبعضها من بعض وهو الصحيح عند أهل السنة كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى (وقد) روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «**كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك إلى وما بينى وبينك معرفة؟ فيقول: كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى**» قاله المحقق أبو الإرشاد سيدى على الأجهورى فى حاشيته على رسالة ابن أبى زيد، قال الإمام حجة الإسلام الغزالى فى الإحياء: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صوم النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا يمضى

عليك يوم إلا ويجرى على لسانك من غـيبة المسلمين ما يستوفـى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات، فكيف بك يا مسكين فى يوم ترى فيه صـحيفتك خالية من حسنات طال فيهـا تعبك فتقول: أين حسناتى فـيقال نقلت إلى صـحيفـة خصمـائك، وترى صحيـفتك مشـحونة بسيـئات غيـرك فتقول: يـا رب هذه سيئات غـيرى. فيـقال: هذه سيـئات الذين اغـتبتهم وشـتمتـهم وقصدتهم بالسـوء وظلمتهـم فى المعاملة والمبايعـة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمدارسة، فاتق الله فى العباد قبل يوم التلاق فينبغى للعاقل أن يخلص نفسه فى دنياه قبل أن يحيط به خـصماؤه فى يوم يشتد فيه الكرب ويعظم فيه الأمـر ويتعلق به كل من خصمائه، فـهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصـيته وهذا يقول ظلمتنى وهذا يقـول استهزأت بى وهذا يقول اغتبـتنى وأفسدت عرضى وهذا يقول رمـيتنى عند الظالم وهـذا يقول جاورتنى فـأسأت جـوارى وهذا يقول عاملتنى فغـشيتنى وهذا يقول وجـدتنى مظلومًا فما نصرتنـى وهذا يقول وجدتنى أنهى عن المنكر فمـا عاونتنى، فإذا حصل ذلك تحيـرت فبينما همـا كذلك إذ قرع سمعـه نداء الجبار ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] فعند ذلك ينخلع قلبه من هيبة الله الواحد القهـار فيؤخذ له حقه منه على ما تقدم انتهى، فإن تعـذر عليه الأداء للحقوق إما لعـدم معرفة أربابها أو لإعـساره وعدم قدرته على ذلـك، فليرجع إلى مولاه بالتـوبة وكثـرة الاستغـفار لنفـسه ولأرباب الحقوق عليه فلعل الله أن يرضى عنه خصماءه ولا يعذبه، ولذلك قال العلامة ابن ناجى عند قول مسلم (**طرح عليه من سيئات المظلوم**) محل الطرح المذكور إذا مات الظالم وهو قادر على القضاء وأما إذا مات عاجـزًا عنه فلا يطرح عليه من سيئات مظلومه شىء (قـال) الشيخ عز الدين بن عـبد السلام: واختلف العلمـاء إذا كان المظلوم ذميًا والظالم مـسلمًا فقال بعضـهم: يسقط حقه كالحـربى. وقال آخرون: صار حقـًا للنبى ﷺ يطلب به الظالم لقوله ﷺ: «**ألا من ظلم معـاهدًا أو نقصه أو كلفه فوق طاقـته أو أخذ منه شيئًا بغيـر طيب نفس فأنا حجيجـه يوم القيامة**». والحديث بلغت رواته مـبلغ التواتر انتـهى وما قـاله ابن ناجى يحمل على مـا رواه ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «**بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل لم تضحك يا رسول الله قال: رجلان من أمتى جىء بهما بين يدى**

الله عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال تعال أعط أخاك مظلمته فقال: يا رب ما بقى من حسناتى شىء، فقال المظلوم يا رب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالدموع فقال للمظلوم ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة، فقال لمن هذا يارب قال لمن يعطينى ثمنه قال: ومن يملك ثمنه قال: أنت، قال :بماذا؟ قال بعفوك عن أخيك، قال: يا رب إنى قد عفوت عنه، قال: فخذ بيد أخيك فادخلا الجنة» . وقد علمت أن محل هذا عند تعذر الأداء أو لمن أراد الله أن يعفو عنه، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وسيأتى لهذا مزيد إن شاء الله تعالى فى فصل الحساب، وقولنا فيما تقدم يجب عليه المبادرة بتأدية الحقوق واستسماح أهلها يعنى ولو بالبراءة العامة عند مالك خلافًا للشافعى وأبى حنيفة القائلين لابد من التفصيل، ويجب عليه أن يتوب قبل الغرغرة وهى مقبولة قبلها بالاتفاق قطعًا فى توبة الكافر بنص القرآن وكذا توبة المؤمن العاصى قطعًا على المشهور، وقيل إن قبولها ظنى أى من حيث الدليل وإلا فأصل القبول متفق عليه، وذكر العلامة عبد السلام فى شرحه على جوهرة اللقانى وجوب قبول التوبة سمعًا ووعدًا لا عقلاً فلا يجب عليه شىء أصلا توبة ولا غيرها لأنه مالك يفعل ما يشاء، وأما شرعًا فيجب قبولها بمعنى أنه أخبر عن نفسه بقبول ذلك ووعد به وألزم نفسه بذلك تفضلا منه لا بايجاب عليه من الغير قال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ**﴾ [الأنعام: ٥٤] إلى آخر الآية ولفظه وهل يجب قبولها سمعًا ووعدًا؟ فقال إمام الحرمين والقاضى: نعم لكن بدليل ظنى إذ لم يثبت فى ذلك نص قاطع لا يحتمل التأويل وقال إمامنا أبو الحسن الأشعرى، بل بدليل قطعى انتهى، لكن قد يناقش ما قاله إمام الحرمين من قوله «لكن بدليل ظنى» بأن هذا لا يلاقى وجوب القبول كل الملاقاة لأن الوجوب لا يمكن تخلفه بخلاف الظنى اللهم إلا أن يقال أراد بالوجوب الثبوت فلا تنافى حينئذ، وهذا بالنظر للمؤمن العاصى، وأما الكافر فقد علمت القطع بالقبول فالوجوب على ظاهره. وأما بعد الغرغرة فلا تنفع مطلقًا كافرًا أو غيره لقوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾ [النساء: ١٨] ولقوله سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾ [غافر: ٨٥] ولقوله أيضًا

فى حق فـرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَـهُ الْغَـرَقُ قَـالَ آمَنتُ﴾ [يونس: ٩٠] ولذلك قال الإمام الرازى فلو أنه أتى بالإيمان قبل مشاهدة العذاب ولو بلمحة لقبل منه ذلك، والدليل على قـبولها قـبل الغرغرة مـا قاله صاحب كنـز الأسرار ولواقح الأفكار القاضى الصنهاجـى روى أبو أيوب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر**» وفى رواية أخرى: «**ما لم ترد الروح فى حلقه**» وقال فيه أيضًا قال الحسن البصرى إن ابليس لما هـبط إلى الأرض قال: وعزتك يا رب لا فارقت ابن آدم مادامت روحه فى جـسده فقال المولى له: وعزتى وجـلالى لا أغلق عليه باب التوبة مـادامت الروح فى جسده ما لـم يغرغر وأما قـوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ**﴾ [الأنعام: ١٥٨] فالمراد ببعض الآيات طلوع الشـمس من مغـربهـا. واختلف فى ذلك هل فى يوم واحـد أو فى ثلاثة أيام طريقتان ثـم تطلع من المشرق على عادتها إلى يوم القـيامة، وإذا طلعت من المغرب غربت فى المشرق باتفاق القـولين، وقيل ترجع بعد وصولها إلى وسط السـماء وتغـرب فى المغـرب، وعند ذلك يغلق باب التـوبة على المؤمن العـاصى والكافر على المشهور، وقيل علـى الكافر فقط لقوله تعالى﴿**لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ**﴾ [الانعام: ١٥٨] الآية، ولا يخـفى رده بالعطف، وهل ذلك خاص بالمكلف حين طلوعها من المغرب أو عام؟ طريقتان، وهل يستمر عدم قبول التـوبة إلى يوم القـيامـة وهو ظاهر قـول البـرهان اللقـانى، والحق أنه من طلوع الشمس من مـغربها إلى يوم القـيامة لا تقـبل توبة أحد، لكن صـحح المحقق أبو الإرشاد الأجهورى فى حاشيته على الرسالة أن عدم قبول التوبة من المؤمن العاصى والكافر خـاص بمن شاهد الطلوع وهو مميـز أما غـير التمـييز لصـبى أو جنون ثم حصل له التمـييز أو ولد بعد ذلك فإنه تقبل منه التـوبة ويمكن ترجيع هذا لما قاله البرهان اللقانى بحمل كلامه على الأحد الممـيز الموجود فيكون تصحيح الأجهورى تقييد له فلا خلف حينئذ. (ومما) ينبـغى له حينئذ أيضًا أن يغلب رجاءه على خوفه باتفاق الأئمـة الثلاثة كـما ينبغى له عكس ذلك عند مـالك وأبى حنيفـة فى حال الصحة على التـحقيق من أقوال ثلاثة عند مالك وقـد أشار لذلك القطب الدردير فى خريدته بقوله:

وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلاتنائى

واستواؤهما فى حال الصحة عند الشافعى ويدل لمالك وأبى حنيفة ما ذكره السيوطى فى شفاء الصدور وذكره صاحب كنز الأسرار أيضًا ونصهما أخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: «**إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله، وإذا كان حيًا فخوفوه**» ويدلك لما نحن فيه ما أخرجه ابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة**» وفى مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: «**لا يموت أحد إلا وهو محسن ظنه بالله تعالى**» قلت: وهو إخبار والغرض منه الطلب والإرشاد، وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن ابن مسعود قال: (**والله الذى لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه ظنه**) وفى شفاء الصدور أخرج أحمد عن بريدة عن رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدى بى إن ظن خيرًا فله وإن ظن شرًا فله**» وأخرج ابن المبارك وأحمد والطبرانى فى الكبير عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «**إن شئتم أنبئكم أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة وما يقولون له قلنا نعم يا رسول الله قال: فإن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائى فيقولون: نعم يا ربنا فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك فيقول: قد وجبت لكم مغفرتى**» وأخرج ابن المبارك عن عقبة بن مسلمة قال: ما من خصلة فى العبد أحب إلى الله من أن يحب لقاءه (فإذا) علمت ذلك فالإنسان ينبغى له أن يلاحظ كرم سيده وفضله عند قدومه عليه ولو كان من أهل التقصير، فقد أخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» فقالت عائشة -رضى الله عنها-: إنا لنكره الموت فقال: «**ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضر بشر برضوان الله وكرامته، فليس شىء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شىء أكره إليه مما أمامه، وكره لقاء الله وكره الله لقاءه**» وفى شفاء الصدور: أخرج أحمد من طريق همام بن عطاء بن السائب سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى وهو يتبع جنازة يقول: حدثنى فلان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**» فأكب القوم يبكون قال:

ما يبكيكم؟ قالوا: «**إنا لنكره الموت قال: ليس ذلك ولكن الشخص إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحب، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم، فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه أكره**» (وأخرج) ابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر عن أبى غالب صاحب أبى إمامة قال: كنت بالشام فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه أى على ارتكاب المعاصى فلا يطيعه فمرض الفتى فبعث الغلامَ إلى عمه فأبى أن يأتيه فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه فأقبل إليه عمه يشتمه ويقول: أى عدو الله ألم تفعل كذا وكذا يريد بذلك تعداد معصيته قال: أرأيت أى عمى لو أن الله دفعنى إلى والدتى ما كانت صانعة بى قال: كانت والله تدخلك الجنة، فقال الفتى: فوالله الله أرحم بى من والدتى، فقبض الفتى ودفنه عمه فلما سوى اللبن سقطت منه لبنة فوثب عمه أى لأجل إصلاحها فتأخر قلت: ما شأنك أى من أجل التأخر قيل ملئ قبرة نور وأفسح له مد البصر وهذا بحسن الظن، قلت ولعل الحكمة فى طلب حسن الظن حينئذ أن الخوف يؤدى إلى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، وذلك من الكبائر، وهو أيضًا جهل بالله تعالى ومجارى رحمته وإفضاله على خلقه، والأمر على خلاف ذلك، فحسن الظن حينئذ فى الله وعظم الرجاء به أحسن ما تزود به العبد المؤمن من عند قدومه على مولاه، قال فى كنز الأسرار(وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو فى النزع فقال له: «**كيف تجدك؟**» فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف**» ومرض أعرابى فقيل له: إنك تموت فقال أين يذهب بى؟ فقيل إلى الله قال: فأكره أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه وقال فيه أيضًا وكانوا يعنى السلف يحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكى يحسن ظنه بمولاه وذكر فيه وفى «شفاء الصدور» وأيضًا قال بعض علماء المتأخرين: اختلفت أحوال الصديقين عند حضور الموت بهم، فبعضهم قد غلبت عليه الهيبة وبعضهم قد غلب عليه الرجاء، ومنهم من كشف له عما أوجب له الكسون والأمان والشقة بمولاه ومنهم من كان الغالب عليه الأنس بسيده، قال فى

«كنز الأسرار» وذلك كالعارف الشبلى -رضى الله عنه- وكان يقول طول ليله يعنى ليلة وفاته هذين البيتين:

إن قلبـــا أنت ســـاكنه　　غـيـر مـحـتـاج إلى السـرج

وجــهك المأمــول حــجـتـنا　　يـوم تأتـى الـناس بـالحـــجج

وهذا أعظم مـقام العارفـين ولذا قال ابن الفـارض حين رأى مـا له من الجنان والحور عند وفاته:

إن كــان منزلتى فى الحـب عندكم　　مـا قد رأيت فـقـد ضيعت أيامى

ومن ذلك المعنى مـا أفاد العـلامة الأمـير على عـبد السـلام نقلاً عن سـيدى دمرداش أنشد فى كتابه مجمع الأسرار:

ليس قـصـدى من الجـنان نعـيـمًا　　غــيـــر أنى أريـدها لأراكـــا

وحيث كان ذلك من باب الإنـشاد لا الإنشاء فلعله تكلم به بعد إنشـائه للسيدة رابعة العدوية فلا ينافى ما اشتهر من نسبته لها، ومن ذلك المعنى قولها:

كلهـم يعــبــدوك من خــوف نار　　ويرون الـنجـــاة حـظًا جــــزيلاً

أو بأن يسـكنوا الجنان فــيـحظوا　　بقـصـور ويشـربـوا سلسـبـيـلا

لـيـس لـى بـالجنـان والـنـار حـظ　　أنا لا أبتـــغى بحـبى بـدليـــلا[١]

فلحظ العارفين شهودهم لسيدهم وأنسهم به، ولذلك قال العارف الشبلى رأيت فى بعض الأيام مجنونًا والصبيان حوله يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فجعل الشـبلى يزجرهم عنه فقالوا: دعنا نقتله فـإنه كافر يزعم أنه يرى ربه ويخاطبـه فقال: كفـوا أيديكم عنه، ثم تقدم الشبلى إليـه فوجده يتحـدث وحده ويضحـك ويقول: أجمـيل منك تسلط على الصـبيان يفـعلون بى هكذا فـقال له الشبلى: إنهم يزعـمون أنك ترى ربك وتخاطـبه، فصرخ صـرخة عظيمـة قال يا شبلى وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين قال الشـبلى: فعلمت أنه من الخواص أرباب الإخلاص فقلت له حـبيبى

(١) هكذا فى الأصل (بدليلا) ولعل الصواب (بديلا).

ما حقيقة المحبة؟ فقال مه يا شبلى فوالله لو قطرت قطرة من المحبة فى البحار لعادت= سعيراً ولو وضعت ذرة منها على الجبال لصارت هباء منشوراً فكيف بقلوب كساها الغرام قلقًا وسعيراً وزادها الهيام حرقًا وتحريقًا أنشد يقول:

كشف الحبيب لمن دعا ستوراً	**وسقاه كأسًا فاغتدى مخموراً**
واعتاده حر اللهيب ولم يرد	**إلا الحبيب فغال منه حبوراً**
يا فوز من كان الحبيب نديمه	**وغدا إليه فى الجميع مشيراً**
فإذا رأيت محبة فى سكرى	**خلع العذار رأيته معذوراً**
من ذا يطيق الصبر عن محبوبه	**حاشا المحب يكون عنه صبوراً**

قال فى كنز الأسرار وقد فتح عبد الله بن المبارك عينيه فضحك وقال عند خروج روحه لمثل هذا فليعمل العاملون وهذا لما عاينه من المقام له -رضى الله عنهم- وعنابهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم وعظم.

الفصل الثانى: فيما يتعلق به حال الاحتضار

قال بعض المحققين اعلم أنه ينبغى تنظيف المحتضر وإزالة الأذى عنه تهيأ للقاء على حالة النقاء من الأدران والأوساخ، ولذلك شرع غسل الميت وتوضئته وربما حصل انبساط لنفس المحتضر بذلك؛ لأن السجايا مجبولة على حب النقاء والتنظيف، لذلك قال الإمام ابن رشد: يستحب أن يكون ما حوله وما تحته طاهراً إن أمكن ذلك؛ ولأنه تحضره الملائكة عند الاحتضار وهم يحبون النظافة والرائحة الطيبة، ولذلك ينبغى تجمير موضعه إن كان هناك ما تأنف منه الطباع من الروائح المنكرة كما يوجد فى بعض المرضى الانبساط الملائكة، وبذلك، فإنه ليس لهم حظ من الدنيا وأهلها أعظم من الرائحة الطيبة كما ورد ذلك، ويدل على حضورهم عند الاحتضار ما قاله العلامة عبد الباقى على خليل قال: فائدة ورد أن جبريل يحضر كل من مات من أمة محمد ﷺ وما اشتهر على ألسنة الناس أنه لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبى ﷺ فلا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما

للطبرانى فى الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت قلت: يا رسول الله هل يرقد الجنب؟ قال: «**ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ فإنى أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل**» قال العلامة الأمير عليه: قوله «**فلا أصل له**»، معناه أنه لا ينزل بتجديد شريعة اهـ (وذكر) الإمام السيوطى فى شفاء الصدور: وقال أخرج البزار عن النبى ﷺ قال: «**إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت على الحريرة وذهب به إلى علين**» وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان حضور ملائكة الرحمة مع ملك الموت* ومما ينبغى أيضًا أن يحضره أفضل أهله وأحسنهم صلاحًا وكمالاً وكثرة الدعاء له وللحاضرين، قال العلامة عبد الباقى لأن الملائكة يحضرون ويؤمنون وهو من مواطن استجابة الدعاء، ينبغى تجنب الحائض والنفساء قال الشيخ عبد الباقى ويندب أن يجنب البيت كلبًا غير مأذون فى اتخاذه أو مطلعًا عل الخلاف فى ذلك وتمثالاً وآلة ولكراهة الملائكة لذلك، وأن لا يبكى عنده أو يسترجع عنده بحيث يعلم به اهـ وينبغى تجنب الوارث والبعيد عنه ويستحب تقبيله للقبلة عند أحداده أى شخوص بصره إلى السماء فيجعل على شقه الأيمن ثم إن لم يكن فعلى ظهره ورجلاه للقبلة، ويستحب قراءة شىء من القرآن لاسيما يس لما ورد فقد أخرج ابن أبى الدنيا والديلمى عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ «**ما من ميت يقرأ عند موته يس إلا هون الله عليه**» وأخرج ابن أبى شيبة وأبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان عن معقل بن يسار أن النبى ﷺ قال: «**اقرؤا على موتاكم يس**» قال ابن حبان: أراد به من حضره الموت، وذكر بعضهم أنه يستحب قراءة الرعد عنده أيضًا بدليل ما أخرجه ابن أبى شيبة والمروزى عن جابر بن زيد قال: كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن الميت وإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة فى حياة رسول الله ﷺ اللهم اغفر لفلان ابن فلان وبرد عليه مضجعه ووسع عليه فى قبره وأعطه الراحة بعد الموت وألحقه بنبيه وتولى نفسه وصعد روحه فى أرواح الصالحين وأجمع بيننا وبينه فى دار تبقى فيها المحبة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب

ويصلى على رسول الله ﷺ ويكرر ذلك حتى يقبض* وقال فى شفاء الصدور: وأيضًا قد أخرج ابن أبى شيبة والمروزى عن الشعبى قال: كانت الأنصار يقرؤن عند الميت سورة البقرة اهـ وكراهة ذلك عند مالك حيث فعل ذلك على اعتقاد السنة كما يأتى توضيحه إن شاء الله تعالى (ومما) ينبغى أيضًا تلقين الشهادتين عند الاحتضار وقال القاضى عياض: إن التلقين سنة عمل بها المسلمون، ومراده بالسنة الطريقة فلا ينافى الاستحباب وذلك عند الموت لا على القبر على إحدى الطريقتين عند مالك وهى المشهورة، وفى الشيخ عبد الباقى على خليل قال وندب أيضًا تلقينه الشهادتين بعد الدفن كما جزم به القرطبى والثعالبى وصاحب المدخل وغير واحد من المالكية وفاقًا للنووى للحديث الطويل الذى فى آخره **«فإن منكرًا ونكيرًا يتأخران عنه كل واحد منهما يقول لصاحبه: انطلق بنا.. إلخ»** وفى مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ: **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»** مع الشهادة الأخرى فهو على حد قوله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»** قال العلامة الشيخ عبد الباقى وهل ندب ذلك ليكون آخر كلامه أو ليطرد به الشياطين الذين يحضرونه لدعوى التبديل والعياذ بالله تعالى وجهان ذكرهما المازرى فى المعلم، قال ابن نافع والصواب هما معًا، وهل التلقين للصغير والكبير وخصه النووى بالثانى ويدل له تعليل الإمام المازرى بقوله لكونه موضعًا يتعرض الشيطان فيه لإفساد اعتقاد الإنسان فيحتاج إلى المذكر والمنبه، ويحتمل أن يقصد كون ذلك آخر كلامه فيحصل له ما وعد به فى الحديث الآخر من قوله ﷺ: **«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»** أى مع السابقين ويكون ذلك منه علامة على موته مؤمنًا وإلا فلا خصوصية وقد أخرج أبو يعلى والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر -رضى الله عنهما- سمعا رسول الله ﷺ يقول: **«إنى لا أعلم كلمة يقولها رجل يحضر الموت إلا وجد روحه لها روحة حين تخرج من جسده وكانت له نورًا يوم القيامة»** وفى لفظ: **«إلا نفس الله عنه وأشرق لونه ورأى ما يسره لا إله إلا الله»** وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين والطبرانى والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة -رضى الله عنه- يقول: حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً يموت فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيرًا ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرًا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص وشق

الأعضاء والقلب كغاية عن عدم العمل لهما، وأخرج ابن عساكر عن على بن أبى طالب -رضى الله عنه- قال سمعت من رسول الله ﷺ كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة: لا إله إلا الله الحليم الكريم ثلاث مرات، الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات، تبارك الذى يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير اهـ من «شفاء الصدور» ودليل طلب التلقين على القبر على ما ارتضاه صاحب المدخل وجزم به القرطبى وفاقا لمذهب الشافعى حديث سعيد بن عبد الله الأسدى كما فى **«شفاء الصدور»** و**«كنز الأسرار»** قال: شهدت أبا أمامة الباهلى فى النزع فقال يا أبا سعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمر النبى ﷺ قال: **«إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقف أحدكم عند رأس قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يستوى قاعدًا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يقول عند الثالثة أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً وبالقرآن إماما فإن منكرًا ونكيرًا يتأخر كل واحد عنه فيقول انطلق بنا لا تقعد عنده وقد لقن حجته»**، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال: **«فلينسبه إلى حواء»** وبهذا الحديث أخذ الشافعى وأبو حنيفة وغير واحد من المالكية كما قال صاحب المدخل ومشهور مذهب مالك يرى ضعف الحديث وأن شرط العمل به أن لا يشتد ضعفه وأن يندرج تحت أصل كلى قال الشيخ عبد الباقى: ولم يوجد فى هذا الحديث اندراج تحت أصل كلى فلا يعمل به وإن كان فى المقاصد تقويته اهـ قال العلامة الأمير فى حاشيته عليه وأورد أن هذا مندرج فى نفع المؤمن أخاه وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين اهـ فيكون هذا مقويًا لما درج عليه صاحب المدخل وجزم به القرطبى فيكون الاعتماد عليه لا سيما والحديث قواه الحافظ السخاوى فى المقاصد ولكل وجهه -رضى الله عن الجميع- ومما ينبغى أيضًا عدم كثرة الكلام عنده، والإلحاح عليه ولو بالتلقين بل ويسكت بين كل تلقينتين لئلا يضجر الميت ويشق عليه لاسيما مع ضيق الصدر إذ ذاك واختلال الحس من شدة الكرب وقد يبدو منه بسبب ذلك قول مكروه، قال فى شرح الشيخ عبد الباقى نقلاً عن العلامة الأبى: ولا يقال له قل لأنه تكليف وليس بمحل تكليف

قال العلامة الأمير فهم شيخنا أن المراد بالتكليف الشرعى فقال إنه مخاطب بذلك على سبيل الندب والظاهر أن المراد به التشديد فى الخطاب وذلك أنه فى خطب عظيم اهـ وقال العلامة الأبى أيضًا فى تعليله ولأنه لو قيل قل لربما قال لا جوابًا لرد فتنة الفتانين أو إبليس كما وقع للإمام أحمد فيساء الظن به، وفى الشبرخيتى تفصيل الواقعة عن سيدى عبد الله ابن الإمام أحمد -رضى الله عنه- قال: لما حضرت أبى الوفاة جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقول فى حال إغمائه لا بعد لا بعد، فلما أفاق قلت: يا أبت ما لهجت به فى هذا الوقت؟ فقال: يا بنى ألا تدرى ذلك؟ قلت: لا، قال: إن إبليس قائم نائم بحذائى عاضًا على أنامله يقول فتنى يا أحمد فأقول لا بعد حتى أموت اهـ (وذكر) العلامة الأجهورى على المختصر قال: تتمة قال الأبى اتفق أن ابن عرفة مرض مرضًا شديدًا أشرف فيه على الموت ثم نقه بكسر القاف أى طاب فدخلت عليه مع بعض الطلبة فأخذ يحضنا على الجد فى طلب العلم ويقول: العلم ينفع فى الدنيا والآخرة ثم قال غشى على فى مرضى هذا فتمثلت لى طائفتان إحداهما عن يمينى وهى الصغرى والأخرى عن شمالى وهى الكبرى والتى عن يمينى ترجح الإيمان بالله والتى عن شمالى ترجح الكفر به وتورد شبهًا فوفقنى الله للجواب عنها بما أعرفه من قواعد التوحيد فلما سُرى عنى علمت أن توفيقى إنما هو ببركة العلم وكون الله ينفع به فى الدنيا والآخرة اهـ قال العلامة الشيخ عبد الباقى ثم إذا قالها المحتضر بعد التلقين لا تعاد عليه إلا أن يتكلك بكلام أجنبى فتعاد لتكون آخر كلامه لخبر «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**» ويكون الملقن له غير وارثه إن وجد وإلا فأرفقهم به ولا يضجر الملقن من عدم قبول المحتضر لما يلقن اهـ لأنه يشاهد ما لا يشاهدون لأنه مشغول بالتوحيد ومدافعة أهل الفتن، ولذلك قال المازرى فى تعليل ترك الأمر عند التلقين لأنه مشغول بمدافعة أهل الفتن فربما مع الأمر ينجر ذهنه من شدة الكرب فيفهم أن أمر الحى له طاعة لأهل الفتن والعياذ بالله تعالى من ذلك وفى الشيخ عبد الباقى ومن خرس لسانه أو أذهب المرض عقله فلم ينطق قبل الموت حكم له بما كان عليه قبلُ من الإسلام، كما أن الكافر يحكم له بما كان عليه من الكفر اهـ وفى «شقاء الصدور» للحافظ السيوطى ومما يكون سببًا للموت على الإيمان وتسهيل النطق بالشهادتين عند الموت بر الوالدين ورضاهما، قال

أخرج البيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى عن عبد الله بن أبى أوفى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن ههنا غلامًا قد احتضر فيقال له قل: لا إله إلا الله فلا يستطيع أن يقولها قال أليس كان يقولها فى حياته؟ قالوا: بلى، قال: فما منعه عند موته فنهض النبى ﷺ ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال: «**يا غلام قل لا إله إلا الله** قال :لا أستطيع أن أقولها؟ قال: **ولم؟** قال: لعقوقى والدتى قال: **أحية هى؟** قالوا: نعم، قال: **أرسلوا إليها** فجاءته فقال لها رسول الله ﷺ: **ابنك هو؟** قالت: نعم، قال: **أرأيت لو أن نارًا أججت فقيل لك إن لم تشفعى فيه دفعناه فى النار،** فقالت: إذن كنت أشفع له قال: **أشهدى الله وأشهدينا أنك قد رضيت عن ابنك،** قالت: قد رضيت عن ابنى، قال: **قل يا غلام لا إله إلا الله.** فقال: لا إله إلا الله. فقال: رسول الله ﷺ: **الحمد لله الذى أنقذه بى من النار**» اهـ ولعل ذلك الغلام كان بالغًا وإلا فهو ناج لرفع القلم عنه، وظاهر الحديث إن لم يحمل على الغلام كان بالغًا شاهد لمن يرى صحة ارتداده كإسلامه كما نص على ذلك فى كتب الحنفية مع المؤاخذة بها فى الآخرة عندهم ومذهب مالك عدم مؤاخذته بالارتداد فى الآخرة وإن كانت ردته معتبرة فى الدنيا فلا تجرى عليه أحكام الإسلام، ولعل ذلك الغلام أيضًا قال لا إله إلا الله مع قرينتها محمد رسول الله لأن الإنقاذ من النار متوقف على الاعتراف لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة العامة، جعلنا الله من أهل شفاعته (ومما ينبغى أيضًا) تغميض بصره عقب خروج روحه وشد لحييه وتليين مفاصله برفق ورفعه عن الأرض خوفًا من الهوام من إسراع الفساد إليه وستره بثوب حتى وجهه لأنه ربما تغير وجهه من المرض تغيرًا فاحشًا فيظن من لا معرفة له به مالا يجوز، ووضع ثقيل أيضًا على بطنه خوفًا من انتفاخه، وإسراع تجهيزه إلا الغرق والصعق ومن يموت فجأة كمن به مرض السكتة ومن مات تحت هدم فلا يندب إسراع به بل يؤخر ولو يومين حتى يتحقق الموت اهـ عبد الباقى، وللعلامة الأمير: فإن ترك تغميض العينين عقب الموت جذب شخص عضديه وآخر إبهامى رجليه معًا فإنه يغلق بصره مجرب انتهى. ودليل طلب التغميض ما ذكره الحافظ فى «شفاء الصدور» قال أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى بكر رضى الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على

أبى سلمة رضى الله عنه وهو فى الموت، فلما شق بصره أى شخص مد رسول الله ﷺ يده فأغمضه فلما صاح أهل البيت فسكتهم رسول الله ﷺ وقال: «**إن النفس إذا خرجت يتبعها البصر وإن الملائكة تحضر الموت فيؤمنون على ما يقول أهل البيت ثم قال رسول الله ﷺ اللهم ارفع درجة أبى سلمة فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يوم الدين**» وفى «شفاء الصدور»: أخرج الحاكم عن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا حضرتم الميت فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح، وقولوا خيرًا فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت**» وأخرج المروزى عن أبى بكر بن عبد الله المزنى رضى الله عنه قال إذا أغمضت ميتًا فقل باسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ أماتنا الله عليها بجاهه عنده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكر الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم وشرف وكرم.

الفصل الثالث: فى كيفية خروج روحه وصفة القبض وصفة الملك عند قبضه ورفقه بالمؤمن ومعاينة المحتضر له وللملائكة الذين معه

(اعلم) إنه إذا أراد الله وفاة عبد حضرته الملائكة الأعوان مع ملك الموت يجذبون السر الإلهى إلى أن يصل إلى ترقوته فيكون الآخذ له عزرائيل وحينئذ لا معارضة بين الآيات لثلاث وهى: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر: ٤٢] وقوله: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾ [السجدة: ١١] الآية الأولى بالنظر إلى ابتداء القبض عند معالجتها من الجسم، والثانية بالنظر إلى الإيجاد الحقيقى والثالثة بالنظر إلى انتهاء القبض حين الوصول إلى الحلقوم، وحين ذلك يحضرها الشيطان فى صورة من هو أحب الناس إليه أو أحد أبويه كما فى رواية أخرى ويعرض عليه الأديان الباطلة لأجل الافتتان فيقول له مت على دين كذا فقد سبقتك فوجدته أحسن الأديان أعاذنا الله من ذلك ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية: إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة ويبشرونه فيحيمه الله بسبب حضورهم من الافتتان وقال عطاء فى

تفسيـر قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] إن ذلك عند الموت فتأتيـهم الملائكة بالرحمة والبشرى من الله تعـالى، وتأتى أعداء الله بالغلظة والفظاظة وقال الزهرى فى تفسيرها: هى المبشـرات التى يبشر الله بها عبده المؤمن عند الموت وهذا المعنى يشير إليـه قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩] على أحد التأويليـن فى الوقت، وأما رفقه بالمؤمن فيأتيه على صـورة حسنة جميلة وفى (الإحياء) للغـزالى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبراهيم عليه السـلام كان رجلاً غيورًا وكان له بيت يتعبـد فيه فإذا خرج منه أغلقـه فدخل ذات يوم فإذا رجل فى جـوف البيت فـقال: من أدخلك دارى؟ فقال له: أدخلنيهـا ربها فقال إبراهيم: أنا ربها. فقـال له: أدخلنيها من هو أملك لها منك؟ فـقال: من أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت فقـال له هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيهـا روح المؤمن؟ قال: نعم فأعرض عنى، فأعرض عنه فإذا هو شاب فـذكر من حسن وجهه وحسن ثيـابه وطيب ريحه، قال يا ملك الموت لو لم يلق بالمؤمن عند الموت إلا صورتك هذه لكانت حسبه» وهذه الحالة لا تنافى مشقة الخروج للروح عند الجذب من الأعوان، والأعوان من أهل الرحمة إن كان من أهل الخيـر، وأعوان العذاب إن كان من أهل الشـر، واختلف فى قدرهم فقـيل أربعة وقيل ستـة ثلاثة لأهل الإيمان وثلاثة لأهل الكفر، وذكـره الجمل فى حاشيـته على التفسير، قـال السيوطى فى شفاء الصـدور أخرج ابن أبى الدنيا عن إبراهيم النخعى قال بلغنا أن المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة وريحان من ريحان الجنة فتـقبض روحه فتجعل فى حـريرة من حرير الجنة ثم تنضح بذلك الطيب وتلف فى الريحان ثم ترقى بها ملائكة الرحمة اهـ وهم غير الأعوان المتقدم ذكرهم، ولذلك قال العارف الشعرانى فى كتابه مختصر التذكرة وفى الحديث أيضًا أنه ينزل على الميت أربعة من الملائـكة ملك يجذب روحه من قدمـه اليمنى وملك يجذبها من قدمـه اليسرى وملك يجذبها من يمينه وملك يجذبهـا من شماله ذكره الإمام الغزالى، قال: وربما ثقل لسان الميت وهم يجذبون روحه من أطراف البنان ورؤوس الأصـابع، والنفس مع ذلك تـسل انسـلال القناة من السـقـاء إن كـانت سعيدة، قال والميت يظن أن بطنه ملئت شوكًا ويحس أن نفسه تخرج من خرم إبرة

وكأن السماء قد انطبقت على الأرض وهو مضغوط بينهما، فإذا وصلت الروح إلى القلب مات اللسان عن النطق وجمعت النفس فى صدره ثم عند ذلك تختلف أحوال الموتى فمنهم من يطعنه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سقيت سمًا من نار وتصير على صورة إنسان ثم تتناولها الزبانية. اهـ وهذا بخلاف أهل السعادة فالحال يختلف تشديدًا وتخفيفًا باعتبار الأشخاص وقد أخرج الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم وابن منده من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن الحرث عن ابن الخزرجى عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وقد رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار «**يا ملك الموت ارفق بصاحبى فإنه مؤمن فقال ملك الموت: طب نفسًا وقر عينًا وأعلن أنى بكل مؤمن رفيق واعلم يا محمد إنى لأقبض روح ابن آدم فإذا صرخ صارخ قمت فى الدار ومعى روحه فقلت ما هذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا فى قبض روحه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا وإن تسخطوا تأثموا وتؤزروا وإن لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر، وما من أهل بيت شعر ولا مدر ولا بر ولا فاجر ولا سهل ولا جبل إلا أنا أتفحصهم فى كل يوم وليلة حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله يأذن بقبضها**» ويؤخذ من قوله فى الحديث (روح بعوضة) أنه القابض لجميع المخلوقات من كل ذى روح آدمى أو غيره، وهذا هو التحقيق وهو الذى أجاب به مالك حين سئل هل يقبض ملك الموت البرغوث فسكت ثم قال: أليس ذا نفس، وقيل إنه لا يقبض أرواح البهائم بل أعوانه وهو ضعيف كما علمت (وأما) صفته عليه السلام فهو ملك عظيم هائل المنظر مفزع جدًا رأسه فى السماء العليا ورجلاه فى تخوم الأرض السفلى ووجهه مقابل اللوح المحفوظ والخلق بين عينيه وله أعوان بعدد من يموت يرفق بالمؤمن ويأتيه فى صورة حسنة، وقد أخرج ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن ابن المثنى والحمصى قالا: إن الدنيا سهلها وجبلها بين فخذى ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فيقبض الأرواح فيعطى هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء، قيل: فإذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق قال يدعوها فتأتيه الأنفس، وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما عن نفسين اتفق موتهما فى طرفة عين واحد بالمشرق والآخر بالمغرب كيف قدرة ملك الموت

عليهما، قال: «ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والبحور إلا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيهما شاء» وأخرج ابن أبى حاتم عن زهير بن محمد قال قيل: يا رسول الله ملك الموت واحد والزحفان يجتمعان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك فقال: «**إن الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدى أحدكم فهل يفوته منها شىء**» (وأخرج) ابن أبى شيبة فى المصنف قال حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة قال: «أتى ملك الموت سليمان بن داود وكان له صديقًا فقال له سليمان مالك تأتى أهل بيت فتقبضهم جميعًا وتدع أهل بيت إلى جنبهم لا تقبض منهم أحدًا قال لا أعلم بما أقبض منها إنما أكون تحت العرش فتلقى إلى صكاك فيها أسماء»، وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ملكًا استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس عليه السلام فأتاه فسلم عليه فقال له إدريس عليه السلام هل بينك وبين ملك الموت شىء؟ قال: ذاك أخى من الملائكة قال: هل تستطيع أن تنفعنى عنده بشىء؟ قال: أما أن يؤخر شيئًا أو يقدمه فلا ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت قال اركب بين جناحى فركب إدريس عليه السلام فصعد إلى السماء العليا فلقى ملك الموت وإدريس عليه السلام بين جناحيه فقال له الملك: إن لى إليك حاجة، قال: تكلمنى فى إدريس وقد محى اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة عين فمات إدريس بين جناحى الملك ثم أحياه الله وأدخله الجنة فهو الآن فيها اهـ وهذه الرواية تنافى ما ذكره العلامة الجمل فى حاسيته على التفسير نقلاً عن الخازن قال وهب كان يرفع لإدريس من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض فى زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم، وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له فى الليلة الثالثة: إنى أريد أن أعلم من أنت، فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أصحبك فقال لى إليك حاجة، قال: وما هى؟ قال: تقبض روحى فأوحى الله إليه أن اقبض روحه، فقبضها وردها الله إليه فى ساعته فقال ملك الموت: ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق الموت وغمرته فأكون أشد استعدادًا له، ثم قال له إدريس: إن لى إليك حاجة، قال وما هى؟

قال ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه، فلما قرب من النار قال: لى إليك حاجة قال: وما هى؟ قال تسأل مالكًا حتى يفتح أبوابها ففعل ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود إلى منزلك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله ملكًا حكمًا بينهما فقال له الملك لم لا تخرج؟ فقال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته وقال: وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ولست أخرج منها فأوحى الله إلى ملك الموت بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج منها فهو حى هناك فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] واختلفوا فى أنه حى فى السماء أم ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم حى وقالوا أربعة من الأنبياء أحياء منهم فى الأرض اثنان وهما الخضر وإلياس عليهما السلام، واثنان فى السماء وهما عيسى وإدريس اهـ خازن (وفى) القرطبى وقال السدى إنه نام ذات يوم فاشتدت عليه الشمس وحرها وهو منها فى كرب فقال اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فإنه يمارس نارًا حامية فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسى من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه، فقال ملك الشمس يارب من أين لى هذا قال له دعا لك رجل من بنى آدم يقال له إدريس ثم ذكر نحو حديث وهب ثم قال أى القرطبى: قال النحاس قول إدريس وما هم منها بمخرجين يجوز أن يكون أعلم بهذا إدريس ثم نزل القرآن به قال وهب بن منبه، فإدريس يرفع تارة إلى الجنة وتارة يعبد الله مع الملائكة فى السماء الرابعة اهـ قال السيوطى فى شفاء الصدور وكان يقبض الأرواح عيانًا فكان يأتى الشخص ويقول له اقض حاجتك فإنى أريد أن أقبض روحك، فسبه الناس فشكا لمولاه فأنزل الله الداء وصار يجئ خفية، وأخرج أحمد والبزار وصححه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**كان ملك الموت يأتى الناس عيانًا فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عينى ولولا كرامته عليك لشققت عليه، قال له: اذهب إلى عبدى موسى فقل له فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فأتاه فقال له: ما**

بعد هذا؟ قال: الموت. قال: فالآن قال فشمه شمة فقبض روحه ورد الله عليه عينه فكان بعد يأتى الناس خفية» وذكر العارف الشعرانى بعد أن حكى رواية للإمام الترمذى بمثل هذا إنما فقأ عين ملك الموت بإذن من ربه عز وجل لأنه معصوم ولذلك لم يعاتبه الله على ذلك، قال العارف الشعرانى فى مختصر التذكرة: وروى أن موسى عليه السلام لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له: «**يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور الحى يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير**» وفى رواية «**وجدت نفسى كالشاة تسلخ بيد القصاب**» وفى الحديث «**إن الموت أشد من ضرب السيوف ونشر المناشير وقرض المقاريض**» اهـ وذكر فى شفاء الصدور قال أخرج أبو حذيفة اسحاق بن بشير فى كتاب المبتدأ بسنده عن ابن عمر قال: قال ملك الموت: «**يارب إن عبدك إبراهيم جزع من الموت، فقال: قل له الخليل إذا طال به العهد عن خليله اشتاق إليه، فبلغه قال نعم يارب قد اشتقت إلى لقائك فأعطاه ريحانة فسشمها فقبض**» (وأخرج) أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع فخرج ذات يوم ورجع فإذا فى الدار رجل قائم فقال له من أنت؟ قال: أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب، قال داود أنت إذن والله ملك الموت مرحبًا بأمر الله فزمل داود مكانه وقبضت نفسه**» وأخرج الطبرانى عن الحسين أن جبريل عليه السلام هبط على النبى ﷺ يوم موته فقال: «**كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مغمومًا وأجدنى مكروبًا فاستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل: يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك، قال ائذن له، فأذن له فأقبل حتى وقف بين يديه فقال: إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك إن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها، قال وتفعل يا ملك الموت؟ قال نعم بذلك أمرت، فقال له جبريل: إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله ﷺ امض إلى ما أمرت به ولم تكن هذه الكلمة آخر كلامه من الدنيا بل اللهم الرفيق الأعلى**» كما نقله الإمام البخارى فى صحيحه ولفظه حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير فى رجال من أهل العلم أن عائشة زوج النبى ﷺ قالت: كان

رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم قالت فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة ثم أفاق شخص بصره إلى السقف ثم قال اللهم الرفيق الأعلى قلت إذن لا يختارنا وعرفت إنه الحديث الذى كان يحدثنا به قالت فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبى ﷺ اللهم الرفيق الأعلى**» اهـ قال العارف الشعرانى ورد فى الحديث أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك؟ قال نعم والله لى رسل كثيرة من الإعلال والأمراض والشيب والهرم ونقص السمع والبصر فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك الموت ولم يتب ولم يحصل الزاد ناديت عند قبض روحه ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ونذيرًا بعد نذير فأنا الرسول ليس بعدى رسول وأنا النذير ليس بعد نذير قال وفى الحديث أيضًا «**إنه ما من يوم تطلع شمسه ولا تغرب إلا وملك ينادى يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد يا أبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد، يا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير أو لم نعمركم يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**» ذكره ابن الجوزى رحمه الله، قال: وروى أن الله تعالى ينظر فى وجه الشيخ كل يوم خمس مرات فيقول يا ابن آدم كبر سنك ووهن عظمك واقترب أجلك فاستحى منى كما أستحى منك فأنى استحى أن أعذب ذا شيبة، قال وروى أن أول من شاب سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لما رجع من تقريب قربان ولده إلى ربه فشابت من لحيته شعرة واحدة فأعجب بها، وكرهت لذلك سارة فقالت له أزلها فأبى، فنزل عليه ملك وقال السلام عليك يا إبراهيم ولم يكن اسمه قبل ذلك إلا ابرائم، فزاد الملك فى اسمه الهاء، والهاء فى لغة السريانية للتعظيم والتفخيم فاشتد فرح إبراهيم بذلك ثم أصبح وقد شابت لحيته كلها» وفى الحديث «**من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة**» اهـ أى حيث نورها بمحاسن الأعمال غير مخالف لأوامر سيده ونواهيه وأنشد العارف الشعرانى:

رأيت الشيب من نذر المنايا	يذكرنى بعمر لى قصير
تقول النفس غير لون هذا	عساك تطيب فى عمر يسير

فـقلت لهـا المشـيب نذير عـمـرى ولسـت مـسـودًا وجـه النـذير

حفنا الله بألطافه، قال الإمام القرطبى وسبب تخصيص قبض هذا الملك لأرواح الخلائق ما روى الزهرى ووهب بن منبه وغيرهما إن الله أرسل جبريل ليأتيه من تربة الأرض فأتاها ليأخذ من تربتها فاستعاذت بالله من ذلك فأعاذها فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها فبعث عزرائيل فاستعاذت فلم يعذها وأخذ منها فقال له الرب تبارك وتعالى أما استعاذت بى منك قال نعم فهلا رحمتها كما رحمها صاحبك قال يارب طاعتك أوجب على من رحمتى إياها قال الله عز وجل اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم، فبكى وقال يارب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين وإنك لم تخلق لهم خلقًا أكره من الموت فإذا عرفونى أبغضونى وشتمونى، قال الله تعالى: «**إنى سأجعل للموت عللاً وأسبابًا وأمراضًا ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها، فخلق الله الأوجاع**» وفى القرطبى أيضًا روى هذا الخبر عن ابن عباس قال: «**رفعت تربة آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الأرض السابقة شىء لأن فيها نار جهنم قال فلما أتى ملك الموت بالتربة قال له المولى أما استعاذت بى منك**» الحديث بلفظة، وزاد (فقالت الأرض: يا رب خلقت السموات فلم تنقص منها شيئًا فقال لها المولى وعزتى وجلالى لأعيدنهم إليك برهم وفاجرهم فقالت: وعزتك وجلالك لانتقمن ممن عصاك) اهـ (إن قلت) ما سبق عن السيوطى فى شفاء الصدور من أن سبب إتيانه خفية ما وقع له من موسى وخوفه من السب والشتم كما تقدم حيث كان يأتى الناس عيانًا ينافى فيما ذكره عن القرطبى من أن سبب ذلك بكاؤه حين سلطه على قبض الأرواح (قلت) لا منافاة لأن ما فى كلام القرطبى وعد أخذًا من قوله (سأجعل) ولا يلزم منه الوجود بالفعل بخلاف ما فى الشفاء.

(وأما ما جاء فى حضور الملائكة بالروح وتبشير أهل السعادة عند القبض والأرواح عند قدومها عليهم استخبارًا عن أهل الدنيا من أهله وأقاربه) قال العارف الشعرانى وكان سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول إن الأموات لتأتيهم أخبار الأحياء فما من أحد له حميم أى قريب إلا ويأتيه خبر أقاربه فإن كان خيرًا سر به وفرح وإن كان شرًا عبس له وحزن، وقال أيضًا وكان أبو الدرداء يقول اللهم إنى

أعوذ بك أن أعـمل عمـلاً تخزى به أمواتى، قـال وكان ابن منبـه يقول: (إن الله تعالى بنى دارًا فى السماء السـابعة يقال لها البيضاء تجتمع فـيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم من سفر عليهم) رواه أبو نعـيم قال وروى أن الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البـيت كلهم ما فعل فلان هل تزوج فـلان أو تزوجت فلانة ونحو ذلك اهـ (وأما تـبشيـر أهل السعـادة عند القبض) قـال العارف القطب الشـعرانى وروى عن محمد بن كعب القـرظى التابعى الجليل رضى الله عنه أنه كان يقول إذا اجتمعت روح المؤمن فى فيه تريد الخـروج جاءه ملك الموت فقال له السلام عليك يا ولى الله إن الله تعالى يقـرئك السلام ثم تلا هذه الآية ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] قال: وكان البراء بن عازب رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] هو تسليم ملك الموت على المؤمن حين يقـبض روحه فلا يقبض روحه حتى يعطيـه الأمان من العذاب بالسلام عليه، قال: وكـان مجاهد يقول إن المؤمن من يبشـر عند طلوع روحه بصلاح ولده من بعـده لتقر بذلك عـينه (وأما) كيفية حضور الملائكة للعـروج بأرواح أهل السعادة وهم أهل الإيمان بدليل مقابلة عدم العـروج بروح الكافر فى الرواية الواحدة فـمن ذلك ما ذكره الإمـام القرطبى والإمام السـبكى فى شرحه على مـنظومة السيـوطى وصاحب كتـاب كنز الأسرار والعارف الشعرانى وحجة الإسلام الغزالى بروايات متحدة المعنى مع بعض اختلاف فى الألفاظ قـال العارف الشعرانى روى الحـافظ أبو نعيم إن الملائكة ترفع الأرواح حتى ترفعـها بين يدى الله عز وجل، فإن كـانت من أهل السعادة قال سـيروا بها وأروها مقـعدها من الجنة فيـسيرون بهـا فى الجنة على قدر ما يغـسل الميت، فإذا غسل وكـفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسـده فإذا حمل على النعش فـإنه يسمع كلام الـناس من تكلم بخيـر أو تكلم بشـر، فإذا وصل إلى المصلى وصلى عليـه ودفن ردت فـيه الروح وأقـعد ذا روح وجسـد إلى آخـر ما ورد اهـ وقـال الإمام الغزالى فى كتـابه كشف علوم الآخرة: إن الملك إذا قبض النفس السعـيدة تناولها ملكان حسنا الوجوه عليـهما أثواب حسنة ولهما رائحة طيـبة ولفوها فى حرير من

حرير الجنة وهى على قدر النحلة شخص إنسان ولم يفقد من عقله ولا علمه المكتسب فى دار الدنيا شىء فيعرجون به فى الهواء فلا يزال يمر بالأمم السابقة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر، حتى يأتى إلى سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال للأمين من أنت فيقول أنا صلصائيل وهذا فلان بأحسن أسمائه وأحبها إليه فيقولون نعم الرجل كان، وكانت عقيدته جازمه غير شاك فى شىء منها ينتهى إلى السماء الثانية فيقرع الباب فيقال من أنت؟ فيقول مثل مقالته الأولى فيقولون أهلاً وسهلاً كان محافظًا على صلاته بجميع فرائضها، ثم ينتهى إلى السماء الثالثة فيقرع الباب فيقال من أنت؟ فيقول مثل مقالته الأولى والثانية فيقولون نعم الرجل فلان كان يراعى حق الله فى ماله ولا يتمسك منه بشىء، ثم يمضى فينتهى إلى السماء الرابعة فيقرع الباب فيقال له من أنت؟ فيقول كما قال فى الثالثة وما قبلها فيقال أهلاً بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام، ثم ينتهى إلى السماء الخامسة فيقرع الباب فيقال له: من أنت؟ فيقول كما قال فى السماوات قبلها فيقال مرحبًا بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه، ثم يمر إلى السابعة فيقال: له من أنت؟ فيقول كما مر فقال مرحبًا بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار ويتصدق فى السر ويكفل الأيتام، ثم يمر إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال من أنت؟ فيقول كما قال قبل ذلك فيقال أهلاً وسهلاً بالعبد الصالح والنفس الطيبة كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكرم المساكين ويمر بملأ كثير من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب، فيقال له ويقول كما مر فيقال: أهلاً وسهلاً كان عمله خالصًا لوجه الله عز وجل فيمر فى بحر من نور، ثم فى بحر من ظلمه ثم فى بحر من نار ثم فى بحر من ماء ثم فى بحر من ثلج، ثم فى بحر من برد طول كل بحر ألف عام ثم يخترق الحجب المضروبة حول عرش الرحمن، وهى ثمانون ألف سرادق لكل سرادق ثمانون ألف شرفة على كل شرفة ثمانون ألف قمر يهلل الله ويسبحه لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا لأدهش العقول فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء تلك السرادقات ما هذه النفس التى جئتم بها؟ فيقال فلان بن فلان فيقول الجليل جل جلاله قربوه فنعم العبد كنت يا عبدى فإذا جاءه

بين يديه الكريمتين ناقشه وعاتبه على جميع أعماله حتى إذا ظن أنه هلك عفا عنه اهـ (قال) العارف الشعرانى وقد حكى عن يحيى بن أكثم أنه رؤى فى المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال أوقفنى بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت كذا وكذا فقلت يا رب ما بهذا حدثنا عنك؛ قال فبماذا حدثت عنى يا يحيى فقلت حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ **«عن جبريل عنك سبحانك وتعاليت إنك قلت إنى لأستحى أن أعذب شيبة شابت فى الإسلام»** فقال صدقت وصدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل ولقد غفرت لك (ورؤى) محمد بن نباتة فى المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال أوقفنى بين يده الكريمتين وقال لى أنت الذى كنت تخلص كلامك حتى يقال ما أفصحه قلتك سبحانك إنى كنت أصفك فقال قل كما كنت تقول فى دار الدنيا قلت أبادهم الذى خلقهم وأسكتهم الذى أنطقهم وسيوجدهم بعدما أعدمهم وسيجمعهم بعدما فرقهم، فقال صدقت اذهب فقد غفرت لك. اهـ وذكر الإمام السبكى والسيوطى فى شفاء الصدور قال أخرج ابن منده من طريق مجاهد عن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«إن المؤمن إذا حضر -أى احتضر- أتاه ملك فى أحسن صورة وأطيب ريح فجلس عنده ليقبض روحه وأتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة وكانا معه على بعد فيستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحًا فإذا صارت إلى ملك الموت ابتدرها الملكان فأخذاها منه فحنطاها بحنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة، ثم عرجا بها إلى الجنة فتفتح أبواب السماء لها وتبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التى فتحت لها أبواب السماء وتسمى بأحسن الأسماء التى كانت تسمى بها فى الدنيا، فيقال هذه روح فلان بن فلان فإذا صعد بها إلى السماء شيعها مقربوا كل سماء حتى توضع بين يدى الله عز وجل عند العرش فعرج عملها فى عليين فيقول الله للمقربين اشهدوا أنى قد غفرت لصاحب هذا العمل ويختم كتابه فيرد فى عليين فيقول الله عز وجل ردوا روح عبدى إلى الأرض فإنى وعدتهم أن أردهم فيها فإذا وضع المؤمن فى لحده تقول له الأرض أنت كنت محبيًا إلى وأنت على ظهرى فكيف إذ صرت فى بطنى سأريك ما أصنع بك، فيفسح له فى**

قبره مد البصر ويفتح له باب عند رجليه إلى الجنة فيقال له انظر ما أعد الله لك من الثواب، ويفتح له باب عند رأسه إلى النار، ويقال له انظر ما صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شىء أحب إليه من قيام الساعة»، وقال فى كنز الأسرار وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن الملائكة تحضر فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس المطمئنة التى كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح من الله وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء يستفتح لها فيقال من هذا؟ فيقولون: فلان فيقال مرحبًا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء السابقة، وإذا كان الرجل السوء قالوا لها اخرجى أيتها النفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال من هذا؟ فيقولون فلان فيقال لا مرحبًا بالنفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء إلى الأرض فتصير إلى الأرض»**. أعاذنا الله من ذلك بجاه سيد أنبيائه، وقوله فى الحديث حتى تنتهى إلى السماء السابعة أى ثم تعود إلى مشاهدة جسد صاحبها عند الغسل قبل الدفن كما فى رواية **«إذا خرجت الروح صعد بها إلى السماء فإن كانت صالحة فتح لها حتى تسجد تحت العرش فيقول الله تبارك وتعالى اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وردوا روحه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فترجع إلى الأرض وترى غسل جسدها»**، وفى بعض الروايات أنها تكون بيد ملك حتى يسوى على جسده التراب فإذا سوى عليه التراب دخلت فى جسدها لأجل السؤال والله أعلم، ولا تنافى بين كونها تسجد تحت العرش كما فى بعض الروايات وبين كونها توقف بين يدى الله تعالى لأن ذلك يختلف باعتبار الأشخاص ولذلك قال العارف الشعرانى قال الإمام القرطبى ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسى سمع النداء ردوه، ومنهم من يرد من الحجب، وإنما يصل إلى حضرة الله تعالى عارفوه. أمدنا الله بإمدادهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرين وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الرابع: فى بيان ما قيل فى حقيقة الموت وبيان سبب شدة سكراته على الأحباب كالأنبياء وعلامة خاتمة الخير وما جاء فى معرفته للمغسلين والحاملين له وما جاء فى بكاء السماء والأرض عليه

(أما بيان ما قيل فى حقيقته) ففيه طريقتان هل هو وجودى أو عدمى والذى قاله إمامنا الأشعرى أنه وجودى وعرفه بأنه كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم الحيوانى عنهما ولا يجتمعان فيه وليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل حال بحال وانتقال من دار إلى دار، وقوله ليس بعدم محض ولا فناء صرف أى بذى عدم محض إلخ وأما قوله إنما هو انقطاع أى ذو انقطاع وذو مفارقة وذو تبدل وذو انتقال وإنما احتيج إلى هذا لدفع التنافى الذى فى ظاهر كلامه فإن قوله ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع إلخ يشعر بأنه عدمى فينافى قوله كيفية وجودية ودليل هذا القول قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢] الإيجاد وهذا يستلزم كونه وجوديا لإيقاع الخلق بمعنى الإيجاد عليه؛ وقيل أنه عدمى وخلق فى الآية بمعنى قدر وخلق الموت أى أسبابه وقيل أنه كناية عن الدنيا والآخرة، وأما ما قاله الإمام السيوطى فى شفاء الصدور وقال أخرج ابن أبى الدنيا عن قتادة فى قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح، وقال مقاتل والكلبى: خلق الموت فى صورة كبش وخلق الحياة فى صورة فرس لا تمر على شىء إلا أحيى، قال الإمام المذكور وبهذه الآثار عرف أن الموت جسم خلق فى صورة كبش واتضح ما ورد فى حديث الصحيحين «**يجاء بالموت يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيقف بين الجنة والنار ثم يقال هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم وكل شىء قدرآه هذا الموت فيذبح**» زاد أبو يعلى عن أنس «**كما تذبح الشاة**» فليس ذلك على سبيل الحقيقة بل باعتبار الأسباب والتمثيل فقد قال العلامة الأمير فى حاشيته على عبد السلام بعد أن ذكرما يتعلق بالموت وبالجملة الموت صفة للميت فما فى شرح المصنف وغيره من أنه معنى فى كف ملك الموت، أو تصويره بكبش والحياة بفرس كله باعتبار الأسباب والتمثيل والوقف والتفويض فى مثل هذه المقامات أولى *(وأما بيان شدة سكراته وسببها على أحبابه)* قال: فى كنز

الأسرار وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: «**اللهم أعنى على سكرات الموت**» وفى النسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى فلا أكره شدة الموت لاحد أبدا بعدما ما رأيت من رسول الله ﷺ**» وفى تفسير الثعلبى فى معنى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ القيامة: ٢٧] عن أنس قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد الصالح ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله لتسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة**». اهـ من كنز الأسرار *(وأما سبب شدته على الأحباب)* فلحكم تترتب على ذلك.منها رفع درجاتهم، ومنها التكفير للذنوب إذا كانت عليه بقية لأجل أن يكون بتلك الشدة مطهر، ومنها الابتلاء والاختيار ولذلك قال الإمام الشعرانى فى درر الغواص فى فتاوى سيدى على الخواص قال: الشعرانى قلت له: يا سيدى، ما أشد شيء من العذاب على العبد؟ قال: أشد العذاب سلب الروح، فقلت له: ما ألذ النعيم؟ قال سلب النفس، فقلت له: فما أكمل العلوم؟ قال: معرفة الحق، فقلت له: فما أفضل الأعمال؟ قال الأدب، فقلت له: فما بداية السلام؟ قال التسليم، فقلت له: فما بداية الإيمان؟ فقال الرضا، فقلت له: فما علامة الراسخ فى العلم؟ فقال: أن يزداد تمكنا عند السلب وذلك لأنه مع الحق بما أحب لا مع نفسه بما يحب فمن وجد اللذة فى حال علمه وفقدها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضور، فقلت له: يا سيدى فما وجه تعذيب المحبوب لحبيبه مع أن الحكمة تأبى ذلك كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ [المائدة: ١٨] فقال: رضى الله عنه: إنما يبتلى المحب ويعذب من حيث كونه محبا وإنما ينعم من حيث كونه محبوبا كأهل الجنة فينعمون فيها من حيث كونهم محبوبين لا محبين إذ المحب يقع له الإمتحان ليتبين صدقه وكذبه عند نفسه، فقلت له فما حال الأنبياء؟ فقال قد جمع للأنبياء بين البلاء والنعيم فى دار الدنيا لكمالهم فبلاؤهم من حيث كونهم محبين ونعيمهم من حيث كونهم محبوبين والله تعالى أعلم *(وأما بيان علامة خاتمة الخير قبل الموت حال الصحة)* فهو توفيقه للعمل بالسنة على قدر الطاقة* قال: الإمام القرطبى فى

التـذكرة أخرج الـترمـذى والحاكم قـال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعـبـد خيـرا استعمله.** قيل كيف يستعمله؟ قال: **يوفقه لعمل صالح قبل الموت**» وأخرج أحمد والحاكم عن عـمرو بن عـبد الحق قال قـال رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عـبدا عسله قيل: وما عسله يا رسول الله؟ قال: **يوفق له عملا صالح بين يدى أجله حتى ترضى عنه جيرانه**» وأخرج ابن أبى الدنيا عن عائشة مرفوعا: «**إذا أراد الله بعبد خيرا بعث له قبل موته بعـام ملكا يسدده ويوفقه حـتى يموت على خير أحايينه فـيقول الناس مات فلان على خـير أحايينه فإذا حضر ورأى مـا أعد له جعل يتهوع نفـسه من الحرص على أن تخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعـبد شراً قيض له قبل موته بعام شيطانًا يضلـه ويغويه حتى يموت على شر أحايينه فإذا حـضر ورأى ما أعد له جعل يبـتلع نفسـه كراهة أن تخرج فـهناك كره لقـاء الله فكره الله لقاءه**» *(وأما علامة خاتمة الخيـر عند خروج روحه)* فأمور منهـا عرق جبينه، ومنها سيـلان دموعه، ومنها انتشار منخريه ويدل له ما أخرجه التـرمذى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب عن بريدة قال: المؤمن يموت بعرق الجبـين وأخرج الترمذى فى نوادر الأصول عن سلمان الفارسى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارقبوا الميت عند موته ثلاثا إن رشحـت جبيـنه وذرفت عيناه وانتـشر منخـراه فهى رحـمة من الله قـد نزلت به وإن غط غطيط البكر واحمر لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله قد حل به**» اهـ ذكره فى شفاء الصدور قوله: «**ذرفت**» فى الحديث بمعـنى سالت وقوله: «انتـشر» إلخ الانتـشار الانتفـاخ، وقوله: «غط الغطيط» ترديد الـصوت حيث لا يجـد له مسـاغا والبكر بفتح الـباء من الإبل بمنزلة الفـتى الشاب من الناس* وسـبب عرق جـبينه إذ ذاك الحيـاء من الله سبحـانه وتعالى حـيث كان مقـصرا فى جـانب سيده قـال الإمام السيوطى أخرج البيهقى فى الشـعب عن علقمة بن قيس أنه حضر ابن عم له وقد حضرته الوفاة. اهـ فمسح جبينه فإذا هـو يرشح فقال الله أكبر حدثنى ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال: «**موت المؤمن يرشح الجـبين**» وما من مؤمن إلا وله ذنوب يكافأ بهـا فتـبقى عليه بقـية يشـدد عليه بها عند الموت)* وأخـرج ابن أبى شيـبة والبيهقى عـن علقمة أنه حضر ابن أخ فلما حـضر أى احتضر فجعل بـعرق جبينه فضحك قـال سمعت ابن مسـعود يقول: إن نفس المؤمن تخرج رشـحًا وإن نفس الكافر أو الفاجر تـخرج من شدقه كما تخرج نفس الحـمار وإن المؤمن ليكون قد

عمل السيئات فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها وإن الكافر أو الفاجر ليكون قد عمل الحسنة فيهون عليه عند الموت ليجزى بها، قال الإمام السيوطى قال: بعض العلماء إنما يعرق جبينه حياء من الله لما اقترف من مخالفته لأن ما سفل منه قد مات وإنما بقيت الحياة فى العينين والكافر فى عماء عن هذا كله والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب والله أعلم* (وأما ما جاء من معرفة الميت للمغسلين له والحاملين له وطلب الاستعجال بالدفن وسماعه ما يقال فيه، وما يقوله هو والجنازة مارة به وما للمشيع من الأجر واختيار البقعة للدفن)* قال: فى شفاء الصدور أخرج أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط والمروزى وابن منده عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: «**إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ومن يدليه فى حفرته**»، وأخرج أبو الحسن عن البراء فى كتاب الروضة بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله إن كان بشر بروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله، وإن كان بشر بنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه**»، وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا وروحه فى يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال: له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك، وأخرج ابن أبى الدنيا عن بكر بن عبد الله المزنى قال: بلغنى أنه ما من ميت يموت إلا وروحه فى يد ملك الموت فهم يغسلونه ويكفنونه وهو يرى ما يصنع أهله فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل؛ وفى رواية لأبى داود عن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون فى أهله من بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم، وأخرج سفيان قال: إن الميت ليعرف كل شىء حتى إنه ليناشد بالله غاسله إلا خففت غسلى قال: ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك، وأخرج عن حذيفة قال: الروح بيد ملك وإن الجسد ليغسل وإن الملك ليمشى معه إلى القبر فإذا سوى عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب *(وأما طلب الاستعجال)* فقد أخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدمونى وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بى يسمع**

صوتها كل شىء ولو يسمع الإنسان لصعق»، وأخرج «البخارى» عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**اسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم**». وأخرج ابن أبى الدنيا فى القبول عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: «**ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطا إلا تكلم بكلام يسمعه من شاء الله إلا الثقلين -أى الأنس والجن- يقول يا إخوتاه يا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتنى ولا يلعب بكم الزمان كما لعب بى خلفت ما تركت لورثتى والديان يوم القيامة يخاصمنى ويحاسبنى وأنتم تشيعونى وتدعونى**». اهـ من شفاء الصدور *(وأما ما جاء فى فضل المشيعين له)* فمن ذلك ما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب العراء عن أبى الجلد قال: قرأت فى مسئلة داود ربه إلهى ما جزاء من شيع الجنازة ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن تشيعه الملائكة يوم يموت وأصلى على روحه فى الأرواح، وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ «**إن داود عليه السلام قال: إلهى ما جزاء من شيع ميتا إلى قبره ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن تشيعه ملائكتى ويصلى على روحه فى الأرواح**». اهـ وفى شرح العلامة الشيخ عبد الباقى على خليل روى البخارى «**من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط**» قال: واختار البغوى هذه الرواية فى المصابيح قال: مخرجه لنكتة حسنة وهى التصريح بأن القيراطين عن الصلاة وحضور الدفن بخلاف لفظ مسلم فإنه ربما يتوهم منه أن القيراطين عن الدفن وواحد عن الصلاة ولفظها من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، ولذلك قال العلامة التتائى فى شرح الرسالة قال العلامة عبد الباقى وهو متعقب والصواب اثنان فقط بدليل خبر البخارى ثم قال العلامة أيضا ،والتمثيل بالقيراط يحتمل معنيين: أحدهما: لو كان هذا الجبل من ذهب أو فضة وتصدق به كان ثواب القيراط مثل ثوابه، وقيل لو جعل هذا القيراط فى كفه والجبل فى كفة لكان يساويه قال العلامة المذكور بعد عزوه ذلك للفاكهانى، والأول هو الذى عليه أكثر الشراح قاله الأجهورى وذكر هنا أيضًا على خليل أنه لايتوقف القيراط من حيث على تبعيتها رغبة للأجر دون رعاية أهلها كما

فى ابن العماد خلافـا للجزولى قال ابن العماد بل فيـه صلة الحى والميت كما نقل عن الإمام ابن سيرين قال فله أجران فلا ينافى قوله خـبر البخارى إيمانا واحتسابا لأن صلة الحى تكون احتسـابا أو مداراة لا لأجل دنياه وكلاهمـا من عمل الأخرة اهـ عبد الباقى، قلت وأيضًا لما فيه من التودد الذى هو من أفراد الصلة الذى حث عليه الشارع ﷺ بقوله: «**رأس العقل بعـد الإيمان**» التودد إلى الناس ولما فيه من جبر خـاطر الحى المطلوب بقوله ﷺ: «**ما عُـبِدَ الله بشىء أفـضل من جبـر الخواطر**» وهل يتوقف حـصول قيراط الصـلاة على اتباعها من بيت الميت وترتيب الـقيراط الثانى على الأول، فـمن لم يتبعـها لكن صلى عليـها أو شهـدها حتى تدفن ولم يصل عليها لم يحصل له قيـراط الصلاة فى الأول ولا قيراط الدفن فى الثانى قال العلامة عبد الباقى: نقلا عن الأجهورى ذكر لى بعض الفضلاء أن الجزولى صرح بتوقف قيراط الدفن على الصلاة، وبه صرح الشافعية وقال ثم القيراط منسوب إلى خمسة عشر قيراط تتعلق بمؤن تجهيزه ودفنه لا إلى أربعة وعشرين انظر ابن العماد، قال الشارح المذكـور وقلت لكن الظاهر أن ماعدا قيـراطى الصلاة والدفن لا يقال فيـه مثل أحد ثوابا بالعـدم ورود خبر فـيه فيـما أعلم، قـال العلامة الأمـير نقل الأجهورى عن ابن العماد الخـمسة عشر قيراطا وهى تغميضـه وتقبيله للقبلة وشد لحييه ونزع ثيابه ووضعه على السرير وتغـسيله وتكفينه وحمله والمشى معه والصلاة عليه وحضور دفنه وحفر القبر ووضعه فيه وسده عليه واهالة التراب عليه قال وكاد هذا أن يكون تقـولا فى المغـيب، فـالظاهر أن مـعنى القـيراط هنا مـجـرد الحظ والنصيب، وقال أيضًـا على قول الشيخ عبد الباقـى والتمثيل فيه يحـتمل المعنيين نقلا عن الفاكهانى قال لا حاجة إلى هذا كله بل هو مجرد كناية عن عظم الأجر. اهـ، قال الشيخ عـبد الباقى: فائدة من رأى جنازة فكبر ثلاثا وقـال هذا ما وعدنا الله ورسـوله وصـدق الله ورسوله اللـهم زدنا إيمانـا وتسليـما كـتب الله له بهـا عشـرحسنات من يـوم قالها إلى يـوم القيامـة. اهـ، ولا فرق بين أن يـقول ذلك جالسا أو قائمـا ويكره له قيام لها لأجل هذا القول أو خلافه من غـير إرادة تشييع لها أو صلاة عليها، قال العلامة الشـيخ عبد الباقى: وأما القيام للحى فواجب إن أدى تركه لمقاطـعة أو خوف أذى، وحرام لمن يحبـه تكبرا وتجبرا على القـائمين له ولم يخشى ضرره ومكروه لمن يحبه إجلالا وتعظـيما ولا يتكبر على القائمين له،

وجائز لمن يقوم إجلالا لمن لا يريده وهذا معدوم من غيره معصوم ومندوب لأجل قادم من سفر أو ذى نعمة على الجالس أو ذى مصيبة ليعزى نقله ابن رشد يوسف بن عمر على الرسالة. اهـ، قال العلامة الأمير قوله وتعظيما أى لذاته، وأما للعلم فمطلوب وأما لمن يحبه لدفع الإزدراء والحقارة فجائز والتعظيم قدر زائد قرره شيخنا، وقوله نعمة أى له عليه معروف قال شيخنا ولو لم يكن معه الآن. اهـ ولا ينبغى اتباع الجنازة بنار فيكره ولو مع الطيب فهى كراهة ثانية، وعلة ذلك أنه فعل النصارى وفيه التفاؤل بأنه من أهلها والعياذ بالله تعالى، ولا ينبغى نداء بمسجد أو بابه لأجل الميت وجاز الإعلام بصوت خفى للاستكثار من الصلاة عليه، قال الشيخ عبد الباقى، بل هذا يقتضى ندبه لأن وسيلة المطلوب مطلوبة لخبر **«لا يموت أحد من المسلمين فيصلى عليه أمة من الناس يبلغون مائة فيشفعون له إلا شفعوا فيه»**، بل فى البخارى **«أى مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة. فقلنا: وثلاثة يا رسول الله؟ قال: وثلاثة فقلنا واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأل عن الواحد»** اهـ. قال وشرط الثناء من عدل خير صالح للتزكية وليس موجبا لذاته حتى تشترط مطابقته للواقع كما زعمه بعضهم بل هو علامة على ما عند الله للعبد لأخبار الصادق المصدوق قال السيوطى قال العلامة الأمير على قوله للتزكية يعنى أن هذا من قبيل التزكية ولا تقبل إلا ممن ذكره وليس هذا بمتفق عليه هنا نعم خطاب من أثنيتم يعنى للصحابة وهم عدول يفيد اشتراط ذلك، وقوله وليس أى الثناء موجبًا لذاته قال العلامة الأمير لا معنى لذكر الإيجاب الذاتى هنا فالأولى ولا يشترط مطابقته إلخ، نعم يؤخذ من كلام النووى اشتراط مطابقة الطلب لأنه جعل اطلاق القلوب والألسنة دليل إرادة الله به خيرا وإن لم يعرف به فى الحياة من قبيل أن الله أحب فلانا فأحبوه. اهـ، وجاز سبق مشيع لمحل الدفن لا لموضع الصلاة عليها فخلاف الأولى، وجاز جلوس قبل وضعها، وكره ركوب مشيع لمحل صلاة ودفن، وجاز عند الرجوع من الدفن وينبغى إسراع المشيع حاملاً للميت بلا جرى وجاز حمل غير أربعة فلا مزية لعدد على عدد على مشهور مذهب مالك خلافًا للقائل باستحباب أربعة والبدء بأى ناحية شاء، قال الشيخ عبد الباقى والحمل من باب البر وقضاء الحق، قال الشارح المذكور ولا ينافى عدم التعيين رواية ابن عساكر

عن معروف الخياط عن واثلة مرفوعًا «**من حمل جوانب السرير الأربع غفر له أربعون كبيرة**» قال لأنها فى حمله بنواحيه الأربع بحسب ما يتفق، قال العلامة الأمير على قوله غفر له أربعون كبيرة لعله يوفق للتوبة أو يرجى محض العفو ببركة ذلك والحديث ضعيف. اهـ. لكن لا يخفى أن لك العمل به فى الفضائل لاسيما وهو من صنع المعروف والصلة للحى وإعانته على نائبته فهو مندرج تحت أصل كلى وهو طلب النفع لأخيك المسلم والإعانة كما تقدم ذلك عن المحقق المذكور فى مثل ذلك عند التلقين، قال العلامة الشيخ عبد الباقى نقلاً عن التتائى قال مالك لم يزل شأن الناس الازدحام على حمل الرجل الصالح ولقد انكسر تحت سالم بن عبد الله نعشان وتحت عائشة رضى الله عنها ثلاثة. اهـ، قال العلامة الأمير قوله الازدحام أى بحسب اللائق بشدة الرغبة لا إن عظم الضرر فلا ينبغى، قال العلامة المذكور قال السيد: ومن البدع السيئة ازدحامهم على النعش قال الحسن: هم إخوان الشياطين يضرون الميت والأحياء وينافى الإسراع. اهـ، فحينئذ يحمل لهم هذا على عظيم الضرر كما قاله العلامة». قاله العلامة المذكور فى القولة الأخرى وإلا لتنافيا قال العلامة الشيخ عبد الباقى قال المناوى فى طبقاته وارتجت الدنيا لموت أحمد بن حنبل وأغلقت بغداد لمشهده ومسحت الأرض المبسوطة التى وقف الناس عليها للصلاة فحصر مقام الناس بالمساحة فوجدت ستمائة ألف ذراع، وكان يقول للمبتدعة بيننا وبينكم الجنائز، وأسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة آلاف. اهـ، قال الشارح المذكور وفى تهذيب الأسماء واللغات للنووى أمر المتوكل أن يقاس الموضع الذى وقف الناس للصلاة فيه على أحمد بن حنبل فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ألف ووقع الحزن على موته فى أربعة أصناف المسلمين واليهود والنصارى والمجوس. اهـ * (وأما ما جاء فى بكاء السماء والأرض عليه واختيار البقعة للدفن)* فمن ذلك ما أخرجه الترمذى وأبو نعيم وأبو يعلى وابن أبى الدنيا قال رسول الله ﷺ: «**ما من إنسان إلا وله بابان فى السماء باب يصعد عمله فيه وباب ينزل منه رزقه فإذا مات العبد المؤمن بكيا عليه**» وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: (فما بكت عليهم السماء والأرض) هل تبكى السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من

الخلائق إلا له باب فى السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن أغلق بابه من السماء الذى يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه فقد بكى عليه، فإذا فقده مصلاه من الأرض التى كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكى عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم فى الأرض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض، وانظر هذه الرواية والتى قبلها فإن هذه تفيد الاتحاد فى الباب والتى قبلها تفيد التعدد فلعل ذلك يختلف باختلاف الأشخاص وإلا فليحرر ذلك وأخرج عن محمد بن كعب قال إن الأرض لتبكى من رجل وتبكى على رجل تبكى على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله، وتبكى من رجل يعمل على ظهرها بمعصية الله تعالى (قال) الشيخ على خليل فائدة. قال ﷺ: «**لا غربة على المؤمن ما مات مؤمن بأرض غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه فيها السماء والأرض**» وقال أيضًا فى الحديث «**إذا مات فى غير مولده قيس له فى الجنة من موطنه إلى منقطع أثره**» قال العلامة الأمير على قوله لا غربة المقصود نفى أثر الغربة من الوحشة وفى البنانى ذكر هذه الأحاديث فى النوادر عن ابن حبيب كما فى الحطاب قال بعضهم بضعفها، قال العلامة الأمير حديث قيس له إلخ رواه النسائى وابن ماجة وابن خزيمة قال وقوله منقطع أثره هو محل موته أى يرى ذلك فى قبره اهـ* ويجوز البكاء عند موته وبعده بلا رفع صوت وبلا قول قبيح والأفضل تركه لمن استطاع، ومحل عدم الحرمة ما لم يكن بنوح ويكره مع اجتماع نساء بلا رفع صوت وإلا حرم لقوله ﷺ: «**لعن الله الصالقة**» أى الرافعة صوتها قال العارف الشعرانى روى مسلم وابن ماجة مرفوعًا «**تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله ودرع من نار ويدها على رأسها تقول يا ويلاه**»، قال وفى رواية أخرى «النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما ينبح الكلاب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يؤمر بهن إلى النار» قاله الشيخ عبد الباهى وهى الرافعة صوتها بالبكاء، قال العلامة الأمير نقلاً عن البنانى المحرم الرفع العالى لا مطلق الصوت. اهـ، وقد علمت أن محل عدم الحرمة فى عدم الصوت ما لم يصاحبه قول قبيح، وفى الحديث «**ليس منا من حلق وخرق وزلق وصلق**» أى حلق الشعر لأجل إظهار الحزن والخرق هو خرق الثوب أى شقه ولا يعد ذلك ردة كما يعتقده بعض العوام ولذلك قال الشيخ

عبد الباقى وهو ظن فاسد، والزلق ضرب الخدود، والصلق الصياح فى البكاء، وقبح القول والمراد ليس على سنتنا وطريقتنا لما فيه من إظهار الجزع وعدم الرضا والتسليم لفعل العزيز الحكيم *(تنبيه)* ومما ينبغى التعزية وهى الحمل على الصبر بوعد الأجر والدعاء للميت وللمصاب، وفى الحديث «**عظم الله أجرك وأحسن عزاءك**» والأولى فيها أن تكون فى بيت المصاب، وإما عند القبر وتسوية التراب فواسع فى الدين لا فى الأدب وقال اللخمى: مكروه لكنه مستعمل. اهـ عبد الباقى. قلت وقوله والأولى. فيها أن تكون فى بيت المصاب، لعل هذا بالنسبة لغير المشيع وإلا كان الأفضل التعزية عند القبر اقتداء برسول الله ﷺ حيث عزى أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع الأنصارية قال سيدى محمد الزرقانى على المواهب روى البيهقى «**أنه ﷺ حمل جنازة سعد بن العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت إليه فى اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها ﷺ وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره ورش عليه الماء وقف ودعا**» قال وذكر ابن سعد أنها أول من بايع النبى ﷺ من نساء الأنصار. اهـ، وفى الحديث «من عزى مصابًا فله مثل أجره» وفى الحديث أيضًا أن الله يلبس الذى عزاه لباس التقوى وفى رواية من عزى ثكلى -أى فاقدة ولدها- كسى بُردًا فى الجنة وتكون فى كل ميت من أهل الإيمان، قال الشيخ عبد الباقى نقلاً عن التتائى لا فرق بين الصغير والكبير حرًا كان أو عبدًا رجلاً أو امرأة، قال الشيخ عبد الباقى ويعزى الكافر الجار لحق الجوار حتى بكافر قال قال مالك يقول له قد بلغنى ما أصاب ابنه ألحقه الله بكبار دينه وخيار ذوى ملته. اهـ، قال العلامة الأمير ظاهر فى المكلف قال الشارح المذكور وتعقبه ابن عرفة لإيهام التعظيم فإنه يدعو له، قال: واعلم أن ألفاظ التعزية ليس فيها حد معين. اهـ، وندب للمصاب استرجاع للآية. وللخبر عنه عليه الصلاة والسلام «**من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفًا صالحًا يرضاه**» ويندب أن يقول عقب الاسترجاع اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلفنى خيرًا منها كما يدل عليه الحديث وفى أجرنى ثلاث لغات مد الهمزة وكسر الجيم وسكون الهمزة مع كسر الجيم أو ضمها، وندب أيضًا تهيئة طعام لأهله قال الشيخ عبد الباقى لخبر عبد الله بن

جعفر قال لما قدم خبر موت أبى قال ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا وابعثوا به إليهم فقد جاءهم ما يشغلهم عنه**» اهـ. قال الشيخ عبد الباقى محل ذلك ما لم يجتمعوا للنياحة قال وهل تستحب التعزية ولو بغير الموت فى مطلق مصيبة قال وهو الذى يفيده ظاهر الخبرين المتقدمين، وينبغى حثو قريب من القبر بالتراب بيديه جميعًا ثلاثًا قال الشيخ عبد الباقى يقول فى الأولى منها خلقناكم، وفى الثانية وفيها نعيدكم، وفى الثالثة ومنها نخرجكم تارة أخرى كما فى الحديث قاله الشيخ سالم اهـ. (ومما) ينبغى: أن يدفن بجوار قوم صالحين ففى شفاء الصدور أخرج أبو نعيم وابن منده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء**»، وأخرج عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**إذا مات لأحدكم الميت فاحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وباعدوه عن جار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة؟ قال هل ينفع في الدنيا؟ قالوا نعم. قال كذلك ينفع فى الآخرة**» وقوله فى الحديث وأعمقوا له فى قبره يقتضى أنه أفضل من عدم الإعماق وبهذا أخذ الشافعى، وبعضهم يقول إن عدم الإعماق أفضل مستدلاً بما أخرجه ابن سعد عن معاوية بن صالح قال لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت أوصاهم فقال احفروا لى ولا تعمقوا فإن خير الأرض أعلاها، وشرها أسفلها، وبهذا أخذ مالك ولعله للقرب من العبادة فإنه ورد سماعه للأذان والقرآن كما يأتى ذكره، وقال الشيخ عبد الباقى إذا تشاح الورثة فى دفنه فى ملكه أو في مقابر المسلمين فالقول قول من طلب المقابر بخلاف تشاحهم فى تكفينه من تركته أو مال بعضهم فالقول لمن طلب التكفين من تركته فإن الدفن فى مقابر المسلمين أمر عرفى فكأنه وصى به قلت يؤخذ من هذا أن من أوصى بدفنه بمكان يعمل بوصيته كما إذا أوصى بمن يصلى عليه قاله الشيخ سالم. اهـ قال الشارح المذكور ويجوز له اتخاذ القبر قبل موته فى ملكه لا فى محبسه لأنه ليس له فيها استحقاق إلا بالموت، ولذلك حرم البنيان فى الأرض الموقوفة للدفن صراحة أو أرصدت له من غير تصريح، ولذلك قال العلامة المذكور ووجب هدم ما حرم كقرافة مصر المحبسة لدفن أموات المسلمين وإن لم يقصد به مباها، وفى كلام التتائى ما يقتضى

الكراهة والتحقيق ما صرح به من وجوب الهدم فى الأرض الموقوفة فى شرحه على الرسالة موافقًا لباقى الشراح نعم قال العلامة الأمير وفى البنانى تبعًا للحطاب أن التحويز اليسير للتمييز جائز فى الموقوفة، وفى السيد استثناء قبة الإمام الشافعى لأنها فى بيت أولاد ابن عبد الحكم كما قيل، ثم قال أقول الذى في خطط المقريزى أنها فى تربة أولاد ابن عبد الحكم نعم نقل العارف الشعرانى عن السيوطى أن ما بنى على قبور الصالحين لا يهدم وقاسه على قوله ﷺ سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر. اهـ، والتمييز يكون بالبناء اليسير أو حجر أو خشبة بلا نقش وبه يكره وإن بوهى به حرم وحرمه بعضهم بالقرآن وإن لم يقصد التباهى لئلا يمتهن، قال العلامة الأمير وفى الحطاب التجفيف فى الكتابة على قبور الصالحين فانظره اهـ وأما البناء عليه وتبييضه وتطيينه أو التحويز بالبناء حوله بأرض مملوكة له أو لغيره بإذنه أو بموات، ولو كان البناء كثيرًا فى الأراضى المذكورة كقبة أو مدرسة وبنيت لغير قصد مباهاة فلا يهدم كما أفتى به ابن رشد وهو ظاهر ما للمازرى وصاحب المدخل وإن كان مكروهًا، وقال ابن القصار بالجواز من غير كراهة، وظاهر اللخمى المنع وإن بوهى به حرم بالأراضى الثلاث المذكورة. اهـ عبد الباقى. قال العلامة الأمير أكثر عباراتهم فى كراهة تطيين القبر حيث كان من الجهة الفوقية الظاهرة، ونقل ابن عاشر عن شيخه أنه يشمل تطيينه ظاهرًا أو باطنًا وعلة الكراهة ما ورد عنه ﷺ إذا طين لم يسمع صاحبه الأذان ولا الدعاء ولا يعلم من يزوره كذا فى البنانى قال وفى النفس منه شىء فإن الأرواح محلها أفنية القبور من فوق اهـ. والقبر حبس لا يمشى عليه قال الشيخ عبد الباقى أى يكره حيث كان مسنما والطريق دونه ودام به وإلا جاز المشى عليه ولو بنعل كما قاله ابن ناجى قال وظاهره ولو كانت النعل متنجسة، وعن ابن ناجى يجوز الجلوس عليه أى عند انتفاء القيدين المذكورين، وما ورد من النهى عن الجلوس عليه محمول على الجلوس لقضاء الحاجة ويحرم نبش القبر مدة ظن دوام شىء من عظام الميت فيه غير عجب الذنب، قال الشيخ المذكور فلا يجوز بناؤه دارًا ولا حرثة لزراعة وإنما يجوز نبشه للدفن فيه حينئذ لعدم منافاته لكونه حبسًا، قال وقد سئلت عن تربة درست وصارت طريقًا منذ ثلاثين سنة ويريد شخص أن يبنيها ليسكنها قيل

يجوز فأجبت بأنه لا يجوز أى يحرم قال فـى الطراز سئل ابن عات عن مقبرة لها أربعون سنة لم يدفن فيها هل يجوز جعلها مساكن فأجاب بأنها حبس قال العلامة الأجهورى قال مالك مـوضع القبر لا يجوز بيعه ولا الانتفاع بـه، قال الشيخ عبد الباقى ومثل جواز نبـشه إذا فنى نبشه لنقل الميت، وقال العلامة الأميـر قال شيخنا المعتـمد حرمـة الدفن بالمسجـد إلا لمصلحة أو ضرورة، ومن المـصلحة الأمن من النبش ودعاء المصلين له اهـ. (تنبـيه) ذكر الإمام السـيوطى فى شفاء الـصدور كذا العارف الشعـرانى فى مختصر التـذكرة ما يفيد فـضل قرافة مصر على غـيرها قال العارف الشعـرانى وروى أن كعب الأحبار لما وفد عليه رجل من أهل مـصر قال له الرجل هل لك من حاجة؟ فـقال نعم تراب من سفح المقطم يعنى جبل مـصر قال الرجل يرحمك الله ومـا تريد به؟ قال أضـعه فى قبـرى فقال لـه تقول هذا وأنت بالمدينة وقد قيل فى البـقيع ما قيل قال إنا نجد فى الكتـاب الأول أنه مقدس ما بين القصير إلى التخوم، قال قـال بعض العلماء وهذا طولا وأما عرضا فمن الجبل إلى نهر النيل فـدخل فى السفح كل مـا قابله من مصـر، ثم قال العارف المذكـور قال علماؤنا وإنما طلب الأنبيـاء والصالحون الدفن فى البقاع المباركـة زيادة فى التقديس الحاصل من أعـمالهم الصالحـة، وإلا فالعصـاة لا تقدسهم الأرض المقـدسة اهـ.
(وقال) الإمام السيوطى أخرج ابن عساكر من طريق ابن وهب عن حرمة بن عمران عن عمـير بن أبى مدرك عن سـفيان بن وهب الخـولانى قال بينما نحن نسـير مع عمـرو بن العاص فى سفح هذا الجـبل أى المقطم ومعنا المقـوقس يعنى أمير مـصر سابقًا قـبل الإسلام فقال له يعنى عـمرو بن العاص يا مقوقس مـا بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحـو من جبال الشام قال ما أدرى، ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنا نجد تحته مـا هو خير من ذلك قال وما هو قال ليدفنن تحتـه قوم يبعثهم الله يوم القـيامة لا حساب عليـهم يعنى أنه يجد ذلك فى كتبهم، فقـال عمرو اللهم اجعلنى منهم قال حرملة رأيت أنا قبـر عمرو بن العاص فيه وفيه، قبر أبى بصرة الغفارى وقبر عقبة بن عامر. اهـ من شفاء الصدور وصلى الله على سيدنـا محمد وعلى آله وصحـبه وسلم كلما ذكرك الـذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الباب الثاني: فيما يتعلق بالميت بعد استقراره في القبر، وفيه فصول خمسة

الفصل الأول: في كيفية السؤال وعمومه وخصوصه وتعدده واتحاده وبيان من يسئل ومن لا يسئل

اعلم أن السؤال لابد منه لكل من مات غير ما استثنى ولو لم يقبر وإن كان مصلوبا أو ملقى على وجه الأرض وإن لم نشاهد ذلك منه ما لم يرد اقباره وإلا فالسؤال محل الاستقرار قال الشيخ عبد الباقي عن التتائي وهل يسئل فيهما جميعًا أو في الأول فقط؟ والأظهر أنه إن وضع في الأولى على نية النقل فيجوز أن يسئل في الأولى فقط ويجوز أن يؤخر سؤاله حتى يدفن بالثانية، قال العلامة الأمير وقع له في هذه العبارة نقص فاحش والذي في كلام ابن حجر إن كان وضعه في الأولى على نية النقل فالظاهر أنه لا يسئل فيها، وإلا جاز أن يسئل فيها وأن يؤخر اهـ قال الشيخ عبد الباقي ثم النقل بعد الدفن مستثنى من حرمة النبش، قال وانظر ما طينته من أي التربتين لأنه ورد في الخبر عن أبي هريرة **«ما من أحد خلق من تربة إلا أعيد فيها»** قال وينبغي أن تكون من التربتين جميعًا، ثم قال وانظر ما تربة ماكول السبع ونحوه أي من أي خلق قال العلامة الأمير ولا معنى لهذا التدقيق في المغيبات التي من مواقف العقول ولعل حديث أبي هريرة أغلبي اهـ. (والدليل) على ثبوت السؤال وكيفيته ما ذكره الإمام البيضاوي تفسيرًا لقوله تعالى: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] قال: روى أنه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن وقال: **«تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الآية**. اهـ. والتحقيق إن جاحده فاسق لا كافر لعدم الصراحة القرآنية به وإن كان ظاهر الآية يفيده كما ذكره المفسر المذكور ويدل له أيضًا ما ذكره الإمام القرطبي والسبكي في شرحه والسيوطي في شفاء الصدور بروايات متقاربة قال الإمام القرطبي أخرج الإمام أحمد وأبو داود من طرق صحيحة **«عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ**

فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر -ولما يلحد يعنى لم يلحد إلى الآن- فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير وفى يده عود يبحث به فى الأرض فرفع بصره فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس مع أكفان من الجنة وحنوط من الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج فتسل كما تسل القطرة من السقاء وإن كنتم ترون غير ذلك، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحب أسمائه التى كانوا يسمونه بها حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون ليفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى تنتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيعاد روحه إلى جسده فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان من هذا الذى بعث فيكم فيقول رسول الله ﷺ فيقولان له ما عملك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوا له فى الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد البصر ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقال له أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد أى تقول الملائكة له ذلك فيقول له من أنت فوجهك الذى يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح» (وأما بيان صفتهما) فما جاء فى صفتهما ما أخرجه أبو يعلى وابن أبى الدنيا من طريق يزيد الرقاشى عن أنس عن تميم الدارى عن النبى ﷺ قال «يقول الله لملك الموت انطلق إلى فلان فائتنى به فإنى قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب فائتنى به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها» فذكر الحديث بطوله إلى أن قال «ويبعث له ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصى -أى قرون البقر- وأنفاسهما كاللهب يطآن فى أشعارهما -والمراد يجرانه فى الأرض- بين منكبى كل واحد مسيرة كذا وكذا قد نزعت

منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يُقِلُّوها فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله وحده لا شريك له والإسلام دينى ومحمد نبيى هو خاتم النبيين، فيقولان له صدقت فيدفعان القبر ويوسعانه له من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه، ثم يقولان له انظر فوقك فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة فيقولان له هذا منزلك يا ولى الله لما أطعت الله. قال رسول الله ﷺ فوالذى نفس محمد بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدًا» وذكر بقية الحديث، قال العلامة الأمير قال المصنف اللقانى ما فى بعض الروايات من أنهما أسودان أزرقان أعينهما كقدور النحاس، وبعض الروات الأخرى كالبرق وأصواتهما كالرعد إذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت، وبعض الروايت بيد أحدهما مرزبة لو اجتمع أهل منى عليه لم ينقلوها محمول على غير المؤمن أما هو فيرفقان به ويقولان له إذا وفق للجواب نم نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب الناس إليه قال أما صورتهما فظواهر الحديث أنه يراهما عليها كل أحد اهـ. وقال في محل آخر إنما سميا منكرا و نكيرا لأنهما لا يشبهان خلق الأدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق الطير ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع جعلهما الله تذكرة للمؤمن وهتكا لستر المنافق، وهل هما للكافر والمؤمن أو هما للكافر فقط وأما أهل الإيمان فله مبشر وبشير قيل ومعهما ملك آخر يقال له ناكور، ويجيء قبلهما ملك يقال له رومان، قال العلامة الأمير وحديثه قيل موضوع والصحيح أن منكرًا ونكيرا للمؤمن وغيره طائعًا وعاصيًا غير أنهما يأتيان للمؤمن الموفق مع رفق من غير اقلاق وازعاج كما تقدم والله أعلم، (وأما بيان ما قيل فى تعدد السؤال واتحاده) فقيل مرة قال العلامة الأمير وهو ما قاله ابن ناجى والمشذالى، وقيل ثلاث مرات كما يفيده حديث أسماء أنه يسئل ثلاثًا، وعن الجلال أن المؤمن يسئل سبعة أيام والكافر أربعين صباحًا، قال ولم أقف على تعيين وقت السؤال فى غير يوم الدفن، قال: وعن ابن عبد البر فى تمهيده الكافر لا يسئل وإنما يسئل المؤمن والمنافق لانتسابه للإسلام فى الظاهر والجمهور علي خلافه، قال العلامة الأمير المذكور ورأيت بخط سيدى أحمد النفراوى ما نصه وجد بطرة المؤلف أن أحدهما يكون تحت رجليه والآخر عند

رأسه والذى يباشـر السؤال هو الواقف من جهة رجليه لأنه الذى هو قبـالة وجهه اهـ. قال وانظر هل هو منكر أو نكيـر أو تارة وتارة إنما العلم عند الله تعالى اهـ. وهل هو بالعربيـة أو بالسريانية أو يخـتلف باختلاف المسـئولين وهو المتجه -كـما يستفـاد من العلامة الأمير- خـلاف وترد الروح للنصف الأعلى فقط على الراجح وقيل للـبدن، ولذلك قال العـلامة الأمـير وقال ابـن حجر الروح تعـود للنصف الأعلى فقط على ظاهـر الخبر، والسؤال يـكون للروح مع البدن كمـا هو مذهب جمهور أهل السنة، قال الشيخ السبكى وحكمة تكرير السؤال على أحد الطرق أن فتنة القـبر أشد فتنة تعـرض على المؤمن ومن تمام شدتها تكريرها سبـعة أيام، وله حكم وله حكم أُخَر كتمحيص ذنوبه إن كانت له ذنوب فإنها تكفر أو رفع درجاته فإن الفتنة جعلـت تكرمة للمؤمن وإظهارًا لمقامة وإيمانه، وأيضًـا اظهارًا لشرفة ﷺ قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن سفيان الثورى إذا سئل الميت من ربك، تزيا له الشيطان فى صورة ويشير إلى نفسه إنى أنا ربك قال الإمام الترمذى ويؤيده من الأخبار قوله ﷺ عند دُفن الميت اللهم أجره من الشيطان فلو لم يكن للشيطان عليه هناك سبيل ما دعا ﷺ بذلك، واتفـقوا على أن السؤال خاص بالاعتقادات، واختلفـوا هل هو عن كل الاعتقـادات أو بعضهـا؟ قال الإمام القـرطبى اختلفت الأحاديث فى كـيفيـة السؤال والجواب قـال وذلك بحسب الأشخـاص فمنهم من يسـئل عن بعض اعتـقاداته الخ اهـ. فـحينئـذ لا تعارض جـمعًـا بين الروايات، واختلف فى ملائكـة السؤال هل هم متعددون لكل إنسـان أو اثنان فقط والراجح عدم التـعدد، ويسـألان أهل كل الأرض كما سـبق فى حال عزرائيـل عند قبض الأرواح، قال الإمام القرطـبى هما ملكان غير أن جثتـهما كبيرة فيـخاطبان الخلق الكثير فى الجهـة الواحدة فى المرة الواحدة مخاطبة واحدة بـحيث يخيل لكل أحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سـماع جواب بقية الموتى.

(وأما بيان من يسئل ومن لا يسئل) اعلم أنه قد استثنى ممن يموت طائفة لا يسئلون قال الإمـام الحافظ السـيوطى فى كـتابه بشـرى الكئيب بلقـاء الحبـيب قد وردت الأحاديث ونصوص العلماء باستثناء جمـاعة من السؤال منهم الشهداء والصديقون والمرابطون وكذا الأطفال فى أرجح القولين. اهـ (ثم اعلم) أنه اتفق جمهور أهل السنة على عـدم سؤال شـهيـد الحرب والـسر فى ذلك كـونهم أحيـاء فلذلك لا

يغسلـون وكذلك الرسل والأنبيـاء لا يسئلون أيضًـا على التحـقيق، وقـيل بسؤال الرسل عن التـبليغ وأما غـير من تقـدم من نحو مطعـون ومبطون وغريـق وميت الجمعـة والمواظب على قراءة تبارك الملك أو السجدة كل لـيلة ممن ورد النص فيهم بعدم سـؤالهم، ففيـه طريقتان فـبعضـهم يقول بعـدم السؤال رأسًا عـملاً بظواهر الأحاديث وبعضهم يـقول المنفى سؤال التشديد، ولذلك قال العـلامة الأمير على عبـد السلام وذكر بعضـهم أن الذى لا يسئل أصلاً هو شـهيد الحرب وأمـا الباقى فيسـئلون سؤالاً خفيفًـا وبعضهم أبقى النصوص على ظـواهرها اهـ. فما ورد فى ميت الجمعة قال العلامة الأمير وتدخل بزوال الخميس ولو لم يدفن إلا يوم السبت ما ذكره الحـافظ فى كتابه المتقدم آنفًا قـال أخرج الترمذى وحسنه البـيهقى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ **«ما من مسلم يموت يـوم الجمعة إلا وقاه الله فـتنة القبر»** وفى لفظ **«وقى الفتان»** وأخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الأعمال عن عطاء قال قال رسول الله ﷺ **«ما من مـسلم أو مسلمـة يموت ليلة الجمعـة إلا وقى عذاب القـبر وفتنة القبر ولقى الله وهو راض عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له»** (وأما ما ورد) فى قراءة سورة الملك فـعدة أحاديث منها الحـسن والصحيح لاسيـما حديث الموطأ للإمام مالك وهو مجمع على صحة ما فـيه كما أفاده العارف الشعرانى قال فى كتـابه المختصر قـراءة سورة تبارك مواظـبها لا يسئل قـال لورود ذلك فى عدة أحاديث صـحيحـة قال وكذلك قـراءة الإخلاص فى مرض الموت وكـذا من مات ببطنه لحديث أبى داود مرفوعًا **«أن من قتله بطنه لم يعذب فى قبره»** وأحاديث الشهيد كثيرة منها **«كل من مات يفتن فى قبـره إلا الشهيد المقتـول فى سبيل الله»**، قال وروى النسائى وابن ماجـة مرفوعًا **«للشهيـد عند الله ست خصال»** فذكر منها **«ويجار من عـذاب القبـر»** قـال العارف المذكـور وألحق بالشهـيـد فى الأجر والثـواب المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم وذات الجنب والطلق والحريق ومن قتل دون ماله أو دون دمه أو دون حريمه وغير ذلك مما وردت به الأخبار والآثار والله أعلم (وأما ما جاء فى كلام القبر للعبد إذا وضع فيه وما جاء فى ضغطة القبر وإن كان صالحًا وطلب الوقوف على القبر بعـد الدفن قليلاً للدعاء بالتثبيت) فـأما بيان ما ورد فى كلام القبر للمـيت إذا وضع فيه فمن ذلك ما ذكره العـارف الشعرانى قال روى أن القبر ليكلم العـبد إذا وضع فيه فيقول يا ابن آدم مـا غرك بى أما علمت أنى بيت

الظلمة أما تعلم أنى بيت الحق فإن كان مفلحًا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر فإنى أعود عليه خضرًا ويعود جسده نورًا وتصعد روحه إلى رب العالمين رواه أبو أحمد الحاكم رحمه الله قال العارف أيضًا، وكان عبيد بن عمير رضى الله عنه يقول يجعل الله للقبر لسانًا ينطق به فيقول يا ابن آدم كيف نسيتنى أما علمت أنى بيت الأكلة وبيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة قال وكان أحمد رضى الله تعالى عنه يقول إن الأرض لتتعجب ممن يمهد مضجعه للنوم وتقول يا ابن آدم ألا تتذكر طول رقادك فى جوفى وما بينى وبينك فراش انتهى. قال وأنشد بعضهم:

ضعوا خدى على لحدى ضعوه	**وعن عفر التراب فوسدوه**
وشقوا عنه أكفانًا رفاتا	**وفى الرمل البعيد فغيبوه**
فلو أبصرتموه إذا تقضت	**صبيحة ثالث أنكرتموه**
وقد سالت نواظر مقلتيه	**على وجناته وانفض فوه**
وناداه الفلا هذا فلان	**هلموا فنظروا هل تعرفوه**
حبيبكم وجاركم المفدى	**تقادم عهده فنسيتموه**

(وأما ما جاء فى ضغطة القبر وهى ضمته) فمنه ما ذكره العارف قال وروى النسائى «**أن النبى ﷺ قال فى سعد بن معاذ بن جبل لقد تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة ولقد ضم ثم فرج عنه**» وفى رواية عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «**للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**» وفى المواهب اللدنية وحضر جنازته سبعون ألف ملك قال سيدى محمد الزرقانى شارحها ذكر السهيلى وابن عائذ عنه عليه الصلاة والسلام «**لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدًا ما وطئوا الأرض إلا يومهم هذا**» قال وقوله تحرك له عرش الرحمن قال وفى رواية للشيخين «**واهتز لموته عرش الرحمن**» قال الإمام النووى فى شرح مسلم اختلف العلماء فى تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى فى العرش تمييزًا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾

[البقرة: ٧٤] وهذا القـول هو ظاهر الحديث وهو المختار ووافـقه على ذلك الإمام المازرى وأن العـرش تحرك حقـيقـة لموته وقال آخـرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول لقدوم روحه من غير تحرك للعرش، وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته كما تقول العرب أظلمت الأرض لموت فلان وقامت له القيامة قال وأما حمله عن النعش فهو قول باطل لإضافة العرش إلى الرحمن فى روايات، وقيل المراد باهتزاز العرش حـملة العـرش قال وعن البـراء قال **«أهديت للنبى ﷺ حـلة حرير فـجـعل أصحـابه يمسحونهـا ويعجبون من لينهـا فقال ﷺ تعـجبون من لين هذه لمناديل سـعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين»** قال سيدى محمد الزرقانى فى شرحه لهذا: ومقتضى وجود المناديـل فى الجنة أنهم إذا أكلوا شيـئًا احتـاجوا إلى المناديل لمسح مـا تعلق بأيديهم وأفـواههم ولا يلزم أنه كـوسخ الدنيا بل جـعل ذلك إكـرامًا لهم حـيث وجدوا فى الجنة نظير ما ألفوه فى الدنيا قـال هكذا قرره شيخنا حافظ العصر اهـ. وفى الإمام القسطلانى على البخارى شـرحًا لهذا الحديث وفى هذا الحديث اشارة إلى عظم منزلة سعـد فى الجنة وأن أدنى ثيابه فيها خـير من هذه لأن المناديل أدنى الثياب لأنه معد للوسخ والامتهان وغيـره أفضل. ا هـ قال سيدى محمد الزرقانى وأخرج ابن سعد عن أبى سعيد الخدرى قـال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حـفرنا، قال وأخرج ابن سـعد وأبو نعيم من طريق مـحمد بن المنكدر عن مـحمد بن شـرحبـيل بضم الشين المعجـمة وفتح الـراء وسكون الحاء المهملتين وكسر البـاء الموحدة بعدها مثناة تحتية قال قبض إنسـان يومئذ بيده من تراب قبره قـبضة فذهب بها ثم نظر إلـيها بعد ذلك فإذا هى مـسك قال رسول الله ﷺ **«سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك فى وجهـه، فقال الحمد لله لو كان أحد ناجيا من ضمة القـبر لنجامنها سعد ضم ضـمة ثم فرج الله عنه»** قال وقوله فى الحديث سبحان الله مرتين تعـجبًا من كـون تراب قبره صار مـسكًا مع كونه ضم قال وقـوله حتى عرف ذلك فى وجهه أى التـعجب المدلول عليه بالتسبيح فـقال الحمد لله أي شكراً له على تفريجـه عن سعد قال وقـوله لو نجا منها أحد إلخ لا ترد فـاطمة أم على رضى الله عنهما لأن نجاتها بسبب اضطجـاعه ﷺ فى قبرها ولا لقارئ الإخلاص فى مرض موته لأن نجاته لسبب هو القراءة والمنفى لم ينج أحد منها بلا سبب أو هى

خصوصيـات لا تنقض الأمور الكلية، قال قال الحاكم الترمـذى سبب هذه الضمة أنه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة ما وإن كـان صالحًا فجعلت هذه الضغطة جزاء له ثم تدركه الرحمـة، ولهذا ضغطة سعد للتقـصير فى البول فأما الأنبـياء فلاضم ولا سؤال لعصمتهم. ا هـ مـا نقله الإمام الزرقانى فى الشرح المذكور. قلت ويرد على هذا التعليل الأخير أنه ورد عنه ﷺ **«ما عفى أحـد من ضغطة القبـر إلا فاطمة بنت أسـد فقـيل يا رسـول الله ولا ابنك القاسم قـال ولا إبراهيم الذى هو أصـغرهمـا»** وحينئذ فلا تتـوقف ضغطة القبر على أنه ألم بخطيئة فـالأحسن الجواب الثانى فى المستثنى بأنها خصوصيات لا تنقض الأمور الكليـة لا سيما ومثل سعد لا يظن فيه تقصيـر فى البول يؤدى إلى فساد فى عبـادته أو مكروه، ويؤيد هذا أنه قد ورد أن ضمها للمؤمن الكامل ضمة شفقة ورأفة، قال العارف الشعرانى فى مختصر التذكر فائدة لا ينجو من ضمـة القبر أحد إلا أربعة فاظمة بنت محـمد ﷺ وفاطمة بنت أسد والأنبياء عليهم الصلاة والسـلام ومن قرأ قل هو الله أحد فى مرضه ولو مرة واحدة قال العارف انتهى أحمد القارئ قال العارف أيضًا وروى الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فـاطمة بنت أسد وكان مرة يحمل ومـرة يتقدم ثم نزل قبرها ونزع قميصه ﷺ وتمعك فى لحدها ثـم خرج فسألوه عن نزع قميصه وتمعكه فى لحدها فقـال أردت أن لا تمسها النار أبدًا إن شاء الله وأن يوسع عليهـا قبرها * ويؤخذ مما تقدم من الأستثناء وغيـره أن تلك الضمة لا تستدعى سبق ذنب والا لما حصلت للاصفـياء ويدل على ذلك حصولهـا لولديه ﷺ إبراهيم والقاسم لما روى «ما عفى أحـد من ضغطة القبر إلا فـاطمة بنت أسد فقـيل يا رسول الله ولا ابنك القاسم قال ولا إبراهيم الذى هو أصغرهما» قـال وروى مرفوعًا أن العبد إذا وضع فى قبره فقال أهله واسيداه وا أميـراه وأشريفاه قال له الملك اسمع ما يقولون أكنت سيدًا أكنت أميـرًا أكنت شريفًا فيقول الميت ليـتهم سكتوا عنى قال فيضـغطه القبر ضغطة تختلف فـيها أضلاعه أعاذنـا الله من ذلك اهـ * (وأما دليل طلب الوقوف عند القبر قليلاً بعـد الدفن للدعاء للميت تثبيتًا) * قال العـارف روى مسلم وغيره **«أن عمـرو بن العـاص لما حضـرته الوفاة قـال إذا دفنتمـونى فشنوا على التـراب شنًا ثم أقيمـوا حول قبرى قـدرما تنحر الجزور أى من الأبل ويقـسم لحمها حتى أسـتأنس بكم**

وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى» قال العارف قال الحافظ أبو بكر رحمه الله تعالى ويكون الدعاء للميت بعد الدفن بالتثبيت والإنسان مستقبلاً وجه الميت ويقول الداعى اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيرًا وقد أجلسته لتسأله فنسألك اللهم أن تثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبته فى الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره، قال العارف وكان شيبة بن أبى شيبة يقول أوصتنى أمى عند موتها أن أقيم عند قبرها بعددفنها وأقول يا أم شيبه قولى لا إله إلا الله ثم انصرف فلما كان الليل رأيتها فى المنام تقول لى يا بنى كتد أهلك لولا أدركتنى بلا أله إلا الله، فإذا حضر أحدكم أيها الإخوان دفن أخيه المسلم فليقل له بعد تسوية التراب عليه يا فلان قل الله، ربى والإسلام دينى ومحمد رسولى ولا يتعلل أحدكم بقوله لا أعرف ألقن الميت فإن هذه كلمات يسهل حفظها على كل بليد فضلاً عن غيره والحمد لله على ذلك ا هـ قال العارف المذكور وينبغى لأهل الميت أن يكون همهم على ميتهم ما قدم عليه من الأهوال فإن الله تعالى يعينه عليه * وأما الصياح والبكاء وتمزيق الثياب وإظهار الحزن والامتناع عن الأكل والشرب فهو معدود من خفة العقل والنفاق نسأل الله العافية *(تنبيه)* التحقيق سؤال الجن وكافرهم اتفقوا على أنه معذب فى الآخرة وأما مؤمنهم فقال أبو حنيفة إنه لا يثاب إلا بالنجاة من النار ثم يقال لهم كونوا تربًا كالبهائم، وقال مالك والشافعى يثابون بالجنة وينعمون فيها بشهادة قوله ﷺ **«لهم مالنا وعليهم ما علينا»** وقول الله تعالى ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن: ٤٦] بعد قوله ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ**﴾ [الرحمن: ٣٣] إلخ ويعاقبون على المعصية وسيأتى إن شاء الله بيان حقيقتهم.

الفصل الثانى: فيما يفعله لنفسه فى صحته ويصنعه الحى له مما يكون سببًا للتثبيت وتخفيف الأهوال

(أعلم) أن الذى ينبغى أن يفعله لنفسه مما يكون سببًا لذلك أمور كثيرة (فمنها) ما ذكره العلامة الأمير فى حاشيته على عبد السلام نقلاً عن السنوسى ركعتان ليلة الجمعة بعد المغرب يقرأ الفاتحة وسورة الزلزلة فى كل ركعة خمس عشرة مرة من غير تكرير الفاتحة قال فإن ذلك يكون سببًا للتثبيت ودفع الفتانات، قال العلامة

الأمير المذكور ومن غروب الجمعة يدخل الموكب الإلهى، قال الشعرانى أوله الثلث الأخير إلا ليلة الجمعة فمن الغروب، ثم قال العلامة واعلم أن العمل للثواب محمود جدًا حيث قصد مجاراة الحق فى تنزله يعنى لعبده من حضرة الأطلاق إلى حضرة التقييد مع أن أفعاله لا تعلل وعطاياه ليست لغرض فالأدب التنزل لما رغب فيه فلا تكون العبادة حينئذ للثواب بل صار ملاحظة الثواب عبادة ثانية مع أن وصفك الحق هو الفقر والاحتياج إلى ما كان من سيدك، والمذموم الالتفات إلى غرض نفسى. اهـ (قلت) ومقصد العلامة بذلك التقوية والميل إلى ما قاله الإمام السنوسى وأن ذلك من المقاصد العالية دفعًا لما يتوهم من جعله من أدنى المراتب الثلاثة المذكورة عندهم (ومنها) ما ذكره اليافعى فى روض الرياحين عن شقيق البلخى رضى الله عنه قال طلبنا خمسًا فوجدناها فى خمسة طلبنا ترك الذنوب فوجدناها فى صلاة الضحى وطلبنا ضياء القبور فوجدناه فى صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن وطلبنا العبور على الصراط فوجدناه فى الصوم والصدق وطلبنا ظل العرش فوجدناه فى الخلوة انتهى. ومع ذلك فإذا وفق لها ينبغى له أن يزداد خوفًا وحزنًا على تقصيره كما هو شأن الكمل المؤمنين قال العارف الشعرانى فى كتاب العهود وكان الإمام أبو حنيفة مع قيامه ليله كله ينشد ويقول:

كفى حزنًا أن لا حياة هنيئة ... ولا عمل يرضى به الله صالح

(ومنها) ما ذكره الإمام السبكى قال أخرج أبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن الشجرى قال قال رسول الله ﷺ «**من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ فى مرضه الذى يموت لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى تجيزه على الصراط**» (فائدة) قال الإمام السبكى أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**» وفى رواية «**يحيى ويميت فى يومه مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزا من الشيطان فى يومه ذلك حتى يمسى**» وقد جمع الإمام السيوطى عدة خصال ورد الحث من الشارع عليها طلبًا فى صورة خبر بقوله ﷺ «**إذا مات العبد ختم على عمله إلا عشرة خصال**» ناظمًا لها لها بقوله:

إذا مـات ابن آدم ليس يجـرى	**عليـه مـن خـصـال غيـر عـشـر**
علـوم بثـهـا ودعـاء نجل	**وغرس النـخل والصدقـات تجرى**
وراثة مـصـحف ورباط ثغـر	**وحـفـر البـئـر أو إجـراء نهـر**
وبيت لـلغـريب بناه يـأوى	**إليـه أو بناء مـحـل ذكـر**
وتـعليـم لقـرآن كـريم	**فـخـذها من أحـاديث بحـصـر**

(ومن ذلك) ما ذكره الحـافظ فى كتابه بشرى الـكئيب بلقاء الحبـيب قال أخرج الديلمى منذ الفردوس عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «**إذا مات العالم صور الله عمله فى قبره يؤنسـه إلى يوم القيامة ويدرأ عنه هوام الأرض**» وأخرج الإمام أحمد ابن حنبل فى الزهد عن كـعب قال «**أوحى الله إلى مـوسى عليـه السـلام تعلم العلم وعلمه للناس فإنى منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لايتوحشوا لمكانهم**» وأخرج ابن منده عن أبى كاهل قال: قال رسول الله ﷺ «**من كف أذاه عن الناس كان حقًا على الله أن يكف عنه أذى القبر**» *(فائدتان الأولى)* ورد أن الموتى يقرؤن القرآن فى قبـورهم فمن ذلك ما ذكره الحـافظ فى كتابه بشـرى الكئيب قال أخرج التـرمذى وحسنه والبيهقى عن ابن عباس «**قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال النبى ﷺ هـى المانعة هى المنجية تنجى من عـذاب القبر**» قال أبو القاسم السعدى فى كتاب الأيضاح هذا تصديق من رسول الله ﷺ بأن الميت يقرأ فى قبره فإن عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﷺ، واخرج ابن منده عن طلحة بن عبيد الله قال أردت مالى بالغابـة فأدركنى الليل فأويت إلى قبر عبـد الله بن عمرو بن حزام فسمعت قراءة من الـقبر ما سمعت أحسن منها فـجئت إلى سول الله ﷺ فذكرت ذلك له فـقال «**ذلك عـبد الله ألم تعلم أن الله قـبض أرواحـهم فجـعلهـا فى قناديل من زبرجـد وياقوت ثم علقـهـا وسط الجنة فإذا كـان الليل ردت إليـهم أرواحهم فـلا تزال كذلك حـتى إذا طلع الفجر ردت أرواحـهم إلى مكانها الذى كانت فـيه**». انتهى وهذا يختلف باخـتلاف الأشخـاص كما سـيأتى تحقـيقه إن شاء الله فى فـصل مستـقر الأرواح وهل القراءة عامـة فى الغيبة والمصاحف نعم هو كذلك ودليلـه ما أخرجه

الحافظ فى كتابه المذكور قال أخرج بن منده عـن عكرمة قال يعطى المؤمن مصحفًا يقرأ فيه، قال وأخرج ابن منده عن أبى النصر النيسابورى الحفار وكان صالحًا ورعا قال حفرت قبـر فانفتح فى القبر قبرًا آخر فنظرت فيـه فإذا أنا بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح جالسًا مربعًا وفى حجره كتاب مكتوب بخضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ القـرآن فنظر الشاب إلى وقال أقامت السـاعة قلت لا قال فأعد اللبنة إلى موضعها فأعـدتها إلى موضعها، قال ونقل السهيلى فى دلائل النبوة عن بعض الصحابة أنه حفر فى مكان فانفتحت طاقة فإذا شخص على سرير وبين يديه مـصحف يقـرأ فيـه وأمامـه روضة خـضراء وذلك بأحـد وعلم أنه من الشهداء لأنه رأى في صـفحة وجهه جرحًـا، وقال اليافعى أيضًا روينا عـمن حفر القبور من الثـقات أنه حفر قبرًا فـأشرف فيه على إنسان جـالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه وتحته نهر يجـرى فغشى عليه وأخرج من القبر ولم يدر بما أصابه فلم يفق إلا فى اليوم الثالث ا هـ (الفائدة الثـانية فى بيان ما ورد من تعليم اللائكة للمؤمن القرآن فى قبره إذا مات قبل تمامه) قـال الحافظ فى كتابه المتقدم آنفًا أخرج أبو الحسين فى فوائده بسنده من طريق عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ **«من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلمه فى قبره ويلقى الله وقد اسـتظهره»** قال وأخـرج ابن أبى الدنيا عن الحـسن قال **«بلغنى أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القـرآن أمر الله الحفظة أن يعلموه القرآن فى قـبره حتى يبعثه يوم القـيامة مع أهله»** قال وأخرج ابن أبى الدنيا عن يزيد الرقاشى قال **«بلغنى أن المؤمن إذا مات وبقى عليه مـن القرآن شىء لم يتعلمـه بعث الله ملائكة يحـفظونه ما بقى عليـه منه حتى يبعث من قبره»** اهـ جعلنا الله فى زمرة العـاملين من أهله *(إن قلت)* هل يثابون على تلك القـراءة الكائنة فى قـبـورهم *(الجواب)* نعم ويؤيـده ما أفـاد القطب الشعرانى فى كـتابه الجواهر والدرر قال سألت شـيخنا الخواص رضى الله عنه عن صلاة ثابت البنانى أو غيره فى قبره كما ذكروه فى طبقات الأولياء هل يثاب عليها كما يثاب على ماكان من أعماله قبل الموت فقال نعم لكن بحكم خرق العادة لقوله صلى الله عليه وسلم **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله»** الحديث فالبرزخ معدود فى حق مثل هؤلاء من جملة وقت التكليف بل قـال بعضهم: إن وقت التكليف باق حتى

يسجد أهل الأعراف سجدة يرجح بها ميزانهم ثم يدخلون الجنة قال فلولا أن تلك السجدة فى زمن التكليف ما أغنت عنهم شيئا والله أعلم، فقلت له فهل يتوضئون فى قبورهم لذلك فقال لا حاجة لهم إلى وضوء لعدم وقوع الحدث منهم، فقلت فهل يؤذنون ويقيمون فقال نعم كما ورد فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقلت فهل يكتب لهم ثواب قضاء حوائج الناس إذا خرج شخص من قبره وقضى حوائج الناس فقال نعم يكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم فى البرزخ على حد سواء، فقلت له هل الصورة التى تخرج من قبورهم صورة ملك أو صورة تنشأ من همتهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة فيهم فقال كل ذلك يكون فتارة يوكل الله تعالى بقبر ذلك الولى ملكًا يقضى حوائج الناس كما وقع للإمام الشافعى وسيدى أحمد البدوى والسيدة نفيسة رضى الله عنهم وتارة يخرج الولى بنفسه ويقضى الحاجة لأن للأولياء الإطلاق فى البرزخ والسراح لأرواحهم، فقلت له فهل حكم الأنبياء كذلك فقال نعم لكن من وقع له خطاب من قبر نبى فذلك عين النبى لامثال له وأما إذا سمع خطابه من غير قبره فهو مثال لا حقيقة لأن ذات النبى منزهة عن كلفة المجىء والرواح. ا هـ *(وأما بيان ما يصنعه له الحى بعد الموت)* فمن ذلك الدعاء له عند الدفن بعد أن يسرى عليه التراب فيقول اللهم إنه نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا وراء ظهره اللهم ثبت عند المسئلة منطقة، ولا تبتله فى قبره بما لا طاقة له وألحقه بجماعة المؤمنين. ا هـ شفاء الصدور، وقد سبق لك بعض روايات فى هذا المعنى فلا تغفل وكذلك الصدقة لو صولها للميت باتفاق الأئمة (ومنها) إطعام الطعام للفقراء على ذمة الموتى، ولذلك قال الحافظ فى كتابه بشرى الكئيب قال أخرج أحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية عن طاوس **«قال إن الموتى يفتنون فى قبورهم سبعًا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام»** وكذلك قراءة القرآن ولا سيما يس لورود النص فيها بالخصوص وكذلك سورة البقرة قال القطب الشعرانى فى الجوهر المكنون وقد وقع لشيخنا الشيخ محمد بن عنان المدفون بباب البحر من مصر المحروسة رضى الله عنهم أنه سمع صياح إنسان يعذب فى قبره فجمع أصحابه وقرأ على قبره سورة تبارك فرفع الله عنه العذاب فلم يسمع له صياح بعد ذلك قال وأخبرنا شيخنا المذكور أن ذلك المعذب كان

كيالاً يكتال للناس نسأل الله العفو والعافية ا هـ ومحل كراهة قراءة القرآن على القبر عند مالك إذا فعل ذلك على اعتقاد السنة كما يأتى تحقيقه لك إن شاء الله فى باب الزيادة، وكذلك وضع الجريد الأخضر ونحوه فإنه يخفف عن الميت جرائمه كما فى حديث البخارى قال أخرج أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «**مر النبى ﷺ على قبرين فقال أنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بين الناس بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله فدعا بعسيب رطب فشقه نصفين ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» قال فى كنز الأسرار وقد أخرجه أبو داود الطيالسى أيضًا ولفظه عن أبى بكرة قال بينما أنا أمشى مع رسول الله ﷺ ومع رجل ورسول الله ﷺ «**بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله ﷺ إن صاحبى هذين القبرين ليعذبان الآن فى قبورهما فأيكما يأتينى من هذا النخل بعسيب فاستبقت أنا وصاحبى فسبقته فكسرت من النخل عسيبًا فأتيت به إلى النبى ﷺ فشقه نصفين من أعلاه فوضع على أحدهما نصفًا وعلى الآخر نصفًا وقال إنه يهون عليهما مادام من بلولتهما شىء إنهما يعذبان فى الغيبة والبول**» ا هـ *(قلت)* ولعل المراد بالغيبة فى هذا الحديث ما يشمل النميمة لدخولها فى تعريفها بذكرك أخاك بما يكره ولا شك أن السعى بين الناس على وجه الإفساد داخل فى هذا عاملنا الله بالطاقة، وينبغى أيضًا أن يحسنوا كفنه بما يجوز شرعًا لما ورد من تزاورهم من قبورهم* فمن ذلك ما أفاده الحافظ الجلال قال أخرج الحرث بن أبى امامة فى مسنده عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «**أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم**» قال أخرج الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى قتادة قال قال رسول الله ﷺ «**إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون فى قبورهم**» قال البيهقى بعد تخريجه وهذا لا يخالف قول أبي بكر الصديق فى الكفن انما هو للمهلة يعنى الصديد لأن ذلك كذلك فى رؤيتنا ويكون كما يشاء الله فى علمه كما قال فى الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ونحن نراهم ينشحطون فى الدماء ثم يتفتتون، وانما يكون كذلك فى رؤيتنا ولو كانوا فى رؤيتنا كما أخبر الله عنهم لارتفع الإيمان بالغيب، قال وأخرج ابن أبى الدنيا بسندلا بأس به من مرسل راشد

ابن سعد أن رجلاً توفيت امرأته فرأى نساء فى المنام ولم ير امرأته معهن فسألهن عنها يعنى وكن من الأموات فقلن إنكم قصرتم فى كفنها فهى تستحى أن تخرج معنا فأتى الرجل النبى ﷺ فأخبره فقال النبى ﷺ «**انظر هل إلى ثقة من سبيل فأتى رجلاً من الأنصار وقد حضرته الوفاة فأخبره فقال له الأنصارى إن كان أحد يبلغ الموتى بلغت فتوفى الأنصارى فجاء بثوبين يعنى الزوج مسرودين بالزعفران فجعلهما في كفن الأنصارى فلما كان الليل رأي النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران**» وأخرج أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصة قال قال رسول الله ﷺ «**من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى قيل يا رسول الله وهل يتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون**» وأخرج أيضًا عن مجاهد قال إن الرجل ليبشر بصلاح ولده فى قبره قال ابن القيم الأرواح قسمان منعمة ومعذبة فأما المعذبة فهى فى شغل عن التزاور والتلاقى وأما المنعمة المرسلة المطلقة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها وروح نبينا محمد ﷺ فى الرفيق الأعلى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وهذه المعية ثابتة فى دار الدنيا وفى البرزخ فى دار الجزاء والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاث انتهى. متعنا الله بلقائهم وجعلنا من المنظومين فى عقد خدام أعتابهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث: فيما يتعلق بالميت فى القبر من نعيم دائم وتعذيب دائم ومنقطع

(اعلم) أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وقال الحافظ الجلال وهو أول منازل الآخرة قال أخرج البيهقى وابن أبى الدنيا عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «**القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**» قال وأخرج الترمذى مثله وأخرج ابن منده عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب (أى يوسع) له فى قبره سبعون ذراعا وينورله كالقمر**

ليلة البدر» واخرج ابن منده عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ **«يفسح للغريب في قبره كبعده عن أهله»** وفي بعض روايات للإمام البخاري **«أنه يفسح له سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا»** للإمام القرطبي في حديث البراء بن عازب مد البصر وفي رواية للسيدة عائشة أربعون ذراعًا قال القرطبي ولا تعارض بين هذه الروايات لأن هذا يختلف باعتبار الأشخاص باعتبار اعمالهم، قال الإمام القرطبي قال كعب الأحبار إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجئ ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه قد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أتعب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم عليه فيأتون من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقفت بين يدى الله ابتغاء وجهه ولا سبيل لكم عليه قال فيقال نم هنيئًا طبت حيا وميتًا؛ قال الإمام المذكور أيضًا قال بعض العارفين هذا لمن أخلص لله في عمله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن ندمه في سره وجهره فهو الذي تكون أعماله حجة ودافعة عنه (ومن) نعيم القبر أيضًا فرشه قال الحلال في كتابه بشرى الكئيب أخرج أبو جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد في قوله تعالى ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ [الروم: ٤٤] قال في القبر وأخرج ابن المنذر عن مجاهد في الآية قال يسوون المضاجع. انتهى، (وأما) التعذيب الدائم فللكافرين والمنافقين قال القطب الشعراني روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهة قال كان الناس يشكون في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر: ١-٤] الأول إشارة إلى عذاب القبر وتعلمون الثاني اشارة إلى عذاب القيامة وروى أن رسول الله ﷺ قال «أتدرون فيمن أنزلت هذه الآية ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾ [طه: ١٢٤] قالوا الله ورسوله أعلم قال **«هي عذاب الكافر في القبر والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس تنفخ في جسمه وتخدشه إلى يوم القيامة ويحشر من قبره**

إلى الموقف أعمى» وروى الحافظ الوائلى رحمة الله عن ابن عمر قال فبينما نحن نسير بجبانة بدر إذخرج رجل من الأرض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود فقال يا عبد الله إسقنى فقال ابن عمر لا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الإنسان لأخيه يا عبد الله فقال لى بعض من معى لا تسقه فإنه كافر ثم اجتذبه فدخل الأرض، قال ابن عمر فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال **«أو قد رأيته ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام وهو عذابه إلى يوم القيامة»** انتهى فتحصل مما سبق أن النعيم لا يكون إلا دائمًا وأما العذاب فإما أن يكون دائمًا أيضًا هو عذاب الكفار وبعض العصاة ومنقطعًا وهو لبعض العصاة، ولذلك قال العلامة الدردير فى خريدته العذاب قسمان إما دائم وهو للكفار وبعض العصاة ومنقطع وهو لبعض العصاة ممن خفت جرائمه وانقطاعه إما بسبب كصدقة أو دعاء أو بلا سبب بمجرد العَفو، والتعذيب للروح مع البدن ولو لم يقبر فالتعبير بالقبر جرى على الغالب، قال العلامة المذكور اذ لا مانع من أن يخلق الله تعالى فى جميع الأجزاء أو بعضها نوعا من الحياة قدر ما يدرك ألم العذاب ولذة لنعيم وهذا لا يستلزم أن يتحرك أو يضطرب أو يرى أثر العذاب عليه حتى من أكلته السباع أو صلب فى الهواء يعذب وإن لم تطلع على ذلك انتهى، وقال فى محل آخر ومن عذاب القبر ضغطته وهى التقاء حافتيه حتى تختلف أضلاع الميت وتختلف باختلاف العمل حتى أن الصالح تضمه ضمه الأم الشفوقة على ولدها ا هـ * ويرتفع العذاب عن سائر الخلق ليلة الجمعة ولو كفارًا ثم يعود على الصحيح قال العلامة النفراوى، وقيل أنه بعد ارتفاعه عن المؤمن ليلة الجمعة لا يعود أبدًا قال وحينئذ من مات قبل الجمعة بيوم لا يكون عذابه إلا يوما وبه قال بعضهم انتهى، قلت وهو مردود بما أفاده الإمام السيوطى حيث قال فى شفاء الصدور إن عدم العود لا دليل عليه فلم يرد فى هذا حديث صحيح ولا حسن (قلت) وما قاله الإمام السيوطى فهو فى غاية الظهور لما تقدم لك من حديث البخارى ومسلم السابق فى الجريدتين بقوله لعله يخفف عنها ما لم ييبسا وفى رواية لأبى داود **«يهون عليهما ما دام من بلولتهما شىء»** فهذا التقييد منه ﷺ ظاهر فيما قاله السيوطى ولا يلتفت لغيره لا سيما فى مجالس الفجرة المتجاهرين بالفسق، والتعذيب يكون على الفروع كما يكون على الاعتقادات ويدل

عليه ما قاله الإمام القرطبى قال روى الطحاوى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال **«أمر عبد من عباد الله عز وجل أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارًا -أى من الواحدة- فلما ارتفع عنه أفاق قال علام جلدتمونى فقيل إنك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره»** وقوله بغير طهور بضم الطاء أى الفعل للوضوء وبالفتح الماء، وحديث البول قال القطب الشعرانى فى مختصره قال العلماء وتختلف أحوال العصاة فى العذاب باختلاف معاصيهم كثرة وقلة فقد روى الشيخان **«أن النبى ﷺ مر على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير بلى إنه كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخرة فكان لا يستبرئ من البول»** وفى رواية لمسلم **«لا يتنزه من البول»** وفى رواية **«لا ينتثر من البول»** قال العلماء وفى هذا الحديث دلالة على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب اذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب، ثم قال العارف وكذلك إزالة جميع النجاسات قياسًا على البول، قال العلامة الأمير ماورد من قوله ﷺ **«استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه»** محمول على قول بعض أصحابنا القائلين بسنية ازالة النجاسة على بقاء البول داخل القصبة فيؤدى لبطلان الوضوء بعد ا هـ ثم قال المحقق المذكور وفى بعض الكتب الإلهية أوحى الله تعالى لبعض أنبيائه تذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يزهدك فى كثير من الشهوات* ومما يدل أيضًا على التعذيب فى القبر على الفروع ما ذكره العارف فى مختصره قال روى البيهقى وغيره فى حديث الأسراء **«أنه ﷺ مر ليلة أسرى به على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك قلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ثم مر رسول الله ﷺ على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام فى الضريع والزقوم ورضف جهنم -يعني الحجارة المحماة- فقال ما هؤلاء يا جبريل قال الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد، ثم مر رسول الله ﷺ على قوم بين أيديهم لحم فى قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يزنون وعندهم النساء الحلائل الطيبات فيأتى أحدهم المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح ثم مر رسول الله ﷺ على**

قوم تقرض شفـاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كمـا كانت لا يفتر عنهم من ذلك فقال يا جبريل من هؤلاء فقال خطباء الفتنة ثم أتى رسول الله ﷺ على حجر يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال يا جبريل من هذا قال الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فـيريد أن يردها فلا يستطيع، ثم مر رسول الله ﷺ على قوم بطونهم كـأمثال البيوت كلـما نهض أحدهم يقوم خر علـى وجهه والناس يطؤنهم وهم يضجـون إلى الله عز وجل قال يا جبريل من هؤلاء فـقال هم الذين يأكلون الربا من أمتك لا يقـومون إلا كمـا يقوم الذى يتخـبطه الشيطان من المس، ثم مـر رسول الله ﷺ علي قوم مشـارفهم كمشافر الأبل فـيفتح أفواههم ويلقمون الجـمر ثم يخرج من أسفلهم وهم يضجـون إلى الله عز وجل فقال يا جبريل من هؤلاء فـقال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتـامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا وسيصلون سعـيرًا، ثم مر ﷺ على نسـاء متعلـقات بثديـهن وهن يضجـجن إلى الله عز وجل فـقال يا جبـريل من هؤلاء قال هؤلاء الزناة من أمتك، ثم مر ﷺ على قوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال لأحدهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء فقال هؤلاء الهمازون من أمـتك اللمازون» وفى رواية لأبى داود **«ثم مر بعنى ﷺ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجـوهم وصدورهم فقال من هؤلاء قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم»** قال العارف. ا هـ ملفقا من عدة أحاديث (فائدة) قال العلامة القرطبى ومن التنعيم والتعـذيب عرض مقعده عليه من الجنة أو النار غدوا وعشيًا قـال علماؤنا رحمهم الله: لا يخفى أن عرض الأعـمال نوع من التنعيم أو التـعذيب، وعندنا المثـال فى الدنيـا وذلك كمن عـرض عليه القـتل أو غيـره من العذاب أو ما يهـدد به من غير أن يرى الآلة، قال ويدل له مـا جاء فى التنزيل فى حق الكافرين فى قوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] الآية فاخبر تعـالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السـعادة يعرضون على الجنان ويدل العرض العـام ما أخرجه البـخارى ومسلم عن ابن عمـران رسول الله ﷺ قال **«أن أحدكم إذا مات عرض عليه مقـعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار يقال هذا مقعدك حـتي يبعثك الله إليه يوم القيامة»** قال بعض العارفين: هذا خـاص بغير الشهداء أما هم فأرواحـهم فى الجنة كما فى

مسلم ا هـ (قلت) لا مانع من العموم لما فى بعض الروايات من رجوعها إلى أجسادها بعد سروحها فى الجنة وذلك لا يمنع من العرض عملاً بالحديثين وسيأتى محله فى مستقر الأرواح إن شاء الله، قال العلامة القرطبى وهل العرض لكل مؤمن فقيل مخصوص بالمؤمن الكامل ومن أراد الله نجاته من النار وأما من أنقذ الله عليه وعيده من المخلصين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئا فله مقعدان يراهما جميعًا كما أنه يرى عمله شخصين فى وقتين يعنى أحدهما قبيحًا والآخر حسنًا ويحتمل أن يراد بأهل الجنة كيفما كان، ثم قال فإن قلت هل ذلك العرض على الروح وحدها أو مع جزء من البدن، ثم قال بعض المحققين يحتمل أن يكون ذلك للروح مع جزء من البدن ويحتمل أن يكون لها مع جميع البدن فترد إليه الروح كما ترد عند المسئلة حين يقعده الملكان، ويقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة. ا هـ (قلت) هذا الجواب لا يلاقى المستفهم عنه كل الملاقاة وذلك لأن المستفهم عنه العرض على الروح وحدها أو مع جزء من البدن ولكن ربما يقال لما كان العرض على التحقيق نوعًا من التعذيب، وكان القياس أن ذلك للروح مع الجسد كله على الصحيح لم يعبأ بالقول بأن العرض للروح فقط قياسًا على القول الضعيف فى كون التعذيب للروح فقط غير أن قياس المحقق العرض فترد الروح لجميع البدن كما ترد عند المسئلة خلافًا لما اعتمدوه من أنها ترد عند المسئلة للنصف الأعلى فقط، وأما التعذيب فيكون للبدن كله على التحقيق مع الروح ويدل له ما ذكره المحقق السبكى وكذا الحافظ السيوطى وكذا المحقق القرطبى نفسه فى محل آخر قال أخرج ابن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «لا تزال الخصومة بين الناس فتقول الروح للجسد أنت فعلت فيقول الجسد للروح أنت أمرت أنت سولت فيبعث الله لهما ملكًا يقضى بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير دخلا بستانًا فقال المقعد للضرير إنى أرى ههنا ثمرة ولكن لا أصل إليها فقال الضرير اركبنى فركبه فتناولها فأيهما المتعدى فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك إنكما قد حكمتما على أنفسكما اهـ ومعنى الحديث أن الجسد للروح كالمطية وهى راكبة فهى تدل وتسول لكن لا تصل إلى ما تريد إلا بالجسد نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة وصلى الله على

سيـدنا محـمد وعلى آله وصـحبـه وسلم كلما ذكـرك الذاكرون وغفـل عن ذكره الغافلون

الفصل الرابع: فى مستقر الأرواح وما قيل فيها واختلاف محلها من سعيد وخلافه

(اعلم) أولاً أن الروح تذكر وتؤنث وجمعها الأرواح وقد وقع الاختلاف كثير فى حقيقة الروح والمختـار الإمساك عن الكلام فيها فإنهـا سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه لبشـر ولا لملك ولذلك قال الجنيد سيد الصـوفية رضى الله عنه الروح شىء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكـثر من أنه مـوجـود وعلى هذا ابن عبـاس وأكثـر السلف ويدخل له مـا رواه الشيـخان عن ابن مسعـود قال «كنت مع النبى ﷺ فى خـرب المدينة وهو متكىء على عسـيب فمر بقوم مـن اليهود فقـال بعضهم لبـعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسـألوه فسألوه فقـالوا يا محمد مـا الروح فمازال متكئًا علـى العسيب فظننت أنه يوحى إليه فقال ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥] وذكـر فى المواهب اللدُنِّيَّة أن هـذه الآية كانت سببًا فى إسلام عبد الله بن سلام حيث كان علامة نبى آخر الزمان عندهم تفويض الأمر إلى الله تعالى فى حقيقة الروح ووقت الساعة فلما سئل النبى ﷺ عن ذلك تلا الآيتين ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ**﴾ [الإسـراء: ٨٥]... إلخ ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ**﴾ [الأعراف: ١٨٧] إلخ فـأسلم وحسن إسـلامه وإلى هذا الخـلاف أشار الإمام البيضاوى فى تفسيره بقـوله وقيل أنها مما استأثر الله بعلمه لما روى أن اليهود قالوا لقـريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الـروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بـنبى وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهـو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القـرآن ا هـ ولذلك قال ابن جريـر لما نزلت هذه الآية قالت اليهود فكذا نجده فى كـتبنا من أن الساعة أبهمهـا الله فى القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمهـا فمن أين للمتعمـقين الإطلاع على حقـيقتهـا قال والوقوف عن إدراك حقيقة الروح كالوقوف عند إدراك تيسـير القدر، والقدر هو خلق الله أعمال العباد

خيرها وشرها وإيمانها وكفرها وطاعتها ومعصيتها لم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، ومن ثم قال رجل لعلى كرم الله وجهه أخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فأعاد له ذلك فقال بحر عميق لا تلجه فأعاد فقال سر الله خفى عليك فلا تفتشه ا هـ ومن ثم لا يجوز لأحد الخوض فيه ولا البحث عنه بطريق العقل لما علمت من قصور دركه فلا يزيد البحث عنه إلا حيرة، قال بعض العارفين لعل الحكمة فى إبهام الروح تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه فيضطروا إلى رد العلم إليه سبحانه، وقال الإمام القرطبى لعل الحكمة فى ذلك إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعرف حقيقة نفسه مع القطع بوجودها كان عجزه عن إدراك حقيقه الحق من باب أولى. قلت: ويؤيد هذا ما ذكره بعض العارفين فى قول النبى ﷺ «من عرف نفسه عرف ربه» على بعض التأويل فيه فإنه يحتمل أنه من باب التعليق وذلك أنه علق معرفة الرب على معرفة النفس ومعرفة النفس غير ممكنة فيكون المعلق كذلك فكأنه يقول أنت لا تدرى حقيقة نفسك فكيف تدري حقيقة من أوجدك، ويحتمل أن المعنى فيه من عرف نفسه بالعجز والافتقار والحدوث عرف ربه بالاستغناء المطلق والقدم والدوام والاحتمال الأول أظهر فى التأييد* ولذلك المعنى قال الإمام الغزالى ردًا على الزمخشرى حين سأله عن معنى قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فأجابه كما هو طريقة السلف بتفويض الأمر مع التأويل الإجمالي أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة كما أجاب بذلك مالك حين سئل وطريق الخَلَف تفسير استوى باستولى بالقهر والغلبة كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فإن المعنى الحقيقى غير ممكن والتأويل لابد منه خلفًا وسلفًا غير أنه عند الخلف تفصيلى والسلف إجمالى ولذلك لما كان طلب الزمخشرى من الغزالى التفصيل رد عليه بالتشنيع بقوله:

قال لمن يفهم عنى ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول

ثم سر غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول

أنت لا تعرف إياك ولا ... تدرى من أنت ولا كيف الوصول

لا ولا تدرى صـفـات ركـبت	فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها	هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها	لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا	غلب النوم فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه	كيف يجرى منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التى	بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى	لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى	فلعمرى ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له	وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له	وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتا وصفات وسما	وتعالى قدره عما تقول

وبعضهم ينسب هذه الأبيات للأمام المقدسى. انتهى، وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال الإمام النووي وأصح ما قيل فى ذلك قول إمام الحرمين إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر وإلى هذا الخلاف قال اللقانى.

ولا تخض فى الروح إذ ما وردا	نص عن الشارع لكن وجدا
لمالك هى صورة كالجسد	فحسبك النص بهذا السند

وعلى المختار من التفويض هل علمها النبى ﷺ أولاً طريقتان والتحقيق أنه ﷺ لم يفارق الدنيا حتى أعلمه الله بسائر المغيبات التى يليق علمها بالبشر، وهل هى جسم أو عرض والذى عليه أكثر المحققين أنها جسم لوصفها فى الآيات والأحاديث بالأعراض كالتوفى والقبض والأمساك والاسترسال والتناول والإخراج والتنعيم والتعذيب والدخول والرجوع والرضا والانتقال والتردد فى البرزخ وأنها تأكل وتشب كأرواح الشهداء وتسرح وتأوى وتنطلق إلى غير ذلك مما هو من

صفات الأجسام والعرض لا يتصف بهذه الصفات. (قلت): وأيضًا لا شك أنها تعرف خالقها وتدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم أعراض فلوكانت عرضًا والعلم قائم به لزم قيام العرض بالعرض وهو باطل، وهل الروح والنفس شيء واحد أو متغايران طريقتان والصحيح أنهما شيء واحد ذاتًا ويختلفان بالاعتبار بل والعقل أيضًا على ما استظهره بعضهم، فهى من حيث الميل إلى الكمال عقل ومن حيث أن بها حياة الجسم روح، قال العلامة الأمير وحاصله أن هناك لطيفة ربانية لا يعلمها إلا الله تعالى من حيث تفكيرها عقل ومن حيث حياة الجسد بها روح ومن حيث شهوتها نفس فالثلاثة متحدة بلذات مختلفة بالاعتبار وقال العلامة المذكور ولا يقال يلزم أن كل ذى روح عاقل لأنه ليس الروح لذاتها عقلاً بل باعتبار أن تتفكر. ا هـ ويدخل لذلك قوله تعالى ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** (٢٧) **ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ**﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] الآية ولاشك أن هذا خطاب للروح وقال تعالى ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾ [النازعات: ٤] إلى غير ذلك وقال ابن عبد البر بالتغاير عملاً بظاهر قول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الزمر: ٤٢] قال العلامة الجمل فى حاشية التفسير أثبت ابن عباس أن فى ابن آدم نفسًا وروحًا بينهما تعلق مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت فتتوفى النفس وحدها عند النوم قاله البيضاوى، قال محشية الشيخ زاده على البيضاوى ليس فى ابن آدم إلا شيء واحد هو الجوهر المشرق النورانى يكون لابن آدم بحسبه ثلاثة أحوال حال يقظة وحال نوم وحال موت، فإنه باعتبار تعلقه بظاهر الإنسان وباطنه تعلقًا كاملاً ثبتت له حالة اليقظة، وباعتبار تعلقه بباطن الإنسان فقط ثبتت له حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن ثبتت له حالة الموت، ويكون معنى الآية حينئذ الله يتوفى الأنفس أى الأرواح أى يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقًا ظاهرًا لاباطنًا عنها وذلك عند الموت أو ظاهرًا لا باطنًا وذلك عند النوم فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها إلى البدن ويرسل الأخرى أى النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته، وللعلامة القرطبى فى تفسيره

قال ابن عـباس وغيـره من المفسرين أن أرواح الأحـياء والأموات تلـتقى فى المنام فتـعرف مـا شاء الله فإذا أراد جـميـعها الرجـوع إلى الأجسـاد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحيـاء إلى أجسادها، وقال سعيـد بن جبير إن الله يقبض أرواح الأمـوات إذا ماتوا وأرواح الأحـياء إذا ناموا فـتعرف مـا شاء الله أن تعرف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى أى يعيدها، قال على رضى الله تعالى عنه فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قـبل إرسالها إلى جسدها فهى الرؤيا الصادقة وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها فى جسدها فهى الرؤيا الكاذبة لأنها من القاء الشيطان* وروى مرفوعًا من حديث جابر بن عبد الله **«قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال لا، النوم أخو الموت والجنة لاموت فيها»** أخرجه الدارقطنى اهـ جمل، واجـمعوا على أن الروح محـدثه مخلوقة والقـول الصحيح تقدمـها على الجسد ومقـابله لا يلتفت إليه واتفقوا على بقائها بعـد الموت وعدم فنائها فهى من المستثنيات كالحور والولدان ومالك ورضوان، قال بعض العارفين ويؤخذ لها صورة من بدنهـا تتميـز بها عن غـيرها ولذلك تتـصف بالاتصال والانفـصال والصـعود والنزول وغيـر ذلك من الأعراض وأشخـاص كل نوع تميل إلى بعضهـا وتنفر عن مخالفها، ولذلك ترى كل ذى شكل فى الحـياة يميل إلى نوعه وشكله، قال الشيخ السبكى أخرج الطيالسى عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة كانت بمكه تدخل على نساء قريش تضحكهم فلما هاجـرت إلى المدنية قدمت على فقلت أين نزلت قالت على فلانه كـانت تضحك بالمدينة فدخل النبى ﷺ فـقال **«فلانة المضـحكة عندكم قلت نعم قال على من نزلت قلت علـى فلانة المضحكة فقـال الحمد لله إن الأرواح جنود مجـندة فمـا تعارف منهـا ائتلف وما تناكـر منها اخـتلف»** قيل فى مـعنى الحديث أن الأرواح فى عـالم الذر حين الخطاب بألست بربكم من كـان منها مـتقـابلاً إذ ذاك ائتلف فى عالم الظـهور وما تناكـر أي كان متدابرًا فـى وقت الخطاب اختلف فى عالم الظهور وقيل غير ذلك، قال العلامة الأمير نقلاً عن اليواقيت فالإقبال بالوجه غاية فى المودة وعكسه الظـهر وبالجنب بين ذلك وذلك يوم ألست بربكم ويكشف لكثير عن ذلك كسهل بن عبد الله حتى إنهم يعرفون تلامذتهم إذ ذاك قال بعضهم أعرف من كان عن يمينى إذ ذاك ممن كـان عن يسارى ويلاحظونهم فى ظهور الآباء

وأرحام الأمهات والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء *(وأما مقرها بعد الموت فهى متفاوتة فيه)* فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم متفاوتون فى منازلهم كما شاهد النبى ﷺ ذلك ليلة الإسراء* ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء لاجميعهم فإن بعضهم قد يحبس عن دخول الجنة بسبب دين أو غيره حتى يقضى عنه* ومنها أرواح السعداء من المؤمنين غير الشهداء وقد اختلف فيها على أقوال أحدها أنها على أفنية القبور قاله ابن العربى وهو أصح ما ذهب إليه قال والمعنى عندى أنها قد تكون على أفنية القبور لا أنها تدوم ولا تفارق بل هى كما قال مالك تسرح حيث شاءت وتقدم لك عند التنبيه على كراهة تطيين القبر، عن العلامة الأمير أنها بأفنية القبور من فوق فانظره (ثم اعلم) أنه قد وردت عدة أحاديث تفيد اختلاف محل أرواح الشهداء فمنها ما يفيد أنها تكون فى حواصل الطير وذلك كقوله ﷺ فى حديث مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «**أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش**» قال الحافظون فى رواية لأحمد وأبى داود «**جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمرها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش**» وفى رواية لأحمد أيضًا بسند حسن «**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية**» وأخرج البخارى عن أنس أن حارثة لما قتل قالت أمه يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة منى فإن يكن فى الجنة أصبر وإن يكن غير ذلك ترى ما أصنعه فقال رسول الله ﷺ «**إنها جنان كثيرة وإنه فى الفردوس الأعلى**» *(وأما ماورد فى مطلق أرواح المؤمنين)* فمن ذلك ما أخرجه الإمام مالك فى الموطأ وأحمد والنسائى بسند صحيح عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجرة الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**» قال الحافظ أيضًا وأخرج أحمد والطبرانى بسند حسن عن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا أمتنا ويرى بعضنا بعضًا فقال ﷺ «**تكون النسمة طيرًا يعلق بالشجرة حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها**» قال وأخرج الطبرانى فى مسنده قال سئل النبى ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال «**فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث**

شاءت» قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار قال **«محبوسة فى سجين»** قال وأخرج ابن الدنيا فى كتاب المقامات والبيهقى فى البعث عن سعيد بن المسيب أن سلمان الفارسى وعبد الله بن سلام التقيا فقال أحدهما لصاحبه إن لقيت ربك قبلى فأخبرنى ماذا لقيت؟ فقال أو يلقى الأحياء الأموات قال نعم أما المؤمنون فإن أرواحهم فى الجنة وهى تذهب حيث شاءت قال وأخرج الطبرانى والبيهقى فى البعث عن عبد الله بن عمرو قال أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير تأكل من شجر الجنة، قال وأخرج ابن المبارك فى الزهد عن ابن عمرو قال: أرواح المسلمين فى صور طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة، ومنها ما ورد من كونها فى السماء وبذلك استشهد القائل بعموم كون الأرواح فى السماء، قال وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«إن أرواح المؤمنين فى السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم فى الجنة»** قال أيضًا وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن وهب ابن منبه قال إن لله فى السماء السابعة دارًا يقال لها اليضاء فيها تجتمع أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم، قال وأخرج المروذى فى الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال ترفع أرواح المؤمنين إلى جبريل فيقال أنت ولى هذه إلى يوم القيامة، وفى بعض الروايات ما يفيد أنها تكون بالأرض فمن ذلك ما قاله الحافظ المذكور قال أخرج ابن المبارك فى الزهد عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تسرح حيث شاءت ونفس الكافر فى سجين، قال الإمام ابن القيم البرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد فى أرض بين الدنيا والآخرة، قال وأخرج المروزى فى الجنائز وابن عساكر فى تاريخه عن عبد الله بن عمرو قال: أرواح المؤمنين فى بئر زمزم وأرواح الكفار فى واد يقال له برهوت وبرهوت سبخة بحضر موت، وفى بعض روايات أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية قال وأخرج الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمرو قال أرواح المسلمين تجتمع باريحاء وهى بلدة بالشام وأرواح أهل الشرك تجتمع بصنعاء، قال وأخرج العقيلى عن كعب قال الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل وقد أمرت دواب البحران تسمع له وتطيع وتعرض عليه الارواح غدوة وعشية قال الحافظ

المحقق هذا مجموع ما وقفنا عليه من الأحاديث والآثار فى مقر الأرواح وقد اختلفت أقوال العلماء فيه بحسب اختلاف هذه الآثار، قال: قال ابن القيم والتحقيق الذى لا اختلاف فيه أن الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فإن كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم، قال: وعلى كل تقدير فللروح بالبدن اتصال بحيث يصح أن تخاطب ويسلم عليها ويعرض عليها مقعدها وغير ذلك مما ورد فإن للروح شأنًا آخر فتكون فى الرفيق الأعلى وهى متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها ردت عليه السلام وهى فى مكانها هناك، وإنما يأتى هنا الغلط من قياس الغائب على الشاهد فيقعدان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التى إذا شغلت مكانًا لم يكن أن تكون فى غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبى ﷺ ليلة الأسراء موسى قائمًا يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة فالروح كانت هناك فى مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلى فى قبره ويرد على من سلم عليه وهو فى الرفيق الأعلى ولا تنافى بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الأرض وقد قال ﷺ **«من صلى على عند قبرى سمعته»** ومن صلى عليه نائيًا بلغته، هذا مع القطع بأن روحه فى أعلى عليين مع أرواح الأنبياء وهو الرفيق الأعلى فثبت بهذا أنه لا منافاة بين كون الروح فى عليين أو الجنة أو السماء وأن لها بالبدن اتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصلى وتقرأ وإنما يستغرب هذا الكون الشاهد الدنيوى ليس فيه ما يشابه هذا وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف فى الدنيا إلى أن قال والحاصل أنه ليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها لها اتصال بأجسادها فى قبورها ليحصل له من النعيم وضده ما كتب له. انتهى ابن القيم، وقال الحافظ ابن حجر أرواح المؤمنين فى عليين وأرواح المكفار فى سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوى لا يشبه الاتصال فى الحياة الدنيا بل أشبه شىء به حال النائم وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالا، قال وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها فى عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية قبورها ومع ذلك فهى مأذون لها فى التصرف وتأوى إلى محلها من عليين أو سجين،

قال وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا إذا تفرقت الأجزاء، وقال صاحب الإفصاح المنعم من الأرواح على جهات مختلفة منها ما هو طائر فى شجر الجنة ومنها ما هو فى حواصل طير خضر، ومنها ما هو فى حواصل طير بيض، ومنها ما هو فى حواصل طير كالزرازير، ومنها ما هو فى أشخاص صور من صور الجنة، ومنها ما هو فى صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما يأوى إلى قناديل تحت العرش ومنها ما تسرح وتتردد إلى جثتها فتزورها ومنها ما تلقى أرواح المقبوضين وممن سوى ذلك ما هو فى كفالة ميكائيل ومنها ما هو فى كفالة آدم ومنها ما هو فى كفالة إبراهيم، قال: القرطبى وهذا قول حسن يجمع بين الأخبار حتى لا تتدافع، قال الأستاذ الجلال وذكر البيهقى فى كتاب عذاب القبر نحوه لما ذكر حديث ابن مسعود فى أرواح الشهداء، وحديث ابن عباس ثم أورد حديث البخارى عن البراء قال **«لما مات إبراهيم ابن النبى ﷺ قال رسول الله ﷺ إن له فى الجنة مرضعًا»** ثم قال فحكم النبى ﷺ على ابنه إبراهيم بأنه يرضع فى الجنة وهو مدفون فى البقيع فى مقبرة المدينة، وقال الحافظ قال النسفى فى بحر الكلام الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها وتصير مثل صورها مثل المسك والكافور وتكون فى الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر فى الجنة، وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والأرض فى الهواء، وأما أرواح الكفار فهى فى سجين فى جوف طيور سود تحت الأرض السابعة وهى متصلة بأجسادها فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه كالشمس فى السماء ونورها فى الأرض انتهى (قلت) ومن المعلوم أن هذا التقسيم لغير الشهداء وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩] وفى المواهب اللدنية ما يؤيد هذا حيث قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله سبحانه وتعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه هذه الآيات ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**﴾ الآية رواه أحمد قال بعض من

تكلم على هذا الحديث قوله ثم تأوى إلى قناديل يصـدقه قوله تعالى ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحـديد: ٩] وأنهـا تأوى إلى تلك القناديل ليـلا وتسرح نهارًا قبل دخول الجنة وأمـا بعد دخول الجنة فى الآخرة فلا تأوى إلى تلك القناديل وإنما ذلك فى البرزخ اهـ. قال سيدى محمد الزرقانى ولا تنافى بين رواية **«فى أجواف طيـر خضر»** ورواية **«فى أجواف طيـر بيض»** ورواية **«فى أجواف زرازير»** لأن الله أكرم أولياءه بكرامات مختلفة ولا يرد ما قاله بعضهم كيف يكون روحان فى جسد قال القاضى عياض صـاحب الشفاء وليس للقياس والعقل فى هذا حكم وإذا أراد الله جعلهـا فى قناديل أو أجواف طيـر وقع ذلك على أنه ليس فيه قـيام لروحين فى جسـد واحد لأن الروح قائمة بجـوف الطير كقيـام الجنين فى بطن أمه وروحه غير روحها الى أن قال الإمام المذكور وقال الإمام البيضاوى والسهيلى خلق الله لأرواحهم بعد مـفارقة أجسادها صـورة طير خضر كمـا تقول رأيت ملكًا فى صورة إنسان اهـ. وقول الحافظ فيما نقله عن النسفى وأرواح المطيعين بربض الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر فى الجنة وإن درج عليه الأكـثر لكن قد ذكر المحقق القسطلانى فى مواهبه نقلا عن الحافظ ابن كثير ما يفيد تمتع أرواح المؤمنين وإن لم يكونوا شـهداء بالأكل والتلذذ ورؤية منازلهم فى الجنة لا بـالنظر فقط ونصـه قال وقد روينا فى مسند الأمام أحمد حديثًا فـيه بشرى لكل مؤمن قال الإمام الزرقانى شارحها وإن لم يكن شهيدًا بأن روحه تكون فى الجنة أيضًا وتسرح فيها وتأكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة قال وهو بإسناد صـحيح عـزيز عظيم اجتـمع فيـه ثلاثة من الأئمـة الأربعة أصـحاب المذاهب المثبـتة فإن الإمام أحـمد رواه عن الإمام الشافـعى عن مالك بن أنس عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه يرفعه نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة حتى يرجـعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثـه قال الإمام القسطلانى قوله تعلق أى تأكل قال وفى هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طير فى الجنة وأما أرواح الشهداء فـفى حواصل طير خضر فهى كـالراكب بالنسبة لأرواح المؤمنين فإنها تطير بنفـسها قال الامام الزرقانى شارحها وقـد تأول بعضهم حديث نسمة المؤمن الذى رواه الحافظ ابـن كثير بأنه مخصوص بالشـهداء كما فى الروض

لكن المتبـادر من الحديث خلافه ولذا جـزم كثيـر بالعموم، قال الإمـام القسطلانى مـؤيدًا لما درج عليه الحـافظ ابن كثـير أن مـا يصيـب المسلمين من المحن والبـلايا وكالشهادة، فلحكـم وفوائد ربانية إلى أن ذكر منها بقوله إن الله سـبحانه وتعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته كرامة لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليـها، ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأوليـاء فساقهم إليها قال نسأل الله الكريم المنان أن يمن عـلينا بكمال الإيمان اهـ. لكن لا يخفاك أن ما علل به الامام القـسطلانى قاصر على أصحـاب المحن والبلايا ،والذى أفاده الحافظ ابن كثيرا لتعميم عمـلا بظاهر الحديث قلت لكن ذكر إمام المحققين البرهان العدوى فى حاشيـته على الرسالة اختصاص الأكل والشرب للشهـداء خاصة وأما السعداء غيرهم فليس لهم إلا التمتع بالنظر كما اختاره الإمام النسفى آنفًا ونصه قد نقل ابن العـربى فى شرح سـراج المريدين إجمـاع الأمة على أنه لا يعـجل الأكل والنعيم إلا للشـهداء اهـ. ثم قال بل قـال العلامة الرملى فى فـتاويه بناء على أن الحياة باعتبـار الجسم فيما يظهر أن الانبياء والشهـداء يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومـون ويحجون، ووقع الخـلاف فى نكاحهم لنسـائهم ويثابون على صلاتهم ولا كـلفة عليهـم فى ذلك بل يتلذذون وليس هو من قبـيل التكليف لأن التكليف انقطع بالموت بل من قـبيل الكرامـة لهم ورفع درجاتهم لـذلك اهـ. قال وفى السر المصون لسيدى أبى المواهب الشاذلى أن الشـهداء ينكحون فإنه قال أخبر الله سبـحانه عن الشـهداء بأنهم أحيـاء عند ربهم يرزقون وحـمله أهل العلم على حقيقتـه أنهم يأكلون ويشربون وينكحون حقيقة، قـال وقائل غير هذا صرف الآية عن ظاهرها من غـير ضـرورة تلجئ إلى ذلك، قـال: وقوله ينكحـون لم يقيـده بنسائهم كمـا قال الرملى وذكره الأجهورى، قال وقـد علمت مما تقدم ما تتنعم به الشهداء وأما غيرهم فإنما ينعم بغيـر المأكل والمشرب بأن يملأ عليه قبره كله خضرًا ويفسح له فيه، ثـم ذكر عن الأجهورى أنها ترى مقعـدها فى الجنة وهى فى قبرها أو حيث شـاء الله ولا تدخل الجنة قال المحـقق أقول لا يخفى أن هذا مـخالف لما وقع فى كلام بعضهم أن أرواح السعداء ولو غير شهداء فى الجنة إلا أن يجاب بأن ذلك بالنسبـة لبعضـهم اهـ. فتحـصل من هذا أن تمتع الشهـداء فى الجنة بما تقدم

متفق عليه لأن حياتهم حقيقة كما هو ظاهر الآية الشريفة، وعليه الجمهور لكن حياتهم ليست كحياتهم فى الدنيا، ولذلك قال المحقق المذكور أن تلك الحياة لا تمنع من إطلاق اسم الميت عليه بل حياة غير معقوله للبشر فتدبر اهـ. وأما السعداء غير الشهداء فيتمتعون بالنظر فقط من غير أكل وغيره على ما ارتضاه الإمام النسفى والمحقق العدوى نقلاً عن الحافظ السيوطى وللحافظ ابن كثير التعميم كالشهداء كما سبق لك فى نص المواهب وشرحها للإمام الزرقانى هذا تحقيق المقام، وحينئذ ظهر لك ما أفاده العلامة الأمير وابن عبد البر وابن العربى من أنها على أفنية القبور غالبًا كما هو طريقة الجمهور ولا ينافى ذلك سروحها فى الأماكن المتقدم ذكرها ومع ذلك لها اتصال بمحلها، ولذلك شرع إلقاء السلام عليهم فى قبورهم والسلام لا يكون إلا على الموجود لا على المعدوم، وأما كونها فى السماء كما فى حديث الإسراء عند آدم على يمينه أهل السعادة وعن يساره أهل الشقاوة فلعل ذلك كان أمرًا اتفاقيًا لملاقاتها للطلعة المحمدية وليكون ذلك من جملة ما اطلع عليه ﷺ من عالم الملكوت. وأما أرواح البهائم فهى فى قصور كما نقله الإمام سيدى أبو الحسن الأشعرى فى كتابه شجر اليقين فى تخليق سيد المرسلين ونصه عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله خلق الصور ولها أربع شعب شعبة منها فى المغرب وشعبة منها فى المشرق وشعبة منها تحت الأرض وشعبة منها فوق السماء السابعة وفى الصور من الثقب بعدد الارواح فى راحد منها أرواح الأنبياء وفى واحد منها أرواح الملائكة وفى واحد منها أرواح الجن وفى واحد منها أرواح الإنس وفى واحد منها أرواح الشياطين وفى واحد منها أرواح البهائم وهكذا إلى تمام سبعين صنفًا وأعطيه إسرافيل فهو واضعه على فيه ينتظر متى يؤمر فينفخ ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث**» انتهى. قال سيدى أحمد بن المبارك فى كتابه الابريز فيما تلقاه عن شيخه القطب الغوث سيدى عبد العزيز الدباغ والثقب التى فى الصور كانت قبل خلق آدم معمورة بالأرواح، ثم قال شيخنا القطب المذكور لما أهبطت روح آدم عليه السلام إلى ذاته بقيت ثقبتها خالية وهكذا كلما أهبطت روح بقيت ثقبتها خالية فإذا رجعت الروح بعد الموت إلى البرزخ لا ترجع إلى الموضع الذى كانت فيه بل تستحق موضعًا آخر، قال والثقب الخالية

تعمـر بمخلوقات من مـخلوقات الله تعـالى جعلنا الله فى حزب النبـى مندرجين وأرواحنا من أهل عليين بجاه سـيد المحبين والمحبوبين عليـه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين ما لاحت شموس المعارف ساطعة على وجوه العارفين.

الفصل الخامس: فى نبذة يستنير بها القلب ويستعين بها على ترك المعاصى تدل على ما هم فيه مما رُئِىَ لهم منامًا بعد الموت كما ذكره العارفون

قال الحافظ السـيوطى قال اليافعى رؤية الموتى فى خـير أو شر نوع من الكشف يظهره الله بشيرًا أو موعظة أو لمصلحة الميت أو ابتداء خير إليه أو قضاء دين أو غير ذلك، ثم هذه الرؤية قد تكون فى النوم وهو الغـالب وقد تكون فى اليقظة وذلك من كرامـة الأولياء وأرباب الأحوال، وقال الجـلال أيضًا نقلاً عنه بقـوله فى محل آخر وحكى اليافعى فى روض الرياحين عن بعض الأولياء قال سألت الله أن يرينى مقامات أهـل المقابر فرأيت فى ليلة من الليالى القبـور قد انشقت وإذا منهم النائم على السندس، ومنهم النائم على الحـرير والديباج، ومنهم النائم عـلى الريحان، ومنهم النائم على السرد ،ومنهم الباكى، ومنهم الـضاحك فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم فى الكرامـة فنادى مناد من أهل القبور يا فلان هـذه منازل الأعمال أمـا أصـحاب الـسندس فهـم أهل الخلق الحـسن وأمـا أصحـاب الريحـان فـهم الصائمون، وأما أصحاب السرر فـهم المتحابون فى الله، وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون، وأما أصـحاب الضحك فهم أهل التوبة قـال فى كنز الأسرار قال يروى عن هشام بن حسان قال مات ابن لى شاب فرأيته فى النوم وهو شائب فقلت له يا بنى ما هذا الشيب فقـال قدم فلان فزفرت جهنم لقـدومه زفرة لم يبق منا أحد إلا شاب (ويروى) أن رجلا رأى فى المنام شاخص الوجه متغير اللون وقد علقت يداه إلى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فأنشد يقول:

تـولى زمـــــــان لعـــــــبنا بـه　　　وهـذا زمـــــــان بـنـا يـلـعـب

(ويروى) عن أبى بكر الانبارى قال رأى بعض العـارفين أباه فى النوم بعد موته وكأنه فى بيت عظيم حيطانه وسقفه أسود من الدخان وهو جالس فى صدر البيت فقـال له يا أبت كيف حـالك قال يا بنى الأمـر صعب والحـساب دقيـق ثم أنشد يقول:

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسئل بعد ذا عن كل شيء

ورأى عمر بن عبد العزيز فى النوم أن القيامة قد قامت وحصل البعث وجمع الناس لفصل القضاء ونودى بالخلفاء واحدًا بعد واحد وحوسب كل واحد منهم على منزلته قال فتصببت عرقًا ثم أخذت الملائكة بيدى، فأوقفونى بين يدى الله تعالى فسألنى عن الفتيل والنقير والقطمير وعن كل قضية قضيتها حتى ظننت أنى لست بناج، ثم انه تفضل على برحمة منه فغفر لى وأمر بى ذات اليمين إلى الجنة فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة من هذا قالوا كلمه يكلمك فوكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه فإذا برجل أثرم شديد الادمة وخشن المنظر فقال لى من أنت قلت عمر بن عبد العزيز قال ما فعل الله بك فقلت له تفضل على برحمته فغفر لى وأمر بى ذات اليمين إلى الجنة، قال فافعل بأصحابك الخلفاء الذين معك فقلت أما أربعة منهم فغفر لهم وأما الباقون فلا أدرى ما فعل بهم قال وأخذ فى البكاء قال هنيأ ما صرت إليه فقلت من تكون قال الحجاج بن يوسف قدمت على ربى فوجدته شديد العقاب قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة إلا سعيد بن جبير فإنه قتلنى به سبعين قتلة وها أنا موقوف بين يديه أنتظر ما ينتظره الموحدون اهـ. من كنز الأسرار، وهذا يدل على وجه التقوية أنه كان فاسقا لا كافرًا والله أعلم بحقيقة حاله. قال الإمام القرطبى ومن هذا المعنى هذه الحكاية العجيبة التى رآها بعض العارفين قال روى عن الحرث بن نبهان أنه قال كنت أخرج إلى الجبانات فأترحم على أهل القبور وأعتبر وأنظر إليهم سكوتًا لا يتكلمون وجيرانا لا يتزاوون وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى يا أهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم فسكنتم دار البلاء فتورمت أقدامكم قال ثم يبكى بكاء شديدًا ثم يميل إلى قبة فيها قبر فينام فى ظلها، قال فبينما أنا نائم من جانب القبر فإذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر إليه والسلسلة فى عنقه وقد ازرقت عيناه وأسود وجهه وهو يقول يا ويلى ماذا حل بى لو رآنى أهل الدنيا ما ارتكبوا معاصى الله أبدًا طولبت والله باللذات فأوثقتنى وبالخطايا فأغرقتنى فهل من شافع يشفع لى أو مخبر يخبر أهلى بأمرى، قال

الحرث فاستيقظت مرعوبًا وكاد أن يخرج قلبى من هول ما رأيت فمضيت إلى داري فبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت، فلما أصبحت قلت دعنى أعود إلى الموضع الذى كنت فيه لعلى أجد أحدًا من زوار القبور فأعلمه بالذى رأيته قال فمضيت إلى المكان الذى كنت فيه بالأمس فلم أر أحدًا فأخذنى النوم فنمت فرأيت صاحب القبر وهو يسحب على وجهه والعياذ بالله، ويقول يا ويلاه ماذا حل بى ساء فى الدنيا عملى وطال فيها أجلى حتى غضب على رب الأرباب فالويل لى إن لم يرحمنى ربى، قال الحرث فاستيقظت وقد وله عقلى مما رأيت وسمعت فمشيت إلى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحدًا من زوار القبور فلم أجد أحدًا فنمت فإذا هو وقد قرن بين قدميه وهو يقول ما أغفل أهل الدنيا عنى ضوعف على العذاب وتقطعت عنى الحيل والأسباب وغضب على رب الأرباب وغلق فى وجهى كل باب فالويل لى إن لم يرحمنى ربى العزيز الوهاب، قال الحرث فاستيقظت من منامى مرعوبًا وهممت بالانصراف فإذا بثلاث جوار قد أقبلن، فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكى أسمع كلامهن فتقدمت الصغيرة ووقفت على القبر وقالت السلام عليك يا أبتاه كيف هدوك فى مضجعك وكيف قرارك فى موضعك ذهبت عنا بودك وانقطع عنا سؤلك فما أشد حسرتنا عليك، ثم بكت بكاء شديدًا ثم تقدمت الاثنتان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا آنسك الله بملائكة رحمته وصرف عنك عذابه ونقمته يا أبتاه جرت بعدك أمور لو عاينتها لأهمتك ولو اطلعت عليها لأحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت تسترها، قال الحرث فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعًا إليهن فسلمت عليهن وقلت لهن أيتها الجوارى إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره أحزننى واطلعت من حاله على ما أهمنىّ، قال الحرث فلما سمعن كلامى كشفن وجوههن وقلن أيها العبد الصالح وما الذى رأيته قلت لهن لى ثلاثة أيام اختلف إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة فيه فلما سمعن ذلك منى قلن لى بشارة ما أحرها ومصيبة ما أحزنها نحن نقضى الأوطار ونغمر الديار وأبونا يحرق بالنار فوالله لاقربنا قرار ولا ضمنا للذة العيش دار إلا أن نتضرع للعزيز الجبار فلعلة أن يعتق أبانا وينقذه من النار ثم مضين يعثرن فى

أذيالهن قـال الحرث فـمضـيت إلى دارى فبت ليلتى فلمـا أصبـحت أتيت القـبر فجلست عنده فـغلبنى النوم، فإذا أنا بصاحب القـبر له وجه حسن وجـمال وفى رجليه نعل من ذهب ومعه حور وخدم وغلـمان قال الحرث فسلمت عليه، وقلت له يرحمك الله من أنت فقال أنا الرجل الذى عاينت من أمره ما أحزنك وأطلعت منه على مـا أفجعـك فجزاك الله خـيرًا فـما أيمن طلعـتك على فقلت لـه كيف حـالك، قال لى لما اطلعت على وأخـبرت بنـاتى بالأمس بحالى أعـرين أبدانهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب وأهملن دموعهن بالانسكاب واستوهـبننى من العزيز الوهاب فغفر لى الـذنوب والأوزار واستنقذنى من النار فأسكننى دار القرار بجوار محمـد المختار فإذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وما كان من قضيتى ليزول عنهن روعـهن ويفارقهن حزنهن ويعلمن أنى قد صرت إلى جنات وحـور ومسك وكـافور وعندى غلمـان وسرور وقد عـفا عنى الـعزيز الغفور، قـال الحرث فاستيقظت فـرحًا مسرورًا لما رأيت وسمـعت ثم مضيت إلى دارى وبت ليلى فلمـا أصبحت أتيت القـبر فـوجدتهن حافـيات الأقـدام فسلمت عليـهن وقلت لهن: أبشـرن فقـد رأيت أباكن فى خيـر عظيم وملك مـقيم وقـد أعلمنى أن الله قـد أجاب دعـاءكن ولم يخـيب مسـعاكن وقـد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن، قال: فقالت الصغرى: اللهم يا مؤنس القلوب ويا ساتر العيـوب ويا كاشف الكروب ويا غافـر الذنوب ويا عالم الغيـوب ويا مبلغ الأمل المطلوب قد علمت ما كان من مسئلتى ورغبتى واعتذارى فى خلوتى واستقالتى من زلتى وتنصلى من خـطيئـتى وأنت اللهم تعلم همـتى والمطلع على نـيتى والعـالم بطويتى ورجـائى عند شدتى ومـؤنسى فى وحدتى راحم عـبرتى ومـقيل عـثرتى ومجـيب دعوتى فإن كنت قصـرت عما أمرتنى وركـنت إلى ما نهيتنى فـبحلمك حملتنى وبسترك سـترتنى فبأى لسان أذكرك وعلى أى نعمـة أشكرك ضاق بكثرتها ذرعى فيا أكرم الأكرمين ويا منتهى غاية الطالبين ويا مالك يوم الدين الذى يعلم ما أخفى فى الضـمير ويدبر أمر الصـغير والكبير فـإن كنت قضيت الحاجـة بفضلك وشفعتنى فى عـبدك فاقبضنى إليك وأنت على كل شىء قـدير ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمـة الله عليها، قال ثم قامت الثانيـة فنادت بأعلى صوتها يا رب

فرج كربى وخلص من الشك قلبى يا من أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأعاننى فى شدتى إن كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى فألحقنى بأختى، ثم صاحت صيحة ففارقت الدنيا رحمة الله عليها قال ثم تقدمت الثالثة فنادت بأعلى صوتها أيها الجبار الأعظم والمالك الأكرم والعالم بمن سكت وبمن تكلم لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم، العزيز من أعززته والذليل من أذللته والشريف من شرفته والسعد من أسعدته والشقى من أشقيته والقريب من أدنيته والبعيد من أبعدته والمحروم من أحرمته والرابح من وهبته والخاسر من عذبته أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بعد عن إدارك الأفهام وغمض عن مناولة الأوهام وأسألك باسمك العظيم الذى جعلته على الليل فدجا وعلى النهار فأضاء وعلى الجبال فتدكدكت وعلى الرياح فتناثرت وعلى السموات فارتفعت وعلى الأصوات فخشعت وعلى الملائكة فسجدت اللهم إنى أسألك إن كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فألحقنى بصاحبتى ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها وعلى جميع المسلمين ونسأل الله أن ينفعنا بعباده الصالحين (وأما ما يتعلق بالصالحين) مما روى عن الأكابر العارفين مما يدل على ما هم فيه من الخير. قال فى كنز الأسرار فمن ذلك ما روى أن عبد الرحمن بن عثمان قال رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه رجال عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدام، وهو يقول ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] ثم التفت عن يمينه وعن شماله ويقول يا ابن مظعون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] قال ثم صافحنى وسلم على، وقال صالح بن بشر رأيت عطاء الشبلى فى النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا، فقال أما والله لقد أعقبنى ذلك فرحًا طويلاً وسرورًا دائمًا فقلت فى أى الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (ولما) مات سفيان الثورى رحمه الله رئى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال وضعت أول قدم على الصراط والثانى فى الجنة، وقال الفخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قدمت قال بلى قلت ما صنع بك فقال غفر لى مغفرة

أحاطت بكل ذنب فقلت فسفيان الثورى قال بخ بخ (هى كلمة تعجب) ذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثورى في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال نظرت إلى ربى عيانًا فقال لى:

هنيأ رضائى عنك يا ابن سعيد ... تنعم تنعم فزت فوز سعيد

لقد كنت قوامًا إذا الليل قد دجا ... بعبرة محزون وقلب عميد

فدونك فاختر أى قصر تريده ... وزرنى فإنى منك غير بعيد

قال العارف البكرى في كتابه المنهل العذب اعلم أنه قد ورد في فضل القيام بالأسحار والوقوف فى تلك الأوقات بين يدى العزيز الغفار آيات كثيرة وأحاديث شهيرة وكفى بقول الله تعالى شرفًا لهم ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم** ﴾ [السجدة: ١٧] الآية وقوله تعالى ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء: ٧٩] ومن الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى**» وفى حديث آخر «**ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم**» وفى حديث آخر «**أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه**» اهـ. وفى البخارى عنه ﷺ «**من تعار من النوم بفتح المثناة فوق وتشديد الراء بعد الألف أى انتبه فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحانه الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال اللهم اغفر لى أو دعا أستجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته**» قال الإمام القسطلانى وترك ذكر الثواب ليدل على ما لا يدخل تحت الوصف كما فى قوله تعالى ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ** ﴾ الآية اهـ. ولكونه من أعظم أوصاف الكمال للعبيد أمر الله سبحانه وتعالى به نبيه الأعظم بقوله ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ** ﴾ الآية فقام عليه الصلاة والسلام حتى تورمت قدماه ولم يترك القيام للتهجد. ولما قالت له الصديقة: ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما

تأخر تريد يعنى هون على نفسك، فقال لها «**أفلا أكون عبدًا شكورا**» قال الإمام النووى فى شرح مسلم وقوله ﷺ لها أفلا أكون عبدًا شكورًا يدل على نسخ وجوب قيام الليل فى حقه كالأمة بفرض الصلوات الخمس اهـ. وإلى هذا يشير الإمام البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن رواحة بقوله:

وفينا رسول الله يتلوا كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا ثقلت بالمشركين المضاجع

قال الشارح القسطلانى من الفجر بيان المعروف وساطع صفته أى أنه يتلو كتابه وقت انشقاق الساطع من الفجر وهذا بيان للأفضل لمن غلب على ظنه القيام آخر الليل وإلا كان وتره قبل أن ينام أفضل كما كان شأن الصديق رضى الله عنه وكذا أبو هريرة كما فى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه «**أوصانى خليلى ﷺ بثلاث لا أدعهن حتى أموت أن أصوم من كل شهر ثلاثة أيام وأن أصلى الضحى وأن أوتر قبل أن أنام**» ولكن لا يخفاك سر قيام آخر الليل المشار إليه بقوله تعالى ﴿**تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ [السجدة: ١٦] الآية وفى البخارى عن النبى ﷺ يقول الله تعالى أعددت وقال الحافظ فى الفتح أى جعلت ذلك لهم مدخورًا وقوله بله ما أطلعتم عليه بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح الهاء وأطلعتم بضم الهمزة وكسر اللام قال وفى رواية لأبى ذر ما أطلعتم عليه بقطع الهمزة المفتوحة وبفتح اللام وزيادة هاء بعد المثناة وللأربعة من بله بزيادة من الجارة اهـ. (قلت) وبهذه الرواية الأخيرة تعقب ابن هشام فى مغنيه حصر النحاة اتيان بله على ثلاثة أوجه فقط اسم فعل لدع ومصدر بمعنى الترك واسم مرادف لكيف حيث قال ومن الغريب أن فى البخارى فى تفسير الم السجدة «**يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذاخرًا من بله ما أطلعتم عليه**» فاستعملت معربة مجرورة بمن وخارجة عن المعانى الثلاثة وفسرها بعضهم بمعنى غير وهو قول محشيه الدسوقى تقريرًا عن شيخه الدردير وقوله فى الحديث ذخرًا منصوب على المصدر أى ذخرت لهم ذخرًا أى اتخذت لهم ذلك الذى أعددته لهم

من غير ما اطلعتم عليه أو أطلعتهم عليه على الرواية الأخرى، قال الشمنى عليه لقائل أن يقول يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الترك ومن تعليلية والمعنى من أجل تركهم ما أطلعتم عليه من المعاصى أى فعلتموه من المعاصى سواهم اهـ. قال الدمامينى هذا الحديث روى بفتح بله وجرها وكلاهما مع من، أما رواية الجر فقد وجهها المصنف وأما رواية الفتح قبله بمعنى كيف التى يقصد بها الاستبعاد وما مصدرية وهى مع صلتها مبتدأ، ومن بله خبر والضمير فى عليه عائد على الذخر أى كيف ومن أين إطلاعكم على هذا الذخر الذى أعددته لعبادى الصالحين الذى لا تحيط به العقول، قال ودخول من على بله بمعنى كيف حكاه الرضى عن أبى زيد يقال فلان لا يحمل الفهر فمن بله أن يأتى بالصخرة أى كيف ومن أين هذا اهـ. أما على رواية ترك من فعدم خروجها عن المعانى الثلاثة ظاهر فعلى كونها اسم فعل أمر بمعنى دع يكون المعنى دعوا اطلاعكم عليه أى طلبه لأنه لعظمه لا تحصيه عقولكم وكذا على كونها مصدرًا وعلى كونها اسمًا مرادفًا لكيف يكون المعنى كيف اطلاعكم عليه انتهى، وإنما ذكرت هذا تسهيلاً لمن اطلع على رواية الإمام البخارى من غير أن يكون معه من الشراح ما يكشف به الغطاء عن فهم الحديث خدمة لفهم كلام النبوة بسهولة (ولنرجع) إلى ما كنا بصدده من ذكر فضل قيام الليل قال الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له**» قال الإمام القسطلانى نزول الله بمعنى نزول رحمته ومزيد لطفه وإحسانه وإجابة دعوة الداعى وقبول معذرته كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزل بقربهم الفقراء الملهوفون أن يمنوا عليهم بالإحسان كما هو شأن الكرم، لا نزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله، ويحتمل أن المعنى ينزل ملك ربنا بأمره ونهيه، قال قال الإمام القرطبى ويؤيده ضبط بعضهم ضم الياء من ينزل أى ينزل الله ملكًا قال ويدل له رواية النسائى «**أن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له**» الحديث قال وبهذا يرتفع الإشكال وقوله حتى يبقى ثلث الليل الآخر قال وتخصيصه عليه الصلاة والسلام بالليل كما فى بعض

الروايات أو بالثلث الآخر منه لأنه وقت التـهجد وغفله كثيـر من الناس والتعرض لنفحات الرب وعند ذلك تـكون النية خالصة والرغبـة إلى الله تعالى وافرة وذلك مظنة القبـول والإجابة، قال وقوله من يدعـونى فأستـجيب له يصح النصب على جواب الاستفهـام والرفع على تقدير مبتدأ وكذلك الفعلان بعـده وأستجيب بمعنى أجـيب قـال الدارقطنى وإنما خص هذا الوقت لأنـه وقت التفـضل علـى عبـيـده واستجابة دعائهم وإعطائهم والله أعلم، وعن ابن عتبة قال رأيت الثورى وقد مات كأنه يطير فى الجنة من نخلة إلى نخلة ومن شجـرة إلى شجرة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العـاملون وقيل له بم دخلت الجنة فقال بالورع قيل له فمـا فعل بيعلى بن عاصم فقال ما نراه إلا مثل الكوكب، وقال فى كنز الأسرار كان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام من أكابر المحدثين وحفاظهم وكان شعبة أكبر وأجل فمات قال أبو أحمد البريدى فـرأيتهما فى النوم وكنت إلى شعبة أمـيل منى إلى مسعر يعنى فى حياتهما فقلت له يا أبا بسطام خطابًا لشـعبه ما فعل الله بك قال وفقك الله يا بنى احفظ ما أقول ثم أنشد يقول:

حـبـانـى إلهى فى الجنان بـقـبـة	لهـا ألف باب مـن لجين وجـوهرا
وقـال لى الجـبـار يا شـعـبـة الذى	تبـحـر فى جـمـع العلوم وأكـثـرا
تمتع بقــربى إننى عنـك ذو رضـا	وعن عبدى القوام فى الليل مسعرا
كـفى مسـعـرا منى بأن سيـزورنى	وأكشف عن وجهى فيدنوا لينظرا
وهذا فــعـــالى بـالذين تمسـكوا	ولم يألفوا فى سـالف الدهر منكرا

(وذكر) الحسن بـن جهضم عن أبى بكر بن أحمـد بن محمد بن الحـجاج قال حدثنى رجل من أهل طرطوس قال دعوت الله عز وجل أن يرينى أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به فرأيت بعد عشرين سنة فيما يرى النائم كأن أهل القـبور قد قامـوا على قبورهم فـبادرونى بالكلام، فقـالوا يا هذا مازلت تدعو الله أن يريك إيانا، تـسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحـليه الملائكة تحت شجرة طوبى، وقال محمد بن أحـمد الكندى رأيت أحمد بن حنبل رحمه الله فى النوم فقلت، يا أبا عبد الله ما فعل الله بك فقـال غفر لى، ثم قال يا أحمد ضربت

فى ستين سـوطا قلت نعم يا ربى قال وجـهى قد أبحـتك النظر إليه، فـانظر إليه ويروى عن عبدة العـابدة رحمها الله قالت لما حضرت الوفـاة رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها قـالت يا عبدة لا تشعرى بموتى أحدًا وكـفنينى فى جبتى هذه وهى جبة من شـعر كانت تصلى فيهـا قالت فكفناها فى تلك الجبة وفى خـمار صوف كانت تلبسه قالت عبدة فرأيتها في النوم بعد موتها وعليها حلة من استبرق خضراء وخمار من سندس أيضًا لم أرقط أحسن منهما، قالت فقلت لها يا رابعة ما فعلت بتلك الجبة التى كفـناك فيها والخمار الصوف فـقالت إنهما نزعا منى واستبـدلتهما بالذى ترين علىَّ وطويا وخـتم عليهـما ورفعـا فى عليين ليكمل ثوابهـما إلى يوم القيامة قلت لها ما فعلت عبدة بنت أبى كـلاب فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى فقلت لها وبم وقد كنت أنت عند النـاس أكبر منها قالت إنها لم تكن تبـالى على أى حال أصـبحـت من الدنيا ولا أمـست، فقلت فـما فـعل بضرغم بن مالك قالت تسألينى عن رجل يزور الله متى شاء، قالت قلت فما فعل بشر بن منصور قـالت بخ بخ أعطى والله فوق ما كان يأمل، قـالت فقلت فيم تأمرينى أن أتقرب به إلي الله عز وجل قالت عليك بذكر الله عز وجل فيوشك أن تغبطى بـذلك فى قبرك. وقـال ابن أبى جعـفر السقـاء صاحب بشـر بن الحارث ومعـروف الكرخى رأيتهما وكـأنهما فى هيئـة جميلة فـقلت من أين قالا من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى عليه (وقال) بعض الصالحين رأيت بشر بن الحارث فى النوم وما كنت رأيته فى اليقظة ولا كلمـته قط فرأيت كأنى واقف بين يدى الله عز وجل أسمع كـلامًا ولا أرى أحدًا وهو يقول يا بشـر قد قبلناك وقبلـنا ما كان منك فسـمعت بشـرًا يقول ومن تبـعنى يارب قال قد غـفرت لهم، وقـال عاصم الحزرى لقـيت بشر بن الحرث فـقلت من أين يا أبا نصر قال من عليين فـقلت ما فعل ابن حنبل قـال تركته السـاعة مع عبـد الوهاب الوراق بين يدى الله عز وجل يأكلان ويشربان قلت له أفأنت لم تكن معهـما قال علم الله قلة رغبتى فى الطعام فأباحنى النظر إليه، وقال أبو الحسن المالكى صحبت عمير النساج سنين كثيرة فقال لى قبل موته بثمانية أيام أنا أموت يوم الخـميس قبل المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وتنسى قـال فنسيـته إلى يوم الجمـعة فلقيت من أخـبرنى بموته فـخرجت

لأحضر جنازته فوجدت الناس قد أخرجوا جنازته إلى المصلى قبل الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال إنه غشى عليه ثم أفاق فالتفت إلى ناحية البيت وقال عافاك الله إنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور والذى أمرت به لا يفوتك والذى أمرت به يفوتنى فجدد الوضوء ثم صلى ثم تمدد ثم غمض عينيه ومات، فرؤى فى النوم فقيل له كيف حالك قال لا تسأل عنى لكنى تخلصت من دنياكم وكان آخر دعائه اللهم يا سيدى حبست من شئت عن خدمتك وأطلقت لها من أحببت من خلقك غير ظالم ولا مسئول عن فعلك وقد تقدمت لى فيك آمال فلا تجمع على المنع من الطاعة وخيبة الآمال فيك يا كريم وكأنه نال هذا بذلك التضرع والاستغاثة بالأسحار، ورؤى عليه حلة قال الرائى ما رأيت لها شبهًا وعليها مكتوب بالذهب إنعم فقد نلت الأمل إنعم فقد نلت الأمل، فقلت له ما هذا المكتوب على ثيابك قال هذا خاتمة تضرعى وأملى الذى كنت آمله من سيدى. وقال أبو عبد الرحمن الساحلى رأيت ميسرة بن أسلم فى المنام فقلت له أصلحك الله طالت غيبتك قال السفر طويل قلت وما الذى قدمت عليه قال رخص لنا لأنا كنا نفتى بالرخص فقلت بم تأمرنى قال باتباع الآثار وصحبة الأخيار فإنهما ينجيان من النار ويقربان إلى الجبار، قال بعض العارفين رأيت فى النوم كأنى فى السماء ولأهل السماء ضجيج وحركة وهم يقولون جاء المحسن جعفر بن الزبير فانتبهت ومشيت إلى منزله فوجدته قد مات، ويروى عن أبى جعفر العزيزى قال رأيت عيسى بن زيدان بعد موته فقلت ما فعل الله بك فأنشد يقول:

لو رأيت الحسان فى الخلد حولى … وأكاويب معهم للشراب
يترنمن بالقرآن جميعًا … يتمشين مسبلات الثياب

(وعن) يعلى بن عبيد قال جاء رجل إلى سفيان الثورى فقال يا أبا عبد الله رأيت في المنام كأن ملكًا نزل من السماء فابتلع ريحانة فصعد بها إلى السماء فقال له سفيان إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى فحفظ ذلك فجاء نعيه فيه أى جاء خبر موته، وعن عبد الرحمن بن زيد وكان من الصالحين قال رأيت فى المنام ليلة مات الحسن البصرى رحمه الله أن أبواب السماء قد انفتحت وكان الملائكة صفوف فقلت ما هذا إلا لأمر عظيم فسمعت مناديًا ينادى ألا إن الحسن بن الحسن قد قدم

على الله وهو عنه راضى، وقال عرد المعلم وكان يعرف بوجه الجنة رأيت أبا عبد العزيز الفزارى بعد موته فقلت له كيف وجدت الأمر قال أسهل مما تذكرون وليس بأصعب مما تصفون فقلت له صاحبك سهل الوراق معك قال يدى فى يده وبيده فى يدى يعنى في الجنة ولكنه أطول منى قامة يعنى أرفع منى مرتبة اللهم ألحقنا بهم على الإيمان واجعلنا من الفائزين معهم فى أعلى الجنان بجاه النبى عليه الصلاة والسلام انتهى من شفاء الصدور للسيوطى وكنز الأسرار ولواقع الأفكار للإمام الصنهاحى وتذكرة الإمام القرطبى وإنما ذكرت ذلك اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام ولعل القلب بذكرها يلين من قسوته ويفيق من غفلته بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه وصفوته ما دامت نسمات الرحمات تعلو على قبور أهل مودته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الباب الثالث: فيما يتعلق بزيارة القبور، وفيه ستة فصول

الفصل الأول: فى حكم الزيارة وبيان الدليل الوارد بطلبها والترغيب فيها

(اعلم) أن حكم الزيارة الأصل فيه الندب وذلك للرجال ويحرم للشواب من النساء ويجوز للقواعد اللاتى لا إرب للرجال فيهن، قال الأستاذ الشيخ عبد الباقى على خليل وأخذ بعضهم اختصاص الزيارة بالرجال دون النساء من قوله ﷺ **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»** بناء على الأصح عند الفقهاء والأصوليين من عدم دخولهن فى خطابهم قال اهـ. تتائى قال والأحسن والاستدلال على منعهن بخبر ارجعن مأزورات غير مأجورات قال وهذا فى الزمن القديم فكيف بهذا الزمن كما فى المدخل اهـ. لكن قال العلامة الأمير قوله والأحسن إلخ فيه أن هذا الحديث فى خروجهن خلف الميت وقد قيل إنه منسوخ خاص بأول الزمن من حيث كن يخرجن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى اهـ. قال فى المواهب اللدنية قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووى قال وأوجبها الظاهرية قال ومحل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفى النساء خلاف الأظهر فى مذهب الشافعى الكراهة اهـ. فعليك بما سمعته من التفصيل ويؤيده رواية الإمام البخارى عن أبى يعلى **«قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة**

فرأى نسوة فقال أتحملنه قلن لا قال أتدفنه قلن لا قال فارجعن مأزورات غير مأجورات» قال شارحه القسطلانى واستفهامه عليه السلام منهن انكارى وتوبيخ على خروجهن اهـ. وأما زيارتهن للقبور فمستحبة لغير الشواب منهن ما لم يلزم على ذلك اجتماع على القبر لتعديد أو نوح والإحرم، ويدل لذلك ما أخرجه الإمام البخارى قال «**مر النبى ﷺ بامرأة تبكى عند قبر فقال اتق الله واصبرى قالت إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه فقيل لها إنه النبى ﷺ فأتت باب النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك يا رسول الله فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» قال الإمام القسطلانى زاد فى رواية يحيى «**فسمع منها ما يكره**» قال أى من نوح أو غيره على القبر وزاد فى رواية مسلم «**قيل لها هل تعرفينه قالت لا فقيل لها هو رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذى أصابها لما عرفت أنه رسول الله ﷺ**» قال وإنما اشتبه عليها ﷺ لأنه من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه إذا مشى كعادة الملوك والكبراء اهـ. فأتت تراه ﷺ إنما أمرها بالتصبر والاحتساب ونهاها عن البكاء ولم ينهها عن الزيارة، وقال العلامة المذكور يندب لهن زيارة قبور الأنبياء والأولياء لرجاء الخير والبركة اهـ، قلت والأظهر تقييد هذا بغير الشواب اللاتى يخشى من خروجهن الفتنة ويدل لهذا التقييد قول العلامة المذكور فى شرحه على البخارى أن ما ورد من الأمر بالزيارة محمول على الندب بالنسبة للرجال، وأما الشواب من النساء فالظاهر الحرمة قال وعليه يحمل حديث الإمام الترمذى «**لعن الله زوارات القبور**» قال وقال القرطبى يحتمل أن الحرمة منصبة على الكثرة أخذًا من قوله زوارات للمبالغة وحمل بعض الشراح ذلك على زيارتهن للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن، قال الشارح القسطلانى المذكور ولو قيل بالحرمة فى حقهن فى هذا الزمان لاسيما نساء مصر لما فى خروجهن من الفساد لم يبعد اهـ. وقوله البكاء أى برفع صوت وأما مجرد حزن وسيلان دمع فلا كراهة ولا منع لما ذكره الإمام القسطلانى عن الإمام الترمذى «**دخل رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون وهو ميت فأكب وقبله وبكى حتى سالت دموعه على وجنتيه**» وفى رواية عنه عليه السلام «**إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**» أى أوصاهم بذلك اهـ.

قال الإمام القرطبي قال العلماء ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور لاسيما إن كانت قاسية وذلك لما فيه من مزيد الاعتبار والتأمل فيما صار إليه أمرهم قال في كنز الأسرار ومازال على ذلك أهل الفضل واليقين وقد كان النبى ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم نسخ النهى وأمر بعد ذلك بالزيارة لقوله ﷺ **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهدكم فى الدنيا وتذكركم الآخرة»** وفى رواية للطبرانى في التفسير عن زيد بن ثابت **«زوروا القبور ولا تقولوا هجرا»** أى قولاً باطلاً وكلامًا لا يعنى بل المقصود الاشتغال بالاعتبار والتأمل والتدبر فى أحوال الآخرة ولا ينبغى الاشتغال بغير ذلك من أكل وخلافه كالضحك مما ينافى التدبر المطلوب وفى الحديث، قال العلامة الأجهورى روى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه **«أن النبى ﷺ خرج إلى المقبرة وقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون فنسأل الله لنا ولكم العافية«** قال وعن ابن عبد البر بسند صحيح **«ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام»** وورد أن النبى ﷺ زار قبر أمه وقبر عثمان بن مظعون وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال **«مر النبى ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليها وقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية أنتم سلفًا ونحن بالأثر»** اهـ. وفى الشيخ عبد الباقى وأخرج ابن أبى شيبة عن الحسن قال من دخل المقابر فقال اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحًا منك وسلامًا منى استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله آدم وأخرجه ابن أبى الدنيا بلفظ كتب له بعدد من مات من ولد آدم، إلى أن تقوم الساعة حسنات اهـ. وظاهر الأول استغفار من لم يدخل مقبرته أيضًا وظاهر الثانى العموم فى عددهم أيضًا قال العلامة الأمير قوله ابن أبى شيبة هو من مشايخ البخارى وقوله روحًا منك بفتح الراء أى رحمة قال تعالى فروح وريحان اهـ. وفى الحديث عنه ﷺ **«من زار قبرى وجبت له شفاعتى»** وفى رواية **«من زارنى بالمدينة محتسبًا كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة»** ومعنى وجوب الشفاعة للزائر ثبوت شفاعة خاصة منه ﷺ لذلك الزائر لا دخوله فى العموم وهذا يستلزم البشرى بالموت على الإيمان ولا يخفى ما فى الإضافة من تمام التشريف فإن

الشفاعة تعظم بشرف الشافع وفى رواية للبيهقى «**من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ومن زارنى محتسبًا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة**» ويجب على الزائر تمام الأدب عند قبره الشريف ﷺ فإنه حى يشاهده قال العلامة السبكى حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم فى الدنيا يشهد لذلك صلاتهم فى قبورهم فإن الصلاة تستدعى جسدًا حيًا، وكذلك الصفات المذكورة للأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معهم كما كانت في الدنيا من الاحتياج للطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى اهـ. وظاهر عبارة المحقق المذكور تقتضى مساواة الشهداء للأنبياء في حياتهم في البرزخ، والذى ذكره فى الجواهر أن حياة الأنبياء فى البرزخ أقوى وأكمل من الشهداء ونصه لا شك أن حياة الأنبياء فى البرزخ أكمل من حياة الشهداء مع اعتقادنا ثبوت نحو السمع والبصر لكل ميت وعودة الحياة له كما ثبت نعيم القبر فى السنة وعذابه وإدراكهما مشروط بالحياة لكن يكفى حياة جزء يقع به الإدراك، ولا يتوقف على الحياة البينة، نعم الظاهر من الأدلة حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء وإذا علمت ذلك فيجب عليك حينئذ أن تكون فى غاية الأدب عند زيارته ﷺ حافظًا لصوتك وجلاً حزينًا على ذنوبك، وفى الشفاء بسند جيد عن ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين الإمام مالكًا -رضى الله تعالى عنه- فى مسجد رسول الله ﷺ فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قومًا فقال : ﴿**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ [الحجرات: ٢] ومدح قومًا فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات: ٣] الآية وذم قومًا فقال: ﴿**يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**﴾ [الحجرات: ٤] الآية وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل وجه رسول الله ﷺ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤] اهـ وقوله وهو وسيلة أبيك آدم ظاهر لما صحح الحاكم عنه ﷺ «**لما اقترف آدم الخطيئة**

قال يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا غفرت لى -أى إلا غفرت- فقال يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىّ إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» فهو ﷺ رحمة لجميع الخلق لاسيما لأمته فى حياته وبعد مماته كما فى الحديث عنه ﷺ «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم ومماتى خير لكم تعرض علىّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله تعالى عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم» والذى عليه الاعتماد والتحقيق أن الأنبياء أحياء فى قبورهم وأن النبى ﷺ يسر بطاعة أمته وينبغى للزائر مزيد التوسل به ﷺ فى إقالة ذنوبه به وعثراته كما كان يتوسل به فى حياته، قال فى المواهب اللدنية اعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلا الدرجات إلى أن قال: وينبغى لمن قصد زيارة قبره الشريف أن ينوى مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لأنه أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها وهو أفضلها عند مالك إلى أن قال: وينبغى لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ فى طريقه فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليردد الصلاة والتسليم عليه ﷺ وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها فى الدراين وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه ماشيًا باكيًا، قال: ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا إليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه، ولما وقع بصرى على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى صابت بعض الثرى والجدرات وأنشدت متمثلاً أقول عند حضرة الرسول:

أيها المغرم المشوق هنيئاً	ما أنالوك من لذيذ التلاقى
قل لعينيك تهملان سروراً	طالما أسعدتك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجًا	وجميع الأشجان والأشواق
ومر العين أن تفيض انهمالاً	وتوالى بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب	ما بقاء الدموع فى الآماق

قال: واستحبت الزيارة أولاً قال فى تحقيق النصرة وهو استدراك حسن، قال ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقًا قال ابن الحاج وكل ذلك واسع، وقال: ينبغى أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه وليكن مقتصد فى سلامه بين الجهر والأسرار وفى البخارى أن عمر -رضى الله عنه- قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضربًا ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ، قال: فيجب الأدب معه ﷺ كما فى حياته، قال: وينبغى للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة وإن جاء من جهة رجلى الصاحبين فهو أبلغ فى الأدب من الأتيان من جهة رأسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه ﷺ بأن يقابل المسمار الفضة المضروب فى الرخام الذى فى الجدار، قال شارحه الزرقانى وهو المسمار قد أزيل الآن وصار بدله شباك من نحاس أصفر يقابله الزائر، قال القسطلانى وقد روى أن مالكًا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسى يا أبا عبد الله أأستقبل رسول ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله -عز وجل- يوم القيامة، قال: وينبغى للزائر أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع ويلازم الأدب والخشوع والتواضع غاضًا البصر فى مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه فى حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو فى حال حياته إذ لا فرق بين موته وحياته فى مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلى لاخفاء به، قال وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم إلا ويعرض على النبى ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم، قال: ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام فى ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وأن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخى السرار تعظيمًا لما عظم الله شأنه قال ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح وإطراق، السلام عليك يا نبى الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى

أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله أفضل ما جازى نبيًا ورسولاً عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت فى الله حق جهاده، قال: ومن ضاق وقته عن ذلك فليقل ما تيسر منه قال وعن نافع عن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد قال شارحها أى فصلى ركعتين ثم أتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه، فقال القسطلانى: وينبغى أن يدعو ولا يتكلف السجع قال وعن الحسن البصرى قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودى يا هذا ما أذنا لك فى زيارة حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم، قال: وقد بلغنا أن من وقف عند قبر النبى ﷺ فتلا هذه الآية ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة، قال الشيخ زين الدين وغيره والأولى أن ينادى يا رسول الله وإن كانت الرواية يا محمد فإن أوصاه أحد بإبلاغ السلام إلىٰ النبى ﷺ فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبى بكر –رضى الله تعالى عنه– لأن رأسه يحذاء منكب النبى ﷺ فيقول السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من أيد الله يوم الردة به الدين جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– فيقول السلام عليك يا أمير المؤمنين السلام عليك يا من أيد الله به الدين جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً اللهم ارض عنه وارض عنا به قال الإمام المذكور ثم يرجع إلى موقعه الأول قبالة وجه سيدنا محمد رسول الله ﷺ بعد السلام على سيدنا أبى بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلى على النبى ﷺ ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة فى حضرته الكريمة ويسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبة نصوحًا ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله

ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه، قال: وفى الشفاء للقاضى عياض قال: رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت يا رسول هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال: نعم وأرد عليهم، قال: ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة معلومة مشتهرة ونبينا أفضلهم قال: وإذا كان كذلك فينبغى أن تكون حياته ﷺ أكمل وأتم انتهى. أسأل الله الكريم متوسلاً إليه بوجاهة نبيه العظيم أن يعطف علينا هذا القلب الرحيم وأن يمن علينا بزيارته مع القبول والتكريم، وفى الإمام الترمذى والنسائى -وقال: حسن صحيح- عن عثمان ابن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال ادع الله أن يعافينى قال: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**» فقال يا رسول إنه ليس لى قائد وقد شق علىّ «**فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة يا سيدنا يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فيقضى لى حاجتى اللهم شفعه فى**» وصححه البيهقى وزاد فقام فأبصر وقد ذكر الإمام ابن حجر فى الدر المنضود أنه ينبغى لمن وقع فى شدة أو حاجة طالبًا قضاءها من ذى إمارة أن يفعل ذلك فيقضى الله حاجته، وروى أبو سعيد السمعانى عن على -رضى الله تعالى عنه- قال: قدم علينا أعرابى بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبره وحثا على رأسه من ترابه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤] الآية وقد ظلمت وجئتك تستغفر لى فنودى من القبر إنه قد غفر لك، ومن ذلك المعنى ما ذكره الإمام العتبى قال: كنت جالسًا عند قبر النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية وقد جئتك مستغفرًا من ذنوبى متشفعًا إلى ربى وأنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال: ثم انصرف فحملتنى عيناى فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال يا عتبة الحق الأعرابى فبشره أن الله غفر له، ولا شك أن الزيارة يحصل بها السرور لرسول الله ﷺ وينشأ من ذلك النفع العميم للزائر، ومما يدل لذلك ما رواه ابن عساكر بسند

جيدًا عن أبى الدرداء فى قصة بلال ابن رباح وكان مقيمًا بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله ﷺ فرأى النبى ﷺ منامًا وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورنى فبات حـزينًا خائفًا فركب راحلتـه وقصد المدينة فحـين وصل القبر الشريف صار يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهمـا، فقالا له: نشتهى نسـمع أذانك الذى كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ فى المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفـه الذى كان يقف فيه فلما أن قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشـهد أن لا إله إلا الله زادت رجتها فلما أن قـال أشهد أن محمـدًا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقلن بعث رسـول الله ﷺ فما رأينا يومًا أكثر باكيًا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم فإذا علمت ذلك علمت أن الزيارة وصلة مع الحبيـب، وقد وقع لبعض العارفين مخـاطبته له ﷺ ورده عليه (ومن) ذلك المعنى ما ذكره بعض الـعارفين عن القطب الرفاعى فى حالة زيارته للقبر الشريف من قوله:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها — تقـبل الأرض عنى وهـى نائبـتى

وهذه دولة الأشـباح قـد حضـرت — فامدد يمينك كى تحصى بها شفتى

فمد يده الشـريفة فقبلها، والزيارة إمـا ماشيًا أو راكبًـا على قدر الطاقة والمشى أفضل عند الاستـطاعة لقوله ﷺ **«من اغـبرت قدمـاه فى سبـيل الله غفـر له»** والمراد بسبيل الله مطلق الطاعة كما ذكر ذلك الفقهـاء فى السعى للعيد والجمعة والاغبرار عادة وإنمـا يكون بالمشى فهـو مجـاز مرسل من إطلاق المسـبب على السبـب وأما أفضلية الركوب فى الحج فلفعله ﷺ وإلا فقد ورد أن الملائكة تصافح ركاب الإبل وتعانق المشاة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(خاتمة)

تتعلق بانتـقاله ﷺ لدار البقاء والتكريم وتشـريفه بخصائص الزلفى فى مـشهد مشاهد الأنبيـاء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحـمود، وانفراده بالسودد فى مجمع الأولين والآخـرين وترقيه فى جنات عدن أرقى مدارج السعـادة وتعاليه فى يوم المزيد أعلى معالى الحسنى وزيادة، قال فى المواهب اللدنية فى فصل وفاته ﷺ اعلم وصلنى الله وإياك بحبل تأييـده وأوصلنا بلطفه إلى مقام توفيـقه وتسديده أن

هذا الفضل مضمونه يسكب المدامع من الأجـفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان، قال ولما كان الموت مكروهًا بالطبع لما فيه مـن الشدة لم يمت نبى من الأنبياء حتى يخـير وأول مـا علم النبـى ﷺ باقتـراب أجله بنزول سـورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فـإن المراد من هذه السورة أنك يا محمـد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس فى دينك الذى دعـوتهم إليه أفواجًا فقـد اقترب أجلك فتـهيأ للقائنا بالتـحميـد والاستغفـار فإنه قد حصـل منك مقصود مـا أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة إلينا، وهذه آخر سورة نزلت عليه يوم النحـر بمنى فى حجة الوداع وعـاش بعدها قيل أحد وثمـانين يومًا وعن ابن عباس تسع ليال قال: وفى الطبرانى عن ابن عباس لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه فأخذ بأشد ما كان قط فى أمر الآخرة، قال وعن أبى سعيد الخدرى أن رسـول الله ﷺ جلس على المنبر قال الشارح وكان قبل وفاته بخمس ليال فقال «**إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فـاختار مـا عنده**» فبكى أبـو بكر -رضى الله عنه- وقال يا رسـول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال أى أبو سعيد فعجبنا له وقال الناس أنظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبـد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا مـا شاء وبين ما عنده وهو يقـول فديناك بآبائنا وأمـهاتنا قـال: أى أبو سعـيد فكان رسـول الله ﷺ هو المخير، وكان أبـو بكر أعلمنا به، فقال النبى ﷺ: «**إن أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبـو بكر فلو، كنت متـخذًا من أهل الأرض لاتخـذت أبا بكر خليلاً ولكـن أخوة الإسـلام لا تبـقى فى المسجـد خـوخـة إلا سدت إلا خـوخـة أبى بكر**» رواه البـخارى ومسلم، قـال الحافظ ابن رجب وكـان ابتداء مـرضه ﷺ فى أواخر شـهر صـفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا فى المشهور، وقال وأول مرضه ﷺ كان صداع الرأس، قال والظاهر أنه كان مع حمى فإن الحـمى اشتدت فى مرضه فكان يجلس فى مخضب ويصب عليه الماء من سبع قـرب لم تحلل أو كيتهن يتبرد بذلك، وفى البخارى قالت عائشة: لما دخل بيـتى واشتد وجعه قال «**أهريقوا علىّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتـهن لعلى أعهد إلى الناس**» فأجلسناه فى مخـضب لحفصة زوج النبى ﷺ ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، قال ولعل الحكمـة فى هذا العدد أن له خاصـية فى دفع ضرر السم والسـحر يدل

عليه رواية عروة عنه ﷺ قال: «**ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبرة فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم**» والأبهر عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه ولذلك كان ابن مسعود وغيره من أكابر الصحب يرون أنه ﷺ مات شهيدًا من السم فعلم من ذلك أنه ﷺ اشتد عليه مرض الموت من وجوه ثلاثة صداع وحمى أثر السم السابق ولعل الحكمة فى ذلك زيادة الكمال والدرجات يدل له حديث البخارى عن عبد الله قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا قال: «**أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قلت ذلك أن لك أجرين قال: «**أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**» والوعك بفتح الواو وسكون العين ألم الحمى وقيل أبو هريرة ما من وجع يصيبنى أحب إلىّ من الحمى إنها تدخل فى كل مفصل من ابن آدم يعطى كل مفصل قسطًا من الأجر وفى رواية الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان قالت: أتيت النبى ﷺ فى نساء تعوده فإذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال: «**إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» يروى أنه كان ﷺ عنده فى مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها فى كفه وقال «**ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده ثم تصدق بها كلها**» رواه البيهقى، قال القسطلانى انظر إذا كان سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف حال من لقى الله وعنده دماء المسلمين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف حال من لقى الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى، وفى البخارى عن عائشة قالت: دعا النبى ﷺ فاطمة فى شكواه الذى قبض فيه فسارها بشىء فبكت ثم دعاها فسارها بشىء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت: سارنى النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهله يتبعه فضحكت، وفى رواية عن عائشة أيضًا قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا برسول الله ﷺ فى قيامها أو قعودها من فاطمة وكانت إذا دخلت على النبى ﷺ قام إليها وقبلها وأجلسها فى مجلسه وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه فقبلته واتفقت الروايتان على أن الذى سارها به أولاً فبكت هو إعلامه أباها بأنه ميت من

مرضه ذلك واختلفتا فيما سارها به فضحكت، ففى رواية عروة أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقًا به، وفى رواية مسروق أنه إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة وجعل أول أهله لحوقًا به مضمونًا إلى الأول أى الذى سارها به وهو إخباره ﷺ إياها بأنه ميت من مرضه، قال وهو الراجع فإن مسروق يشتمل على زيادات ليست فى حديث عروة وهو من الثغاة الضابطين فما زاده مسروق قول عائشة فقلت ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ حتى توفى النبى ﷺ فسألتها فقالت: أسر إلى أن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة وإنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى وأنك أول أهل بيتى لحاقًا بى، قال وفى رواية الطبرانى عن عائشة أنه قال لفاطمة: **«إن جبريل أخبرنى أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزنة منك فلا تكونى أدنى امرأة منهن صبرًا»** قال وفى الحديث أخباره ﷺ مما سيقع فوقع كما قال ﷺ فإنهم اتفقوا على أن فاطمة -رضى الله عنها- أول من مات من أهل بيت رسول الله ﷺ بعده حتى من أزواجه عليه الصلاة والسلام وقال لما اشتد به وجعه عليه الصلاة والسلام قال: **«مروا أبا بكر فليصل بالناس»** فقالت له عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال: **«مروا أبا بكر فليصل بالناس»** فعاودته مثل مقالتها فقال **«إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس»** رواه الشيخان قال وصواحبات جمع صاحبة والمراد أنهن مثل صواحب يوسف فى إظهار خلاف ما فى الباطن فإن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يسمع الناس القراءة لبكائه، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هى بذلك عند البخارى فى باب وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت لقد راجعته وما حملنى على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدًا، وفى البخارى قال مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى ﷺ منا فدخل أحدهما على النبى ﷺ فأخبره بذلك فخرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **«أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»**،

وقوله كرشى وعيبتى قال الشارح بفتح الكاف وكسر الراء والشين المعجمة وعيبتى بفتح العين وفتح الموحدة أراد بطانته أى موضع سره وأمانته، قال وفى صحيح ابن حبان عن عائشة قالت: أغمى على رسول ﷺ ورأسه فى حجرى فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال: «**أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل**» قال وظاهره أن الرفيق المكان الذى تحصل المرافقة فيه مع المذكورين، وقال ابن الأثير فى النهاية الرفيق جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وقيل المراد به الله تعالى رفيق بعباده، وقيل حظيرة القدس، قال: ولما احتضر صلى ﷺ اشتد به الأمر قالت عائشة: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبى ﷺ، قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت، وفى رواية فجعل لا إله إلا الله إن للموت سكرات، قال بعض العلماء إن ذلك لشدة الآلام والأوجاع لرفعة منزلته وقيل طربًا وفرحًا بلقاء ربه ألا ترى إلى قول بلال حين قال له أهله وهو فى السياق واحزناه ففتح عينيه وقال واطرباه غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه فما بالك بلقاء النبى ﷺ ربه تعالى ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧] وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه ويؤيده الأول رواية الإمام البخارى بقوله ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة -رضى الله تعالى عنها- واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم انتهى. قال الخطابى والمراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من شدة الموت وكان عليه الصلاة والسلام فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر انتهى. وفى البخارى من حديث أنس بن مالك أن المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى بهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، وفى رواية عند البخارى فى الصلاة فتوفى من يومه ذلك، وفى رواية البخارى أيضًا عن أنس لم يخرج إلينا

ﷺ ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله ﷺ بالحجاب فرفعه فلما وضح له وجه رسول الله ﷺ فما نظرنا منظرًا قط كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح لنا قال فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبى بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب، ورواه مسلم أيضًا قال وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بإنه ﷺ مات حين زاغت الشمس، وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقى من أجل الرسول ﷺ ثلاث نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد إن الله قد أرسلنى إليك إكرامًا لك وتفضيلاً لك وخاصة لك ليسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مغمومًا وأجدنى يا جبريل مكروبًا ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن فيه ملك الموت، قال الشارح أى فى اليوم الثالث وجبريل عنده فى الدخول فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على نبى قبلك ولا يستأذن على نبى بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله إن الله -عز وجل- أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمر إن أمرتنى أن أقبض روحك قبضتها وإن أمرتنى أن أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك قال ﷺ فامض يا ملك الموت لما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئى من الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا فقبض روحه انتهى، فلما توفى رسول الله ﷺ وجاؤه من التعزية سمعوا صوتًا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفًا من كل هالك ودركًا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال على أتدرون من هذا هو الخضر عليه الصلاة والسلام رواه البيهقى فى دلائل النبوة، وذكره الإمام الغزالى فى الأحياء عن ابن عمر رواه ابن أبى الدنيا عن أنس، ورواه الحاكم فى المستدرك قال البيهقى وقوله فى الحديث السابق إن الله اشتاق إلى لقائك معناه قد أراد لقاءك بأن يردك من دنياك إلى معادك زيادة فى قربك وكرامتك قال ولما توفى رسول الله ﷺ كان أبو بكر غائبًا بالسنح يعنى العالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له فى الذهاب إليها فسل عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات

رسول الله ﷺ يقول إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إنى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم فأقبل أبو بكر من السنح حين بلغهز الخبر إلى بيت عائشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكى ويقول توفى والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيًا وميتًا وفى حديث ابن عباس عند البخارى أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان يعبد محمدًا فإن محمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت قال الله -عز وجل- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِه الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس من كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها وفى حديث ابن عمران أن أبا بكر مر بعمرو وهو يقول ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال: وكانوا أظهروا الاستبسار ورفعوا رؤسهم فقال: يا أيها الرجل أن رسول الله ﷺ قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] الآية ثم أتى المنبر قال القرطبى الإمام المفسر وفى هذا أدل دليل على شجاعة الصديق فإن الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبى ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه حين قال الناس لم يمت رسول الله ﷺ واضطرب الأمر فكشف الصديق بهذه الآية ما نزل بهم ولما صعد على المنبر تشهد وصلى على نبيه، ثم قال أما بعد إلى أن قال ولكنى كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا أى يكون آخرنا موتًا أو كما قال فاختار الله -عز وجل- لرسوله الذى عنده على الذى عندكم وهذا الكتاب هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله ﷺ، وقال الإمام ابن المنير لما مات ﷺ طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، وكان عمر ممن خبل وعثمان ممن أخرس وعلىّ ممن أقعد وكان أثبتهم أبو بكر -رضى الله تعالى عنه- جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبى ﷺ فأكب عليه

وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيًا وميتًا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبلك، وفى رواية عن عائشة أن أبا بكر دخل على النبى ﷺ بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال: وانبياه واصفياه واخليلاه قال، وقالت فاطمة عند وفاته يا أبتاه أجاب ربًا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه مَن إلى جبريل فنعاه، قال الحافظ ابن حجر الصواب من إلى جبريل نعاه، قال وقد عاشت فاطمة -رضى الله عنها- بعده ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك، قال وأخرج أبو نعيم عن على قال لما قبض رسول الله ﷺ صعد ملك الموت باكيًا إلى السماء والذى بعثه بالحق لقد سمعت صوتًا من السماء ينادى وامحمداه، قال وكان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاءه أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فإن رسول ﷺ أسوة حسنة قال الإمام القسطلانى ويعجبنى قول القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلد   **واعلم بأن المرء غير مخلد**
واصبر كما صبر الكرام فإنها   **نوب تنوب اليوم تكشف فى غد**
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها   **فاذكر مصابك بالنبى محمد**

(روى) أن بلالاً كان لما كان يؤذن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وقبل دفنه فإذا قال أشهد أن محمدًا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك بلال الأذان، قال: وقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف ووقت دخوله المدينة فى هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء وهو الذى عليه الجمهور وقيل غير ذلك، والذى تولى غسله على والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث على «**لا يغسلنى إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتى إلا طمست عيناه**» رواه البزار والبيهقى، وفى رواية للبيهقى غسل علىٌّ النبى ﷺ فكان يقول وهو يغسله بأبى أنت وأمى طبت حيًا وميتًا، وفى رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط، قال الإمام القسطلانى قيل جعل علىّ على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطو مساجده ومفاصله ووضؤا منه ذراعيه

ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً ونداً، وفى حديث عائشة كفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب سحولية بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، وقوله سحولية بفتح السين نسبة إلى سحول قرية من اليمن، وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أى ليس فى الكفن ذلك أصلاً، وقيل معناه فى ثلاثة أثواب ما عدا القميص والعمامة فيكون كفن فى خمسة، قال النووى مرجحًا للأول فى شرح مسلم والصواب أن القميص الذى غسل فيه النبى ﷺ نزع عنه عند تكفينه قال لأنه لو أبقى مع رطوبته لأفسد الأكفان، وأما رواية فى ثلاثة أثواب وقميصه الذى توفى فيه فحديث ضعيف، وفى حديث عباس لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء وهو موضع على سريره فى بيته، ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان ولمْ يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد. اهـ، قال الشارح الزرقانى أخرج الترمذى أن الناس قالوا لأبى بكر أنصلى على رسول الله ﷺ قال: نعم وكيف نصلى قال يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يدعون فرادى، قال: قال عياض فى شرح مسلم الذى عليه الجمهور أن الصلاة عن النبى ﷺ كانت صلاة حقيقية لا مجرد الدعاء فقط وما احتج به الأقلون من أن المقصود من الصلاة عليه عود التشريف على المسلمين يرده أن الكامل يقبل زيادة التكميل، قال نعم لا خلاف أنه لم يؤمهم أحد عليه لقول على هو إمامكم حيًا وميتًا فلا يقول عليه أحد. اهـ، قال الإمام القسطلانى وفى رواية أن أول من صلى عليه الملائكة أفواجًا ثم أهل بيته ثم الناس فوجًا فوجًا ثم نساؤه آخرًا، قال: وروى أنه لما صلى أهل بيته قال الشارح أى أرادوا الصلاة فلم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن مسعود فأمرهم بأن يسألوا عليا فقال لهم قولوا ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب:٥٦] الآية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلاة الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شىء يا رب العالمين على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول العالمين الشاهد البشير الداعى إليك بإذنك السراج المنير، قال ذكره فى كتاب تحقيق النصرة، قال الشارح الزرقانى ولعل حكمة الأمر بهذه الآية تذكيرهم بالصلاة والسلام عليه فى هذا الموطن لبيك اللهم

ربنا إجابة لك بعد إجابة فيما أمرتنا به من الصلاة والسلام عليه وسعديك أى إسعاد بعد إسعاد، ثم بعد الصلاة اختلفوا فى موضع دفنه فقال قوم فى البقيع وقال آخرون فى المسجد وقال قوم يحمل إلى أبيه إبراهيم حتى قال العالم الأكبر صديق الأمة سمعته ﷺ يقول **«ما دفن نبى إلا حيث يموت»** كما فى رواية الموطأ، وفى رواية **«لا يدفن إلا حيث تقبض روحه»** فقال على وأنا أيضًا سمعته فحفر أبو طلحة لحد رسول الله ﷺ فى موضع فراشه حيث قبض، وقد اختلفت فيمن أدخله قبره، قال وأصح ما روى أنه نزل فى قبره عمه العباس وعلى وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، جاءت فاطمة -رضى الله تعالى عنها- فقالت كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليًا

صبت علىّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

قال الشارح الزرقانى وقولها كيف طابت نفوسكم قال الحافظ أشارت بهذا إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لما تعرفه منهم من رقة قلوبهم عليه وشدة محبتهم وعدم اقتدارهم على فراقه فسكتوا عن جوابها رعاية لها ولسان حالهم يقول لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرنا على فعل ذلك امتثالاً لأمره، قال والغوالى فى البيت بمعجمة جمع غالية أخلاط من الطيب انتهى. قال فى المواهب فإن قلت إنه ﷺ توفى يوم الاثنين ودفن يوم الأربعاء أى قبيل الفجر فلم أخر دفنه عليه الصلاة والسلام وقد قال لأهل بيت كانوا أخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه قال: والجواب أن التأخير إما لأنهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن إما لأنهم اشتغلوا فى أمر الخلافة فنظروا فيها حتى استقر الأمر فيها لصديق الأمة فبايعه أول يوم طائفة من المهاجرين والأنصار ثم بايعه الجميع بالغد بيعة أخرى على ملاء منهم وكشف الله للصديق الكربة من أهل الردة وغيرهم بعد المبايعة ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبى ﷺ فنظروا فى دفنه فغسلوه وكفنوه، قال أنس ما رأيت يومًا أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ، قال وفى رواية للترمذى لما كان اليوم الذى

دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء، قال الشارح أى بسبب حلوله فيها ورواية البخارى ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله ﷺ اهـ قال الترمذى فلمـا كان اليوم الذى مات فيه أظلم منهـا كل شىء وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفى دفنه حـتى أنكرنا قلوبنا، قال ومن آياته عليه الصـلاة والسلام بعد موته ما ذكـر من حزن حماره عليه يعنى يعفور حتى تردى فى بئـر وكذا ناقته فإنهـا لم تأكل ولم تشـرب حتى ماتت، قـال وفى حديث أبى مـوسى فى رواية مسلم عنه أنه ﷺ قال إن الله إذا أراد بأمة خـيرًا قبض نبيها قبلها فـجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره وإنما كان قبض النبى ﷺ قبل أمته خيرًا لأنهم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم وإذا أراد الله بهم خيرًا جـعل خيرهم مستمرًا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلاً بعد نسل وعقبًا بعد عقب، قال ولما قبض ﷺ تزينت الجنان ليوم قـدوم روحه الكريمة، قال: إذا كان عرش الرحـمن قد اهتز بموت بعض أتبـاعه فرقًا واسـتبشارًا لقـدوم روحه فكيف بقدوم روح الأرواح، أسأل الله العظيم متوسلاً إليه بهذا النبى الكريم وبنور وجهه الذى ملأ أركـان عرشه أن يزرع فـى قلوبنا معرفـته ومحـبتـه وأن يجعل أرواحنا سابـحات فى عـالم الملكوت مع الذين أنعم الله عليـهم من النبيـين والصديقـين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الثانى: فى الأوقات التى يتأكد فيها طلب الزيارة

(اعلم) أنه قد تقـدم لك أن الأصل فيها الندب ويتأكـد ذلك فى الأوقات التى ورد الأمر فيها بـالخصوص عشية الخميس إلى طلوع الشـمس من يوم السبت فيوم الخميس من الزوال ملحق بيوم الجمعة، ولما قاله الإمام القرطبى عن بعض العارفين أن الأموات يعلمون بزوارهم عـشية الخميس ويـوم الجمعة بتمـامه وبكرة السبت، قال ولذلك تستحب زيارة القبور فى هذه الأوقـات المخصوصة انتهى، ولعل مراده بالاستـحباب أنه يتأكـد فيهـا لا أصل الطلب وإلا اقتضى عـدم الطلب أصلاً فى غيرها، قال الضحاك من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته

فقيل له وكـيف ذلك لمكانة قربه من يوم الجمعة، وكان مـحمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغنى أن الموتى يعلمون بليلة الجمعة ويومها، وفى أسـئلة الداودى أنه قال تنزل الأرواح يوم الجمعة وليلة الجـمعة وليلة الاثنين وتعرف مـا يقال لها اهـ والمراد بنزولها حـضورها حيث كانت سـارحة فى السمـاء أو غيرها فلا ينافى مـا تقدم من أن الأصح على ما ذهب إليـه ابن العربى أنها بأفنية القبـور، قال المحقق الجلال فى بشرى الكئيب قـال اليافعى مذهب أهل السنة أن أرواح الموتـى ترد فى بعض الأوقـات من عـليـين أو من سـجـين إلى أجسـادهم فى قبـورهم عند إرادة الله تعـالى وخصوصـًا ليلة الجـمعة ويجـلسون يتـحدثون وينعم أهـل النعيم ويعـذب أهل العـذاب، قال ويختـص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب مادامت فى عليـين أو سجين، وفى القبر يشترك الروح والجسد اهـ قلت والتحقـيق ثبوت ذلك لها مع الجسد مطلقًا كما تقـدم تحقيقه عن المحقق ابن حجـر وابن القيم من اتصالها بمـحالها ولو فى عليين فـلا تغفل، قال الحافظ فى كتابه المذكـور وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب القبـور عن عائشة قالت قال رسول ﷺ **«ما من رجل يزور قبـر أخيه ويجلس عليه إلا استـأنس به حتى يقوم»** وأخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفـه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عـليه رد عليه السلام، ورواية لابن عبد البـر مثلها، وفى الأربعين الطائيـة روى عن النبى ﷺ أنه قال **«آنس ما يكون الميت فى قبـره إذا زاره من كـان يحبـه فى دار الدنيـا»**، وأخرج ابن أبى الـدنيا والبيهـقى فى الشعب عن محمد بن واسع قـال: بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويومًا قبله ويومًا بعده، قال ابن القيم الأحاديث والأخبار تدل على أن الزائر متى جـاء علم به المزور وسمع كلامه وأنس به ورد عليـه وهذا عام فى حق الشهداء وغـيرهم وأنه لا توقيت فى ذلك، قال وهو أصح مـن أثر الضحاك الدال على التوقيت وقد شرع ﷺ لأمته أن يسلمـوا على القبور سلام من يخاطبونه ممن يسمع ويعـقل انتهى. وقال فى «كنز الأسـرار»: إن الأرواح يزور بعضهم بعـضًا، قال بعض العـارفين من آل عاصم الجـحدرى رأيت عـاصمًا فى منامى بعـد موته بسنين فقـلت أليس قدمت قال بلى قلت فـأين أنت فقـال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع فى كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبى بكر

بن عبـد الله المزنى بمحلة، قـال أرواحكم أم أجسـامكم قال هيـهات هيـهات إنما الإطلاق للأرواح قال فقلت: هل تعلمون بزيارتنا إياكم قـال: نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجـمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قـال: فقلت كيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: بفـضل الجمعة وعظمهـا، وفى الحديث عن النبى ﷺ **«من زار أبويه كل جـمعة غـفرله وكـتب بارًا»** وفى تذكرة الإمام القـرطبى عنه ﷺ قال: **«من مـر على المقـابر وقـرأ قل هو الله أحـد إحـدى عشـرة مـرة أعطى من الأجـر بعـدد الأموات»** والتخصيص فى الأوقات المذكورة دون غيـرها لا ينافيه ما ذكره صاحب البيـان أنه قد ورد أن الأرواح بأفنية القـبور وأنها تطلع برؤيتـها وأن أكثـر اطلاعه عشيـة الخميس ويوم الجمـعة وبكرة السبت إلى طلوع الشمس لحـضورها فى تلك الأوقات جزمًا وعلمها بالزائر كما يفيده قوله أكثر اطلاعها ولما تقدم لك من اختيار ابن عبد البر وابن العربى وهى طريقة الجمهور من كونها بأفنية القبور لا ينافى أنها تسرح حيث شاءت كما هو قول مالك فـالتخصيص بتلك الأوقات لعله لحضورها فيها جزمًا مع احتماله فى غيرها بفخامـتها وفضلها كما هو مفاد تعليل التخصيص السابق للإمـام القرطبى، ولذلك قال العلامـة الأمير على الشيخ عبـد الباقى عند قوله زيارة القـبور بلا حد أى بيوم مـعين، وإلا فقالوا أفـضله الجمعة ويوم قـبلها ويوم بعدها لغلبة مـلازمة الأرواح للقبور فيـها وأجازوا التبرك بحـمل تراب قبور الصلحاء انظر البنانى والسيـد انتهى. وقال بعض العارفين من أراد المخـاطبة جزمًا فى غير الأوقات السـابقة فليقرأ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ إحدى عشرة مـرة والفاتحة مرة ويجعل ذلك فى صحيفة المزور فلابد من حضـوره ومخاطبته وعلمه به فيتوسل به إلى مولاه فيما أراد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث: فيما ينبغى للحى فعله وقت الزيارة وما لاينبغى

اعلم أن كيفية الزيارة المستحبة كمـا ذكره المحققون من العلماء أن يكون متوضئًا رجاء لقبول دعائه لنفسه وللميت على الوجه الأكمل، وأن يقف عند ابتداء دخوله مستقبـلاً لوجه الميت مع استدباره القبلة ثم يلقى السلام عليـه وبعضهم يقول يقف مستقبلاً للقبلة والقبر أمـامه أو على يمينه أو على يساره، وقال العزيزى فى شرحه على الجامع الصـغير يسلم عليه مـستقبلا مـستدبرًا القبلـة وحالة الدعاء يستقـبلها

انتهى. أقول: ولا يخفى عليك أن هذا الخلاف فى غير زيارة القبر الشريف وأما هو فقد سبق لك فى حديث الشفاء رواية المواهب أنه يستقبل الوجه الشريف عند الدعاء وهو مذهب جمهور أهل السنة، قال فى المواهب فعند الشافعية أنه قبلة وجهه ﷺ، وقال ابن فرحون من المالكية اختلف أصحابنا فى محل الوقوف للدعاة قال ففى الشفاء قال مالك فى رواية ابن وهب إذا سلم على النبى ﷺ يقف للدعاء وجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة، قال وقد سأل الخليفة المنصور مالكًا فقال يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام إلى الله يوم القيامة، قال الإمام الزرقانى قوله ولم تصرف وجهك عنه أى مقابلته ومواجهته حال الدعاء وهو وسيلتك أى السبب المتوسل به إلى إجابة الدعاء وكنى بآدم عن جميع الناس أى وهو الشفيع المشفع المتوسل به إلى الله يوم القيامة، قال وهذا إشارة إلى حديث الشفاعة العظمى وإلى ما ورد أن الداعى إذا قال اللهم إنى أستشفع إليك بنبيك يا نبى الرحمة اشفع لى عند ربك استجيب له اهـ. وبعضهم يقول: إنما أمر الإمام مالك المنصور بذلك عند الدعاء لأنه يعلم ما يدعو به ويعلم آداب الدعاء بين يديه ﷺ فأمن عليه من سوء الأدب فأفتاه بذلك، وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا بأن لا يدعوا تلقاء وجهه الكريم ويتوسلوا به فى حضرته إلى الله العظيم فيما لا ينبغى الدعاء به، وهذا لابن تيمية قال الإمام الزرقانى أما الدعاء عند القبر الشريف مستقبلاً وجه النبى ﷺ فهو ما عليه الجمهور ومن الشافعية والمالكية والحنفية على الأصح عندهم، كما قال العلامة الكمال ابن الهمام باستحباب استقبال القبر الشريف واستدبار القبلة لمن أراد الدعاء، قال وأما فى غير هذا الموطن فيستقبل القبلة لأن استدبارها خلاف الأدب اهـ. وأما تقبيل القبر الشريف فمكروه قال فى المواهب وأما قول البوصيرى فى بردة المديح:

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه … طوبى لمنتشق منه وملتثم

قال شارحها العلامة ابن مرزوق وأقل ذلك بتعفير جبهته وأنفه بتربته حال السجود فى مسجده عليه الصلاة والسلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فإنه مكروه قال العلامة الشبراملسى فى حاشية المواهب وعبارة شيخ مشايخنا العلامة

الرملى على المنهاج نصها ويكره أن يجعل على القبر مظلة وأن يقبل التابوت الذى يجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الاعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء، نعم إن قصد بتقبيله التبرك لا يكره كما أفتى به الوالد رحمه الله فقد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر سن له أن يشير بعصا وأن يقبلها. ولا مرية حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلا للتبرك فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك، فيحمل ما قاله العارف على هذا المقصد لاسيما وأن قبره الشريف روضة من رياض الجنة قال فى المواهب ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الإسلام أن قبره عليه الصلاة والسلام روضة من رياض الجنة، بل أفضلها وإذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذى هو أطيب الطيب فلا مرية أنه لاطيب يعدل تربة قبره المقدس قال ويرحم الله أبا العباس؛ حيث يقول فى قصيدته التى أولها:

إذا ما حدا الحادى بأجمال يثرب ... فليت المطايا فوق خدى تعنق

إلى أن قال:

فما عبق الريحان إلا وتربها ... أجل من الريحان طيبا وأعبق

وله أيضًا:

راحت ركائبهم تبدى روائحها ... طيبا فيا طيب ذاك الوفد أشباحا

نسيم قبر النبى المصطفى لهم ... روض إذا نشروا من ذكره فاحا

قال وقد جاء فى الحديث أن المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها، فكانت بهذا تربة المدينة أفضل الترب كما أنه هو عليه الصلاة والسلام أفضل البشر فلهذا يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان ا هـ. ويقف أو يجلس معتبرا حزينا ولا يدور حوله فيكره له ذلك، وبعضهم يقول بتجريمه، ومثل ذلك التقبيل للقبر والتمسح به والرجوع بالقهقرى عند الخروج قال فى «كنز الأسرار» فإن ذلك كله من فعل النصارى مع أصنامهم، ولا يقبل الأعتاب إلا لقصد التبرك فلا بأس به كما قال القطب الشعرانى، قال العلامة الأجهورى وهل يجوز القرب من الولى عند الزيارة أولا الظاهر أن ذلك يختلف باختلاف مقامات الزائرين ومقامات

المزورين قال وأجاز بعضهم تقبيل الأعتاب والمقاصير إذا كان عند الزائر حسن اعتقاد ولم يكن مقتدى به ا هـ وعن الإمام القضاعى ما يفيد تفصيل العلامة الأجهورى بين الزائر والمزور، ولفظه قال أبو موسى دخلت إلى ضريح السيدة نفيسة ووضعت يدى على الضريح وإذا بقائل من داخل القبر يقول أهكذا يدخل على أهل بيت النبوة وكذلك تمريغ الخد على الأعتاب ما لم يكن على هيئة السجود والإحرام ولم يكن مكفرًا لعدم قصد العبادة والسجود للمخلوق، وإنما هو من شدة التعلق بمحبة أعتابهم وما يقع من بعض العوام من قولهم يا سيدى فلان مثلا إن قضيت لى كذا أو شفيت لى مريض فلك على كذا فهو من الجهل بالسنة بكيفية الطلب ولكن لا يعد ذلك كفرا لأنهم لا يقصدون بذلك الإيجاد من الولى وإنما يجعلونه فى نياتهم وسيلة إلى مولاهم حيث كان المتوسل به فى اعتقادهم من أهل القرب والمحبة للخالق ألا ترى أنهم يكررون فى أثناء كلامهم يا صاحب النفس الطاهر عند ربك أطلب لى من مولاك يفعل بى كذا فإن ذلك دليل منهم على انفراد الله بالفعل وأنه لا شىء للولى إلا مجرد التسبب، وأنه لا يرد المتوسل به لأن القريب المحبوب لا يرد فيما طلب، فهو من باب قوله ﷺ **«رب رجل أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره»** وقد ذكر بعض العارفين أن الولى بعد موته أشد كرامة منه فى حال حياته لانقطاع تعلقه بالمخلوق وتجرد روحه للخالق فيكرمه الله بقضاء حاجة المتوسلين به، ثم بعد كتبى هذا رأيته منصوصا بالمعنى للعلامة ابن حجر ولفظه الاستغاثة به ﷺ وبغيره من الصالحين ليس لها معنى فى قلوب المسلمين إلا التوسل إلى الله تعالى بهذا المتوسل به لعلو قدره ومكانته وجاهه وكرامته على مولاه وأنه لا يخيب السائل به والمتوسل بجاهه فهو تعالى مستغاث به فى الحقيقة والغوث منه خلقًا وإيجادًا والمتوسل به أيضا تسببًا وكسبًا، وقد يكون معنى التوسل طلب الدعاء منه وذلك بالنسبة للنبى إذ هو حى يعلم سؤال من سأله قلت وكذلك الشهداء والأولياء قياسا على ما تقدم من حياة الأولياء والشهداء عن صاحب الجواهر، ويفيده أيضا ما نقله العارف الشهاب العجمى عن شيخ الإسلام الشهاب الرملى الأنصارى من أن الاستغاثة جائزة بهم بعد موتهم كحياتهم ولفظه سئل شيخ الإسلام الرملى عما يقع من العامة عند

الشدائد يا شيخ فلان ونحو ذلك فهل للمشايخ إغاثة بعد موتهم فأجاب بأن الاستغاثة بالأولياء والأنبياء والصالحين والعلماء جائزة فإن لهم إغاثة بعد موتهم كحياتهم فإن معجزات الأنبياء كرامة للأولياء ا هـ. وقال العارف الشعرانى فى كتابه بهجة النفوس والأسماع عند نقله لمزايا الكمال التى خص الله بها بعض أحبابه العارفين ومنها شدة قربهم من رسول الله ﷺ كل وقت فلا يكاد يحجب عنهم فى ليل أو نهار حتى أن بعضهم صحح عدة أحاديث عنه ﷺ قال بعض الحفاظ بضعفها من طريق النقل الظاهر فتفوت بذلك عنده، قال وقد أدركت جماعة ممن لهم هذا المقام منهم سيدى على الخواص وسيدى على المرصفى وأخى أفضل الدين والشيخ جلال الدين السيوطى والشيخ نور الدين الشونى والشيخ محمد الصوفى ببلاد الفيوم رضى الله عنهم أجمعين، قال وكان الشيخ نور الدين الشونى يشاور رسول الله ﷺ فى أموره ومن حملة ما شاوره فيه حفر البئر التى فى زاويتنا فإننا حفرنا ثلاثة آبار وهى تطلع فاسدة وماؤها متن فقال له ﷺ قل لهم يحفروا فى باب الحوش ففعلنا فطلعت بئرا عظيمة وماؤها حلو فالحمد رب العالمين اهـ. وفى المواهب اللدنية وينبغى للزائر له ﷺ أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله فيه، قال واعلم أن الاستغاثة هى طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه أو التجوه لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناهما علو القدر والمنزلة، قال ثم إن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشنع والتوجه بالنبى ﷺ كما ذكره فى تحقيق النصرة واقع فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا ﷺ وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة، فأما الحالة الأولى فحسبك استشفاع آدم به عليه الصلاة والسلام لما أخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد فى أهل السموات والأرض لشفعناك، وفى رواية عند احاكم والبيهقى وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك قال ويرحم الله الإمام ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ... ونجى فى بطن السفينة نوح

وما ضرت النار الخليل لنوره ... ومن أجله نال الفداء ذبيح

وأما التوسل به بعد خلقه فى مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عند القحط وعند عدم الإمطار والاستغاثة به عند الجوع وإغاثة ذوى العاهات، قال ومما حصل لى أنه كان بى داء أعيا الأطباء وأقمت به سنين فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفا فبينما أنا نائم فإذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء داء أحمد بن القسطلانى من الحضرة الشريفة بعد الأذن الشريف النبوى فاستيقظت فلم أجد بى والله شيئا مما كنت أجده وحصل الشفاء ببركة النبى المصطفى ﷺ، وأما التوسل به فى البرزخ وعرصات القيامة فما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار فعليك أيها الطالب إدراك السعادة والمؤمل لنيل الحسنى وزيادة بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة إلى نيل المعالى واقتناص المرام والمفزع لفك الكرب عن سائر الأنام ولازم قرع أبواب السعادة وارق فى مدارج حبه بكثرة الصلاة عليه بالحسنى وزيادة (ومما) قيل على لسان الحضرة النبوية للزوار:

تمتع إن ظفرت بنيل قرب ... وحصل ما استطعت من إدخار

فها أنا قد أبحت لكم عطائى ... وها قد صرت عندى فى جوارى

فخذ ما شئت من كرم وجود ... وقل ماشئت من نعم غزار

فقد وسعت أبواب التدانى ... وقد قربت للزوار دارى

فتع ناظريك فها جمالى ... تجلى للقلوب بلا استتار

إلى أن قال فإن قلت فى الحديث «**ما من مسلم يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام**» فلو كانت حياته ﷺ مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه الشريفة معنى، قال ويجاب عن ذلك من وجوه أحدها أن هذا إعلام بثبوت وصف الحياة دائما لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند ملزومه أو ملزوم ملزومه فحينئذ وصف الحياة ثابت دائما، ومنها أن ذلك عبارة عن إقبال خاص والتفات روحانى يحصل من الحضرة النبوية إلى عالم الدنيا وقوالب الأجساد الترابية وتنزل إلى دائرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد

السلام وهذا الإقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون فى كل لمحة أكثر من ألف ألف ألف لوسعهم ذلك الإقبال النبوى والالتفات الروحانى، قال ولقد رأيت من ذلك مالا أستطيع أن أعبر عنه، قال ولقد أحسن من سئل كيف يرد النبى ﷺ على من يسلم عليه فى مشارق الأرض ومغاربها فى آن واحد فأنشد قول أبى الطيب:

كالشمس فى وسط السماء ونورها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

قال ولا ريب أن حاله ﷺ فى البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة قال هذا سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبض مائة ألف روح فى وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة ربه تعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا ﷺ أولى فهو يصلى ويعبد ربه ويشاهده لا يزال فى حضرة اقترابه متلذذًا بسماع خطابه، قال شارحه الزرقانى وكأن شأنه ﷺ وعادته فى الدنيا يفيض على أمته مما إفاضه الله تعالى عليه ولا يشغله هذا الشأن وهو شأن إفاضة الأنوار القدسية على أمته عن شغله بالحضرة الإلهية، قال ومنها أن رد الروح مجاز عن المسرة لأنه يقال لمن سرعادت له روحه فهو عبارة عن دوام سروره ﷺ بالسلام عليه انتهى. قال فى المواهب وقد ورد عن البيهقى وغيره من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال «**الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون**» وفى رواية «**أن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدى الله حتى ينفخ فى الصور**» قال محشية الشبراملسى قوله إن الأنبياء إلخ يعنى غيرى، فغيره من الأنبياء إنما يقوى تعلق أرواحهم بأجسادهم بعد الأربعين ا هـ. قال القسطلانى وهذه الصلاة وغيرها من العبادة الصادرة منهم فى القبر لا على سبيل التكليف إنما هو على سبيل التلذذ، قال ويحتمل أن يكونوا فى البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا فى إستكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق ا هـ أسأل الله بجاه نبيه أن يوفقنا لما يرضيه، وينبغى أن يقف الزائر متأدبا خاضعا وجلاً من ذنوبه متوسلا بهم إلى الله فى العفو عنه ولا يشغل فكره بما لا يعنى، ويعلم أن الولى ناظر إليه فيفعل فى حال الزيارة ما كان يفعله معه حيا من الأدب لا فرق فى الحياة وبعد الممات، قال العارف الشهاب سيدى أحمد العجمى أصل وجود

الكرامة التى أكـرم الله بها أحـبابه وأجراها على أيديهم وبسـببهـم بمحض الفضل وحينئـذ لا فرق فى الحياة والممـات فتارة تكون بدعـائهم وتارة بالتوسل بهم وتارة بفعلهم واخـتيارهم ا هـ. وقـد نقل العارف الشـعرانى عن بعض مشـايخه أن الله تعالى يوكل بقبـر كل ولى ملكا يقضى حوائج الزائرين وتارة يخـرج الولى بنفسه من القبر ويقـضى الحاجة، لأن للأولياء الإطلاق فى البـرزخ والسراح لأرواحهم، قال وإذا خرج شخص منهم من قبـره على صورته وقضى حوائج الناس يكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم فى البرزخ ا هــ ونقل صاحب البدائع عن ابن الجوزى أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبى حنيفة فى كل يوم وقت الصبح يتعلم من علم الشريعة فلما مات أبو حنيـفة سأل الخضر ربه أن يرد إلى أبى حنيفة روحه فى قـبره حتى يتم له عـلوم الشريعة فكان يأتى كل يوم وقـت الصبح على عادته عند القبر يسـمع منه مسائل الفقه والشريعة بعد مـوته، وقال الإمام اليافعى الأولياء ترد عليهم أحوال يشاهدون فيـها ملكوت السموات والأرض، قال العلامة ابن حجر الذى عليه أهل اسـنة والجماعة من الفقهاء والأصـولين والمحدثين خلافا للمعتزلة ومن قلدهم فى بهتانهم وضلالهم من غير روية أن ظهور الكرامة على يد الأولياء وهـم القائمون بحـقوق الله وحـقوق عـباده لجمـعهم بين العلم والـعمل وسلامـتهم من الهفـوات والذلل جائزة عقـلا ونقلا، وإذا لم تكن الكرامـة جائزة الوقوع لم تقع وقد ثبت وقـوعها بنص الكتاب والسنة والآثار الخارجـة عن الحصر والتعـداد وآحادها وإن لم تتواتر فالمجـموع يفيد القطع بلا إشكال، كـيف ووقوع التواتر قرنـا بعد قرن وجيلا بعـد جيل وكتب العلماء شـرقا وغربا وعجـما وعربا ناطقة بذلك ولا ينكر ذلك إلا غبى أو معاهد ا هـ. وسمعت من شيخنا البهى عن أشياخه أن الله وكل بقبـر كل ولى ملكًا يقضى حوائج الزائرين على يده إلا بعض أفراد منهم فإنهم يقضون حوائج الزائرين بأنفسهم ا هـ. يعنى من غير واسطة ملك لا بإيجاد منهم لذلك وإنما الموجد هو رب العالمـين، إنما ذلك بطلبهم بأنفسهم من مولاهم فلا يخيبون فيما قصدوا فيعطون الإمداد والمواهب مما أفاضه عليهم سيدهم ولا شك أن لهم تسـببا بـتحمل البـلايا والتصـريف الذى جعل الله ظهـوره على أيديهم وباب الخير الذى يفـيضه الله على عبيـده، ولذلك قال العارف أبو المواهب الشعرانى فى درر الغواص فى فتاويه عن سيدى على الخواص ونصه وسألته رضى

الله تعالى عنه يعنى شيخه الخواص عن مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمى وسيدى أحمد الزاهد وأنباعهما هل كانوا أقطابا أم لا؟ فقال رضى الله عنه لم يكونوا أقطابا وإنما هم كالحجاب على حضرة باب الملك لا يدخل أحد على الملك إلا بإذنهم فهم يعلمون الداخلين الآداب الشرعية على اختلاف مراتبها وأما ما ظهر عليهم من الكرامات والخوارق فإنما ذلك لصفاء نفوسهم وتزكية أخلاقهم ومراقبتهم ومجاهداتهم، وأما القطبية فجلت أن يقوم مقامها الأحوط غير من اتصف بها، وقد ذكر الشيخ محيى الدين عبدالقادر الجيلى رضى الله عنه أن للقطبية ستة عشر عالما، الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم فافهم، فقلت له فالتصريف الذى يقع على أيدى هؤلاء المسلكين هل هو لهم بالأصالة كشأن القطب أم هو لغيرهم؟ فقال رضى الله عنه اسمع إذا أراد الله عز وجل إنزال بلاء أو أمر شديد تلقاه ذلك القطب رضى الله تعالى عنه بالقبول والخوف ثم ينظر ما يظهره الله تعالى من ألواحا المحو والإثبات والثلاثمائة وستين لوحا الخصيصية بالإطلاق والسراح فإن ظهر له المحو والتبديل نفذه بقضاء الله تعالى وأمضاه فى العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم خاصته فينفذون ذلك وهم لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم من غيرهم وإن ظهر له أن ذلك الأمر ثابت لا محو فيه ولا تبديل رفعه إلى أقرب عدد ونسبة منه وهما الإمامان فيتحملان ذلك ثم يرفعانه إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما وهم الأوتاد وهكذا حتى يتناول الأمر أصحاب دائرته جميعًا فإن لم يرتفع فرقته الأفراد وغيرهم من العارفين على آحاد المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل وربما أحس بعض الناس ببلاء ولا يعرف من أين أنا وهو من ذلك البلاء الذى فاض على أصحاب الراتب فلو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لتلاشى العالم فى لمحة قال تعالى ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥١]، وذكر القطب الشعرانى فى طبقاته قال رأى سيدى الشيخ محمد بن عنان رضى الله عنه فى ليلة بلاءًا عظيما نازلا على مصر فأرسل للشيخ يعنى سيدى عليًا الخواص يخبره ويستغيث به فقال الله لا يبشره بخير ولكن إن شاء الله يتلافى بالبركة، وفى الصباح جاء المحتسب وأخذ سيدى الشيخ عليا الخواص من الدكان وضربه بالمقارع وخزمه فى كتفه وأنفه وداربه مصر وبولاق فلما صلى سيدى الشيخ محمد رضى

الله عنه الظهر رأى البلاء قد ارتفع فقال روحوا انظروا أى شىء جرى للشيخ يعنى الخواص فراحوا فوجدوه على ذلك الحال فردوا على الشيخ محمد رضى الله عنه فخر لله ساجدا، وقال الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يحمل عنها مالا طاقة لها به ا هـ. قال العلامة أبو البقاء فى الكليات القطب بالضم فى الأصل حديدة تدور عليها الرحا ونجم تبنى عليه القبلة وملاك الشىء ومداره وسمى خيار الناس به لاجتماع خيار أوصافهم عنده وهو لا يكون فى كل عصر إلا واحدا خليفة عن رسول الله ﷺ لحفظ العالم بالنيابة عن روح النبى ﷺ، وقال العلامة المناوى فى كتابة التوقيف على مهمات التعاريف والإمامان وزيران للقطب الغوث أحدهما عن يمينه ونظره إلى الملكوت وهو مرآة يتوجه من الركن القطبى إلى العالم الروحانى من الإمدادات التى هى مادة الوجود والبقاء والآخر عن يساره ونظره إلى الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية وهو أعلى من صاحبه فيخلف القطب إذا مات، وقال الإمام ابن حجر فى فتاويه الإبدال وردت فى عدة أخبار وأما القطب فورد فى بعض الآثار، وأما الغوث بالوصف المشهور بين الصوفية فلم يثبت، وقال العلامة المناوى فى شرحه الكبير على الجامع الصغير قال ابن العربى الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة وهم أخص من الأبدال والأمامان أخص منهم والقطب أخص الجماعة والأبدال لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت أوصافه المذمومة بمحمودة، ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون وقيل ثلاثون وقيل سبعة. ا هـ، وقال العارف الشعرانى فى اليواقيت والجواهر عن الإمام ابن العربى أن أكبر الأولياء بعد الصحابة القطب ثم الأفراد على خلاف فى ذلك ثم الإمامان ثم الأوتاد ثم الأبدل، قال فأما القطب فقد ذكر الشيخ أنه لا يتمكن من القطبية إلا بعد أن يحصل معانى الحروف التى فى أوائل السور مثل ألم ونحوها فإذا أوقفه الله تعالى على حقائها ومعانيها كان أهلاً للخلافة، قال واسم القطب فى كل زمان عبد الله وعبدالجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعنى جميع الأسماء الإلهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومحل المظاهر الإلهية وصاحب علم سر القدر، قال ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء، قال وتطوى له الأرض ولا يمشى فى هواء ولا على ماء ولا يأكل من

غيـر سبب ولا يـطرأ عليه شيء من خـرق العوائد إلا فى النادر لأمـر يريده الحق تعالى فيفعله بإذن الله تعـالى من غير أن يكون ذلك مطلوبا له، قال ومن شأنه أن يتلقى أنفاسه إذا دخلت وإذا خرجت بأحسن الأدب لأنها رسل الله إليه فترجع منه إلى ربها شـاكرة لا يتكلف لذلك، فإن قلـت فهل يكون محل إقـامة القطب بمكة دائما كما هو المشهور فالجواب هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث فى محل بخصوصه فشأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة يكون تاجرا وتارة يبيع الفول الحار وما أشـبه ذلك، قال ولما كـان نصب الإمام واجب الإقامـة وجب أن يكون واحد الدفع التنازع والتضـاد فحكم هذا الإمام فى الوجود حكم القطب، فـإن قلت فما المراد بقـولهم فلان من الأقطاب على مـصطلحهم فـالجواب مـرادهم بالقطب فى عرفـهم كل من جمع الأحوال والمقـامات فيـتوسعـون فى هذا الإطلاق فيسـمون القطب فى بلادهم وفى كل بلد من دار عليه مقام من المـقامات وانفرد به فى زمانه على أبناء جنسـه فرجل البـلد قطب تلك البلد عندهم وقطب الجـماعـة هو قطب تلك الجماعـة، وأما الأقطاب بالمعنى الحقيقى فـلا يكون منهم فى الزمان إلا واحد وهو قطب الغوث ا هـ. وقال العارف المذكـور فى طبقاته إنـه قد يكون فى وقت القطب من أهل الدلال الأكبر من هو مساو لذلك القطب أو أكـبر قال فإن سيدى مسعـود تلميذ سيدى عـبد القادر الجيلانى قـد عرض عليه الغوثية فـأعرض عنها زاهدًا وعرضت على شيـخه المذكور رضى الله تعالى عنه فقـبلها ا هـ. أفاض الله علينا من إمداداتهم وجعلنا ممن يحمل عنه من البلاء مالا طاقة له به بجاههم عنده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الرابع: فى بيان المتفق على وصوله للميت والمختلف فيه

اعلم أنه قد اتفق عـلى وصول الصدقـة لا فرق بين كونهـا بعيدة عن القـبر أو عنده، وكذلك الدعاء والاستغفار، قال العـارف الشعرانى قال الإمام القرطبى وقد أجمع العلماء على وصول ثواب الصدقـة للأموات وكذلك القول فى قراءة القرآن والدعاء والاستغـفار، قال ويؤيده حديث وكل معروف صدقـة فلم يخص الصدقة بالمال، وكذلك يؤيده قوله ﷺ **«الميت فى قبره كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من**

أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت خير له من الدنيا وما فيها» وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار، وتقدم لك عن الحسن البصرى من دخل المقابر فقال اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منى كتب له بعددهم حسنات، وأما قراءة القرآن فقيل تصل عند القبر لا مع البعد وقيل لا تصل مطلقا ونسب للعز ابن عبدالسلام عملا بظاهر قوله تعالى ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم: ٣٩] وهو خلاف التحقيق والتحقيق، وصولها مطلقا قال العلامة المحقق البنانى على عبد الباقى وقال ابن هلال فى نوازله الذى أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا الأندلسيين أن الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل إليه نفعه إذا وهب القارئ ثوابه له وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووقفوا على ذلك أوقافا واستمر عليه الأمر منذ أزمنة سالفة، قال ومن اللطائف أن عز الدين بن عبدالسلام الشافعى رئى فى المنام بعد موته فقيل له ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن اهـ قال الأستاذ الشعرانى ويدل للوصول قوله ﷺ **«من مر بالمقابر فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات»** قال العارف أيضا وكان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يقول إذا دخلتم المقابر فاقرؤا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم، قال وكان قد بلغنا عن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله تعالى أنه كان ينكر وصول ثواب القراء للموتى ويقول قال الله تعالى ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم: ٣٩] فلما مات رآه بعض أصحابه فسأله عن ذلك فقال قد رجعت عما كنت أقوله ووجدت الأمر على خلاف ما كنت أظن اهـ. وأما قوله وأن ليس للإنسان الآية فاللام فيه بمعنى على كما أفاده بعض المفسرين أو المراد بالإنسان من قوم موسى وإبراهيم قال العارف الشعرانى وكان أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه ينكر وصول ثواب القراءة من الأحياء للأموات فلما حدثه بعض الثقات إن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحه الكتاب وخاتمة سورة البقرة قال بما تقدم، قال

العارف وحكى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه امرأة كانت تعذب فى قبرها وكل الناس يرون ذلك فى المنام ثم ريئت بعد ذلك وهى فى النعيم فقيل لها ما سبب ذلك فقالت مر بنا رجل فقرأ الفاتحة وصلى على النبى ﷺ وأهدى ذلك لنا وكان فى المقبرة خمسمائة وستون رجلا فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبى ﷺ، وحكى العارف من ذلك المعنى الحكاية الطويلة المقدم ذكرها عن البنات فى قصتهن مع الحرث فراجعها إن شئت، قال العلامة الأمير ويلحق بالقراءة التهليل الذى يفعل ا هـ أى فيصل إليه ثواب ما يذكرونه لأنهم يهبون ثوابه ويجعلونه مخرجا مخرج الدعاء وهو بهذه الكيفية يصل باتفاق الجميع، ومن ذلك المعنى وضع الجريد الأخضر على القبر كما تقدم لك فى الباب الثانى من حديث مسلم حيث شقه نصفين ووضع كل شق على قبره وقال **«لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»** قال العلامة الأمير واختلف هل كان خصوصية له ﷺ أو لا وهل ينقطع تسبيح الزرع بيبسه **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾** [الإسراء: ٤٤] أى شىء حى وحياة كل شىء بحسبه قال وقد بسط الأجهورى الكلام فى ذلك ا هـ. قال العارف الشعرانى وروى مرفوعا «إنك لتتصدق عن ميتك بصدقة فيجىء بها ملك من الملائكة فى أطباق من نور فيجىء على رأس القبر ويقول أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها قال فتدخل إليه فى قبره ويفسح له فيه وينور له فيه، فيقول الله يجزى عنى أهلى خير الجزاء ويقول جار ذلك القبر أنا لم أخلف ولدا ولا أهلاً يذكرونى بشىء فهو مغموم والآخر فرح بالصدقة» قال: وبلغنا أن بعض الصالحين رأى رابعة العدوية بعد موتها وكان كثير الدعاء لها فقالت له إن هديتك تأتينا كل قليل فى أطباق من نور عليها مناديل من الحرير، وهكذا دعاء المؤمنين لإخوانهم الموتى يقال لهم هذه هدية فلان إليك قال، وقال بعض الصالحين مررت على مقبرة كبيرة فقرأت قل هو الله أحد والمعوذتين وفاتحة الكتاب ثلاث مرات ثم أهديتها إلى أموات المسلمين وقلت فى نفسى يا ترى هل يصل إلى كل واحد منهم نصيب من ذلك فأخذتنى سنة من النوم فرأيت نوراً نزل من السماء طبق الأرض أى ملأها وتقطع على كل قبر شىء منه وقائل يقول لى هذا ثواب قراءتك التى أهديتها انتهى. وقال العارف سيدى ذو النون المصرى - رحمه الله: مررت يومًا فى بعض الأسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة أنفس

وليس معها أحد فقلت والله لأكونن خامسهم لأنال الأجر والثواب فلما أتوا الجبانة قلت يا قوم أين ولى هـذا الميت فيصلى عليـه فقالوا يا شـيخ نحن وإياك كلنا فى الأمر سواء ليس منا أحد يعرفه فتقدمت فصليت عليه وأنزلناه فى لحده وحثوا عليه التراب فلما هموا بالإنصراف قلت لهم ما شأن هذا الميت فقالوا لا نعلم خبره أبدا غير أن امـرأة اكترتنا لنحمـله إلى هذا المكان وهى لاحقة بنا الآن فبـينما نحن فى الحديث إذ جاءت امـرأة قد أقبلت وعليها سيـما الخير والصلاح وهى باكـية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجـهها ونشرت شعرها ورفعت يديها إلى السماء وهى تتضرع وتقول كـلاما وتبكى وتدعو ساعة ثم سقطت إلى الأرض مغشيا عليها، ثم أفاقت بعد ساعـة وهى تضحك فقلت لها أخبرينى بخبرك وخبر هذا الميت وكيف الـضحك بعد ذلك البكاء الشـديد فقالت مـن أنت فقلت أنا ذو النون المصرى فقالت والله لولا أنك من أعيان الصالحين لما أخبرتك بهذا الخبر هذا ولدى وقرة عينى كان تائها بشبابه لابسًا ثيـاب إعجابه لم يدع سيئة إلا ارتكبها ولا معصية إلا سـعى إليها وطلبها وقد بارز مولاه العـلام بالمعاصى والآثام فحصل له فى يوم من الأيام ألم من الآلام منـذ ثلاثة أيام فلمـا عاين الموت قـال لى يا أمـاه سألتك بالله إلا ما قـبلت وصيتى إذا أنا مت فلا تعلمى بموتى أحـدا من أصحابى وإخوانى ولا من أهلى وجيرانى فإنهم لا يترحـمون على لسوء فعلى وكثرة ذنوبى وجهلى ثم بكى وقال شعرا:

لى ذنـوبى شـــــــغلـتـنى	عن صـــــيـــامى وصــــلاتى
تركـت جـســــمى عليــــلا	مـــات من قـــبل وفـــاتى
ليـــــــتـنى تبـت لـربى	من جـــمـــيع الـسـيـئـآت
أنا عـــبـــد بحت جـــهــرا	بعــــيــــوب قــــاتـلات
قـــد تـوالت ســـيــئـــآتى	وتـلاشـت حـــــــسـنـاتى

قالت ثم بكى وقال يا أماه، آه على مـا فرطت فى جنب الله، آه على قلبى ما أقساه، بالله عليك يا أماه إذا أنامت فضـعى خدى على التراب وضعى قدمك على الخد الآخر وقـولى هذا جزاء عبد عـصى مولاه وخالفه وعصـاه وترك أمره واتبع

هواه فإذا دفنتنى فارفعى يديك إلى الله وقولى اللهم إنى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصانى، فلما رفعت رأسى إلى السماء سمعت صوتًا بلسان فصيح انصرفى يا أماه فقد قدمت على ربى فوجدته كريمًا غير غضبان علىَّ فلما سمعت ذلك ضحكت انتهى. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الخامس: فى جملة من الأحاديث من جوامع كلمه ﷺ وبيان عدد أزواجه وأجداده وأولاده وفضل أهل بيته وبيان أن صلتهم تكون صلة لرسول الله ﷺ

وإنما أوردت ذكر مائة حديث متوالية من جوامع عباراته ودقائق براعاته لينكشف للناظر وجه قوله ﷺ **«أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا** ولعلى بذلك أكون مندرجا تحت قوله ﷺ **«من قرأ على أمتى أربعين حديثًا كنت له شفيعا يوم القيامة»** والعبرة بما طويت عليه السرائر من النيات، ولذا قلنا قال عليه الصلاة والسلام **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى»** وقال ﷺ **«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»** وقال ﷺ **«اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت»** وقال ﷺ **«أجملوا فى طلب الدنيا فإن كلاً ميسر لما كتب له»** وقال ﷺ **«أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»** وقال ﷺ **«أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما»** وقال ﷺ **«احفظ الله يحفظك»** وقال ﷺ **«أخلص دينك يكفك القليل من العمل»** وقال ﷺ **«أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك»** وقال ﷺ **«إذا أحب الله قوما ابتلاهم»** وقال ﷺ **«إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين وألهمه رشده»** وقال ﷺ **«إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منهم»** وقال ﷺ **«إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن»** وقال ﷺ **«إذا غضب أحدكم فليسكت»** وقال ﷺ **«إذا قمت فى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تتكلم كلام تعتذر منه واجمع الإياس مما فى أيدى الناس»** وقال ﷺ **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** وقال ﷺ **«إزهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس تحبك الناس»** وقال ﷺ **«استعد للموت قبل نزول الموت»** وقال ﷺ **«استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود»** وقال ﷺ **«استنزلوا الرزق**

بالصدقة» وقال ﷺ «أشكر الناس لله أشكرهم للناس» وقال ﷺ «أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر» وقال ﷺ «أكثروا من ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يذكره أحد فى ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها عليه» وقال ﷺ «إن الله تعالى كريم يحب الكرم ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها» وقال ﷺ «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» وقال ﷺ «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» وقال ﷺ «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم» وقال ﷺ «إن أشد الناس ندامة يوم القيامة رجل باع آخرته بدنيا غيره» وقال ﷺ «إن المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة وإن الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة» وقال ﷺ «أنزلوا الناس منازلهم» وقال ﷺ «إن من كنوز البر كتمان المصائب» وقال ﷺ «الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم» وقال ﷺ «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا عن النساء تعف نساؤكم» وقال ﷺ «ومن تنصل إليه فلم يقبل لا يرد على الحوض يوم القيامة» وقال ﷺ «ترك الشر صدقة» وقال ﷺ «تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة» وقال ﷺ «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله حتى تعملوا بما تعلمون» وقال ﷺ «التؤدة فى كل شىء خير إلا فى عمل الآخرة» وقال ﷺ «جف القلم بما أنت لاق» وقال ﷺ «حب الشىء يعمى ويصم» وقال «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء» وقال ﷺ «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وقال ﷺ «الحرب خدعة» وقال ﷺ «الحياء خير كله» وقال ﷺ «خير الأمور أوسطها» وقال ﷺ «خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله» وقال ﷺ «الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وقال ﷺ «الدال على الخير كفاعله» وقال ﷺ «والله يحب إغاثة اللهفان» وقال ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقال ﷺ «الدين يسر ولن يغالب الدين أحد إلا غلبه» وقال ﷺ «الدين النصيحة». وقال ﷺ «رب قائم حظه من قيامه السهر ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» وقال ﷺ «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم أو سكت فسلم» وقال ﷺ «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وقال ﷺ «زر غبًا تزداد حبًا» وقال ﷺ «السعيد من وعظ بغيره» وقال ﷺ «السكينة مغنم

وتركها مغرم» وقالﷺ «الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه» وقال ﷺ «صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر» وقال ﷺ «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر» وقال ﷺ «الظلم ظلمات يوم القيامة». وقال ﷺ «عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير»، وقال ﷺ «العبد عند ظنه بالله وهو مع من أحب» وقال ﷺ «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم» وقال ﷺ «القرآن حجة لك أو عليك» وقال ﷺ «القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى» وقال ﷺ «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع» وقال ﷺ «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول» وقال ﷺ «كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بنفسه» وقال ﷺ «كما تدين تدان» وقال ﷺ «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وقال ﷺ «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى» وقال ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وقال ﷺ «ليس الخبر كالمعاينة» وقال ﷺ «ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه» وقال ﷺ «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» وقال ﷺ «ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر» وقال ﷺ «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد» وقال ﷺ «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه» وقال ﷺ «ما نقصت صدقة من مال» وقال ﷺ «مازاد الله عبدًا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه» وقال ﷺ «مداراة الناس صدقة» وقال ﷺ «ملاك الدين الورع» وقال «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» وقال ﷺ «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» وقال ﷺ «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس» وقال ﷺ «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» وقال ﷺ «منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا» وقال ﷺ «المجاهد من جاهد نفسه» وقال ﷺ «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه» وقال ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» وقال ﷺ «المؤمن من أمنه الناس» وقال ﷺ «لا

إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له» وقال ﷺ **«لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»** وقال ﷺ **«لا تنزع الرحمة إلا من شقى»** وقال ﷺ **«لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له»** وقال ﷺ **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»** وقال ﷺ **«لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرًا مما به بأس»** وقال ﷺ **«لا يجنى جان إلا على نفسه»** وقال ﷺ **«لا يغنى حذر من قدر»** وقال ﷺ **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»** وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(ومن الواجب) أن يعرف الشخص نسب نبيه الشريف ﷺ فهو ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وفيما فوق ذلك خلاف كثير وكره الإمام مالك رفع النسب إلى آدم، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور، واسم عبد المطلب شيبة الحمد، قيل لأنه ولد فى رأسه شيبة مع رجاء حمد الناس له، وإنما قيل له عبد المطلب قيل: لأن عمه المطلب لما جاء به من عند أخواله بنى النجار بالمدينة صغيرًا أردفه خلفه وكان بثياب رثة فكان كل من يسأله عنه يقول له عبدى حياء من أن يقول ابن أخى واسم هاشم عمر والعلاء لعلو مرتبته ولقب بهاشم لهشمه الثريد للناس فى مجاعة أصابتهم، واسم عبد مناف المغيرة ومناف أصله مناة اسم صنم كان أعظم أصنامهم وكانت أمه جعلته خادمًا لذلك الصنم، واسم قصى زيد وقيل يزيد ولقب بقصى لأنه قصا أى بعد عن عشيرته، واسم كلاب حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وكان أكثر صيده بالكلاب، ولؤى بالهمزة أكثر من عدمها، وفهر مجمع قريش عند الأكثر فمن كان من ولده فقرشى ومن لا فلا، وفهر اسمه ولقبه قريش لأنه كان يقرش أى يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها وقيل بالعكس، واسم النضر قيس ولقب بالنضر لنضارته وحسنه، واسم مدركة عمرو ولقب بمدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه، وإلياس بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة وقيل همزة وصل ونسب للجمهور قيل سمى بذلك لأنه ولد بعد كبر سن أبيه؛ وولد ﷺ

على الصحيح بمكة عند طلوع الفجر يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل قيل يوم الفيل وقيل قبله وقيل بعده، وقال الإمام أحمد بن المبارك فى كتابه الأبريز سألت شيخنا القطب الغوث سيدى عبد العزيز الدباغ وقع خلاف بين أهل السنة فى وقت ولادته ﷺ ففى بعض روايات ولد ليلاً وفى بعضها ولد نهاراً فعلى أى الروايتين نعتمد فقال على كل منهما يعتمد وإنه لا خلف بينهما حقيقة بل هو لفظى وذلك أن ابتداء الوضع كان من أول السدس الأخير وانتهاءه كان بعد الفجر فمن قال ولد ليلاً نظر لابتداء الوضع ومن قال نهارًا نظر لانتهاءه اهـ. ونزل على يد النقاء أم عبد الرحمن بن عوف فهى قابلته رافعًا بصره إلى السماء واضعًا يديه بالأرض وفى ذلك من الاشارات ما لا يخفى مكحولاً نظيفًا مسرورًا أى مقطوع السر بضم السين وهو ما تقطعه القابلة من السرة، مختونًا أى على صورة المختون وقيل ختنه جده سابع ولادته وجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون ولد مختونًا ختانًا غير تام كما هو الغالب فى المولود مختونًا فتمم جده ختانه، وقيل ختنه جبريل يوم شق قلبه عند مرضعته حليمة، وروى أنه تكلم حين خروجه من بطن أمه فقال جلال ربى الرفيع وقيل قال الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلاً ويمكن الجمع، ورأت أمه حين وضعته نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى، ولم تجد فى حملها ما تجد النساء من المشقة وإنما عرفت حملها بأخبار ملك أتاها بين النوم واليقظة وبشرها بأنها حملت بسيد هذه الأمة ونبيها مع ارتفاع حيضتها وانتقال النور الذى كان فى وجه عبد الله والده إلى وجهها، وحصلت ليلة مولده إرهاصات كثيرة منها خمود نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وارتجاج إيوان كسرى حتى انشق وسقطت منه أربعة عشرة شرفة وفيض بحيرة ساوة وتنكست جميع الأصنام وكذا تنكست عند الحمل به، ومات عبد الله وهى حامل به على الصحيح الذى عليه أكثر العلماء، ولهذا كان المسمى له بمحمد والعاق عنه بشاة يوم سابع ولادته جده عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، (وأما أزواجه ﷺ) قال فى المواهب اللدنية ويقال لهن أمهات المومنين لما لهن عليهم من وجوب الاحترام وتأبيد حرمة النكاح لا فى نظر وخلوة فلا يسوغ ذلك كما يسوغ مع الأمهات قال تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾

[الأحزاب: ٦] قال سواء من مات عنها أو ماتت عنه وهل هن أمهات الرجال والنساء أم أمهات الرجال فقط قال الإمام الزرقانى ويقوى الثانى ما رواه النسفى عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة يا أم فقالت لها لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم، قال وهذا الخلاف جار على خلاف فى الأصول هل يدخل النساء فى خطاب الرجال أو لا قال والمرجع عدم الدخول فقول الله تعالى ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] حينئذ خاص بالرجال دون النساء وفضلهن على سائر النساء وثوابهن المضعف كما حكاه البارى جل وعلا بقوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ منكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣١] الآية، قال فى المواهب والمتفق عليه أن فى أزواجه اللائى دخل بهن ولم يطلقهن إحدى عشرة امرأة، ست من قريش وهن: خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وأم أسامة بنت أبى أمية وسودة بنت زمعة، وأربع عربيات أى من حلفاء قريش وإلا فالكل عربيات: زينب بنت جحش وميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة وجويرية بنت الحرث وواحدة اسرائيلية وهى صفية بنت حيى النضيرية. اهـ. ولم يذكر ريحانة من الزوجات وذكرها من السرارى ثم قوى كونها من الزوجات بقوله ريحانة بنت شمعون قيل من بنى قريظة وقيل من بنى النضير قيل أعتقها فتزوجها ولم يذكر ابن الاثير غيره اهـ. وقد اعتمد العلامة الصبان فى رسالته نقلاً عن الحافظ ابن حجر هذا حيث قال وأما أزواجه ﷺ فهن اثنتا عشرة امرأة اللاتى دخل بهن ولم يطلقهن وتوفى عن تسع منهن وأما غيرهم ممن وهبت نفسها أو خطبها ولم يعقد عليها أو عقد ولم يدخل بها لموت أو طلاق فنحو ثلاثين امرأة، ولم يتزوج ﷺ إلا بوحى كما قال ابن حجر والعلامة الصبان، وروى عبد الملك بن محمد النيسابورى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ «**ما تزوجت شيئًا من نسائى ولا زوجت شيئًا من بناتى إلا بوحى جاءنى به جبريل عن ربى عز وجل**». (فأول) من تزوج بها ﷺ خديجة وقد جاء أن رسول الله ﷺ أمر أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب قال الحلبى أى من درة مجوفة ليس فيها رفع صوت ولا تعب اهـ. وقالت عائشة له ﷺ يومًا وقد مدح خديجة ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيرًا منها فغضب رسول

الله ﷺ وقال «**والله ما أبدلنى الله خيرًا منها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها**» (ثم سودة بنت زمعة) فى السنة العاشرة من النبوة كانت تحت ابن عمها السكران بن عمرو وأسلم معها قديمًا وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية فلما مات تزوجها ﷺ ولما كبرت عنده أراد طلاقها فسألته ألا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها وماتت فى آخر خلافة عمر على المشهور (ثم عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما) فى شوال سنة اثنتى عشرة من النبوة على قول وكانت بنت سبع على قول وبنى بها فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على قول وهى بنت تسع وقبض عنها وهى بنت ثمانى وعشرة سنة ولم يتزوج بكرًا غيرها وكانت أحب نسائه إليه ومناقبها كثيرة كانت تكنى بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير توفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع ليلاً وقد قاربت سبعًا وستين سنة ومن الناس من يقول تزوج عائشة قبل سودة وحمل على أن المراد عقد على عائشة قبل الدخول بسودة فلا ينافى ما مر (ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما) فى شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة على الأشهر وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين ، توفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها بعض الطريق ثم حمل أبو هريرة إلى قبرها، وقد كان ﷺ طلقها لأنها أفشت أمرًا أسره إليها لعائشة وكان بينهما مصادقة ومصافاة فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال له راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك فى الجنة وفى رواية طلق ﷺ حفصة فبلغ ذلك عمر فحثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبى ﷺ من الغد وقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر، وقال جماعة لم يطلقها بل هم بتطليقها فقط وعليه يراد بمراجعتها مصالحتها والرضا عنها (ثم زينب بنت خزيمة) سنة ثلاث وكانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع وقد بلغت نحو ثلاثين سنة ولم يمت من أزواجه ﷺ فى حياته إلا هى وخديجة وريحانه على القول بأنها زوجة وسيأتى (ثم أم

سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة) فى آخر شوال سنة أربع ولما أرسل إليها ﷺ يخطبها قالت مرحبًا برسول الله ثلاثًا إلا أن فىَّ خلالاً ثلاثًا أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مصيبة ذات صبيان وأنا امرأة ليس هنا أحد من أوليائى، فأتاها رسول الله ﷺ فقال «**لها أما ما ذكرت من غيرتك فإنى أرجو الله أن يذهبها، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وإما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهنى**» فقالت لابنها زوج رسول ﷺ فزوجه بها واستدل به على أن الإبن يلى عقد أمه وهو بخلاف مذهبنا معشر الشافعية ويشهد لمالك ودفع بأنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها كما بين فى السير توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح وقد بلغت أربعًا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة (ثم زينب بنت جحش) بنت عمته ﷺ أميمة وكان اسمها برة فسماها ﷺ زينب خشية أن يقال خرج من عند برة وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها فلما حلت زوجه الله إياها سنة أربع على أحد الأقوال وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة بقوله ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكانت تفخر على نسائه ﷺ تقول إن آباءكن أنكحوكن وإن الله تعالى أنكحنى إياه من فوق سبع سموات وفيها نزل الحجاب وهى أول نسائه لحوقًا به كما أشار إلى ذلك الصادق المصدوق ففى مسلم عن عائشة أن بعض أزواج النبى ﷺ قلن له أينا أسرع بك لحوقًا قال أطولكن يدًا فكان أسرعهن لحوقًا به زينب بنت جحش فعلموا أن طول يدها بسبب أنها كانت تعمل وتتصدق كثيرًا توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين وقد بلغت ثلاثة وخمسين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب وكانت عائشة تقول هى التى تساوينى فى المنزلة عنده ﷺ وما رأيت امرأة قط خيرًا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة (ثم جويرية بنت الحارث) وقعت يوم المريسيع فى سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها على تسع أواق من الذهب فأداها عنها عليه الصلاة والسلام وتزوجها وكان اسمها برة فسماها ﷺ جويرية لما تقدم وكانت ذات جمال وعندما تزوجها قال الناس فى حق بنى المصطلق أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم من سبايا بنى المصطلق قالت عائشة فلم نعلم امرأة أكثر بركة على قومها منها توفيت بالمدينة فى ربيع الأول سنة ستة وخمسين وقد بلغت سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم (ثم

ريحانة بنت يزيد) من بنى النضير لكن كانت تحت رجل من بنى قريظة فوقعت فى سبى بنى قريضة فاصطفاها ﷺ لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وأصدقها وأعرس بها فى المحرم سنة ست وطلقها ﷺ لشدة غيرتها عليه فاكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع ودفنها بالبقيع وقبل كانت موطوءته أنه بملك اليمين (ثم أم حبيبة) رملة بن أبى سفيان صخر بن حرب هاجرت مع زوجها عبيد الله ابن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وتنصر هو وثبتت هى على الإسلام فبعث النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى فزوجه إياها وأمهرها عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد بن العاص لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشى إليه سنة سبع على خلاف فى جميع ذلك ماتت سنة أربع وأربعين (ثم صفية بنت حيى بن أخطب) من سبط هارون بن عمران عليه السلام كان أبوها سيد بنى النضير فقتل مع بنى قريظة اصطفاها ﷺ لنفسه من سبى خيبر فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة ماتت فى رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع (ثم ميمونة بنت الحارث) فى شوال سنة سبع وتزوجها ﷺ وهو محرم فى عمرة القضاء كما عليه الجمهور وكان اسمها برة فسماها ﷺ ميمونة لما تقدم، ماتت سنة إحدى وخمسين وقد بلغت ثمانين سنة وقيل غير ذلك وهى آخر من تزوج بها ﷺ فهؤلاء نساؤه اللاتى دخل بهن ولم يطلقهن اثنتا عشرة امرأة توفى عن تسع منهن، قال الإمام القسطلانى فى المواهب وقد ذكر أسماءهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسى نظما فقال:

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

وأما غيرهن ممن وهبت نفسها أو خطبها ولم يعقد عليها أو عقد ولم يدخل بها لموت أو طلاق أو دخل وطلقها فنحو ثلاثين امرأة مبينة فى السير (وأما سراريه

ﷺ فأربع) مارية القبطية وكان عليه الصلاة والسلام معجبا بها لأنها كانت بيضاء جميلة وهى أم ولده إبراهيم كما تقدم جاء أنه ﷺ قال: «**ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم رحمًا وصهراً**» والمراد بالرحم أم إسماعيل بن إبراهيم جده ﷺ فإنها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم فإنها كانت قبطية كما علمت، وريحانة على ما تقدم من الخلاف، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش وأخرى اسمها زليخا القرظية، (تتمة)، اختلف الناس فى أفضل أزواجه ﷺ فى أفضل النساء مطلقا والأقرب عند كثير أن أفضل النساء مريم ثم خديجة ثم فاطمة ثم عائشة ثم آسية امرأة فرعون، قال العلامة الصبان وقال شيخ الإسلام فى شرح البهجة الذى اختاره أن الأفضلية محمولة على أحوال فعائشة أفضل من حيث العلم، وخديجة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ فى المهمات، وفاطمة من حيث البضعية والقرابة، ومريم من حيث الاختلاف فى نبوتها وذكرها فى القرآن مع الأنبياء، وآسية من حيث الاختلاف فى نبوتها وإن لم تذكر مع الأنبياء انتهى. ونقل الأشعرى الوقف، قال صاحب نور النبراس الذى يظهر أن الأفضل من أزواجه ﷺ بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش والله أعلم. اهـ قال فى المواهب اللدنية تزوج ﷺ خديجة وعمره إحدى وعشرين سنة أو خمس وعشرون قال وعليه الأكثر ولها يومئذ من العمر أربعون سنة، قال وكانت قد عرضت نفسها عليه ﷺ فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه وذلك لما بلغها من حديث غلامها ميسرة حين سافر معه فى تجارتها ورأى من الآيات وتظليل الغمام له ﷺ وأخبرها بذلك وما رأته هى أيضًا من الآيات قال وكون الخاطب فى هذه الرواية حمزة لا ينافى رواية السهيلى عن المبرد أن الناهض معه أبو طالب قال لأنهما خرجا معها والخاطب أبو طالب لأنه أسن من الحمزة قال وأصدقها عشرين بكرة، وفى رواية اثنتا عشرة أوقية ذهبا، ورواية مسلم اثنتا عشرة أوقية ذهبا ونشا، أتدرى ما النش؟ قلت لا. قال: نصف أوقية، فذلك صداقه لأزواجه ﷺ، قال الإمام الزرقانى ولعل العشرين بكرة كانت من عند أبى طالب والاثنتا عشرة أوقية كانت من عنده ﷺ والكل صداق أو لعل الإبل قيمتها ما ذكر من الذهب فإحدى الروايتين اعتبرت القيمة والأخرى اعتبرت

المقوم كما هو شأن العرب من تعاملهم بالإبل، قال وكون أبيها هو المزوج لها هو ما جزم به ابن اسحق قال وهو ظاهر الأحاديث، وقيل أخوها عمرو بن خويلد وقيل عمها عمرو بن أسد قال لأن أباها كان قد مات، قال السهيلى: وهو الأصح قال الإمام القسطلانى: وهى أول من آمن من الناس، قال الشارح أى على الإطلاق كما حكى ابن عبد البر، وحكى عليه الاتفاق قال وإنما الخلاف فى أول من آمن بعدها، قال وكفاها شرفًا حديث الصحيحين من حديث أبى هريرة أن جبريل قال للنبى ﷺ: «**يا محمد هذه خديجة قد أتتك**» هذا اللفظ مسلم ولفظ البخارى «**قد أتت (بلا كاف) بإناء فيه طعام أو إدام أو بشراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**» قال زاد الطبرانى فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام، ورواية النسائى إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال الإمام الزرقانى والصخب بفتح الصاد المهملة والخاء المعجمة الصياح والنصب التعب، قال وحكمة المناسبة من كون البيت لا صياح فيه ولا نصب لإجابتها للإيمان به ﷺ طوعًا ولم تحوجه لمنازعة بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير وكونه من قصب لكونها أحرزت قصب السبق لمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها فلم يكن على وجه الأرض فى أول يوم بعث ﷺ بيت إسلام إلا بيتها وهى فضيلة ما شاركها فيها غيرها، وللحافظ ابن حجر لما نزل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] الآية دعا النبى ﷺ فاطمة وعليا والحسن والحسين وجللهم هو بكساء فقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتى**» الحديث قال ومرجع هؤلاء إلى خديجة قال ولما ورد من حديث الإمام أحمد وأبى داود والنسائى والحاكم وصححاه من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ابنة محمد عليه الصلاة والسلام ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون**» قال الإمام القسطلانى وسئل الإمام أبو بكر بن الإمام المجتهد داودا خديجة أفضل أم عائشة فقال عائشة أقرأها النبى ﷺ عن جبريل من قبل نفسه وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد فهى أفضل، فقيل له فمن أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: «**إن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منى فلا**

أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحدا» قال السهيلى: وهذا أتقن وأحسن اهـ، قلت ويدل لما قاله السهيلى من فضل خديجة على عائشة ما رواه الإمام البخارى عن عائشة قالت ما غرت على أحد ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم يكن فى الدنيا إلا خديجة فيقول: «**إنها كانت وكانت وكان لى منها الولد**» وروى ابن حبان عن أنس كان ﷺ إذا أتى بالشىء يقول: «**اذهبوا إلى بيت فلانة كانت صديقة لخديجة**» قال فى المواهب وماتت خديجة رضى الله عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين قال شارحها الزرقانى وهو الصحيح كما فى الفتح والأصابة وزاد الواقدى لعشر خلون من شهر رمضان ودفنت بالحجون وهى ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنازة وكانت مدة مقامها مع النبى ﷺ خمسا وعشرين سنة قال على الصحيح كما فى الفتح، فهذا أدل دليل على مزيد فضلها حيث اختصت به ﷺ بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانيا وثلاثين عاما انفردت منها خديجة بخمس وعشرين وهى نحو المثلين. اهـ، وبعضهم يقول بأفضلية عائشة قال الإمام الزرقانى واستدل على ذلك بما رواه ابن سعد عن عائشة فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر لم ينكح بكرا قط غيرى ولا امرأة أبواها مهاجران غيرى وأنزل الله براءتى من السماء وجاء جبريل بصورتى من السماء فى حريرة وكنت أغتسل أنا وهو فى أناء واحد ولم يصنع ذلك بأحد من نسائه غيرى وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه دون غيرى وكان ينزل عليه الوحى وهو معى فى لحاف واحد ولم ينزل وهو مع غيرى وقبض وهو بين نحرى وسحرى أى ورأسه الشريفة موضوعة على أعلى صدرها قال فى المصباح السحر الرقبة وقيل ما لصق بالحلقوم والمرى من أعلى البطن، وقولها وجاء جبريل بصورتى من السماء قال وفيها جاء حديث البخارى ومسلم رأيتك فى المنام ثلاث ليال جاءنى بك الملك فى سرقة بفتح السين والراء أى بشقة من حرير فيقول هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فأقول :إن يك من عند الله يمضه، قال فى المواهب وفى الترمذى أن جبريل جاء عليه الصلاة والسلام بصورتها فى خرقة حرير خضراء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة، قال وحسبها فضلا قوله ﷺ:

«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام» قال وروى الطبرانى والبزار برجال ثقات وابن حبان عنها رأيت رسول الله ﷺ طيب النفس أى منشرحا فقلت يا رسول الله ادع لى قال: **«اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت»** فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك فقال ﷺ: **«أسرك دعائى»**؟ فقالت: مالى لا يسرنى دعاؤك قال: **«فوالله إنها لدعوتى لأمتى فى كل صلاة»** قال وفى الصحيح عن القاسم ابن محمد أن عائشة مرضت فعادها ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق وعلى أبى بكر الحديث، قال فى المواهب وكانت السيدة عائشة فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، قال: وكان ﷺ يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة لأنها وهبت ليلتها لها لما كبرت، قال الإمام الزرقانى قال أبو موسى الأشعرى ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما، قال وروى الطبرانى والحاكم وغيرها بسند حسن عن عروة ما رأيت أحد أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه ولا بشعر ولا بطب ولا حديث العرب ولا نسب من عائشة، قال وروى عن معاوية قال والله ما رأيت خطيبا قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة، قال وروى أحمد فى الزهد والحاكم عن الأحنف بن قيس قال سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء فما سمعت من فم أحد منهم كلامًا أفخم ولا أحسن منه من فى عائشة، قال ومن لطيف شعرها قولها تغزلا فى الحضرة المحمدية.

ولو سمعوا فى مصر أوصاف خده	**لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد**
لو يما زليخا لو رأين جبينه	**لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى**

قال وبالجملة فمناقبها لا تنحصر كيف وهى بنت الصديق أمدنا الله من فيض أمدادها، قال: ومدة إقامتها معه عليه الصلاة والسلام تسع سنين وقد نفع الله بها الأمة بنشر العلوم، قال: ولذلك روى القاسم بن محمد قال: قصدت عائشة بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وهلم جرا إلى أن ماتت رضى الله عنها ونفعنا الله بها. انتهى. (وأما) المفاضلة بين أبنائه ﷺ فلم يثبت فيها شىء وكذا بين بناته

سوى فاطمة كما سيظهر وهل هى أفضل من أبنائه بقطع النظر عن الذكورة والأنوثة، قال العلامة الصبان لم أر من تعرض لذلك وقد يؤخذ من حديث أحب أهلى إلىَّ فاطمة أنها أفضل منهم والله أعلم، (وأما ذكر أولاده ﷺ)، قال المحقق الصبان الأصح عند العلماء أن أولاده ﷺ سبعة ثلاثة ذكور وأربعة إناث، فأول من ولد له القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم واسمها كنيتها ثم فى الإسلام عبد الله وكان يسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله المذكور ولدا فى بطن قبل البعثة وقيل غير ذلك وكل هؤلاء ولدوا بمكة من خديجة إلا إبراهيم فإنه بالمدينة من مارية القبطية (فأما القاسم) فمات بمكة وقد بلغ سنتين وقيل أقل وقيل أكثر وهو أول ميت مات من ولده، ثم عبد الله مات أيضا بمكة صغيرا ولما مات قال العاص بن وائل قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] (وأما إبراهيم) فولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وعق ﷺ عنه يوم سابعه بكبشين وسماه يومئذ وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة ودفنوا شعره فى الأرض، ومات سنة عشر وقد بلغ سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع (وأما زينب) فتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه هالة بنت خويلد فولدت له عليا وأمامة، فأما على فأردفه النبى ﷺ وراءه يوم الفتح ومات مراهقا، وأما أمامة فتزوجها على بن أبى طالب بعد خالتها بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت علىّ المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بوصية من على فولدت له يحيى بن المغيرة ومات عنده وكان عليه الصلاة والسلام يحبها كثيرا حتى حملها فى الصلاة، ولدت زينب سنة ثلاثين من مولده ﷺ وماتت سنة ثمان من الهجرة (وأما رقية) فتزوجها عثمان بن عفان قيل فى الجاهلية وقيل بعد إسلامه وهاجر بها هجرة الحبشة وولدت له عبد الله مات بعدها وقد بلغ ست سنين نقره ديك فى عينه فورم وجهه فمات وولدت سنة ثلاث وثلاثين من مولده ﷺ وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة المدينة بشيرًا بقتلى بدر من المشركين ولما عزى فيها ﷺ قال: «**الحمد لله دفن البنات من المكرمات**» قال الإمام الزرقانى أى من الخصال التى يكرم الله بها الميتة لسترها وأهلها أو لضعفهن بالمؤنة وعدم استقلالهن

أو هذا وارد مورد التسلية عن المصيبة وحاشاه ﷺ أن يقول ذلك كراهة للبنات كما يظنه الجهلة (وأما أم كلثوم) فتزوجها عثمان بعد موت رقية ولهذا يسمى ذا النورين روى ابن ماجه وابن عساكر عن أبى هريرة قال أتى النبى ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال: «**يا عثمان هذا جبريل لقد أمرنى أن أروجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها**» ولم تلد له ماتت سنة تسع من الهجرة ولما ماتت قال عليه الصلاة والسلام: «**زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته إياها وما زوجته إلا بوحى من الله تعالى**»، واعلم أن رقية وأم كلثوم تزوج أحداهما عتبة ابن أبى لهب والأخرى عتيبة بن أبى لهب الذى أكله الأسد بدعوته ﷺ وطلقاهما قبل أن يدخلا بهما بأمر أبى لهب، قيل كان المتزوج برقية عتبة والمتزوج بأم كلثوم عتيبة (وأما فاطمة) فهى أفضل أولاده ونساء العالمين كما يشهد له صريح الأخبار الصحيحة وقد تقدم لك بعضها فى رواية الشيخين ويقويه الحافظ فى الفتح انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة على سائر النساء وبقى الخلاف بين عائشة وخديجة قال فى الإصابة وأخرج ابن عبد البر عن عمر أنه ﷺ قال لفاطمة: «**ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين قالت يا أبت فأين مريم قال: تلك سيدة نساء عالمها**». اهـ قال الإمام الزرقانى على المواهب الذى اختاره الإمام المقريزى والقطب الخضرى والإمام السيوطى بأدلة واضحة أن السيدة فاطمة أفضل نساء العالمين حتى مريم. اهـ وقال الإمام الزرقانى أيضًا قال الإمام السبكى الذى اختاره وأدين الله به أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة، قال والخلاف شهير لوكن الحق أحق أن يتبع، وقال فى المواهب: اعلم أن جملة ما اتفق عليه من أولاده ﷺ ستة أربع إناث بالإجماع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة كلهن أدركن الإسلام وهاجرن معه قال الإمام الزرقانى المراد بالمعية المشاركة فى الهجرة لا المصاحبة معه حين الهجرة. اهـ قال القسطلانى والذكور هم القاسم قال وهو أولهم إلى أن قال وإبراهيم وهو آخرهم قال وزينب وهى أكبر أخواتها ورقية تليها ثم أم كلثوم ثم فاطمة قال وهى أصغرهن على الأصح، قال والأصح أن له من الذكور ثلاثة إبراهيم والقاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر، قال الزرقانى وهذا هو المعتمد قال فى المواهب والقاسم أول ولد ولد له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة وبه كان يكنى قال وعاش سبعة عشر شهرًا على الصواب، قال الإمام الزرقانى هو أول من مات من ولده

ولما مات قال العاص ابن وائل لقد أصبح محمد أبتر فنزل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] عوضًا عن مصيبتك بالقاسم، ووقع الخلاف هل ولد القاسم قبل زينب أو هى الأكبر قال والذى عليه ابن بكار فى طائفة ولد القاسم ثم زينب ثم عبد الله، وقال الكابى زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر قال وهذا هو الصحيح وغيره تخليط اهـ (وأما إبراهيم) فلا يخفى عليك أنه كان من مارية القبطية فهو آخر أولاده ﷺ بالإجماع قال فى المواهب وكانت سلمى زوج أبى رافع مولاة رسول الله ﷺ قابلته فبشر أبو رافع به النبى ﷺ فوهب له عبدا وعق عنه يوم سابعة بكبشين وحلق رأسه أبو هند وسماه النبى ﷺ يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقًا على المساكين ودفنوا شعره فى الأرض، قال الإمام الزرقانى أى بأمره ﷺ وفى البخارى من حديث أنس بن مالك أنه ﷺ قال: «**ولد لى الليلة غلام سميته باسم أبى إبراهيم**» ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة والقين بالقاف وسكون التحتية والنون الحداد وكان ذلك الحداد يقال له أبو سيف، قال وفيه أنه بقى عندها إلى أن مات ورواية البخارى هذه صريحة بتسميته صبيحة الولادة فتعارض رواية التسمية يوم السابع، قال فى المواهب ويجمع بينهما بأن التسمية كانت قبل السابع كما فى حديث ثم ظهرت فيه، قال وأما حديث الترمذى مرفوعا أنه أمر بتسمية المولود يوم سابعة فيحمل على أنها لا تؤخر عن السابع لا أنها لا تكون إلا فيه بل هى مشروعة من الولادة إلى السابع قال وتنافست نساء الأنصار فيمن ترضع إبراهيم عليه السلام فأعطاه لأم بردة بنت المنذر، قال وهذا يخالف رواية البخارى من كونه أعطاه لأم سيف وبقى عندها إلى أن مات قال فيحتمل أن يكون أعطاه أولا أم بردة ثم أعطاه أم سيف ثانيا وبقى عندها إلى أن توفى قال لكن ورد أنه توفى عند أم بردة، قال فى التعويل على حديث البخارى وقال القاضى عياض والحافظ ابن حجر باتحاد أم بردة مع أم سيف وأنها امرأة واحدة تكنى بهذين اللفظين، قال وفى رواية أنس ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ كان إبراهيم مسترضعها فى عوالى المدينة فكان ينطق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع والظئر بكسر الظاء المرضع والمراد منه هنا زوج المرضعة، قال وفى حديث جابر أخذ النبى ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى به النخلة فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه أى

ينازع الموت فـأخذه ﷺ فوضـعه فى حـجرة ثم ذرفت عيـناه ثم قال: «**إنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب**» ولما كان له من المكانة عند رسول الله ﷺ زيادة عن أخويه السابقين كان جديرا بقول أنس لو بقى إبراهيم ابن النبى ﷺ لكان نبيـا ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبيـاء، قال الإمام النووى وما روى عن بـعض المتقدمـين لو عاش إبراهيم لكان نبـيا باطل وجـسارة وهجوم على عظيم، وتعقب ذلك الحافظ ابن حجر فى الفتح متعجبا من قوله هذا مع وروده عن ثلاثة من أفاضل الصـحابة قال وكأنه لم يظهر له وجـه تأويله فقال فى انكاره ما قال وجوابه أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ولا يظن بالصحابى الهجـوم على مثل هذا الظن لاسـيما وأحـد الطرق رواه الإمام البـخارى عن أبى أوفى قال قلت لعبد الله بن أبى أوفى رأيت إبراهيم ابن النبى ﷺ قال مات صغيرًا ولو قضى أن يكون بعـد محمد نبى لعاش ابنه إبراهيم ولكـن لا نبى بعده، وقوله فى الحديث مات صـغيرا أى فى زمن الرضاع واختلف هل بلغ سنة وعـشرة أشهر وستة أيام أو سنة وعشرة أيام، وقد كمل رضاعة فى الجنة كما فى رواية ابن ماجه عنه ﷺ: «**أن له مرضعا فى الجنة**» ورواية الذهبى «**مرضعين فى الجنة**» ورواية الأكثر لا تنافى الأقل وقد ورد مـا يفيد عـموم ذلك الأقل فى كافـة أولاد المؤمنين، قال شيخ الإسلام الشبـراملسى على المواهب أخرج ابن أبى الدنيا «**إن فى الجنة لشجرة لها ضـروع البقر يغـذى بها ولدان أهل الجنة**» قال فهـذا عام فى أولاد المؤمنين، قال ويمكن أن يقال وجـه الخصوصيـة فى السيد إبراهيم كـونه مرضعـان على خلقة الآدميات أما من الحـور العين أو غيرهن وذلك خاص به، قـال: فإن رضاع سائر الأطفال إنما يكون من ضرع شجرة طوبى ولا شك أن الذى بالسيد إبراهيم أكمل، قال ويحتمل خصوصيـة أخرى أنه يدخل الجنة عقب الموت بروحه وجسده ويرضع بهما وسائر الأطفال إنما يرضعـون بأرواحهم لا بأجسادهم اهـ، (قلت)، والأظهر الأول فإن رضاع الروح عائد على الجسم، قال الإمام المتقدم وفى الحديث: «**أن فى الجنة شجرة يقال لها طوبى كلها ضروع فمن مات من الصبيان الذين يرضعون رضع من طوبى وحاضنهم إبراهيم خليل الرحمن**». اهـ وفاطمة تزوجها علىٌّ وهو ابن إحدى وعشرين سـنة وخمسة أشهـر وهى بنت خمس عشـرة سنة وخمسة أشـهر عقب رجوعهم من بدر كذا فى السيرة الحلبيـة وعليه تكون ولادتها قبل النبوة بنحو سنة

وقيل غير ذلك وتوفيت بعد أبيها بستة أشهر على الصحيح ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة ودفنها علىّ ليلاً، وفاطمة كما قال ابن دريد مشتقة من القطم وهو القطع أى المنع يقال فطمت المرأة الصبى إذا قطعت عنه اللبن سميت بذلك لأن الله تعالى فطمها عن النار كما وردت به الأخبار فهى فاطمة مفطومة، وقد كان خطبها أبو بكر ثم عمر فأعرض ﷺ عنهما فلما خطبها علىٌّ أجابه وجعل صداقها درعه ولم يكن له غيرها وبيعت بأربعمائة درهم وثمانين درهمًا، وجعل لها ﷺ وسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت رملا مبسوطا وأعطاها إهاب كبش تفرشه كما جاءت بذلك الروايات وفى حديث مسلم عن جابر قال حضرنا عرس على بن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فما رأينا عرسا أحسن منه هيأ لنا رسول الله ﷺ زبيبا وتمرًا، وروى الطبرانى من حديث أسماء قالت لما أهديت فاطمة إلى على بن أبى طالب لم نجد فى بيته إلا رملا مبسوطا ووسادة حشوها ليف وجرة وكوز فأرسل ﷺ يقول له: «**لا تقربن أهلك حتى آتيكما فجاء فدعا بإناء فسمى فيه وقال ما شاء الله أن يقول ثم مسح صدر علىٍّ ووجهه ثم دعا فاطمة فقامت تعثر فى مرطها من الحياء فنضح عليها من ذلك**» وفى حديث بريرة فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه فأفرغه على علىٍّ ثم قال: «**اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى نسلهما**» وفى رواية فنضح الماء على رأسها وبين ثدييها وقال: «**اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**» ولم يتزوج عليها حتى ماتت وقد كان خطب عليها بنت أبى جهل فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال: «**والله لا تجمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا**» فترك علىٌّ الخطبة، وقد ولدت فاطمة من على رضى الله تعالى عنهما ستة ثلاثة ذكور وثلاث إناث فالذكور الحسن والحسين والمحسن بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة والإناث زينب وأم كلثوم ورقية كذا زاد الليث بن سعد رقية، قال وماتت ولم تبلغ نقله ابن الجوزى، فأما الحسن والحسين فأعقبا الكثير الطيب وسيأتى الكلام عليهما، وأما المحسن فأدرج سقطا (وأما زينب) فتزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فولدت له عليًا وعونًا الأكبر وعباسًا ومحمدًا وأم كلثوم وذريتها موجودون إلى الآن بكثرة وسيأتى الكلام عليها (وأما أم كلثوم) فتزوجها

عمـر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وولدت له زيدا ورقيـة ولم يعقبا وتزوجـها بعده ابن عـمها عـون بن جعفـر بن أبى طالب فمات عنهـا وتزوجها بعـده أخوه محمد فمات عنها ثم تزوجهـا بعده أخوه عبد الله فماتت عنده ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئًـا ذكره السيوطى فى رسالته الزينبية وفـى المواهب أنها ولدت للثانى بنتا ماتت صغيرة، وهذا النسل المستمر لعلى وفـاطمة ببركة دعائه ﷺ لهما عند خطبة التزويج بحـضرة الصحابة قال الإمـام ابن حجر فى كتـابه الصواعق روى عن أبى الخير القزويـنى الحاكمى خطب علىٌّ فاطمة من رسول الله ﷺ بعـد أن خطبها أبو بكر ثم عمـر رضى الله عنهما فـقال: «**قد أمـرنى ربى بذلك**» قال أنس ثم دعانى النبى ﷺ بعد أيام فقال ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعدة من الأنصار فلما اجتمعوا وأخذوا مجـالسهم وكان علىٌّ غـائبًا قال ﷺ: «**الحمـد لله المحمود بنعـمته، المعـبود بقدرته، المطاع فى سلطانه، الموهوب من عـذابه وسطوته، النافذ أمره فى سـمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمـته جعل المصاهرة سببا لاحقًا وأمرًا مـفترضًا أوشج به الأرحام أى ألف بينهما وجعلها مختلطة مـشتبكة وألزم به الأنام فقال عز من قائل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤] فأمره تعالى يجرى إلى قـضائه وقـضاؤه يجـرى إلى قدره ولكل قـضاء قدر ولكل قـدر أجل ولكل أجل كتاب ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] ثم إن الله عز وجل أمـرنى أن أزوج فـاطمـة من على بن أبى طالب فـاشـهدوا أنـى قد زوجتـه على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك علىّ ثم دعا ﷺ طبقًا من بسر ثم قال انتبهوا فانتهبنا ودخل علىّ فتبسم النبى ﷺ فى وجهـه ثم قال: إن الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمـائة مثقال فـضة أرضيت بذلك قـال رضيت بذلك يا رسول الله فقـال ﷺ قد جمع الله منهمـا الكثير الطيب كيف لا وهى سيـدة نساء العالمين**»، قال الإمام الزرقانى على المواهب وقول أنس فى صدر الحديث وكان على غـائبًا ولعل غيبة علىّ كانت قريبة جدا فلا يضـر التفريق اليسير بين الإيجاب والقبـول عند المالكية، قال وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الـشافعى مطلقا اهـ (قلت) ولا حاجة إلى هذا فإن ذلك بالنسـبة للأمة بعـضهـا فى بعض وأما سـيدها ﷺ فهـو أولى بالمؤمنين من

أنفسهم فمن خصوصياته ﷺ أنه يتولى الطرفين لاسيما وقد أمره الله بتزويج فاطمة لعلى كل هو صريح قوله ﷺ لعلى حين طلب منه ذلك على أنه مصرح بإجابة على نفسها فى آخر الخطبة حين دخل على فى آخرها وتبسم فى وجهه ﷺ ويؤيد ذلك ما ذكره الإمام الزرقانى نفسه رواية لما زوج النبى ﷺ عليا فاطمة وهو غائب قال: «**جمع الله شملهما وأطاب مثلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعدن الحكمة وأمن الأمة**» فلما حضر علىّ تبسم ﷺ وقال: «**إن الله تعالى أمرنى أن أزوجك فاطمة وإن الله أمرنى أن أزوجكها على أربعة مثقال فضة**» فقال رضيتها يا رسول الله ثم خر علىّ ساجدًا شكرًا لله فلما رفع رأسه قال ﷺ: «**بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب**»، وقد أخرج الشيخان عنها أن النبى ﷺ قال لها: «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين**» وأخرج الحاكم عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران**» وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال لعلى: «**فاطمة أحب إلىَّ منك وأنت أعز على منها**» وأخرج أبو كبر فى الغيلانيات عن أبى أيوب أن النبى ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادى بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد ﷺ على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق**» وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وأما بيان ما ورد فى فضل أهل بيته على العموم ﷺ وذريتهم وبيان أن صلتهم تكون صلة لرسول الله ﷺ

اعلم وفقنا الله وإياك لخدمة أهل بيته ﷺ أن الله قد أمرنا على لسان نبيه بالمودة لأهل بيته بقوله: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ [الشورى: ٢٣] ومن أفراد المودة والصلة زيارتهم مقدمًا لهم على غيرهم متوسلا بهم إلى شفاعة جدهم، قال المحقق ابن حجر أخرج الديلمى مرفوعًا «**من أراد التوسل وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم**» قال وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عنه ﷺ إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى

وإن اللطيف أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا بماذا تخلفونى فيهما» وفى رواية «**إنما أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق**» قال وفى رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين «**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتى أمان لأمتى من الإختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس**»، اهـ ولعل المراد من الغرق ما يلحقهم من العذاب لولا وجودهم كما يدل عليه ما فى بعض الروايات «**فإذا ذهب أهل بيتى جاء أهل الأرض من العذاب ما كانوا يوعدون**» ويحتمل أن المعنى أن من أحبهم وعمل بمقتضى سنة جدهم نجا من ظلمة الأغيار والطغيان ومن يخلف عنها غرق فى بحر كفر النعمة والبهتان، قال وأخرج أبو سعيد عن على أخبرنى رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين فقلت يا رسول الله فمحبونا قال من ورائكم، قال وأخرج أحمد أنه ﷺ أخذ بيد الحسنين وقال: «**من أحبنى وأحب هذين وأمهما وأباهما كان معى فى درجتى يوم القيامة**» والمراد معية القرب والمشاهدة لا معية المكان والمنزل، قال وأخرج الطبرانى مرفوعا «**من اصطنع لأحد من ولد عبد المطلب يدًا فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلىّ مكافأته غدًا يوم القيامة إذا لقينى**» وفى خبر عنه ﷺ «**أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطرو إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه**» ومن مزيد فضلهم أن الله قد وكل بعض الملائكة بمعونتهم كما ورد عنه ﷺ أنه أرسل أبا ذر ينادى عليًا فرأى رحًا تطحن فى بيته وليس معها أحد فأخبر النبى ﷺ بذلك فقال: «**يا أبا ذر أما علمت أن ﷺ ملائكة سياحين فى الأرض قد وكلو بمعونة آل محمد ﷺ**» (ومما) ينبغى لك زيادة الأدب مع كل شريف وإجلاله وإكرامه بقدر الطاقة تعظيما لجدهم عليه الصلاة والسلام قال أخرج الخطيب عنه ﷺ «**يقوم الرجل للرجل إلا بنو هاشم فإنهم لا يقومون لأحد**» وفى رواية عن أنس قال بينما النبى ﷺ فى المسجد إذ أقبل علىُّ ثم وقف فنظر النبى ﷺ فى وجوه الصحابة أيهم يفسح له وكان أبو بكر رضى الله عنه عن يمين رسول الله ﷺ فتزحزح له عن مجلسه وقال ههنا يا أبا الحسن فجلس بين النبى ﷺ وبين أبى بكر فعرف البشر فى وجه رسول الله ﷺ وقال: «**يا أبا بكر إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل**»

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبى ليلى أن النبى ﷺ قال: «**الصديقون ثلاثة حبيب النجار وهو مؤمن آل يس الذى قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذى قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وعلى بن أبى طالب**» وأخرج الخطيب عن البزار والديلمى عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**على منى بمنزلة رأسى من بدنى**» وأخرج ابن سعد عنه قال والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا وكفاه شرفا قوله ﷺ: «**عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى طالب**» وجعل ذرية النبى ﷺ فى صلبه كما أخرجه الطبرانى والخطيب عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب**» وعن أبى ليلى عن الحسين بن على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الزموا مودتنا أهل البيت فإن من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع عبدًا عمله إلا بمعرفة حقنا**» أخرجه الطبرانى فى الأوسط، واعلم أنه حيث صح النسب إليه ﷺ لشخص ولو بتحسين الظن فلا ينبغى التفتيش بالبحث عن الأنساب فالناس مأمونون على أنسابهم فينبغى سلوك الأدب معهم وإجلالهم أدبًا مع جدهم، ولو كان ظاهر أحدهم غير مرضى فإن ذلك لا يقطع نسبه ما ورد من الأحاديث التى تفيد بعده فذلك من باب الحث والزجر، ولذلك حكى المحقق ابن حجر فى كتابه الصواعق عن التقى الفارسى من بعض الأئمة أنه كان يبالغ فى تعظيم الأشراف فسئل عن سبب تلك المبالغة فقال: إن شخصًا من الأشراف يقال له مطير قد مات وكان كثير اللعب واللهو فتوقف الأستاذ عن الصلاة عليه فرأى النبى ﷺ فى المنام ومعه فاطمة الزهراء فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته وقالت له ما يسع جاهنا مطيرا، وكذلك ذكر العارف بالله سيدى محمد الفارسى أنه كان يرى من بعض الأشراف أولاد الحسين ما يخالف ظاهره السنة قال فقال لى النبى مناما يا فلان باسمى مالى أراك تبغض أولادى قلت حاشا لله ما أكرههم يا رسول الله وإنما كرهت ما رأيت من فعلهم فقال لى مسئلة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب قلت بلى يا رسول الله قال وهذا ولد عاق اهـ وقد قال ابن عباس فى قوله الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ [الطور:

٢١] الآية، أن الله يرفع ذرية المؤمن معه فى درجته يوم القيامة وإن كانت دونه فى العمل وقد أكرم الله اليتيمين بصلاح أبيهمـا، وقد قيل إنه كان سابع جدلهما فقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] فمـا بالك بسيد الأنام بالنسـبة لذريته الكرام قال الإمام ابن حجر وقد قيل إن سبب إكرام حمام الحرم أنه من ذرية حمامـتين عششتـا على غار ثور الذى اختفى فـيه ﷺ عند خروجه للهـجرة وقد علمت أن حسن الظن يكفـينا فليس لنا البحث على صحـة أنسابهم اهـ. ومما يدل له على وجه الاسـتئناس ما ذكره أبو الفـرج بن الجوزى في كتابه الملتـقط قال كان رجل يبلغ من العلويين نازلاً بهـا وكان له زوجة وبنات فتـوفى الرجل قالت المرأة فخـرجت بالبنات إلى سمرقند خـوفًا من شمـاتة الأعداء فوصلت فى شـدة البرد فأدخلت البنات مسجـدًا ومضيت لأحتال لهن فى القوت فرأيت الناس مـجتمعين على شيخ فسألت عنه فقالوا هذا شيخ البلد فـتقدمت إليه وشرحت حالى له فقال أقيمى عندى البينة أنك علوية ولم يلتفت إلىَّ فعدت إلي المسجد فرأيت فى طريقى شيـخًا جالسًـا على دكة وحوله جـماعة فـقلت من هذا فقالـوا ضامن البلد وهو مجوسى فقلت عسى أن يكون عنده الفرج فتـقدمت إليه وحدثته حديثى وما جرى لى مع شيـخ البلد وأن بناتى فى المسجـد ما لهن شىء يقـتتن به فصـاح بخادم له فخرج فقال قل لسيدتك تلبس ثيابها فدخل وخرجت ومعها جوار فقال لها اذهبى مع هذه إلى المسجد الفلانى واحملى بناتـها إلى الدار فجاءت معى وحملت بناتى إلى الدار وقد أفرد لنا دارًا فى بيته وأدخلنا الحمـام وكسانا ثيابًا فاخرة وأرغد علينا بألوان الأطعمة فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المـسلم كأن القيامة قد قامت وأن اللواء على رأس محمد ﷺ فأعرض عنه فقال يا رسول تعرض عنى وأنا رجل مسلم فقـال له أقم البينة عندى أنك مسلم فـتحير الرجل فـقال له رسول الله ﷺ نسيت مـا قلت للعلوية وهذا القصـر للشيخ الذى هى فى داره الآن فانتـبه الرجل وهو يبكى ويلطم وبعث غلمانه فى الـبلد وخرج بنفسه يدور على العلوية فـأخبر أنها فى دار المجوسى فجاء إليه فقال أين العلوية فقال عندى قال إنى أريدها قال ما إلى هذا سبـيل قال هذه ألف دينار وتسلمها إلى فـقال لا والله ولا بمائة ألف دينار فلما ألح عليه قـال له يعنى المجوسى المنام الذى أنت رأيته أنا أيضًا رأيتـه والقصر

الذى رأيته لى حق وأنت تتعزز على بإسلامك والله ما دخلت بيتنا إلا وقد أسلمنا كلنا على يديها وعـادت بركاتها علينا ورأيت رسول الله ﷺ فقـال لى هذا القصر لك ولأهلك بما فـعلت مع العلوية وأنتـم من أهل الجنة خلقكم الله مـؤمنين اهـ.
وكفاهم شرفًـا أن الصلاة المفروضة لا تقبل على وجه الكمـال إلا بانضمام الصلاة عليهم معه ﷺ ففى الحديث عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه كما أخرجه الدارقطنى والبيهـقى عنه قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صـلاة لم يصل فيهـا على أهل بيتى لم تقبل**»، وأخذ الإمام الشافـعى بظاهره وحكم بوجوبها على النبى ﷺ وسنها على آله فيها، ولذلك قال فى هذا المعنى مشيرًا إلى وصفهم ومنبهًا على ما خصهم الله تعالى به من رعاية فضلهم بقوله:

يا أهل بـيت رسـول الله حـبكم — فـرض مـن الله فى القـرآن أنزله
كـفـاكم من عـظيم القـدر أنكم — من لم يـصل عليكـم لا صـلاة له

(وروى) عن سيدى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه «**إذا هالك أمـر فـقل اللهم صلِّ على مـحـمـد وعلى آل محمد أن تكفينى ما أخاف وأحذر فإنك تكفى ذلك الأمر**» وأخرج الحافظ وأبو محمد عبـد العزيز بن الأخضر فى مـعالم العترة النـبوية من طريق أبى نعيم قال أخـبرنا محمد قال حـدثنا محمد بن الحرث قال أخبرنا سويد قال حـدثنا معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد قال من صلى على محمد وعلى آله بيته مائة مرة قضى الله له مائة حـاجة وفى رواية عن جابر مرفـوعًا «**سبـعين منها لآخرته وثلاثين منهـا لدنياه**» أخرجه ابن منده وقال الحافظ أبو موسى المدنى أنه غريب حسن، وقال المحقق ابن حجر في الصواعق روى أبو داود «**من سره أن يكتـال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقـل اللهم صلى على سيدنا محمـد النبى وأزواجه وذريته وأهل بيتـه كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد**»، ثم اختلف فى المراد من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٣] هل هو خصوص ذرية على وفاطمة أو يعمهم وغيرهم من آل العبـاس وآل جعفر وآل عقيل وهو ما يقيده كلام المحقق السيوطى فى رسالته الزينبية فى تعريف الأشراف ولفظه اعلم أن اسم الشريف يطلق فى الصدر الأول على كل من كان من أهل البـيت سواء كان حسنيًا

أو حسينيًا أو علويًا مـن ذرية محمد ابن الحنفية أو غيـرهم أولاد على أو جعفر أو عقيل أو عبـاس، قال ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبى مشـحونًا فى التراجم يقول الشريف العباسى الشريف العقيلى الشـريف الجعفرى الشريف الزينبى، فلما تولى الخلافة الفاطمـيون بمصر قصروا الشريف على ذرية الحسن والحسين فـقط واستمر ذلك بمصر إلى الآن، قـال المحقق الصبان وقـد يقال على اصطلاح مصـر الشرف أنواع نوع عام لجميع أهل البيت ونوع خاص بالذرية فيـدخل فيه الزينبيون وجميع أولاد بناته وأخص منه وهو شرف النسبة وهذا مختص بذرية الحسن والحسين اهـ.

واستدل القائل على عدم العموم بما روى من طرق صحيحة أن رسول الله ﷺ جاء ومعه على وفاطمة والحسن والحسين فد أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليـهم كسـاء ثم تلا هذه الآية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الأحزاب: ٣٣] وفى رواية «**اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهـيرا**» وفى رواية «**اللهم هؤلاء آل محـمد فـاجعل صلواتك وبركاتك على آل مـحمد كـما جعلتهـما على إبراهيم إنك حـميد مجـيد**» قال المحقق البيـضاوى مؤيدًا للقول بالعـموم: التخـصيص لا يناسب ما قبل الآية ومـا بعدها والحـديث إنما يقتـضى أنهم أهل البيـت لا أنه ليس غيـرهم اهـ. (قلت) على أن التحصيص بالكساء لهؤلاء الأربع لأمر إلهى يدل له حديث أم سلمة قالت فرفعت الكساء لأدخل معـهم فجذبه من يدى فقلت وأنا معكم يا رسـول الله فقال: «**إنك من أزواج النبى ﷺ على خـيـر**» وفى رواية «**أنه أدرج مـعهـم جبـريل ومـيكائل**» قال المحقق ابن حجر روى أحمد والطبرانى عن أبى سـعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ: «**أنزلت هذه الآية فى خـمسة فى وفى على وحسن وحسين وفـاطمة**» وروى ابن أبى شيبـة وأحمد والترمـذى والطبرانى والحاكم وصحـحه عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمر ببيت فاطمة إذا خـرج إلى صلاة الفجر يقول: «**الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البـيت ويطهـركم تطهيـرا**». ا هـ وقد صرح فى بعض روايات بما يفيد العـموم كما رواه مسلم والنسـائى عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا فقال: «**أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا**» فقيل لزيد بن أرقم ومن أهل بيته فـقال أهل بيته من حـرم عليهم الصدقة بعـده قيل ومن هم قال آل

على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس جعلنا الله من جملة خدمهم الداخلين فى ساحة كرمهم بجاه سيدهم عليه أفضل الصلاة والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل السادس: فى بيان جملة من أهل بيت النبى ﷺ المدفونين بمصر تبركا بذكرهم واعتناءاً ببيان محلهم لزيارتهم

كما حققه القطب الشعرانى فى منته وطبقاته والعلامة المناوى وإمام المحدثين جلال الدين فى رسالته الزينبية والعلامة الأجهورى والعلامة الصبان وأن من نعمة الله على العبد المسلم توفيقه لزيارتهم مقدمًا لهم على غيرهم ولا عبرة بالاختلاف فى دفن بعضهم فيها لثبوته عند أرباب البصائر، ولقد قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى منته مما من الله تعالى به على زيارة أهل البيت الذين دفنوا فى مصر أى رؤسائهم فازورهم فى السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله ﷺ ولم أر أحدًا من أقرانى يعتنى بذلك إما لجهلهم بمقابرهم وإما لدعوى عدم ثبوت دفنهم فى مصر وهذا جمود منهم فإن الظن يكفينا فى مثل ذلك ا هـ (فأولهم سيدنا وولى نعمتنا الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته) ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع على الأصح وكانت فاطمة قد علقت به بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة حنكه ﷺ بريقه وأذن فى أذنه وتفل فى فمه ودعا له وسماه حسينا يوم السابع وعق عنه كان شجاعًا مقدامًا من حين كان طفلا (وهذه جملة من الأحاديث والآثار الواردة فى حقه مع أخيه الحسن وفيه بالخصوص) قال الإمام ابن حجر فى الصواعق وأخرج الطبرانى عن فاطمة أن النبى ﷺ قال: «**أما حسن فله هيبتى وسوددى وأما حسين فله جراءتى وجودى**» قال وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**إن الحسن والحسين هما ريحانتاى فى الدنيا**» وأخرج الترمذى والطبرانى عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ قال: «**هذان ابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما وأحب من يحبهما**» وأخرج الترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**أحب أهل بيتى إلى الحسن والحسين**» وأخرج البخارى وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى والحاكم عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة أهل الجنة إلا ما كان من مريم**»، وأما ما

يتعلق بالحسين بالخصوص فأحاديث شتى فمنهـا ما أخرجه البغوى فى معجمه من حديث أنس أن الـنبى ﷺ قال: «**استـأذن ملك القطر ربه أن يزور النبى ﷺ فـأذن له وكان فى يوم أم سلمة فقال ﷺ يا أم سلمة احـفظى علينا الباب لا يدخل أحد فبينما هى على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه؟ قال: نعم، قال: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذى يقتل فيه فأتاه بسهله أو تراب أحمر فـأخذته أم سلمة فجعلته فى ثوبها**» قال ثابت: كنا نقول إنها كربلاء. ا هـ والسهلة بكسر أوله رمل خشن ا هـ أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامـرى أن النبى ﷺ قال: «**حـسين منى وأنا من حـسين اللهم أحب من أحب حسينا حسـين سبط من الأسباط**» وروى ابن حبان وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبدالله قال سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة وفى لفظ إلى سـيـد شـباب أهل الجنـة فلينظر إلى الحـسين بن على**»، وروى خيثمة بن سليمـان عن أبى هريرة أن النبى ﷺ جلس فى المسجد فقال: «**أين لكع فجاء الحسين يمشى حتى سقط فى حجرة فجعل أصابعه فى لحية رسول الله ﷺ ففتح ﷺ فمـه أى الحـسين فأدخل يده فـيه ثم قـال اللهم إنى أحبـه وأحب من يحـبه**» وروى أبو الحسن بن الضـحاك عن أبى هريرة قال رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعـاب الحسين كمـا يمتص الرجل التمرة، وكـان ابن عمر جـالسًا فى ظل الكعبـة إذ رأى الحسين مقبلا فقال: «**هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم**» وجاء رجل إلى الحسين يستعين به فى حاجة فوجده معتكفـا فى خلوة فاعتذر إليه فذهب إلى أخيه الحسن فاسـتعان به فـقضى حاجـته وقال لقـضاء حاجـة فى الله عز وجل أحب إلى من اعتكافى شهرا (ومن) كلامه رضى الله عنه اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا من تلك النعم فتعـود عليكم نقما واعلموا أن المعروف يكسب حمدا ويعـقب أجرا فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيـتموه رجلا حليمـا يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رجـلا لرأيتمـوه رجلا قـبيح المنظر تنفـر منه القلوب وتغض دونه الإبصار (ومن كلامـه) من جاد ساد ومن بخل ذل ومن تعجل لأخيه خـيرًا وجده إذا قدم على ربه غدا، قال العلامة الأجهورى قال المناوى فى طبقاته ذكر لى بعض أهل الكشف والشهـود أنه حصل له اطلاع على دفن الحسين بكربلاء ثم ظهـر بعد

ذلك بالمشهد القاهرى لأن حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذى تدلى فى تيار جار فيطفو بعد ذلك فى مكان آخر، قال العلامة الأجهورى المذكور قلت الذى تواتر من أهل الكشف أنه فى مشهده القاهرى بلا شك لوجود هذه الروحانية والأنوار التى تبهر العقول، قال قال الشيخ عبدالفتاح بن أبى بكر الشهير بالرسام الشافعى الخلوتى فى رسالة له تسمى نور العين فى مدفن الرأس الشريف فى هذا المقام المنيف ولأهل الكشف والاطلاع فى مقره ما ذكره خاتمة الحافظ والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ نجم الدين الغيطى نفعنا الله بسنده عن شيخ الإسلام شمس الدين اللقانى المالكى شيخ السادة المالكية فى عصره من أنه كان يومًا جالسًا بالأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبى المواهب التونسى نفعنا الله ببركاته يتحدث معه فإذا بالشيخ أبى المواهب قام مستعجلاً وذهب إلى باب المدرسة الجوهرية التى بالجامع الأزهر فظهر منها فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور وهو لا يشعر به إلى أن وصل المشهد المبارك وهو خلفه فلما دخل المسجد وجدا إنسانًا واقفًا على باب الضريح الشريف ويداه مبسوطتان وهو يدعو فوقف الشيخ أبو المواهب خلفه كذلك يدعو ووقف اللقانى خلفهما فلما فرغ ذلك الرجل من الدعاء ومسح على وجهه بيديه رجع الشيخ اللقانى إلى الجامع الأزهر وإذا بالشيخ أبى المواهب قد رجع، فقال له اللقانى يا مولانا الشيخ رأيتك قد ذهبت مستعجلاً من باب الجوهرية وها أنت رجعت فقال كنت فى مصلحة وكتم عنه القضية فقال له لعلك ذهبت إلى المشهد الحسينى قال نعم فما أعلمك بذلك؟ قال كنت فيه معك قال فما رأيت قال رأيت إنسانًا واقفًا على باب الضريح يدعو ووقفت أنت خلفه ووقفت أنا خلفك فدعوت أيضًا فقال أبشر يا شمس الدين بأن جميع ما دعوت به وقت ذلك استجيب لك، قال يا سيدى ومن هذا الرجل قال الغوث الجامع يأتى كل يوم ثلاثاء فيزور هذا المشهد، فلما وقع عندى مجيئه فى هذا الوقت قمت إليه فحضرت معه الزيارة وقبلت يده، فالزم ذلك يحصل لك خيرًا قال فمازال اللقانى يزور هذا المحل إلى أن مات رحمه الله ونفعنا به ا هـ لفظ الأجهورى بعينه* أقول ولعل الشمس اللقانى أخبر بذلك شيخ الإسلام الغيطى ونقله الإمام الغيطى عنه ولو كان الغيطى شيخا للقانى فى الحديث فإخباره بتلك الجزئية

ونقل شيخه لها عنه لا ينافى كون اللقانى كان يروى الحديث عن الإمام الغيطى وكل منهما كان إمامًا فى زمن الآخر، قال الإمام الاجهورى فى رسالته على مسلسل عاشوراء ومن ذلك ما نقل عن الشيخ الجليل أبى الحسن التمار رحمه الله ونفعنا به أنه كان يأتى إلى هذا المكان للزيارة ثم إذا دخل إلى الضريح يقول السلام عليكم فيسمع الجواب وعليك السلام يا أبا الحسن فجاء يومًا من الأيام ثم سلم فلم يسمع جوابًا لرد السلام فزار ورجع مرة أخرى فسمع الجواب يرد السلام فقال يا سيدى جئت بالأمس فسلمت فما سمعت جوابًا فقال يا أبا الحسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدى المصطفى ﷺ فلم أسمع كلامك قال، وهذه كرامة جليلة لأبى الحسن التمار* قال ومن ذلك أيضًا ما أخبر به الشيخ العالم فتح الدين أبو الفتح الغمرى الشافعى أنه كان يتردد إلى الزيارة غالبًا فجلس يومًا يقرأ الفاتحة ثم دعا فلما وصل فى الدعاء إلى قوله وأجعل ثوابًا مثل ذلك أراد أن يقول فى صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس حصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين فقال فى صحائف هذا وأشار بيده إليه فلما تم الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل العارف الكبير سيدى عبد الوهاب الشعرانى فأخبره بذلك فقال له صدقت وأنا وقع لى مثل ذلك ثم قال ذهب إلى مولانا لأستاذ كريم الدين الخلوتى فذكر له ذلك فقال له الآخر صدقت وأنا مازرت هذا المكان إلا بأذن من النبى ﷺ ثم أنشد فقال:

حب آل النبى خالط قلبى ... فاعذرونى فى جهنم فاعذرونى

أنا والله مغرم بهواهم ... عللونى بذكرهم عللونى

ا هـ ولبعض العارفين تشطير ذلك:

حب آل النبى خالط قلبى ... كاختلاط الضيا بماء العيون

وسرى فى أعضاء جسمى كروحى ... فاعذرونى فى حبهم فاعذرونى

أنا والله مغرم بهواهم ... خالع فيهم عذار شجونى

يا رفاقى إنى عليل هواهم ... عللونى بذكرهم عللونى

قال بعض الأشياخ أن الأستاذ الخرشى كان يقوم على بغتة وهو بالمسجد الحسينى واضعًا يده على صدره ويرد السلام ولم يجد الحاضرون معه شخصًا فكان يخبرهم بأن رسول الله ﷺ قد مر علينا وهو داخل المقام الحسينى، قال العارف الشعرانى فى كتابه مختصر التذكرة قد ثبت أن طلائع بن رزيك الذى بنى المشهد الحسينى، قال العارف الشعرانى فى كتابه مختصر التذكرة قد ثبت أن طلائع بن رزيك الذى بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس إلى هذا المشهد يعنى القديم غير الذى جدده جناب عبد الرحمن كتخدا فإنه تحته، وقد بنى فوقه حكم أخبار أهل المقام الحسينى لنا، قال العارف وذلك بعد أن بذل فى نقلها نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره فتلقاها من خارج مصر حافيًا مكشوف الرأس هو وعسكره وهو فى برنس حرير أخضر فى القبر الذى فى المشهد موضوعة على كرسى من خشب الأبنوس مفروش هناك نحو نصف أردب من الطيب قال كما أخبرنى بذلك خادم المشهد (ومما) وقع لى أننى قلت لسيدى الشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى مفتى المسلمين رضى الله عنه أترى أن تزور معنا رأس الحسين فى المشهد بخان الخليلى فقال إنه لم يثبت كون الرأس هناك فقلت له زره بالنية على تقدير صحة ذلك فقال نعم، فلما دخلنا مقصورته بالمشهد قلت للشيخ اجلس مراقبًا بقلبك للرأس الشريفة فجلس متخيلاً لها فى ذهنه فحصل له ثقل رأس فنام فرأى نقيبًا مشدود الوسط قد خرج من القبر فمازال بصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله ﷺ وقال له يا رسول الله إن الشيخ شهاب الدين بن الشلبى وعبد الوهاب الشعرانى يزوران رأس ولدك الحسين فقال رسول الله ﷺ تقبل الله منهما قال فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه وقال آمنت وصدقت بأن الرأس هنا وحكى الواقعة ولم يزل يزوره حتى مات قال العارف فزر يا أخى هذا المشهد بالنية الصالحة إن لم يكن عندك كشف قال فقول الإمام القرطبى رحمه الله أن دفن الرأس فى مصر باطل صحيح فى أيام القرطبى فإن الرأس إنما نقلها طلائع بن رزيك بعد موت القرطبى فافهم والله تعالى يرشدنا وإياك لما فيه رضاء انتهى (قال) الأستاذ الحفنى فى رسالته كان بعض العارفين يهيم فى مقام الحسين الذى نشرت عليه أعلام السعادة من الجانبين سناء من أسرار النبوة لاح وبناء أعرب عن فلاح ماجد قد فاح وأنشد فقال:

منـزل كـــــمل الإلـه سـناه تتـــوارى البـــدور عنـد لقـــاه

خـــصــه ربـنا بما شـــاء فى الأر ض تعـــالى من فى الـســمـــاء إله

صـــانه زانـه حـــمـــاه وقـــاه وكـــســـاه بمنـه ورضـــاه

أن غدا مـسكنًا لغرة آل البيت من ثم قـدره وعلاه

الإمــام الحـــسين أشـــرف مـــولى أيـد الديـن ســـره ووقـــاه

مـدحـتـه آى الكتـاب وجـاءت سنة الهـــاشـــمى طرزحـــلاه

انتهى، وكان واسع العطاء والمجد ولذلك قال بعض الحواشى على المغنى عند قوله وقد يجزم بلن نيابة عن لم كقول بعض العرب يعنى خطابًا للحسين.

لن يـخب الآن مـن رجـــائـك من حـــرك مـن دون بابـك الحلقـــه

فأنعم عليه بألف دينار واعـتذر إليه (واعلم) أنه ينبغى كثرة الزيـارة لهذا المشهد العظيم متوسلاً به إلى الله ويطلب من هذا الإمام مـا كان يطلب منه فى حياته فإنه باب تفـريج الكروب فـبـزيارته يزول عن القلب الخـطوب ويصل إلى الله بأنواره والتوسل به كـل قلب محجـوب (ومن ذلك) ما وقع لسـيدى العارف بـالله تعالى سيـدى محمـد شلبى شارح العزية الشـهير بابن الست وهو أنه قـد سرقت كتـبه جميعـها من بيته قال فتـحير عقله واشتد كـربه فأتى إلى مقام ولى نعمـته الحسين منشد الأبيات استغـاث بها فتوجه إلى بيته بعد الزيارة ومكثـه فى المقام مدة فوجد كتبه فى محلها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها وها هى الأبيات:

أيحوم حـول من التجـالكم أذى أو يشـتكى ضـيـمـا وأنتم سـادته

حـاشـــا يرد من انتـــمى لجنـابكم يا آل أحـمـد أو تسـر شـوامـتـه

لكـم السـيـادة مـن ألست بربـكم ولكـم نطاق العــزدارت هالـتـه

هـل ثم بـاب لـلنبى ســـواكـم من غـيركم من ذى الـورى ريحانته

تبـا لطرف لا يـشـاهـد مـشــهـدًا يحـوي الحـسين وتستلمـه سلامـته

فـالزم رحـابًا ضم سـبط محـمـد مـا أمـه راج وعـيـقت حـاجـتـه

ها خـادمًـا للحب يرفع حـاجـة مما يـلاقى مـن بـلايـا هالتـــه

أمدنا الله من فيض أمداده ومتعنا من فيض قربه وتقبل أعتابه (وأما أولاده رضى الله تعالى عنه) فقال العلامة الأجهورى رزق سيدى الحسين من الأولاد خمسة على الأكبر وعلى الأصغر وله العقب وجعفر وفاطمة وسكينة المدفونة بالمراغة بقرب السيدة نفيسة ذكره المناوى والشعرانى وزاد أن عليًا الأصغر هو زين العابدين، وقال الشيخ كمال الدين إن للأستاذ الحسين من الأولاد الذكور ستة ومن الإناث ثلاثة فأما الذكور فعلى الأكبر وعلى الأوسط وهو زين العابدين وعلى الأصغر ومحمد وعبد الله وجعفر فأما على الأكبر فإنه قاتل بين يدى أبيه حتى قتل وأما على الأصغر فجاءه سهم وهو طفل فقتل بكربلاء، وأما على الأوسط فكان مريضًا بكربلاء ورجع مريضًا إلى مكة، وأما عبد الله فقتل مع أبيه شهيدًا أيضًا وجعفر مات فى حياة أبيه وأما البنات فزينب وفاطمة وسكينة ا هـ وكذا ذكره غيره أيضًا، والذى عليه التحقق عند أهل الكشف والشهودات المدفونين من أولاد الحسين مباشرة بمصر ثلاثة من الذكور فقط سيدى على زين العابدين ومن الإناث السيدة فاطمة والسيدة سكينة، فأما سيدى على زين العابدين فقال القطب الشعرانى فى طبقاته توفى رضى الله تعالى عنه سنة أربع وتسعين وهو ابن ثمان وخمسين سنة وحملت رأسه إلى مصر ودفنت بالقرب من مجرى القلعة قال الأستاذ المذكور وهو أبو الحسينيين على الإطلاق قال الأصمعى رضى الله تعالى عنه ونسل الحسين كلهم من قبل زين العابدين وقال بعضهم والدعاء عندهم مستجاب وللقطب الشعرانى فى المنن أيضًا نقلاً عن شيخه الخواص أن زيد الذى رأسه فى المحل المذكور زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وأن فيه زين العابدين أيضًا قال العلامة الصبان والجمع بإمكان اجتماع الثلاثة ممكن، ولفظ العلامة الصبان وقد اشتهر أن المشهد القريب بمجرى القلعة بقرب مصر القديمة هو مشهد سيدى على زين العابدين وجرى عليه الشعرانى فى طبقاته وهذا على ثبوته لا ينافى ما مر من دفنه بالبقيع لجواز أن يكون ظهر بهذا المشهد لما علمت سابقًا أن الحال فى البرزخ كالحال فى التيار، وقال العارف الشعرانى فى كتابه الأنوار القدسية عليك أيها الأخ المؤمن بزيارة أهل بيت النبوة المدفونين بمصر وقدمهم على زيارة كل ولى فى مصر وكن على عكس ما عليه العامة من اعتنائهم بزيارة بعض

المجاذيب والأولياء ولا يعتنون بزيارة أهل بيت النبوة مثل اعتنائهم بمن ذكر، قال وهذا من شدة جهلهم قال وقد صحح أهل الكشف أن السيدة زينب رضى الله عنها بنت الإمام على هى المدفونة بقناطر السباع بلا شك، وأن أختها السيدة رقية فى المشهد القريب من دار الخليفة أمير المؤمنين بالقرب من جامع ابن طولون ومعها جماعة من أهل البيت، وأن السيدة سكينة بنت السيد الحسين رضى الله تعالى عنها فى الزاوية التى عند الدرب قريبًا من مشهد عمتها ومن دار الخليفة، وأن السيدة نفيسة رضى الله عنها فى هذا المكان بلا شك وأن السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة وأن السيد محمد الأنور عم السيدة نفيسة رضى الله عنه فى المشهد القريب من جامع ابن طولون مما يلى دار الخليفة فى الزاوية التى هناك، وأن أخاه السيد حسن والد السيدة نفيسة فى القبة المشهورة القريبة من جامع عمرو، وأن رأس الإمام زين العابدين ورأس السيد زيد الأبلج فى القبة التى بين التل قريبًا من مجرى القلعة، وأن رأس السيد إبراهيم بن السيد زيد الابلج فى المسجد الخارج من المطرية مما يلى الخانقاه، قال وهو الذى اختفى من أجله الإمام مالك وأن رأس السيد الحسين فى القبر المعروف فى المشهد قريبًا من خان الخليلى بلا شك وضعه طلائع بن رزيك وكان نائبًا فى مصر فى كيس من حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب ومشى معه هو وعسكره لما جاء من بلاد العجم حفاة من ناحية الشرقية إلى مصر انتهى نص العارف بلفظه فى كتابه الأنوار فثق أيها المحب لآل بيت النبوة بكلام العارف وكفى به حجة ولا تلتفت لما فى بعض التواريخ أو غيرها مما يخالفه، وأمه رضى الله تعالى عنها كانت إحدى بنات كسرى قال فى السيرة الحلبية لما جىء ببنات كسرى وكن ثلاثًا مع أمواله وذخائره إلى عمر أوقفن بين يديه وأمر المنادى أن ينادى عليهن وأن يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادى فى صدره فغضب عمر رضى الله عنه وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له على كرم الله وجهه مهلاً يا أمير المؤمنين فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر**» إن بنات الملوك لا

يعاملن معـاملة غيرهن من بنات السوقـة، فقال له عمر كـيف الطريق إلى العمل معهن فقال يقـومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فـقومن فأخذهن على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عـمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن أبى بكر فجـاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسـين فجاء منها بعلى زين العابدين وهؤلاء الـثلاثة فاقـوا أهل المدينة علمًا وورعًا فكان أهـل المدينة قبل ذلك ينأون عن التسـرى فلما نشأ هؤلاء الثـلاثة منهن رغبوا فـيه ا هـ وروى على زين العابدين عن أبيه وعائشـة وأبى هريرة وغيرهم وعنه بنوه والزهرى وأبو الزناد وغيرهم قـال الزهرى وابن عينية ما رأينا قـرشيًا أفضل منه، وقـال ابن المسيب ما رأيت أورع منه وقد جـاء عنه من خشوعـه فى وضوئه وصلاتـه ونسكه ما يدهش المسامع وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركـعة حتى مات، ولقب بزين العابدين لكثرة عبادته وحـسنها كان شديد الخوف من الله تعالى بحـيث أنه إذا توضًا أصفر لونه وارتعد فـيقال له ما هذا فيقـول أتدرون بين يدى من أقف، وكان إذا هاجت الريح سقط مغمى عـليه ووقع فى بيته حريق وهو ساجد فـجعلوا يقولون له النار فما رفع رأسه حـتى طفئت فقيل له أشعرت قال ألهـتنى عنها النار الكبرى، وكان إذا أغضبه أحد قـال اللهم إن كان صادقًا فاغفر لى وإن كان كـاذبًا فاغفر له وكان يضرب به المثل فى الحلم وله فيه حكايات عجيـبة (منها) أنه خرج يومًا من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ وأفرط فبادر إليـه العبيد والمولى فكفهم وأقبل عليه وقال ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فألقى له خميصة وأمر له بخمسة آلاف درهم فقـال أشهد أنك من أولاد المصطفى ﷺ، ولقيه رجل فسبه فقال له يا هذا بينى وبين جهنم عـقبة إن أنا جزتها فما أبالى بما قلت وإن لم أجزها فأنا أكـثر مما تقول ألك حاجـة فخجل الرجل، وكان لا يعـينه على ظهوره أحد ولا يدع قـيام الليل حضـرًا ولا سفرا وقـرب إليه طهـرة مرة فى وقت برودة فوضع يده فى الإنـاء ليتوضـأ ثم رفع رأسه فنظر إلى السـماء والقـمر والكواكب فجـعل يتفكر فى خلقهـا حتى أصبح وأذن المؤذن ويده فى الأناء فلم يشـعر (ولما) مات وجدوه يقوت أهل مـائة بيت، ودخل عليه فى مرض موته محـمد بن أسامة بن زيد فبكى فقال ما يبكيك قال على دين خـمسة عشر ألف دينار فقال هى على ووفاها (ومن) كراماته أن زيدًا ابنه استشاره فى الخروج فنهاه وقال أخشى أن تكون

أنت المقتول المصلوب أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفيانى إلا قتل مكانه فكان كما قال (ومنها) أن عبد الملك بن مروان حمله من المدينة مقيدًا مغلولاً فى ثقل قيود وأغلال فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى فقال وددت أنى مكانك فقال تظن أن ذلك يكربنى لو شئت لما كان وأنه ليذكرنى عذاب الله ثم أخرج يديه ورجليه من القيد ثم أعادها (ومن) ومن كلامه أنه إذا نصح لله فى سره أطلعه الله على مساوى عمله فتشاغل بعيوبه عن معايب الناس، وقال فقد الأحبة غربة وقال عبادة الأحرار لا تكون إلا شكر الله لا خوفًا ولا رغبة، وقال إن قومًا ما عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وقومًا عبدوه شكرًا فتلك عبادة الأحرار، وقال عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة وسيكون جيفة وعجبت كل العجب لمن شك فى الله وهو يرى خلقه وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى وعجبت لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء، وقد سماه النبى ﷺ سيد العارفين (قال) الإمام ابن حجر روى عن جابر أنه لقى سيدى محمد الباقر فى صغره ابن سيدى على زين العابدين فقال له جدك رسول الله ﷺ يسلم عليك فقيل له وكيف ذلك يعنى مع انتقال رسول الله ﷺ إلى دار البقاء قال كنت جالسًا عنده ﷺ والحسين فى حجره وهو يلاعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه على إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العارفين فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد الباقر فإذا أدركته يا جابر فأقرئه منى السلام (وكان) سيدى على زين العابدين شديد المهابة ولذلك قيل فى حقه

يغضى حياء ويغضى من مهابته   فلا يكلم الأحين يبتسم

(قال) الإمام ابن حجر أخرج أبو نعيم أنه لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة أبيه لم يمكنه أن يصل الحجر الأسود من الزحام فتصب له منبر إلى جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أعيان الشام فبينما هو كذلك إذ قبل زين العابدين فلما انتهى إلى الحجر تنحى الناس له عن الحجر من المهابة والجلالة حتى استلم الحجر فقال أهل الشام لهشام من هذا قال لا أعرفه مخافة أن يرغب أهل الشام فى زين العابدين فقال الفرزدق أنا أعرفه:

هذا الذى تعــرف البطحا مــوطأته والبـيت يـعـرفـه والحل والحـرام
هذا ابن خــيــر عـبــاد الله كـلهم هذا التـقـى النقى الطـاهر العـلم
إذا رأته قــريش قــال قــائلهــا إلى مكـارم هذا يـنتـــهى الكـرم
ينمى إلى ذروة الـعـز التى قـصـرت عن نيلهــا عـرب الإسـلام والعـجم
هذا ابن فـاطمــة إن كـنت جـاهله بجـده أنبـيـاء الله قـد اخـتـمـوا
فلـيس قـــولك مـن هذا بضــائره العـرب تعـرف من أنكرت والعـجم
من مـعـشـر حـبـهم دين وبغـضـهم كـفـر وقـربهم منـجـا ومـعـتـصم
لا يسـتطيع جـواد بعـد غـايتـهم ولا يدانيـهم قـوم وإن كـرمـوا

فلما سمعها هشام غضب وحبس الفرزدق بعسفان ولما بلغ ذلك سيدى عليا زين العابدين أمر له باثنى عشر ألف درهم وقال اعذر لو كان عندنا أكثر لوصلنك به فقال انما امتدحك لله لا لعطاء فقال الأستاذ إنا أهل البيت إذا وهبنا شيئًا لا نستعيده فقبلها الفرزدق ثم هجا هشامًا فى الحبس فبعث فأخرجه وهذا ببركة الأستاذ رضى الله تعالى عنه، وفى فضائل عاشوراء للعلامة الأجهورى عن ابن مسعود حب آل محمد يومًا خير من عبادة سنة، وللإمام السمهودى فى جواهر العقدين أن المأمون قال لعلى زين العابدين ابن الإمام الحسين بأى وجه جدك على بن أبى طالب قسيم الجنة والنار فقال يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**حب على إيمان وبغضه كفر**» فقال بلى فقل بهذا ظهر كونه قسيم الجنة والنار، فقال المأمون لا أبقانى الله بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علوم رسول الله ﷺ، قال أبو الصلت عبد السلام المهدوى ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين فقال يا أبا الصلت انما كامته من حيث يهوى، ولقد سمعت الحسين يحدث عن أبيه على رضى الله تعالى عنه قال قال لى رسول الله ﷺ «**أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول النار وهذا لى وهذا لك**» اهـ وكراماته وحلمه وفضائله لا تنحصر عجائبها أمدنا الله من فيوض أمداده ومتعنا بشهود أهل حبه وو داده، (وأما أخته السيدة سكينة) فهى بنت سيدنا

وولى نعمتنا الحسين، ففى طبقات الشعرانى الكبرى أن السيدة سكينة بنت الحسين مدفونة بقرب السيدة نفسيه وكذا فى طبقات المناوى وكذا فى سيرة الشامى الحلبى، قال الشعرانى لما دخلت السيدة نفيسة مصر كانت ابنة عمها السيدة سكينة المدفونة قريبًا من دار الخلافة مقيمة بمصر قبلها ولها الشهرة العظيمة فخلعت الشهرة والنذور عليها واختفت رضى الله تعالى عنها وفى الفصول المهمة فى فضائل الأئمة لابن الصباغ أن الحسن بن الحسن بن على خطب من عمه الحسين احدى ابنتيه فاطمة أو سكينة وقال اختر لى إحداهما فقال الحسين اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أكثرهما شبهًا بأمى فاطمة بنت رسول الله ﷺ أما فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وأما فى الجمال فتشبه الحور العين، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل، فى كلام غير واحد أن سكينة تزوجت بابن عمها عبد الله بن الحسن فقتل عنها بالطف ثم تزوجت بعده بأزواج، وقيل أنها أخت الحسين وقواه النووى وقيل أنها بنت سيدى على زين العابدين، قال العلامة الأجهورى قلت الذى تواتر سلفًا وخلفا أن سكينة التى بمصر بنت الحسين بلا شك، قال الأستاذ الحقنى ويشهد لهذا ما ذكره صاحب القاموس حيث قال فى حرف السين سكينة كجهينة بنت الحسين ابن على ولم يذكر سكينة أخت الحسين ولو كانت موجودة لذكرها كما هو عادته فى نظير ذلك، وقد استفيد من كلامه أنها بضم السين وفتح الكاف لأنه قال كجهينة قال الأستاذ المذكور، ثم رأيت فى كتاب الكواكب السيارة للعلامة محمد بن الزيات أن أول من دخل مصر من أولاد على كرم الله وجهه سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ثم رجعت إلى المدينة، وهذا يؤيد ماذكره النووى سابقًا قال العلامة الصبان ويمكن الجمع بين هذين القولين بدفن كلتيهما فى ذلك المحل. ا هـ وقد سبق لك آنفًا ما نقلناه عن القطب الشعرانى فى كتابه الأنوار القدسية عند سرده لمن مات بمصر من أهل البيت إجمالاً بالقطع منه ببيان أماكن محل دفنهم حيث قال والسيدة سكينة بنت الحسين فى هذا المحل بلا شك ولا يخفى عليك ما مر من ظهور من اشتهر بمكان ولو لم يكن به فإن النفحات والبركات طافحة وشاهدة لمن عاين منهم تلك المآثر فعليك يا أخى بقطف ثمار محبة أنوار أعتابهم متوسلاً بهم فى نجاتك من ظلمة الأغيار وعذاب النار (ومن ألطف ما قيل).

هم القوم من أصفاهم الود مخلصًا	تمسك فى أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبًا	محاسنهم تحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهم هدى	وطاعاتهم ودودهم تقوى

أمدنا الله فيض إمداداتهم وجعلنا الله من المنظومين فى عقد خدامهم (وأما) سيدة أهل اليقين ومانحة لواء العز والسودد للقاصدين وباب تفريج الكروب للمستغثين السيدة فاطمة النبوية بنت ولى نعمتنا الحسين شقيقة السيدة سكنية فهى مدفونة خلف الدرب الأحمر، قال العلامة الأجهورى السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين السبط مدفونة خلف الدرب الأحمر فى زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية فى مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار ما يسر قلوب الناظرين ولنا فيها أرجوزة عظيمة ولنا بها زيارات، وما اشتهر من أن فاطمة النبوية بدرب سعادة غير صحيح وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون معبدها ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة انتهى لفظ سيدى عبد الرحمن الأجهورى جد سيدى على الاجهورى وكفى به حجة فإنه كل شيخ الإسلام فى وقته (وفى) الفصول المهمة فى فضائل الأئمة لابن الصباغ أن الحسن بن الحسن بن على خطب من عمه الحسين احدى ابنتيه فاطمة أو سكينة وقال اختر لى احداهما فقال الحسين قد اخترت لك ابنتى فاطمة فهى أكثر شبهًا بأمى فاطمة بنت رسول الله ﷺ أما فى الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وأما فى الجمال فتشبه الحور العين وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل اهـ وقد عهد محلها الأنور ومقامها الإبهار بذهاب العناء عن قاصد هاتيك الاعتاب متوسلاً بها إلى رب الأرباب وقد سبق لك غير مرة أن البرزخ كالتيار يظهر من انتسب إليه فيه وإن لم يكن مدفونًا به فإن للأولياء فى البرزخ الانطلاق والسراح لأرواحهم بل لأشباحهم كما حققه عمدة المحدثين وليث العارفين الذى كان يجتمع بالنبى ﷺ يقظة المحقق سيدى عبد الله بن أبى جمرة أفاد تلك الشهادة له الأستاذ الحفنى فى رسالته وإذا كان هذا للأولياء عمومًا فما بالك ببضعة رسول الله ﷺ، ولفظ العارف ابن أبى جمرة الذى عليه المحققون من الصوفية أن الأمر فى عالم البرزخ والآخرة على خلاف عالم الدنيا فينحصر الإنسان فى صورة واحدة يعنى فى عالم

الدنيا المسمى بعالم الشهادة إلا الأولياء كما نقل عن قضيب البان أنه رؤى فى صور مختلفة وسر ذلك أن روحانيتهم غلبت جسمانيتهم فجاز أن تظهر فى صور كثيرة وحمل عليه قوله ﷺ لأبى بكر لما قال وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وقالوا أن الروح إذا كانت كلية كروح نبينا ﷺ ربما تظهر فى سبعين ألف صورة قال فإذا جاز لأرواح الأولياء عدم الانحصار فى صورة واحدة فى عالم الدنيا فترى فى صور مختلفة لغلبة روحانيتهم جسمانيتهم فأحرى أن لا تنحصر أرواحهم فى صورة واحدة فى عالم البرزخ لذى الروح فيه أغلب على الجسمانية، وقالوا أيضًا الولى إذا تحقق فى الولاية مكن من التصور فى صور عديدة وتظهر روحانيته فى وقت واحد فى جهات متعددة فالصورة التى ظهرت لمن رآها حق والصورة التى رآها آخر فى مكان آخر فى ذلك الوقت حق ولا يلزم من ذلك وجود شخص واحد فى مكانين فى وقت واحد لأن فيما هنا تعدد الصور الروحانية الجسمانية فإذا جاز للروح أن ترى فى صور عديدة فى دار الدنيا لمن تحقق فى الولاية فأحرى أن ترى فى صور عديدة فى عالم البرزخ لذى الغلبة فيه للأروح على الأجسام، ويقوى ذلك ما ثبت فى السنة وصح أن النبى ﷺ رأى موسى قائمًا يصلى فى قبره ليلة الأسراء ورآه فى السماء تلك الليلة وقد أثبت الصوفية عالمًا متوطًا بين الأجساد والأرواح سموه عالم المثال وقالوا هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح وبنو على ذلك تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] فتكون الروح كروح جبريل مثلاً فى وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلى ولهذا الشبح المثالى فإذا جاز تجسد الأرواح وظهورها مختلفة من العالم المثالى فى عالم الدنيا ففى عالم البرزخ أولى وعلى هذا فالذى يخرج من القبر الشبح المثالى اهـ وقال فى المواهب نقلاً عن العز بن عبد السلام فإن قلت إذا لقى جبريل النبى ﷺ فى صورة دحية الكلبى فأين تكون روح جبريل فإن كان فى الجسد الذى له ستمائة جناح فالذى أتى حينئذ لا روح جبريل ولا جسده وإن كانت فى هذا الذى فى صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أو يبقى خاليًا من الروح المنتقلة عنه إلى الجسد المشبه جسد دحية قال الإمام العينى فى شرحه على

البخارى أنه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبًا لموته فيبقى الجسد الأول حيًا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه للجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلاً بل بعادة أجراها الله فى بنى آدم فلا تلزم فى غيره ا هـ وقال سيدى محمد الزرقانى شارح المواهب عن السراج البلقينى يجوز أن يكون الآتى هو جبريل بشكله الأول إلا أنه انضم قصار على قدر هيئة الرجل ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال وقال فتح البارى على البخارى الحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسًا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط ا هـ قال سيدى محمد الزرقانى والذى اختاره وما أجاب به الإمام القزوينى بقوله يجوز أن الله خصه بقوة ملكية بحيث يكون روحه فى جسده الأصلى مدبرًا له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيًا بما اتصل به من ذلك الأثر، قال وقد قيل إنما سمى الأبدال أبدالا لأنهم قد يدخلون إلى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحًا آخر شبيهًا بشبحهم الأصلى بدلاً عنه، قال وأثبت الصوفية عالمًا متوسطًا بين عالم الأجسام والأرواح سموه عالم المثال ا هـ (أقول) وإذا أمعنت النظر وجدت ما اختاره الشارح موافقًا لما أجاب به الإمام العينى حيث قال ويكون انتقال روحه للجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء إلخ لأنه لا خفاء فى حياة الشهداء جسمًا وروحًا لا روحًا فقط فكونها فى جوف طير وخضر لا ينافى اتصالها بالجسد الأصلى ويوافق ما درجنا عليه أولاً عن العارف ابن أبى جمرة نفعنا الله به هذا تحقيق المقام (ولنرجع) إلى ما نحن الآن بصدده عسى أن يشكف عنا حجاب الغفلة وينفذ القلب من تراكم غيه وتزاحم أوده (اعلم) أن حب آل البيت من أعظم الوسائل إلى الله والتودد إليهم يزكى النفس ويذهب اليأس ويدنى العبد من مولاه أليس وهم سلالة سيد الخلق على الإطلاق الذين أماطت لهم الحضرة العلية جلابيب الأنوار فغرقوا فى بحار الأشواق وشاهدوا الحق فأثمرت رياض عزهم اليانعة والتزموا الصدق فساغ لهم التصرف بما شاؤا، وغدت فضائلهم ذائعة شائعة لا سيما غرة وجه الزمان ورفيعة القدر والشأن من تمسكت البركات بأذيال طلعتها البهية وتمسكت النفحات بشذا

عرف بهجبتـها السنية ذات الحسن والجمال والبهجـة والجلال المتصرفة فى الملكوت بأمر الله كـما تشاء المنقـذة الملهوف إذا هو من كـؤوس غياهب صـروف الدهر قد انتشى من عجزت عن حصر فضائلها ألسن الأقلام واعترفت الأولياء بأنها سيدتهم على التمام السيـدة فاطمة بنت الإمام الأعظم ولى نعمتنا الحسين بـشهادة ما تقدم لك عن البرهـان الاجهورى وصـاحب الفصول المهـمة ويقـوى ذلك أيضًا وإن لم يكن نصًا فى محلها بالخـصوص ما أفاده الحافظ الكبير الإمـام ابن حجر فى شرح فـتح البارى على البـخـارى فى باب الجنائز ولما مـات الحسن بن الحـسن بن على ضربت امـرأته القبة على قـبره سنة ونصه فـى الفتح قوله لما مـات الحسن هو ممن وافق اسمه اسم أبيه وكانت وفاته سنة تسع وتسعين وهو من ثقات التابعين، روى له النسائى، قال وله ولد يسمى الحسن أيضًا فهم ثلاثة فى نسق، قال واسم امرأته المذكورة فاطمة بنت الحسين قال وهى ابنة عمه انتهى فهذا نص منه على أن للإمام الحسين بنتًـا تسمى فاطمة وعـبارة الأمام العينى على البـخارى مثل ذلك وزاد أنه تزوجها بعد موت الحسن عبد الله بن عمرو بـن عثمان بن عفان فولدت له محمد الديباج ا هـ (ويعجبنى) مـدحًا فى حضرتها وآل البيت على العـموم الذين شيدوا الدين وصاروا فى الاهتداء بهم كالنجوم قـول الهمام الفاضل والإمام الكامل ولدنا الشيخ أحمد المالكـى لقبًا الشافعى مذهبًا الأبيـارى بلدًا أفاض الله علىّ وعليه من سحـائب بركاتهم وأمـدنى وإياه من نفائس إمـداداتهم وسبب نظمـه هاتيك الدرر ونشره نفائس عرائس الغرر أن الفاضل المذكـور لما طلع على كتابى هذا عند تألفيه فأعجبه حسن سبكه وتصنيفه حيث وشح بذكر ما لآل البيت من المآثر ورشح بذكر نسبهم وما لهم من المناقب والمفاخـر تشوق إلى مدحهم تشوق المحب إلى الوصال وتشوف إلى ذكر ما آثرهم تشوف الراجى إلى بلوغ الآمـال وجعل يتخيل فى نظمه أن كتابى هذا عروس فى حلل المحاسن يختال ويصـفه بأوصاف حميدة قد نسجت على غير مثـال وطفق يسامرها مسامرة المحب للحبـيب وقد غابت العواذل ونامت عين الرقيب وهذا ما قال أصلح الله لى وله الحال والمآل:

لآل البـيت عـزلا يـزول ... وفـضل لا تحـيط به العـقـول
واجـلال ومـجـد قـد تسـامى ... وقـدر مـالغـايتـه وصـول

وفى التنزيل بالتطهير خصواً ومدحتهم بها شهد الرسول
لهم عزم وسلطنة وجاه ودام لهم من الله القبول
سيوف فى الأعادي فاتكات وسطوتهم لها رعب مهول
بدور الدين مهما قد تجلت تكاد الشمس من خجل تزول
زكوا أصلا بنسبتهم ولكن يطيب الفرع ما طابت أصول
وكيف القول فى قوم أبوهم له جبريل فى الدنيا رسول
معاذ الله أن أخشي نكالاً ولى فى حبهم باع طويل
أليس عظيمة المقدار منهم وأنى فى محبيها دخيل
هى النبوية العظمى وتدعى بفاطمة اذاهم يجول
على كل الورى فضلت بعزم إليه الغير ليس له سبيل
فإمداداتها فى الكون عمت ولى منها بها حظ جزيل
عليك بها إذا ما اشتد كرب وأسقاك الردى خطب جليل
فإنى كلما عظمت خطوبى وآلى الكرب عنى لا يحول
وناضلنى الزمان وراش نبلا ورام به على ضعفى يصول
أؤم رحابها فيزول ما بى ويأتى ما به يشفى الغليل
وليس لفضلها حصر ولكن بمدح جنابها يرجى القبول
ولو أنى ملأت الكون مدحًا لكنت مقصراً فيما أقول
ولكنى رأيت عروس فكرى لأفئدة الأفاضل تستميل
تحاكى الشمس مهما قد تبدت وتزرى بالقنا مهما تميل
وتكشف عن لثام مخدرات مقنعة وليس لها وصول
وتفصح عن ضمير القلب مهما تحاوله بأبدع ما تقول
وتنشد مدح آل البيت جهراً وفى كل العلوم إذا تجول

تخــر لهــا المســـامح ســـاجــدات وتركع خــشــيــة مـنهـا الـعـقــول
لهــا فى مــعـضـــلات العلم قـــول له الآيــات تشـــهـــد والـدليـل
لهـــا وعـظ يذيب الـلب رعــبًــا ويـحنـو صـــبـــوة منه الملول
إذ بمشـــــارق الأنـوار تـدعـى فـحــسـبك ذلك الـذكـر الجـمـيل
فـقلت لهـا وقـد أسـرت فـؤادى وجســمى من مـحبـتـهـا نـحيل
وقـد دارت بكـأس الراح صـرفـا علينا فـــانتشت منا العـــقـــول
إلـى من تـنـسى قـــالـت لمولـى همـــام فـــاضل حـــبــر جليل

هو العلامة العدوى كنز المعارف من له الباع الطويل

تـوســل بــالـنـبـى وآل بـيــت عـــسى بـهم يكون لـه القـــبـــول
وأهدانى لهـم فـعـــذبـت لفـظًا وبى للـحق قــد وضـح الســبــيل
فــلازالـت الأيـام طـوعًـــا وذاك الـعـــــز بـاق لا يـزول
عـلى خـــيـــر الأنـام وآل بيـت صــلاة الله مــا هبـت شـمــول

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

(وأمـا من دفن بمصـر من النسـاء من أولاد الزهراء سيـدة نسـاء العـالمين على الاطلاق كمـا تقدم لك اعـتمـاده فهمـا ثنتان إحـداهما صـاحبة المواهب الـربانية والإمدادات الصمدانية والإشارات الرحمانيـة سيدتى وملجئى وغوثى السيدة زينب شقيقة الإمام الحسين بالاتفاق، ومحلها كما قال القطب الشعرانى فى منته وطبقاته وكتابه الأنوار القدسـية قال أخبرنى سيدى على الخـواص أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السبـاع ابنة الإمام على وأنها فى هذا المكان بـلا شك وكان يخلع نعله فى عتبة الدرب ويـمشى حافيًا حتى يجاوز مـسجدها ويقف تجاه وجههـا ويتوسل بها إلى الله تعالى فى أن الله يغفر له ا هـ قال الصبان وتجـاه قبرها الشريف قبر سيدى محمد العـتريس أخى سيدى إبراهيم الدسوقى ا هـ (قال) إمـام المحدثين السيوطى فى رسالته الزينبيـة أن السيدة زينب ولدت لعبد الله بن جعفـر أى ابن عمها الذى

تزوج بها عليًا وعونًا الأكبر وعباسًا ومحمدًا وأم كلثوم وذريتها إلى الآن موجودون بكثيرة، قال العلامة الصبان وهم من آل النبى وأهل بيته بالاجماع لأن آله هم المؤمنون من بنى هاشم وبنى المطلب ومن ذريته وأولاده بالإجماع لأن أولاد بنات الإنسان معدودون من ذريته وأولاده حتى لو أوصى لأولاد فلان أو ذريته دخل فيه أولاد بناته وهذا المعنى أخص من الذى قبله وتحرم عليهم الصدقة بالإجماع لأن بنى جعفر من الآل قطعًا ويطلق عليهم اسم الأشراف بناء على الاصطلاح القديم من إطلاق اسم الشريف على كل من كان من أهل البيت وإن خص الآن بذرية الحسن والحسين ا هـ (قال) فى المواهب اللدنية ولدت الزهراء لعلى حسنًا وحسينًا ومحسنًا فمات صغيرًا أو أم كثلوم وزينب، قال شارحها الزرقانى نقلاً عن ابن الأثير ولدت زينب فى حياة جدها قال وكانت لبيبة جزلة عاقلة لها قوة جنان قال ابن عبد البر وولدت أم كلثوم قبل وفاة جدها ﷺ. ا هـ فحينئذ يكون عقب الزهراء ولد قبل وفاته ﷺ فإن الحسن ولد قبل وفاة جده بثمان سنين وولد الحسين قبلها بسبع، قال فى المواهب ولم يكن لرسول الله ﷺ عقب إلا من ابنته فاطمة الزهراء قال وانتشر نسله من جهة الحسن والحسين، قال ويقال للمنسوب لأولهما حسنى ولثانيهما حسينى، قال وضم لمن كان من ذرية إسحق بن جعفر الإسحاقى فيقال الحسينى الإسحاقى وذلك لأن إسحق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين قال هو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على، قال وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب قال فولدت له زيدًا ورقية ولم يعقبا، قال الإمام الزرقانى روى محمد بن أبى عمر شيخ مسلم فى مسنده أن عمر خطب إلى علىّ بنته أم كلثوم فذكر له صغرها فعاوده فقال على أبعث بها إليك فإن رضيت فهى امرأتك فأرسلها إليه فكشف عن ساقها فقالت له مه لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينك، قال وذكر ابن سعد أنه خطبها من على فقال انما حبست بناتى على بنى جعفر أى لا يزوجهن إلا لبنى عمه جعفر فقال زوجنيها فو الله ما على وجه الأرض رجل يرصد من كرامتها ما أرصد فقال فعلت فجاء عمر إلى المهاجرين فقال هنونى فهنوه قالوا تزوجت بمن قال بنت على سمعت النبى ﷺ يقول «**كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبى وسببى**» وكنت

قد صاهرته ﷺ بتزويجه حفصة فأحببت هذا أيضًا أمهرها أربعين ألفًا ا هـ ثم بعد موت عمر تزوجها عون بن جعفر وبعد موت عون تزوجها محمد أخوه وبعد موت محمد تزوجها أخوه عبد الله بن جعفر وبعد موتها عنده تزوج أختها زينب ولم تعقب أم كلثوم لواحد من الثلاثة سوى الثانى أتت له ببنت توفيت صغيرة، (وأما السيدة زينب) فولدت من عبد الله عدة من الأولاد منهم علىّ وأم كلثوم وتزوج أم كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب فولدت له عدة من الأولاد ومنهم فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وله منها عقب قال وبالجملة فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من على وأخته أم كلثوم أولاد زينب بنت الزهراء ويقال لكل من ينسب لهؤلاء جعفرى قال ولا ريب أن لهؤلاء شرفًا لكنه ليس كشرف من ينسب للحسنين، قال وكم أطلق الذهبى فى تاريخه فى كثير من التراجم قوله الشريف الزينبى، قال ولا شك أنهم تحرم عليهم الصدقة إجماعًا لأن بنى جعفر من الآل وأنهم يستحقون من سهم ذوى القربى بالإجمال وأنهم من ذرية النبى وأولاده إجماعًا (قال) الإمام القسطلانى فى المواهب وأما الجعافرة المنسوبون لعبد الله بن جعفر أى أولاده من غير السيدة زينب فلهم أيضًا شرف، قال شارحها الزرقانى لأنهم من بنى هاشم ومن أولاد عمه ﷺ وتحرم عليهم الزكاة ويستحقون فى سهم ذوى القرى وبركة الجيش وذلك لأن واقفها وقف بصفها على أولاد الحسن والحسين والنصف الثانى على الطالبين وهم ذرية على من محمد بن الحنفية وإخوته وذرية جعفر وعقيل. ا هـ قال القسطلانى ذرية جعفر يتفاوتون فمن كان من ولده من زينب فهم أشرف من غيرهم قال الشارح أى من ولده من غيرها، قال القسطلاى مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما قال الشارح أى الذى خصهما به جدهما فينسبون إليه ﷺ حقيقة دون غيرهما قال لقوله ﷺ «لكل بنى أم عصبة إلا ابنتى فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما، فخص الانتساب والتعصيب بهما دون أختيهما لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون إلى آبائهم ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفًا قال ولو كانت الخصوصية عامة فى أولاد بناته وإن سفلن لكان ابن الشريفة شريفًا تحرم عليه الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك وليس كذلك

كما هو معلوم، قال ذكر الإمام السيوطى فى الرسالة الزينبية قال وهذا هو الحق وهو ما عليه ابن عرفة فى قوله لابن الشريفة شرف ما انتهى، قلت والذى رجحه الأجهورى وتلامذته ثبوت الشرف للشخص تبعًا لأمه ولو كان أبوه غير شريف، قال ويشهد له قوله ﷺ فى حديث صحيح «**ابن أخت القوم منهم**» قال فى المواهب وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بنى هاشم قال الزرقانى وكذا العقيليون ذرية عقيل بن أبى طالب والعلويون ذرية ابن الحنفية وغيره من أولاد على، قال وقد كان اسم الشريف يطلق فى الصدر الأول على من كان من آل البيت سواء أكان حسنيًا أم حسينيًا أم علويا أم عباسيًا أو جعفريًا أم عقيليًا، قال ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبى مشحونًا فى التراجم بذلك بقوله الشريف العباسى الشريف العقيلى الشريف الزينى الشريف الجعفرى فلما ولى الفاطميون مصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط فاستمر ذلك بمصر إلى الآن، قال الحافظ ابن حجر فى كتابه نزهة الألباب فى معرفة الألقاب وقد لقب به يعنى بالشريف كل عباسى ببغداد، قال لأن الخلفاء من بنى العباس كانوا بها وكل علوى بمصر، قال لأن الفاطميين الذين كانوا بها من ولد على من فاطمة بزعمهم، قال وفى شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له الشريف العباسى انتهى، قال الإمام الزرقانى نقلاً عن السيوطى فى رسالته المتقدم ذكرها ولاشك أن المصطلح القديم أولى وهو إطلاقه على كل علوى وجعفرى وعقيلى وعباسى كما صنعه الذهبى وكما أشار إليه الماوردى من الشافعية والقاضى أبو يعلى من الحنابلة ونحوه قول ابن مالك، وآله المستكملين الشرفا، أقول وحاصل ما أفاده إمام السنة فى رسالته المتقدمة أن السيدة زينب تزوجها سيدى عبد الله بن جعفر الصحابى الجليل بن الصحابى الجليل فولدت له من الأولاد خمسة عليًا وعونًا الأكبر وعباسًا ومحمدًا وأم كلثوم، قال الحافظ فى الرسالة أولاد زينب من عبد الله بن جعفر موجودون بكثرة ونتكلم عليهم من عشرة أوجه (أحدها) أنهم من آل النبى ﷺ وأهل بيته بالإجماع لأن آله هم المؤمنون من بنى هاشم والمطلب قال، وقد أخرج مسلم والنسائى عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا فقال «**أذكركم الله فى أهل بيتى**» ثلاثًا فقيل لزيد بن أرقم ومن أهل بيته فقال أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده، قيل ومن

هم قال آل عقيل وآل جعفر وآل عباس، (الثانى) أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع قال وهذا المعنى أخص من الذى قبله، قال قال البغوى فى التهذيب أولاد بنات الأنسان لا ينسبون إليه وإن كانوا معدوين فى ذريته حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت (الثالث) أنهم هل يشاركون أولاد الحسن والحسين فى أنهم ينسبون إلى النبى ﷺ؟ قال: والجواب ولا وهذا المعنى أخص من الذى قبله، قال وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولدًا للرجل وبين من ينسب إليه، قال ولهذا قالوا لو قال وقفت على أولادى دخل ولد البنت، ولو قال وقفت على من ينسب إلىَّ من أولادى لم يدخل ولد البنت، قال وقد ذكر الفقهاء من خصائصه ﷺ أنه ينسب إليه أولاد بناته ولم يذكروا مثل ذلك فى أولاد بنات بناته فالخصوصية للطبقة العليا فقط فأولاد فاطمة الأربعة ينسبون إليه وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليها فينسبون إليه وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عمرو وعبد الله لا إلى أبيها ﷺ لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته فجرى الأمر فيهم على قاعدة أمر الشرع فى أن الولد يتبع أباه فى النسب لا أمه وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التى ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين، قال وأخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «**لكل بنى أم عصبة إلا ابنى فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما**» وخرجه أبو يعلى فى مسنده أيضًا فانظر إلى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون أختيهما قال لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون إلى آبائهم ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفًا، إذا لم يكن أبوه شريفًا قال ولو كانت الخصوصية عامة فى أولاد بناته وإن سفلن لكان كل ابن شريفة شريفًا تحرم عليه الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك وليس كذلك قال ولهذا حكم ﷺ لابنى فاطمة دون غيرها من بناته لأن أختها زينب بنت رسول الله ﷺ لم تعقب ذكرًا يكون كالحسن والحسين فى ذلك، وإنما أعقبت بنتًا وهى أمامة بنت أبى العاص بن الربيع فلم يحكم لها ﷺ بهذا الحكم مع وجودها فى زمنه فدل على أن أولادها لا ينسبون إليه بناء على أن أولاد بناتهم ينسبون إليه ولو كان لزينب ابنة رسول الله ﷺ ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن الحسين فى أن ولده ينسبون إليه ﷺ، قال هذا تحرير القول فى هذه المسئلة قال وقد خبط

جمـاعة من أهل العصر فى ذلـك ولم يتكلموا فيه بـعلم (الوجه الرابع) أنهم هل يطلق عليهم أشـراف؟ الجواب أن اسم الشريف كـان يطلق فى الصدر الأول على من كان من أهل البيت سـواء كان حسنيا أو حسينيا أو علويـا من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد على بن أبى طالب أو جعفريًا أو عقيليًا أو عباسيًا، قال لذا تجد تاريـخ الحافظ الذهبى مـشحونًا فى الـتراجم بذلك يقـول الشريف العـباسى الشريف العقـيلى الشريف الجعفـرى الشريف الزينبى فلما ولى الخلفاء الفـاطميون مصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحـسين فقط واستمر ذلك بمصر إلى الآن، وقال الحافظ ابن حجر فى كتاب الألقـاب الشريف ببغداد لقب لكل عباسى وبمصـر لقب لكل علوى اهـ قال ولا شك أن المـصطلح القديم أولى وهو إطلاقـه على كل من تقدم ذكره كـما صنعه الذهبى وأشار إليـه الماوردى من أصحابنا وأبو يعلى ونحوه قول ابن مالك:

وآله المستكمـلـين الشـرفـا

فلا ريب أنه يطلق على ذرية هؤلاء المذكورين أشـراف، قال وكم أطلق الحافظ الذهبى فى تاريخه قول الشريف الزينبى، قال وقـد يقال على مصطلح أهل مصر الشرف أنواع عام لجميع أهل البيت وخاص بالذرية فيدخل فيه الزينبية وأخص منه شرف النسبة وهو مختص بذرية الحسـن والحسين، قال (الوجه الخامس) أنهم تحرم عليهم الصـدقة بالإجماع لأن بنى جعـفر من الآل (السادس) أنهم يستـحقون من سـهم ذوى القربى بالإجـمـاع (السابع) أنهم يسـتحـقـون من وقف بركة الحـبش بالإجماع لأن بركة الحبش لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة، بل وقفت نصفيـن النصف الأول على الأشراف وهم أولاد الحسن والحسـين والنصف الثانى على الطالبيـن وهم ذرية على بن أبى طالب من محمد بن الحنفـية وأخواته وذرية جعفر ين أبى طالب وذرية عـقيل بن أبى طالب وثبت هذا الوقف على هذا الوجه على يد قاضى القضاة بدر الدين يوسف السـخاوى فى ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربع وستمائة ثم اتصل ثبوته على يد شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام تاسع عشر ربيـع الآخر من السبعـة المذكورة ثم اتصل ثبوته على يد قاضى القـضاة بدر الدين بن جماعة قـال ذكره فى كتاب المتأمل، (الثامن) أنهم أهل يلبسـون العمامة

الخضراء، قال والجواب أن هذه العمامة الخضراءليس لها أصل فى الشرع ولا فى السنة ولا كانت فى الزمن القديم وإنما حدثت سنة ثلا وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين، وقال فى ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره (من ذلك) قول جابر بن عبد الله الأندلسى الأعمى صاحب شرف الألفية المشهورة بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى وسيم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين إبراهيم الدمشقى:

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف

والأشرف السلطان خصهم بها شرفا ليفرقهم من الأطراف

وقد يستأنس فيها بقول الله تعالى: ﴿**يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾ فقد استدال بها بعض العلماء بلباس يميزهم عن غيرهم من تطويل الأكمام وإدارة الطيلسان ونحو ذلك ليعرف فيجعل تكريمًا للعلم. اهـ (قال) العلامة الصبان والذى ينبغى اعتماده أنها مستحبة للأشراف مكروهة لغيرهم لأن فيها انتسابًا بلسان الحال إلى غير من ينتسب إليه الشخص فى نفس الأمر وانتساب الشخص إلى غير من ينسب إليه فى نفس الأمر منهى عنه محذور، منه هذا ولم يكتف فى هذه الأعصار بتلك العلامة، بل جعلت العمامة كلها خضراء وحكمها حكم تلك العلامة اهـ (قال) الإمام السيوطى فى الرسالة المتقدم ذكرها التاسع هل يدخلون فى الوصية للأشراف، و(العاشر) هل يدخلون فى الوقف على الأشراف؟ قال والجواب إن وجد فى كلام الموصى والواقف نص أتبع والأنزل على عرف البلد قال وعرف مصر من عهد الخلفاء الفاطميين إلى الآن قصره على ذرية الحسن والحسين اهـ والله أعلم وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

(وأما السيدة رقية) فهى أخت السيدة زينب والحسين وهى مدفونة بمحل قريب من السيدة سكينة وماتت قبل البلوغ، قال الشعرانى فى منته أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة رقية ابنة الإمام على كرم الله وجهه فى المشهد القريب من دار الخليفة ومعها جماعة من أهل البيت منهم سيدى محمد المرتضى والسيدة عاتكة من عماته ﷺ وهو بقيع مصر، قال العلامة الأجهورى ومن كراماتها أنها لما جاءت من المدينة اعترضتها رجل من آل يزيد وأراد قتلها فوقفت يده فى الهواء ومات فى ركابه، وقريبًا من القبة المذكورة بجوار السيدة سكينة قبة سيدى محمد الأنور بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فهو عم نفيسة قال الشعرانى فى منته أخبرنى سيدى على الخواص أن الإمام محمدًا الأنور عم السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع ابن طولون، قال الصبان وهذه كانت الصفة القديمة أما الآن فقد بدلت تلك الزاوية بمكان مرتفع ومقام عظيم وأنوار ساطعة، (وأما أخوه السيد حسن والد السيدة نفيسة)، ففى طبقات المناوى نقلاً عن الذهبى أنه كان من أعيان العلويين وأشرافهم وفى حسن المحاضرة أن له رواية فى سنن النسائى وقال الشعرانى فى منته أخبرنى سيدى على الخواص أن الإمام حسنا والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريبًا من جامع القرافة بين مجرى القلعة وجامع عمرو، وقال الصبان وقد اشتهرت هذه التربة وبنى عليها قبة جليلة حضرة عبد الرحمن كتخدا الموفق لبنيان مقامات الجميع أسبل الله عليه سحاءب رضوانه بلطفه وإحسانه (وأما سيدة أهل الفتوة والتصريف الملقبة بكريمة الدارين السيدة نفيسة) قال سيدى محمد الزرقانى على قول القسطلانى السيد إسحق بن السيد جعفر الصادق كان زوجًا للسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن على ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل ثم قدمت مصر مع زوجها فصار لها القبول التام والكرامات الباهرة وماتت فى رمضان سنة ثمانين ومائتين وصلى عليها فى مشهد لم ير مثله بحيث ملأت الفلوات والقيعان وأراد زوجها نقلها بالبقيع فسأله أهل مصر فى تركها للتبرك بها ويقال أنه رأى المصطفى ﷺ فى المنام فقال له يا إسحاق لا تعارض أهل مصر فى نفيسة لأن الرحمة تنزل عليهم ببركتها. اهـ، قال

القسطلانى فى المواهب ولإسحق من السيدة نفيسة القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا، قال العلامة الأجهورى قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلى وقرأت فيه ستة آلاف ختمة فلما ماتت اجتمع الناس من القرى والبلدان وأوقدوا الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف والحزن عليها وصلى عليها بمشهد حافل ودفنت بتلك المحل الذى حفرته لكنها اشتهرت بهذا (واختلف) النسابون هل هى بنت زيد بن الحسين بن على قال الذهبى وهو الذى عليه جمهورهم قال الذهبى ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهد تصوم النهار وتقوم الليل وكانت ذات مال وكانت تحسن إلى الزمنى والمرضى وعموم الناس، والمشهور الذى عليه السادة الصوفية وخلافهم أنها بنت الحسن بن زيد، قال القطب سيدى مصطفى البكرى فى رحلته أول ما بدأت به الزيارة عند دخولى مصر السيدة النفيسة بنت سيدى حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط، قال العلامة الصبان ولما ورد الشافعى مصر كانت تحسن إليه وربما صلى بها فى رمضان وتزوجت إسحق المؤتمن بن جعفر الصادق فولدت منه القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا، ثم قدمت مصر وبها بنت عمها السيدة سكينة ولها بها الشهرة التامة بالمعارف والولاية فخلعت عليها الشهرة واختفت فصار للسيدة نفيسة القبول التام بين الخاص والعام إلى أن ماتت فى رمضان سنة ثمان ومائتين واحتضرت وهى صائمة فألزموها الفطر فقالت واعجباه لى منذ ثلاثين سنة أسأل الله أن ألقاه وأنا صائمة أفطر الآن هذا لا يكون ثم أنشدت تقول:

اصرفوا عنى طبيبى ودعونى وحبيبى

زادنى شوقى إليه وغرامى ونحيبى

ثم ابتدأت فى سورة الأنعام فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٧] خرج السر الإلهى فاجتمعت لأجل التبرك عليها محافل من كل جهة حتى امتلأت الفلوات والقيعان ثم دفنت فى قبرها الذى حفرته فى بيتها بدرب السباع بالمراغة محل معروف بينه وبين مشهدها الذى يزار الآن مسافة ثم ظهرت فى هذا المكان الذى تزار الآن فيه لأن حكم البرزخ حكم إنسان تدلى فى تيار جار فيطفو ذلك فى مكان آخر فهى طفت فى هذا الموضع الذى هى فيه

الآن خاطبها بعض الأولياء وخاطبها بعضهم من الأول أيضًا، قال الشعرانى وقد دخلت أنا لها مرة فوقفت على باب مشهدها الأول أدبًا ودخل أصحابى إلى قبرها فلما تمت جاءتنى وعلى رأسها مئزر صوف أبيض وقالت لى أنا نفيسة فإذا جئت للزيارة فادخل إلى قبرى فقد أذنت لك فمن ذلك اليوم أدخل لزيارتها وأجلس تجاه وجهها ولها كرامات كثيرة ظاهرة (منها) أن النيل توقف فى أوان الوفاء فضج الناس وأتوها فأعطتهم قناعًا وقالت اطرحوه فيه ففعلوا فوفى من ساعته، ومنها أن أمتها جوهرة خرجت ليلة ذات مطر كثير لتأتيها بماء للوضوء فخاضت ماء المطر ولم يبتل قدمها (ومنها) أنها لما قدمت مصر نزلت ببيت يهودى له ابنة مقعدة فذهبوا إلى الحمام وتركوها عندها فأخذت من فضل وضوئها وجعلته على مكان وجعها فقامت تمشى كأنما نشطت من عقال فلما شاهدوا هذه الكرامة أسلموا كلهم وقبرها معروف بإجابة الدعاء، وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رأيت فى كلام الشيخ أبى المواهب الشاذلى أنه رأى النبى ﷺ وقال يا محمد إذا كان لك إلى الله حاجة فانذر لنفيسة الطاهرة ولو بدرهم يقضى الله تعالى لك حاجتك ا هـ وقال بعض العارفين من كان فى شدة وكرب وأراد تفريجه عنه فليتوجه لكريمة الدارين السيدة نفيسة وليقل عند قبرها بعد قراءة الفاتحة مرة والإخلاص إحدى عشرة مرة وسبح كذلك

كم حار بتنى شدة بجيشها   فضاق صدرى من لقاها وانزعج

حتى إذا آيست من زوالها   جاءتنى الألطاف تسعى بالفرج

ثمانى عشرة مرة فإن الله سبحانه يفرج عنه كربه ويقضى مصالحه انتهى وقال ابن الصلاح الصفدى ازدحمت الخيل على أمها وهى بنت ستة أشهر فأشارت بردها فردهم الله عنها، وقال الإمام الأوزاعى قلت لامتها جوهرة هل رأيت من سيدتك كرامة قالت نعم كنت فى يوم شديد القيظ وإذا بثنين أى ثعبان قد جاءنى وكان معى ماء لها فصار ذلك التنين يمرغ حديه على الأبريق وكان الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه يزورها ويتردد إليها أى فى حياتها ويصلى بها تراويحها فى رمضان. ا هـ قال الإمام الزرقانى على المواهب وأراد زوجها نقلها بعد موتها إلى المدينة ودفنها فى البقيع فسأله أهل مصر فى تركها عندهم للتبرك وبذلوا له مالا

كثيرًا فلم يرض فرأى النبى ﷺ فقال له يا أبا إسحق لا تعارض أهل مصر فى نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها فخرج بولديها وسافر إلى المدينة وقد ذكر لها الإمام ابن حجر نحو مائة وخمسين كرامة وهذا شىء معلوم من سواطع أنوارها وكيف لا وهى سيدة أهل الفتوة من أهل التصريف كما ذكر ذلك القطب الشعرانى وغيره أفاض الله علينا من فيوض أمدادها وجعلنا من المنسوبين لخدمة أعتابها (قال) العلامة الأجهورى وعند خروجك من السيدة نفيسة من الباب الشرقى تجد حوشًا على يسارك به قبة لطيفة تحتها قبر الشريف محمد بن حسن الحسينى ويلقب إلا آن بموفى الدين قال العلامة المذكور قال الحميد كان على سبعون درهما فضيق على فيها فجئت المشهد النفيسى ثم خرجت ودنوت من القبة وقرأت شيئًا وبكيت وإذا أنا بامرأة قد أقبلت على وبيدها قلادة وقالت لى خذ هذه أوف بها ما عليك من الدين لأجل هذا الرجل الذى أنت عنده ومشيت خطوة فوجدت صاحب الدين مبتسما وقال رد على المرأة ما أخذت منها فإنا أولى، قلت له لماذا قال رأيته عاهدنى على قصر من الجنة إن صفحت عنك ثم دفع لى فضة فى يدى بقدر هذا، وبه جماعة من الخلفاء العباسيين وطائفة من الأشراف وهو معروف بإجابة الدعاء. ا هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، (وأما السيدة عائشة النبوية)، فهى بنت سيدى جعفر الصادق ابن سيدى محمد الباقر ابن سيدى على زين العابدين وأخت سيدى موسى الكاظم قال العلامة المناوى كانت من العابدات المجاهدات وكانت تقول وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبنى ماتت سنة خمس وأربعين ومائة. اهـ (وقال) العارف الشعرانى فى منته أخبرنى سيدى على الخواص أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة. اهـ، وذكر العلامة المناوى أن لسيدى جعفر الصادق ولدا اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه، وذكر بعض النسابين أن أم كلثوم هذه بنت سيدى جعفر هذا وكان من كبار المحدثين العارفين قال العلامة الصبان كان سيدى جعفر إمامًا نبيلاً أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق

وعروة وعطاء ونافع والزهرى وعنه السفيانان ومالك والقطان وخَرَّج له الجماعة سوى البخارى، قال أبوحاتم ثقة لا يسئل عن مثله وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق فكان يقول ولدنى الصديق مرتين وكان مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئًا لا يتم قوله إلا وهو بين يديه، ومن كراماته ما حدث به الليث بن سعد قال حججت سنة ثلاث عشر ومائة فلما صليت العصر رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فقال يارب يارب حتى انقطع نفسه ثم قال يا حى يا حى حتى انقطع نفسه ثم قال إلهى إنى اشتهى العنب فأطعمنيه وإن بردى قد خلقا قال الليث فما تم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملؤة عنبا وليس على الشجر يومئذ عنب وإذا ببردين لم أر مثلهما فأراد الأكل فقلت له أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمِّن قال كل ولا تخبأ ولا تدخر ثم دفع إلى أحد البردين فقلت لى عنه غنى فاتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ الخلقين ونزل فلقيه رجل فقال اكسنى يا ابن رسول الله فدفعهما إليه فقلت من هذا قال جعفر الصادق (ومن) كلامه لا يتم المعروف إلا بثلاث أن تصغره فى عينيك وتستره وتعجله وقال لا تأكلوا من يد جاعت ثم شبعت، وقال أوحى الله إلى الدنيا من خدمنى فاخدميه ومن لم يخدمنى فاستخدميه، وقال كف عن محارم الله وامتثل أوامره تكن عابدًا وارض بما قسم الله لك تكن مسلمًا واصحب الناس على ما تحب أن يصحبوك عليه تكن مؤمنًا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره وشاور فى أمرك الذين يخشون الله، وقال من أراد عزًا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وقال من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم، وقال حكمة تحريم الربا أن لا يتمانع الناس المعروف. مات أيضا مسمومًا سنة ثمان وأربعين ومائة (وأما أبوه محمد الباقر) فهو صاحب المعارف وأخو الدقائق واللطائف ظهرت كراماته وكثرت فى السلوك إشاراته فلقب بالباقر لأنه بقر العلم أى شقه فعرف أصله وخفيه، ومن كلامه الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله عز وجل، وقال ليس فى الدنيا شىء أعون على الإحسان إلا الإخوان، وقال بئس الأخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا، مات أيضا مسموما سنة سبع عشرة ومائة

عن نحو ثلاث وسبعين سنة وأوصى أن يكفن فى قميصه الذى كان يصلى فيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

* (وأما سيدنا وولى نعمتنا الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه)، فهو وأبو عبدالله محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشى المطلبى ابن عم المصطفى ﷺ وأمه فاطمة بنت عبدالله بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه (قال) الإمام الشعرانى فى طبقاته ولد الإمام الشافعى بغزة ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين وعاش أربعما وخمسين سنة وأقام بمصر أربع سنين ثم توفى فى عصر ليلة الجمعة بعد المغرب سنة أربع ومائتين نشأ رضى الله عنه يتيمًا فى حجر أمه فى قلة عيش وضيق حال، وكان يجالس العلماء فى صباه ويكتب ما يستفيده فى العظام ونحوها لعجزه عن الورق، وتفقه فى مكة على مسلم بن خالد الزنجى ثم وصله خبر الإمام مالك بالمدينة قال فوقع فى قلبى أن أذهب إليه واستقرأت الموطأ من رجل بمكة وحفظته ثم قدمت المدينة فدخلت عليه فقلت أصلحك الله إنى رجل مطلبى من حالتى وقصتى كذا وكذا فلما سمع كلامى نظر إلى ساعة وكان لمالك فراسة فقال ما أسمك فقلت محمد فقال يا محمد اتق الله واجتنب المعاصى فإنه يكون لك شأن فإن الله ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية فقلت نعم وكرامة ثم قال إذا كان الغد فقرأ لك الموطأ فقلت إنى أقرؤه من الحفظ فلما ابتدأت بالقراءة عليه كلما أردت مضغ القراءة من إملاله أعجبه حسن قراءتى بقول يا فتى زد حتى قرأته فى أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفى مالك وكان حفظه للموطأ وهو ابن عشر سنين فى تسع ليال وقيل فى ثلاثة، وكان سن الشافعى رضى الله عنه حين أتى مالكًا ثلاث عشرة ثم رحل إلى اليمن حين تولى عمه القضاء بها واشتهر بها، ثم رحل إلى العراق وجد فى الاشتغال بالعلم، وناظر محمد بن الحسن وغيره ونشر علم الحديث وأقام مذهب أهله ونصر السنة واستخرج الأحكام منها ورجع كثير من العلماء عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه، ثم خرج إلى مصر آخر سنة تسع وتسعين ومائة وصنف كتبه الجديدة بها ورحل الناس له من سائر الأقطار، قال الربيع بن سليمان رأيت على باب دار الإمام الشافعى رضى الله

عنه سبعمائة راحلة تطلب سماع كتبه وكان يقول مع ذلك إن صح الحديث فهو مذهبى وكان رضى الله عنه يقول وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم منى على أن لا ينسب إلىّ منه حرف وللعلامة الصبان قال شيخنا شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى وقد أجابه الحق سبحانه إلى ذلك فلا يكاد يسمع فى مذهبه إلا مقالات أصحابه قال الرافعى قال النووى قال الزركشى ونحو ذلك وكان يقول وددت أنى إذا ناظرت أحدا أن يظهر الله تعالى الحق على يديه، وكان يقول طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وكان يقول من أراد الآخرة فعليه بالإخلاص فى العلم، وكان يقول أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب فى مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه، وكان يقول لا شىء أزين بالعماء من الفقر والقناعة والرضا بهما، وكان يقول صحبت الصوفية عشر سنين ما استفدت منهم إلا هذين الحرفين الوقت سيف وأفضل العصمة أن لا تجد، وكان يقول من أحب أن يقضى له بالحسنى فليحسن بالناس الظن، وكان يقول أبين ما فى الإنسان ضعفه فمن شهد ضعف نفسه نال الاستقامة مع الله تعالى، وكان يقول من طلب العلم بعز النفس لم يفلح ومن طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح، وكان رضى الله عنه يقول تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه، وكان يقول دقفوا مسائل العلم لئلا تضيع دقائقه، وكان يقول جمال العلماء كرم النفس وزينة العلم الورع والحلم، وكان رضى الله عنه يقول لاعيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه، وكان يقول ليس العلم ما حفظ إنما العلم ما نفع، وكان يقول فقر العلماء اختيار وفقر الجهلاء اضطرار، وكان يقول المراء فى العلم يقسى القلب ويورث الضغائن، وكان رضى الله عنه يقول الناس فى غفلة عن هذه السورة والعصر إن الإنسان لفى خسر، وكان قد حزأ الليل ثلاثة أجزاء الأول يكتب والثانى يصلى والثالث ينام وفى رواية ما كان ينام من الليل إلا يسيرا وكان يختم فى كل يوم ختمة، وكان يقول ما كذبت قط ولا حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وما تركت غسل الجمعة قط لا فى برد ولا فى سفر ولا فى حضر وما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتى، وكان رضى الله عنه يقول من لم تعزه التقوى لا عز له، وكان يقول ما فزعت من الفقر قط، وكان يقول طلب فضول الدنيا

عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد وكـان يمشى على العصا فقيل له فى ذلك فقال لأذكـر أنى مسـافـر من الدنيـا، وكان يقـول من شـهـد الضعف من نـفسـه نال الاستقامـة، وكان يقول من غلبته شـدة الشهوة للدنيا لزمته العـبودية لأهلها ومن رضى بالقنوع زال عنه الخضوع، قال عبـد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل لأبيه أى الرجل كان الـشافعى فـإنى سمـعتك تكثر الدعـاء له فقـال يا بنى كان الشـافعى كالشمس فى النهار وكالعافيـة للناس فانظر هل لهذين من خلف أوعنهما عوض، وبالجملة فهو إمام المدينة عالم الأرض شرقا وغربا جمع الله له من العلوم والمفاخر وكثرة الأتباع لاسيما فى الحرمين والأرض المقدسة ما لم يجمع لإمام ولذلك حمل عليه حديث «**عالم قـريش يملأ أطباق الأرض عـلما**» قال الإمـام أحمد وغـيره هو الإمام الشافعى لأنه لم يحفظ لشخص انتـشار العلم فى الآفاق ما حفظ الشافعى، وقـال الإمام أحـمـد بن حنبل مـا أعلم أحـدًا أعظم منه على الإسـلام فى زمن الشـافعى من الشـافعى، وكـان فى الكرم كالبـحر قـال المزنى ما رأيت أكـرم من الشافعى خرجت مـعه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكـره فى مسألة حتى أتيت باب داره فأتاه غـلام بكيس فقال له سيـدى يقرئك السلام ويقـول لك خذ هذا الكيس فأخذه منه فأتاه رجل فقال يا أبا عـبد الله ولدت أمرأتى الساعة وليس عندى شىء فرفع له الكيس، وصعد ليس معه شىء، وقال الحـميدى قدم الشافعى من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف فـى منديل فضرب خباء خـارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح حـتى ذهبت كلهائم دخل مكة ونقل ابن حجر وغـيره أنه لم يقع فى مدة حياته طاعـون لا بمصر ولا يغيرها وكان رضى الله عنه جهـورى الصوت جدا فى غاية من الكرم والشـجاعة وجودة الرمى وصـحة الفراسة وحسـن الأخلاق وتقدم لك موته سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة ودفن بالقرافة فى القبة المشهورة التى عليها من الرحمات والمهابة مـالا يخفى، قال المزنى دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت كيف أصـبحت قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوانى مفارقا ولكأس الموت شاربا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى الله واردا فلا أدرى روحى إلى الجنة تصير فأهنيها أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشد يقول:

ولما قـسـا قلبى وضـاقت مـذاهبى ... جعلت رجـائى نحو عفـوك سلما

تعـاظمـنى ذنبى فلـمـا قـرنتـه ... بعـفـوك ربى كان عـفـوك أعظمـا

فمازلت ذا عفو عن الذنب لمتزل تجود وتعفو منه وتكرما

فلولاك لم يسلم من إبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك آدما

(قال) الشيخ الصبان ومن كراماته لما احتضر دخل عليه جماعة فقال أما أنت يا أبا يعقوب فتموت فى قيودك وأما أنت فيكون لك فى مصر هنات وهنيات وأنت يا ابن عبدالحكم ترجع إلى مذهب أبيك وأنت يا ربيع أنفعهم فى نشر الكتب ثم إن أبا يعقوب تسلم الحلقة فكان الأمر كما قال فإن أبا يعقوب وهو البويطى كان يحسده ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر فسعى به إلى الواثق بالله أيام المحنة بالقول بخلق القرآن فأمر بحمله إلى بغداد مع جماعة آخرين من العلماء فحمل إليها على بغل مغلولا مقيدا مسلسلا فى أربعين رطلا من حديد وطلب منه القول بذلك فامتنع فحبس ببغداد وهو على تلك الحالة إلى أن مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين وكان ذلك يوم جمعة، وأما المزنى فعظم شأنه بعد الشافعى عند الملوك فمن دونهم، وأما محمد بن عبدالله بن عبدالحكم فانتقل قبل وفاته إلى مذهب مالك لأنه كان يروم أن الشافعى يستخلفه بعده فى حلقته فلم يفعل واستخلف البويطى، وكان أبوه عبدالله على مذهب مالك ومن أكابر أصحابه وروى عن الشافعى أشياء قليلة وأما الربيع والمراد به حيث أطلق الربيع المرادى فعاش بعد الشافعى قريبا من سبعين سنة ورحلت إليه الناس من أقطار الأرض ليأخذوا عنه مذهب الشافعى ويرووا عنه كتبه، قال الربيع رأيت فى المنام قبل موت الشافعى بأيام أن آدم مات ويريدون أن يخرجوا بجنازته فسألت أهل العلم فقالوا هذا موت أعلم أهل الأرض لأن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فما كان إلا يسيرًا حتى مات الشافعى، وقال أحمد بن حنبل رأيت الشافعى فى المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك قال غفر لى وتوجنى وزوجنى وقال هذا بما لم تزه بما أرضيتك ولم تتكثر فيما أعطيتك وفضائله رضى الله عنه لا تحصى جعلنا الله من زمرة أتباعه والمحسوبين على نفحات أعتابه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذا كرون وغفل عن ذكره الغافلون، (وأما سيد أهل الفتوة والمورد العذب من مناهل سر النبوة سيدنا وأستاذنا وولى نعمتنا سيدى أحمد البدوى الشريف الحسنى) فشهرته فى جميع أقطار الأرض تغنى عن تعريفه ولكن نذكر جملة من أحواله تبركا بأعتابه، قال القطب الشعرانى فى طبقاته مولده رضى

الله تعالى عنه بمدينة فـاس بالمغرب لأن أجداده رضى الله تعـالى عنهم انتقلوا أيام الحجاج إليها حين أكثر القتل فى الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له فى منامه يا على انتـقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة فـإن لكم فى ذلك شأنا وكان ذلك سنة (٦٠٣) ثلاث وستمائة قال الشريف حسن أخو سيدى أحمد رضى الله عنه فمـا زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فـيتلقونا بالترحـيب والإكرام ومكثنا عندهم فى أرغد عيش حتى توفى والدنا سنة سـبع وعشرين وستمائة ودفن ببـاب المعلى وقبـره هناك ظاهر يزار فى زاوية، قـال الشريف حـسن فأقـمت أنا وإخوتى وكـان أحمد أصـغرنا سنا وأشجـعنا قلبا وكان من كـثرة ما يتـلثم لقبناه بالبدوى فـأقرأته القـرآن فى المكتب مع ولدى الحسـين ولم يكن فى فـرسان مكة أشجع منه وكـان يسمونه فى مكة العطاب فلمـا حدث عليه حادث الوله تغـيرت أحواله واعتزل عن الناس ولازم الصـمت فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة، وكان بعض العارفين رضى الله عنه يقول إنه رضى الله عنه حصلت له جمعية على الحق تعالى فاستغرقته إلى الأبد وليزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا ثم إنه فى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى فى منامـه ثلاث مرات قائلا يقول له قم واطلب مطلع الشمس فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طنتدا فإن بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيـدى عبدالقادر وسيـدى أحمد بن الرفاعى فـقالا يا أحمد مفـاتيح العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغـرب بأيدينا فاختر أى مفتاح شـئت منها، فقال لهما سيـدى أحمد رضى الله عنه لا حاجة لى بمفاتيحكما مـا آخذ المفتاح إلا من الفتاح، قال سيـدى حسن فلما فرغ سيدى أحمد من زيارة أضـرحة أولياء العراق كالشيـخ عدى بن مسافر والحـلاج وأضرابهما خـرجنا قاصدين إلى ناحيـة طنتدا فأحدث الرجال بنا من سـائر الأقطار يعارضونا ويتلقونا فأومأ سـيدى أحمد رضى الله عنه إليهم بيده فوقعوا أجمعين فقالوا يا أحمد أنت أبو الفتيان فانكبوا مهرولين راجعين ومـضينا إلى أم عبيدة فـرجع سيدى حسن إلى مكة وذهب سيـدى أحمد إلى فاطمـة بنت برى وكانت امـرأة لها حـال عظيم وجمال بديع وكـانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد رضى الله عنه حالها وتابت على يديه أنها لا

تتعرض لأحد بعـد ذلك اليوم وتفرقت القبائل التى كانوا اجـتمعوا على بنت برى إلى أما كنهم وكـان يوما مشـهودا بين الأولياء، ثم إن يدى أحـمد رضى الله عنه رأى الهاتف فى منامـه يقول له يا أحمد سـر إلى طنتدا فإنك تقيم بهـا وتربى بها رجالا وأبطالا عبدالعال وعبدالوهاب وعبدالمجـيد وعبدالمحسن وعبد الرحمن وكان إذذاك فى شهر رمـضان سنة أربع وثلاثين وستمائة فـدخل رضى الله عنه مصر ثم قصـد طنتدا فدخل على الحـال مريدًا دار شخص من مشـايخ البلد اسمه شـحيط فصعد إلى سطح غرفته وكان طول نهـاره وليله شاخًا بصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيـه بحمرة تتوقد كـالجمر وكان يمكث الأربعين يومـا وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ثم نزل من السطح وخـرج إلى ناحية فيـأتى المنارة فتتبـعه الأطفال فكان منهم عبد العال وعبد المجيد فورمت عين سيدى أحمد رضى الله عنه فطلب من سيدى عبدالعـال بيضة يعملها على عينه فقـال وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك فقال سيدى أحمد رضى الله عنه له نعم فأعطاها له فذهب إلى أمه فقال هنا بدوى توجعه عـينه فطلب منى بيضة وأعطانى هذه الجريدة فـقالت ما عندى شىء فرجع فأخبـر سيدى أحمد رضى الله عنه فقال أذهب فائتنى بواحـدة من الصومعة فذهب سيدى عـبد العال فوجد الصومـعة قد مائت بيضا فأخـذ له واحدة منها أو خرج بهـا إليه ثم إن سيـدى عبدالعـال تبع سيدى أحـمد رضى الله عنه من ذلك الوقت ولم تقـدر أمه على تخليصـه منه فكانت تقول يا بدوى الشـؤم علىَّ فكان سيدى أحـمد رضى الله عنه يقول لو قالت يا بدوى الخيـر كانت أصدق ثم أرسل لها أنه ولدى من يوم قـرن الثور وكانت أم عبـد العال قد وضعتـه فى ملف الثور وهو رضيع فطأطأ الثور ليأكل فـدخل قرنه فى القماط فشال عبـد العال على قرنيه فلم يقدر أحد على تخليصه منه فمد سيدى أحمد رضى الله عنه يده وهو بالعراق فخلصه من القرن فـتذكرت أم عبد العال الواقعة واعـتقدته من ذلك اليوم فلم يزل سيدى أحمد على السطوح مدة اثنتى عشـر سنة، وكان سيدى عبدالعال رضى الله عنه يأتى إليه بالرجل أو الطفل فـيطأطئ من السطوح فينظر إليه نظرة فـيملؤه مددًا ويقول لعـبد العال اذهب به إلى بـلد كذا أو موضع كـذا فكانوا يسمون أصـحاب السطوح، وكان رضى الله عنه لم يزل متلثما بلثامين فاشتهى عبد المجيد رضى الله

عنه يوما رؤية وجه سيدى أحمد رضى الله عنه فقال يا سيدى أريد أرى وجهك أعرفه فقال يا عبدالمجيد كل نظرة برجل فقال يا سيدى أرنى ولو مت فكشف له اللثام الفوقانى فضعف ومات فى الحال وكان فى طنتدا سيدى حسن الصائغ وسدى سالم المغربى فلما قرب سيدى أحمد رضى الله عنه من مصر أول مجيئه من العراق، قال سيدى حسن رضى الله عنه ما بقى لنا إقامة صاحب البلد قد جاءها فخرج إلى ناحية اخنا وضريحه بها مشهور إلى الآن، ومكث سيدى سالم رضى الله عنه فسلم سيدى أحمد رضى الله عنه ولم يتعرض له فأقره سيدى أحمد رضى الله عنه وقبره فى طنتدا مشهور وأنكر عليه بعضهم فسلب وانطفأ اسمه وذكره (ومنهم) صاحب الإيمان العظيم بطنتدا المسمى بوجه القمر كان وليًا عظيمًا فثار عنده الحسد ولم يسلم الأمر لقدرة الله تعالى عليه فسلب وموضعه بطنتدا مأوى للكلاب ليس فيه رائحة صلاح ولا مدد وكان الخطباء بطنتدا انتصروا له وعملوا له وفتأوا وأنفقوا عليه أموالا وبنوا لزاويته مئذنة عظيمة فرفسها سيدى عبدالعال برجله فغارت إلى وقتنا هذا، وكان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات يعتقد فى سيدى أحمد رضى الله عنه اعتقادا عظيما وكان ينزل لزيارته ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر لملاقاته وأكرموه غاية الإكرام، وكان رضى الله عنه غليظ الساقين طويل الذارعين كبير الوجه أكحل العينين طويل القامة قمحى اللون وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر جدرى، فى خده اليمين واحدة وفى الأيسر ثنتان، أقنى الأنف على وجهه شامتان من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدس، وكان بين عينيه جرح جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح حين كان بمكة ولم يزل من حين كان صغيرا باللثامين ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه حتى حصل له حادث الوله فترك ذلك وكان إذا لبس ثوبًا أو عمامة لا يخلعها لغسل ولا لغيره حتى تذوب فيبدلونها له بغيرها والعمامة التى يلبسها الخليفة كل سنة فى المولد هى عمامة الشيخ بيده، وأما البشت الأسمر فهو من لباس سيدى عبد العال رضى الله عنه وكان رضى الله عنه يقول وعزة ربى سواقى تدور على البحر المحيط لو نفد ماء الدنيا كله لما نفد ماء سواقى، مات رضى الله عنه سنة خمس وسبعين وستمائة واستخلف بعده على

الفقــراء سيدى عبــدالعال وسار سيــرة حسنة وعمر المقــام والمنارات ورتب الطعام للفقراء وأرباب الشــعائر وأمر بتصغيــر الخبز على الحال الذى هو فيه وأمــر الفقراء الذين صحت لهم الأحوال بالإقامة فى الأمــاكن التى كانت يعينها لهم فلم يستطع أحد يخالفه فأمر سيدى يوسف أبا إسمعيل الأنبابى، أن يقيم بانبابة وسيدى أحمد أبو طرطور أن يقيم تجاه الجيزة، وأمر سيدى وهيبًا بالإقامة فى برشوم الكبرى فأما سيــدى يوسف رضى الله عنه فأقبلت عليــه الأمراء والأكابر من أهل مصــر وصار سماطه فى الأطعمة لا يقدر عليه غالب الأمراء فقال الشيخ أحمد أبو طرطور يوما لأصحابه اذهبوا بنا إلى أخينا يوسف ننظر حاله فمضوا إليه فقال لهم كلوا من هذه الماوردية واغسلوا الغش الذى فى بطونكم من العدس والبسلة التى فى محل سيدى أحمــد فغضب الشــيخ أبوطرطور من ذلك الكلام وقال مــا هذا الكلام يا يوسف فقال هذه مبــاسطة فقال أبو طرطور ما هو إلا محاربة بالســهام فمضى أبو طرطور إلى سيدى عبدالعال رضى الله عنه وأخبره الخبر فقال لا تتشوش يا أبا طرطور وقد نزعنا ما كــان معه وأطفأنــا اسمه وجعلنا الاسم لولــده إسماعيل فــمن ذلك اليوم انطفأ اسم ســيدى يوسف إلى يومنا هذا وأجرى الله على يــدى سيدى إسمــاعيل الكرامات وكلمته البهائم وكان يخبر أنه يرى الأشياء فى اللواح المحفوظ يقول كذا وكذا لفــلان فيجىءالأمــر كما قــال فأنكر عليه شــخص من علماء المالكيــة وأفتى بتعــزيره فبلغ ذلك ســيدى إســمعيل فــقال ومــا رأيته فى اللوح المحــفوظ أن هذا القــاضى يغرق فى بحــر الفرات فــأرسله ملك مــصر إلى ملك الإفــرنج ليجــادل القسيسين عندهم فإنه وعد بإسلامــهم إن قطعهم عالم المسلمين بالحجة فلم يجدوا فى مصر أكثــر كلامًا ولا جدالاً من هذا القاضى فأرسلوه فــغرق فى بحر الفرات، (وأما أمر ســيدى الشيخ محمد المســمى بقمر الدولة)، فلم بصحب سيــدى أحمد زمانًا طويلا إنما جاء من ســفر فى وقت حر شديد فطلع يستريح فى طنــتدا فسمع بأن سيدى أحمــد رضى الله عنه ضعيف فدخل عليه يزوره وكان سيــدى عبدالعال وغيره غــائبين فوجد سيدى أحــمد قد شرب ماء بطيــخه وتقايأه ثانيا فيهــا فأخذه سيدى محمــد المذكور وشربه فقال له سيدى أحمد أنت قمــر دولة أصحابى فسمع بذلك سيدى عبد العال والجماعة فحر جو المعارضة وأرادوا قتله بالحال فرمح فرسه

فى البئـر التى بالقرب من كوم التـربة النقاضة فطلع من البـئر التى فى ناحية نفـيا فانتظروه عند البئر التى نزل فيها زمانا فجاء الخبر أنه طلع من تلك البئر التى قرب نفيا فرجعوا عنه فأقام بنفيا إلى أن مات ولم يطلع طنتدا خوفا من سيدى عبدالعال وكان رضى الله عنه من أجناد السلطان محـمد بن قلاوون وعمامتـه وثوبه وفرسه وجعبـته وسيفـه معلقات فى ضريحـه بنفيا رضى الله عنه، قال القطب الـشعرانى رضى الله عنه أيضا وسبب حضورى مـولده كل سنة أن شيخى العارف بالله تعالى الشناوى رضى الله عنه كنت أخذت عليه العـهد فى القبة تجاه وجه سـيدى أحمد رضى الله عنه وسلمنى إليه بيده فـخرجت إليه الشريفة من الضـريح وقبضت على يدى وقال يا سيدى يكون خـاطرك عليه اجعله تحت نظرك فسمعت سـيدى أحمد رضى الله عنه من القـبر يـقول نعم ثم إنى رأيتـه بمصـر مرة أخـرى هو وسيـدى عبدالعـال وهو يقول زرنا بطنتدا ونطبخ لك ملوخية ضـيافتك فسافـرت فأضافنى غالب أهلها وجماعة المقام مدة الإقامة كلهم بطبيخ الملوخية ثم رأيته بعد ذلك وقد أوقفنى على جسر قحافة تجاه طنتدا فوجدته سورا محيطا وقال قف هنا ادخل على من شئت وامـنع من شئت ولما دخلت بزوجـتى فاطمـة أم عبدالرحـمن وهى بكر مكثت خمس شهـور ولم أقرب منها فجاءنى وأخذنى وهى مـعى وفرش لى فرشا فوق القبة التى على يسار الداخل وطبخ لى حلوا ودعا الأحياء والأموات إليه وقال أزل بكارتها هنا وكان الأمر تلك الليلة، وتخلفت عن ميعاد حضورى للمولد سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وكان هناك بعض الأوليـاء فأخبرنى أن سيدى أحمد رضى الله عنه كان ذلك اليـوم يكشف الستر عن الضـريح ويقول أبطأ عبـد الوهاب وما جاء وأردت التـخلف سنة من السنين فـرأيت سيدى أحـمد رضى الله عنه ومـعه جريدة خـضراء وهو يدعوا الناس من سـائر الأقطار والناس خلفه ويمينه وشـماله أمم وخلائق لا يحصون فمر علىّ وأنا بمصـر وقال أما تذهب فقلت بى وجع فقال الوجع لا يمنع المحب ثم أرانى خلقا كثيرا من الأوليـاء وغيرهم الأحياء والأموات من الشيـوخ والزمنى بأكفانهم يمـشون ويزحفـون معه يحـضرون المولد ثم أرانى جماعة من الأسرى جاؤا من بلاد الإفرنج مقيدين مغلولين يرجفون على مقاعدهم فقال انظر إلى هؤلاء فى هذا الحال ولا يتخلفون فـقوى عزمى على الحضور فقلت

له إن شاء الله تعالى نحضر فقال لابد من الترسيم فرسم على سبعين عظيمين أسودين كالأفيال وقال لا تفارقاه حتى تحضرا به فأخبرت بذلك سيدى الشيخ محمدًا الشناوى رضى الله عنه فقال سائر الأولياء يدعون الناس بقصادهم وسيدى أحمد رضى الله رضى الله عنه يدعو الناس بنفسه إلى الحضور ثم قال إن الشيخ محمد السروى رضى الله تعالى عنه شيخى تخلف سنة عن الحضور فعاتبه سيدى أحمد رضى الله عنه وقال موضع يحضر فيه رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم والأولياء رضى الله عنهم ما تحضره فخرج الشيخ محمد رضى الله عنه إلى المولد فوجد الناس راجعين من الاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه، قال وقد اجتمعت مرة أنا وأخى أبو العباس الحريثى رحمه الله تعالى بولى من أولياء الهند بمصر المحروسة فقال رضى الله عنه ضيفونى فإنى غريب ومعه عشرة أنفس فصنعت له فطيرًا وعسلاً فأكل فقلت له من أى البلاد فقال من الهند فقلت ما حاجتك فى مصر فقال حضرنا مولد سيدى أحمد رضى الله عنه فقلنا له متى خرجت من الهند فقال خرجنا يوم الثلاثاء فنمنا ليلة الأربعاء عند سيد المرسلين ﷺ وليلة الخميس عند الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه ببغداد وليلة الجمعة عند سيدى أحمد رضى الله عنه بطنتدا فتعجبنا من ذلك فقال الدنيا كلها خطوة عند أولياء الله عز وجل واجتمعنا به يوم السبت إنفضاض المولد طلعة الشمس فقلنا لهم من عرفكم بسيدى أحمد رضى الله عنه فى بلاد الهند فقال يا له العجب أطفالنا الصغار لا يحلفون إلا ببركة سيدى أحمد رضى الله عنه وهو من أعظم أيمانهم وهل أحد يجهل سيدى أحمد رضى الله عنه إن أولياء الله مما وراء البحر المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده رضى الله عنه، وخبرنى شيخ شيخنا الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه أن شخصا أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعره تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدى أحمد رضى الله عنه فقال بشرط أن لا تعود فقال نعم ورد عليه ثوب إيمانه ثم قال وماذا تنكر علينا قال اختلاط الرجال والنساء فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع أحد منه ثم قال وعزة ربى ما عصى أحد فى مولدى إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أدعو الوحوش والسمك فى البحار وأحميهم من بعضهم

بعضا أفيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى (وحكى) لى شيخنا أيضا أن سيدى الشيخ أبا الغيث ابن كتيلة أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحد الصالحين بها كان بمصر فجاء إلى بولاق فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول فى المراكب فأنكر ذلك وقال هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم ﷺ كاهتمامهم بأحمد البدوى فقال له شخص سيدى أحمد ولى عظيم فقال ثم فى المجلس من هو أعلى منه مقامًا فعزم عليه شخص فأطعمه سمكا فدخلت حلقه شوكة تعلقت فلم يقدروا على نزولها بد عن غطاس ولا بحميلة من الحيل وورمت رقبته حتى صارت كخلاية النحل تسع شهور وهو لا يتلذذ بطعام ولا شراب وأنساه الله تعالى السبب فقال احملونى إلى قبة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فأدخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دمًا فقال تبت إلى الله تعالى يا سيدى أحمد وذهب الوجع والورم من ساعته، وأنكر ابن الشيخ خليفة بناحية أبيار بالغربية حضور أهل بلده إلى المولد فوعظه شيخنا الشيخ أحمد الشناوى فلم يرجع فاشتكاه لسيدى أحمد فقال ستطلع له حية ترعى فاه ولسانه فطلعت من يومه ذلك وأتلفت وجهه ومات بها، ووقع ابن اللبان فى حق سيدى أحمد رضى الله عنه فسلب القرآن والعلم والإيمان فاستغاث ببعض الأولياء فلم يقدر أحد أن يدخل فى أمره فدلوه على سيدى ياقوت العرش فمضى إلى سيدى أحمد رضى الله عنه وكلمة فى القبر وأجابه وقال له أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رسما له فقال بشرط التوبة فتاب ورد عليه رسماله وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت رضى الله عنه وقد زوجه سيدى ياقوت ابنته ودفن تحت رجليها بالقرافة رحمه الله تعالى، وواقعة ابن دقيق العيد وامتحانه لسيدى أحمد رضى الله عنه مشهورة وهى أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد أرسل إلى الشيخ سيدى عبدالعزيز الديرينى رضى الله عنه وقال له امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره عن هذه المسائل فإن أجابك عنها فهو ولى الله تعالى فمضى إليه سيدى عبدالعزيز وسأله عنها فأجاب عنها بأحسن جواب، وقال هذا الجواب مسطر فى كتاب الشجرة فوجدوه فى الكتاب كما قال وكان سيدى

عبدالعزيز إذا سئل عن سيدى أحمد رضى الله عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار وأخباره ومجيئه بالأسرى من بلاد الأفرنج وإغثة النسا من قطع الطريق وحيلولته بينهم وبين من استنجد به لا تحويها الدفاتر رضى الله عنه قال العارف قلت وقد شاهدت أنا بعينى سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيرًا أعلى منارة سيدى عبدالعال رضى الله عنه مقيدا مغلولا وهومخبط العقل فسألته عن ذلك فقال بينما أنا فى بلاد الإفرنج آخر الليل توجهت إلى سيدى أحمد فإذا أنا به فأخذنى وطار بى فى الهواء فوضعنى هنا فمكث يومين ورأسه دائرة عليه من شدة الخطفة رضى الله عنه اهـ من الطبقات للقطب الشعرانى رضى الله عنه (ومن ألطف ما قيل فى الحضرة الأحمدية)، قول الاستاذ سيدى محمد المهدى الكبير متوسلا بباب وصوله وأستاذه القطب الحفنى إلى الحضرة الأحمدية.

أشموس تلوح وقت الصباح	**أم بدور تحكى وجوه الصباح**
أم بروف بالإبرقين أضاءت	**شوقتنا لعرب تلك البطاح**
أذكرتنى عهود رهد تقضى	**فبدا الشوق داعيا للنواح**
هيجتنى وأطلقت قيد صبرى	**يا لقومى من لى برد الجماح**
حركت فى الحشا سوا كن وجد	**أشعلت فى الفؤاد زند اقتداح**
يا خليلى هل يعود زمان	**راح فى سرعة كمرٍّ الرياح**
كان قلبى مقلبًا فى نعيم	**فيه والصدر دائمًا فى انشراح**
فرمتنى أيدى الحوادث قهرا	**بسهام تفوق سمر الرماح**
هكذا الدهر ما أسر أناسًا	**فى مساء إلا أسا فى الصباح**
كم ملوك أفنى وكم من جموع	**فرقت بعد لمة وارتياح**
لا تثق بالزمان فهو خؤن	**غادر كاذب قليل النجاح**
وتحصن من باسه وتخلص	**بوسيع الرحاب بحر السماح**

ملجـأ الخائفـين غـوث البـرايا ... مطلب الزائرين كنز الفـلاح
لاتقس جـوده بقطر غـمـام ... لا ولا باسه ببيض الصفـاح
جـود يمناه كم روى عن يسـار ... ويسـار يروى لنا عن رباح
ورباح يـروى لنا عن عـطاء ... وهو عن نائل الندى النضـاح
أحـمد الأوليـاء الملثم بالنور ... المصـفى من جـوهر وصحـاح
صفـوة الأصفيـاء نسل كرام ... برزخ الأتقيـاء كهف الصلاح
شمس أفق الرشاد قطب اهتداء ... كـوكب السـر زائد الإيضـاح
عرش جمع الجموع أشرف مولى ... أوحـد الحق عند ثنى القـداح
وقت إن حل فى حـمى بنت برى ... صرحت بين قومها وأصباحى
جاء النصـر حين نادى قريش ... وتغاضى عن حسن ذات الوشاح
سـيد دأبه العـفـاف وحاشا ... أن يزيل العـفـاف حسن الملاح
ياله فـارسـا غـزا يوم بدر ... بحـسـام يروى عن السـفـاح
بدوى كم فك قـيـد أسـيـر ... وأذاق الكفـار طعم الكفـاح
خيـر من أذعنت لهيبـتـه الخلـ ... ـق وذلت له ملوك النواحى
عيسوى أحيا الغلام وقد كا ... ن رمـيـما وأمـه فى يصـياح
هكذا هكذا الرجـال فـحـدث ... عن إمـام الهـدى أبى الأفـراح
مـلـك زان ملـكـه بملاك ... فى ليال تفـوق عيـد الأضاحى
من عليـه الإله أثنى صـريحًا ... من قـديم فـأين أين امتـداحى
كم له من مكارم وصـفـات ... أعجزت صاحب القوافى الفصاح
أى بحـد كـمجـد قطب رجال ... قـصـرت عنه مـدحـة المداح
يا ابن بنت الرسول جئنا نسعى ... نسـتـقى من نداك هذا المبـاح

طالبـين الـغنى بكف افـتـقـار | هل عـلى طالب الـغنى من جـناح
بسكونى فى ربع مـدحك جـد لى | فلقـد جـئت خـافـضًا لـلجناح
لا تكـلنـى إلى سـواك فـإنى | أرتجـيكـم فى غـدوة ورواح
من أرجـيـه اذ رددت وغـيـرى | فى غبـوق من جودكم واصـطباح
فـاجـبـروا كـسـرنا بخـيـر إمـام | فـاق إشـراقـه على المصـبـاح
الهـمـام الحـفنى أو حـد مـولى | سـاد بالعـلم والتـقى والـرباح
حـاز مـجـدا وسـوددا وافـتـخـارا | وحـواها بالجـد لا بـالمزاح
سـبط طـه ونسل أزكى البـريا | أشـرف الانبـيـاء شـمس النجـاح
فـعـليـه من الإلـه صـلاة | تتـوالى مـا فـاح نشـر اللقـاح
وعـلى آلـه الكـرام وصـحـب | مـا اختـتـام يأتيك بعـد افـتـتـاح

وصل الله على سيدنا مـحمد النبى الأمى وعلى آله وصحبـه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

(ومن أهل بيت النبـوة قطب دائـرة الأفلاك وغـوث أهل الأرض والحـضـرات القطب الربانى سيدنا وولى نعـمتنا سيدنا إبراهيم الدسوقى) قـال القطب الشعرانى فى طبقاته وكان من صدور المقربين وكان صـاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة وسرائر نورانية ونفـحات روحانية وأسرار ملكوتيـة ومحاضرات قدسـية له المعراج الأعلى فى المعارف والمنهـاج الأسنى فى الحقائق والطور الأرفع فى المعـالى والقدم الراسخ فى النهايات والـيد البيضـاء فى علوم الموارد والباع الطويل فى التـصريف النافذ والكشف الخـارق عن حقائق الآيات والفتح المضاعف فـى معنى المشاهدات وهو أحـد من أظهـره الله عز وجل إلى الـوجود وأبرزه رحـمـة للخلق وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام وصرفه فى العالم ومكنه فى أحكام الولايات وقلب له الأعيان وخرق له العـادات وأنطقه بالمغيبات وأظهر على يديه العـجائب وصومه فى المهد رضى الله عنه وله كـلام كثير عال على لسـان أهل الطريق، ومن كلامه رضى الله عنه من لم يكن مجتهدًا فى بدايته لا يفلح له مريد فإنه إن نام نام مريده

وإن قام قـام مريده وإن أمر الناس بالعـبادة وهو بطال أو نهاهـم على الباطل وهو يفعلـه ضحكوا عليه ولـم يسمعـوا منه، وكان رضى الله عنه يقـول كم من علم يسمعه من لا يفهمه فيتلفه ولذلك أخذت العهود على العلماء أن العقل فى القلب لحديث إن فى الجـسد مضـغة ولكن إذا فكرت فى كنه العـقل وجدت الرأس يدبر أمور الدنيا ووجـدت القلب يدبر أمور الآخرة فمن جاهد شاهد ومن رقـد تباعد. وكان يقول ليـس أحد يقدم فى الطريق بكبره وسنه وتقـادم عهده إنما يقدم بفـتحه ومع هذا فمن فتح عليه منكم فلا يرى نفسه على من لم يفتح عليه وتأمل يا ولدى إلى إبليس لما رأى نفسه على آدم عليه السلام وقال أنا أقدم منك وأكثر عبادة ونوراً كيف لعنه الله. وكان يقول على حامل القرآن ألا يملأ جوفه حرامًا فإن فعل ذلك لعنه القرآن من جوفه وقال لعنة الله على من لم يجل كلام الله تعالى، وكان يقول من أحب أن يكون ولدى فليحـبس نفسه فى قمقم الشـريعة وليختم عليـها بخاتم الحقيـقة وليقتلهـا بسيف المجاهدة وتجرع المرارات ومن رأى أن له عـملاً سقط من عين ربه وحرم من ملاحظته. وكان يقول العارف يرى حسناته ذنوبًا ولو آخده الله تعالى بتقصيره فيهـا لكان عدلا. وكان يقول يا أولادى اطلبوا العلم ولا تقفوا ولا تسأمـوا فإن الله تعـالى قال لسيـد المرسلين ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فكيف بنا ونحن مسـاكين فى أضعف حال وآخر زمـان وسبب طلب الزيادة للعلم إنما هى للأدب يعنى اطلـب الزيادة من العلم لتـزداد معى أدبـا حتى أؤدبك ومـا قدروا الله حق قدره. وكان رضى الله عنه يقول أنا موسى الكليم فى مناجاته، أنا علىّ فى حملاته أنا كل ولى فى الأرض خلقته بيدى ألبس منهم من شئت، أنا فى السماء شاهدت ربى وعلى الكرسى خاطبته أنا بيدى أبواب النار إن أغلقتها أغلقها وبيدى جنة الفردوس فتحـتها من زارنى أدخلته جنة الفردوس. واعلم يا ولدى أن أولياء الله تعـالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحـزنون متصلون بالله ومـا كان ولى متصـلا به تعالى إلا وهو يناجى ربه كما كان مـوسى عليه السلام يناجى ربه وما من ولى إلا ويحـمل على الكفار كمـا كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يحمل وقد كنت أنا وأولياء الله أشـياخًا فى الأزل بين يدى قديم الأزل وبين يدى رسول الله ﷺ وأن الله عز وجل خلقنى من نور رسول الله ﷺ وأمرنى أن أخلع على جميع الأولياء بيدى فـخلعت عليهم بيدى وقال لى رسول الله ﷺ يا إبراهيم

أنت نقيب عليهم فكنت أنا ورسول الله ﷺ وأخى عبد القادر خلفى وابن الرفاعى خلف عبد القادر ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال لى يا إبراهيم سر إلى مالك وقل له يغلق النيران وسر إلى رضوان وقل له يفتح الجنان ففعل مالك ما أمر به ورضوان ما أمر به وأطال فى معانى هذا الكلام، ثم قال رضى عنه وما يعلم ما قلته إلا من انخلع من كثافة حجبه وصار مروحنًا كالملائكة، قال العارف قلت وهذا الكلام من مقام الاستطالة يعطى صاحب الرتبة أن ينطق بما ينطق وقد سبقه إلى نحو ذلك الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله وغيره فلا ينبغى مخالفته إلا بنص صريح والسلام. وهو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد بن النجا بن عبد الخالق بن القاسم بن جعفر بن عبد الخالق بن أبى القاسم الزكى بن على بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على الزاهر زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه القرشى الهاشمى رضى الله عنهم أجمعين تفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس فى مرتبة الشيوخية وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثًا وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة رضى الله عنه. ومن نظمه رضى الله عنه ورحمه:

سقانى محبوبى بكأس المحبة — فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى

ولاح لنا نور الجلالة لو أضا — لصم الجبال الراسيات لدكت

وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا — أطوف عليهم كرة بعد كرة

ونادمنى سرًا بسر وحكمة — وإن رسول الله شيخى وقدوتى

وعاهدنى عهدًا حفظت لعهده — وعشت وثيقا صادقا لمحبتى

وحكمنى فى سائر الأرض كلها — وفى الجن والأشباح والمردية

وفى أرض صين الصين والشرق كلها — لا قضى بلاد الله صحت ولا يتى

أنا الحرف لا أقرأ لكل مناظر — وكل الورى من أمر ربى رعيتى

وكم عـالم قـد جـاءنـا وهو منكر   فصار بفـضل الله من أهل خرقتي

ومـا قلت هذا القـول فـخـرًا وإنما   أتى الإذن كـيلا يجـهلون طريقـتي

وكان رضى الله عنه يقـول قرأت كتاب الله تـعالى وأنا ابن ست سنين ورأيت فى السبع حرفًـا معجمًـا حار فيه الجن والإنس ففـهمته وحمـدت الله تعالى على معرفـته وحركت ما سكـن وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربـع عشرة سنة والحمد لله رب العـالمين وصلى الله على سيدنا محـمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الباب الرابع: فى بيان كيفية انقراض الدنيا إلى النفخة الثانية، وفيه فصول سبعة

الفصل الأول: فى بعض علامات الساعة الصغرى

(اعلم) أن أشراط الساعة كثيرة جدًا أوصلها بعضهم إلى خمسمائة فمنها بعثة النبى ﷺ لقوله ﷺ **«بعثت أنا والسـاعة كهـاتين وأشار بالسـبابة والوسطى»** ومنها قبض العلـم بموت أهله وظهور الجهل وكـثرة الزنا ومـعاملة الناس بالربا وكـثرة الزلازل وانشقاق القمر ورجم الشياطين من السماء وتأمين الخائن وتخوين الأمين وكثرة العقوق وأمارة الصبيان والتطاول فى البـنيان وفساد البلدان وكثرة الفتن فيها اهـ نقـراوى، ومنها أن يشـرب الخمـر وتكثر النسـاء وتقل الرجال حـتى يكون للخمسـين امرأة قيم واحد أى رئيس، ومنها رفع الأسـافل قال رسول الله ﷺ **«لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع»** يعنى بذلك السفلة من الناس وفى الحديث **«ما من عـام إلا والذى بعده شـر منه حتى تلقـوا ربكم»** (وذكر العارف الشـعرانى) قال روى التـرمذى عن على رضى الله تعالى عنه قـال قال رسول الله ﷺ **«إذا فعلت أمتى خمسة عشـر حل بها البلاء قيل وما هى يا رسول الله قال إذا كـان المغنم دولا والأمانة مغنمـا والزكاة مغـرما وأطاع الرجل زوجتـه وعق أمه وجفـا أباه وارتفعت الأصـوات فى المساجـد وكان زعـيم القوم أرذلهم وأكـرم الرجل مخافة شـره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القـينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمـة أولهـا فليـرتقـبـوا عند ذلك ريحـا حـمـراء أو خـسفـا أو مـسـخـا»** قال وزاد

فى رواية أخرى على الخمسة عشر «**وتعلم العلم لغير الدين وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم**» وفى رواية أبى العالية «**لا تقوم الساعة حتى يمشى إبليس لعنه الله فى الطرق والأسواق ويقول حدثنى فلان عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا افتراءً وكذبًا**» اهـ من تحفة الإخوان (ومن علاماتها أيضًا) جور الحكام وعدم النصفة فى الأحكام وكثرة المظالم وارتكاب المآثم وقلة الأمانات وكثرة الخيانات وقلة العلماء وكثرة الجهال ففى الحديث «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ولكن بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» (ومنها) كساد الأسواق وقلة البركة فى الأرزاق وكثرة الشكاة من الناس قل من تجده إلا ويظهر لك الشكوى وعنده ما يكفيه (ومنها) كثرة الربا وإفشاؤه فى المعاملات فتجد غالب الفجار يعطى العشرة بخمسة عشر وما كثر وما قل ففى حديث «**لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض بيت إلا ودخله الربا إن لم يصبه منه أصابه من غباره أو من صاحبه أو صديقه أو قريبه**» (ومنها) اتخاذ القرآن مغنى يغنى به فى صدور المجالس والأسواق والقهاوى (ومنها) عمارة القهاوى أكثر من المساجد التى هى محل العبادة والذكر والفوائد والقهاوى محل الغيبة والنميمة والمفاسد (ومنها) ما حدث فى هذا الزمان من شرب الدخان فإنها بدعة منكرة فى سائر الأديان لأنه يلهى عن ذكر الله الواحد الديان. اهـ وقال المحقق العلامة الأمير فى مجموعة القهوة والدخان تعتريهما الأحكام الخمسة بحسب الأشخاص تحريما ووجوبًا وكراهة وندبا وإباحة اهـ وهذا لاينافى كونه بدعة من علامات الساعة (ومنها) أخذ الرشوة على الحكم حتى لو جاء الخصمان إلى الحاكم أحدهما على الحق والآخرة على الباطل فوعده الذى على الباطل بالرشوة لمال معه وترك الحق وعلى هذا جاء الحديث القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار (ومنها) انقلاب الشتاء صيفا والصيف شتاءً والتكالب على الدنيا وترك الآخرة وهذه بعض العلامات الصغرى (ومنها) رفع الأصوات فى المساجد ولو بالعلم لقول مالك ما للعلم ورفع الصوت وتعليم العلم لغير الدين وإطاعة الرجل امرأته وإقصاؤه أباه وأمه وهذه بعض العلامات الصغرى وإلا فقد وصل عدها إلى خمسمائة، (وأما العلامات الكبرى)، قال الشيخ أحد النفراوى على الرسالة للساعة أشراط وعلامات يجب الإيمان بها وهى على قسمين

كبرى وصغرى فالكبرى عشر خمس متفق عليها خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم من السماء الثانية وخروج الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها، وخمس مختلف فيها خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ودخان باليمن ونار تخرج من قعرعدن تروح مع الناس حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا حتى تسوقهم إلى المحشر. اهـ ثم ذكر العلامات الصغرى كما تقدم وعد منها ظهور المهدى وعده بعضهم من الكبرى، واختلف أيضًا فى ظهور السفيانى فقيل من العلامات الكبرى، (ولنبدأ أولا بذكر السفيانى)، فنقول أنه رجل من ذرية أبى سفيان بن حرب الأموى يظهر باليمن يسير بالناس سيرة حسنة إلى أن يظهر أمره ويستقر شأنه ثم ينعكس على الناس بشؤم فيقتل أهل الأسواق ويحتقر بالصلحاء والعلماء الأعيان ويسير فى الناس سيرة سيئة ويخرج بجيوش عظيمة هائلة إلى أن ينتهى إلى الشام وتجتمع عليه قبيلة تسمى بنى كلب إخوانه وهم أكثر الناس عددًا، وفى تذكرة القرطبى يبعث أى السفيانى جيشا إلى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشا آخر إلى مكة لمحاربة المهدى ومن تبعه فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة وتغلب عليها ويسبى من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ ما يجده فيها من الأموال ثم يرجع فتقوم ضجة بالمشرق فيتبعهم أمير من أمراء بنى تيميم يقال له شعيب بن صالح فيستنفذ ما فى أيديهم من السبى ويرده إلى الكوفة، وأما الجيش الثانى فإنه يصل إلى مدينة الرسول ﷺ فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يسيرون نحو مكة لمحاربة المهدى ومن معه فإذا وصلوا إلى البيداء مسخهم الله أجمعين وذلك قول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**﴾ [سبأ: ٥١]. اهـ قال العارف الشعرانى ويسمى عروة بن محمد السفيانى، قال وفى الحديث أن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله كيف يحل قتلهم وهم مسلمون موحدون فقال النبى ﷺ «**إنما إيمانهم على ردة**» قال العارف الشعرانى ولأنهم خوارج ويقولون برأيهم أن الخمر حلال، ومع ذلك أنهم محاربون قال الله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله**﴾ الآية، ثم ذكر فى حديث آخر فى مبايعة المهدى أن المهدى يقول أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا

يعصون له أمـرا فيخرج المهـدى ومن معه من المسلمين من مكة إلـى الشام لمحاربة عروة بن محـمد السفيانى ومن معـه من بنى كلب، وللإمام السيوطى فيـما يتعلق بالمهدى إلى أن قال وأما السفيانى فيبعث إليـه جيشًا من الشام فيخسف بهم بالبيداء فلا ينجـو منهم إلا المخبر فـيسيـر إليه السفـيانى بمن معـه ويسير هو بمن مـعه إلى السفيانى فتكون النصرة للمهدى ويذبح السفيانى، وهو رجل من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفـيان ضخم الهامة بوجـهه الجدرى وبعينه نـكتة بيضاء يخرج مـن ناحية دمشق وعامـة من يتبعه من بنى كلب يفعل الأفـاعيل ويقتل قبيلة قـيس فيريح الله المسلمين منه بظهور المهدى، وفى بعض الروايات أنه يخسف به مع عسكره بالبيداء نقلها العـلامة النفراوى عن تفسـير النسفى فلعل المراد بالمذبوح فى رواية السـيوطى الزهرى الذى كـان أمـيـرًا من طرفه، وذلـك لأنه ذكر عن الـنسفى أن أصـحـاب السفيانى تكون ثلاث فـرق فرقة تبقى بالكوفة وفرقة تسير نـحو السرى وفرقة تأتى المدينة وعليهم رجل من بنى زهرة فيحاصرون أهل المدينة فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة حـتى يبلغ الدم الرأس المقطوع ويقـتل من أهل بيت رسـول الله ﷺ رجل وامـرأة واسم الرجل محمد واسم المرأة فاطمة ويطلعونهـما عاريين فعند ذلك يشتد غضب الله عليهم ويبلغ، ولى الله المهدى فيخرج فى ثـلاثين رجلاً فيبلغ المؤمنين خروجه فيأتونه من أقطار الأرض ويحنون إليه كما تحن الناقـة إلى فصيلها، إلى أن قال فإذا فرغ من بيعة الناس بعث خيلا إلى المدينة عليـهم رجل من أهل بيته فيقاتل الزهرى فيقـتل من كلا الفريقين مقتلة عظيـمة ويرزق الله وليه الظفر فيـقتل الزهرى ويقتل أصحـابه فالخائب يومئـذ من خاب من غنيمـة بنى كلب ولو بعقال فإذا بلغ الخـبر السفيانى خرج من الكوفة فى سبعين ألفا حتى إذا بلغ البيداء عسكره وهو يريد قتال ولى الله وخراب بيت الله فبـينما هم كذلك بالبيداء إذ نفـر فرس رجل من العسكر فخـرج الرجل فى طلبه وبعث الله جبـريل فضرب الأرض برجله فخـسف الله عز وجل بالسفيانى وأصحابه ورجع الرجل يقود فرسه فيـستقبله جبريل فيقول ما هذه الضجـة فى العسكر فيضـربه جبريل بجناحه فـيتحول وجـهه مكان القفى فيـمشى القهـقرى. اهـ والله أعلم و صلى الله عـلى سيدنا مـحمـد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الثانى: فى المهدى وبيان أنه هل هو من ولد الحسن أو الحسين ومن أين يخرج وفى علامة خروجه وأنه يبايع مرتين

ففى كنوز الحقائق للمناوى عن الطبرانى عنه ﷺ «**المهدى منا يختم به الدين كما فتح بنا**» وفى جواهر العقدين فى شرف النسبين للإمام المناوى أيضًا قال وقال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين فى قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ [الزخرف: ٦١] قال هو المهدى يكون فى آخر الزمان قال وربما يستشهد لهذا بما أخرجه النسائى من قوله ﷺ «**لن تهلك أمة أنا أولها ومهديها وسطها والمسيح بن مريم آخرها**» اهـ وفى القرطبى من حديث ابن مسعود وغيره «**أنه يخرج فى آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشى النصر من بين يديه أربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب فلا تنهزم له راية فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**» الحديث بطوله وفيه «**فيأتى الناس من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ بين الركن والمقام وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد المبايعة الأولى بالمغرب**». اهـ وفى رسالة الشيخ الصبان قال يؤخذ من أحاديث أخر أنه يخرج أى المهدى من المشرق من بلاد الحجاز والقول بأنه يخرج من المغرب لا أصل له كما نبه عليه العلقمى. اهـ (قلت) ولعل الجمع ممكن عملا بالروايتين بأن يحمل أحاديث المشرق على الظهور التام بدليل المبايعة الثانية بين الركن والمقام بعد البيعة الأولى كما فى رواية القرطبى وهذا من المحقق الصبان غير لائق بمقامه فإن رواية القرطبى المقيدة للمبايعة مرتين قد وافقه فيها الإمام ابن حجز وكذلك القطب الشعرانى قد أفادها فى مختصره ولفظه روى «**أنه يخرج فى آخر الزمان رجل يقال له المهدى من أقصى المغرب يمشى النصر بين يديه أربعين ميلاً راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب فلا تنهزم له راية وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيبعث هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**» إلى أن قال «**فيأتى الناس من كل جانب ومكان فيبايعونه بمكة بين الركن والمقام وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التى بايعه الناس بالمغرب عليها**» انتهى وحيث أمكن الوصل والجمع فسلوكه

أولى لاسيما والإمام القرطبى من أكابر المحدثين مع الموافقة من الإمامين المتقدم ذكرهما، وهو من ولد فاطمة باتفاق الجمهور ففى مسلم وأبى داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى وآخرين **«المهدى من عترتى من ولد فاطمة»** وفى رواية ابن عساكر عن على بن الحسين عن أبيه أبشرى يا فاطمة المهدى منك، قال فى كنوز الحقائق وما ورد من قوله ﷺ **«يا عباس إن الله بدأ فى هذا الأمر وسيختمه بغلام من ولدك يملؤها عدلا»** إلخ يجمع بينه وبين رواية أنه من ذرية الحسن أو الحسين بأن يكون له نسبة إلى كل واحد من هؤلاء فيكون رضى الله عنه نجل الحسن وسبط الحسين من جهة أمه وسبط العباس من جهة أبيه. اهـ وأخرج أحمد وأبو داود الترمذى وابن ماجه **«لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً من عترتى يملؤها عدلا كما ملئت جوراً»** وفى رواية لأبى داود والترمذى **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جوراً وظلمًا»** وأخرج الحاكم فى صحيحه **«يحل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلاً من عترتى أهل بيتى يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا يحسبه ساكن الأرض وساكن السماء وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لا تمسك شيئًا يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانيًا أو تسعًا يتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره»** وأخرج أبو نعيم **«ليبعث الله رجلا من عترتى أفرق الثنايا أجلى الجبهة** (أى منحسر الشعر عن جبهته) **يملأ الأرض عدلاً يفيض المال فيضا»** وأخرج الروياني والطبرانى وغيرهما **«المهدى من ولدى وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم إسرائيلى** (أى طويل) **يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا يرضى لخلافته أهل السماء وأهل الأرض»** وورد أيضًا فى حليته أنه **«شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال»** وقال الشيخ القطب الغوثى سيدى محيى الدين بن العربى فى الفتوحات اعلموا أنه لابد من خروج المهدى لكن لا يخرج حتى تملأ الأرض جوراً وظلمًا فيملؤها قسطًا وعدلاً وهو من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها جده الحسين بن على بن أبى طالب ووالده الإمام حسن العسكرى ابن الإمام على النقى

بالنون ابن الإمـام محمـد التقى بالـتاء ابن الإمام عـلى الرضا ابن الإمـام موسى الكاظم ابن الإمام جعفـرالصادق ابن الإمام محمد البـاقر ابن الإمام زين العابدين على ابن الإمام الحسين بـن الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يواطئ اسمه اسم رسـول الله ﷺ يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشـبه رسول الله ﷺ فى الخلق بفتح الخاء وقـريبا منه فى الخلق أسعد الناس به أهل الـكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل به فى الرعية يمشى الخضر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقـفو أثر رسـول الله ﷺ له ملك يسدده من حـيث لا يراه يفـتح المدينة الروميـة بالتكبير مع سبعين ألفًا من المسلمين يعـز الله به الإسلام بعد ذله ويحييه بعد موته ويضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يحكم بالدين الخالص عن الرأى ويخـالف فى غالب أحكامه مـذاهب العلماء فينقبـضون لذلك لظنهم أن الله تعالى لا يحدث بعد أئـمتهم مجتهدا وأطال فى ذكر وقـائعه معهم، ثم قال: واعلم أن المهدى إذا خرج يفـرح به جميع المسلمين خاصتـهم وعامتهم، وله رجال إلاهيون يقيمون دعـوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه وبعيـنونه على ما قلده الله به ينزل عليـه عيسـى بن مريم عليه السـلام بالمنارة البيضاء شرق دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس فى صلاة العصر فينحى الإمام من مقامه فـيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمـد ﷺ ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليـه المهدى طاهرًا مظهرًا، وقال فى محل آخر من فـتوحاته قد استوزر الله للمهدى طائفـة خبأهم الله تعالى فى مكنون غيبه أطلعـهم كشفًا وشهودًا على الحقائق ومـا هو إلا أمر الله فى عباده فلا يفـعل المهدى شياء إلا بمشـاورتهم وهم على أقدام رجال من الصـحابة الذين صدقوا الله ما دعاهم إليه وهم من الأعـاجم ليس فيهم عربى لكن لا يتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ من غيـر جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء، ثم قال: هؤلاء الوزراء لا يزيدون عن تسـعة ولا ينقصـون عن خمسـة لأن رسول الله ﷺ شك فى عددهم مدة إقامته من خمس إلى تسع للشك الذى وقع فى وزوائه فلكل وزير معه إقامة سنة فإن كانوا خمسة عاش خمسة وإن كانوا تسعا عاش تسعا ولكل سنة أحوال مخصوصة وعلم يختص به وزيره إلى آخر ما قال، وقال فى محل آخر

فى فتوحاته أنه يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة وذلك بأن يلهمه الشرع المحمدى فيحكم به، كما أشار إليه حديث المهدى يقفو أثرى لا يخطئ فعرفنا رسول الله ﷺ أنه متبع لا مبتدع وأنه معصوم فى حكمه فعلم أنه يحرم عليه القياس مع وجود النصوص التى منحه الله إياها على لسان ملك الإلهام بل حرم بعض المحققين القياس على أهل الله لكون رسول الله ﷺ مشهودا لهم فإذا شكوا فى صحة حديث أو حكم رجعوا إليه فى ذلك فأخبرهم بالأمر الحق تعظيمًا ومشافهة وصاحب هذا الحال والمشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير رسول الله ﷺ، قال العلامة الصبان فى رسالته لأهل البيت متعقبا للعارف ابن العربى فى فترحاته بقوله لا يخفى أن ما ذكره العارف أيضا من كون والده الحسن العسكرى مناف لما مر فى بعض الروايات من كون اسم أبيه مواطئا لاسم أبى رسول الله ﷺ وسلم وما ذكره أيضا من كون مدته إما خمسا أو تسعة مخالف لمامر عن الصواعق أخذًا من الأحاديث السابقة من كون المحقق سبع سنين، وإن ما ذكره أيضًا من كونه يضع الجزية ويقتل من لم يسلم مناف لمامر من كون ذلك لعيسى، وإن ما ذكره من كون عيسى هو الذى يصلى بالناس حين ينزل مناف لما مر من كون الذى يصلى بهم المهدى، وإن ما ذكره من أن عيسى ينزل والناس فى صلاة العصر مناف لما فى السيرة الحلبية من أنه ينزل والناس فى صلاة الفجر. اهـ (قلت) وهذا من مثل هذا الإمام المحقق فى غاية الغرابة لاسيما التورك على مثل هذا العارف وذلك لإمكان الجمع والإصلاح فى جميع ما رده عليه فقوله لا يخفى أن ما ذكره العارف ابن العربى من كون جده الحسين مناف لما مر من توجيه بعضهم أن جده الحسن لا مانع من أن يراد بالحسن فى كلام البعض الحسن العسكرى وهو من أولاد الحسين وإنما نسب إليه خاصة لكونه كان أشهر آبائه من قبل أبيه لأنه كان كما ذكره المعترض نفسه فى مناقب سيدى الحسن من الأئمة الأخيار صاحب الشهرة العظيمة فى العلم والمعارف ولم يكن فى الحديث الحسن بن على على أنه لو قيل ذلك لأمكن ما تقدم أيضا لما علمت من تمام شهرته وهو وإن كان بعيدا يتقوى برواية كونه من ولد الحسين والسنة يفسر بعضها وعلى تسليم ذلك فتوجيه البعض كونه من ولد الحسن لا يصلح أن يكون له حجة فى الرد على

مثل هذا العارف وقول المحقق ثانيا ما ذكره العارف أيضًا من كون والده الحسن العسكرى مناف لما مر فى بعض الروايات من كون اسم أبيه مواطئا لاسم أبى رسول الله ﷺ لا يصح من مثل هذا الإمام وذلك أنه من المعلوم أنه يولد فى آخر الزمان كما سيذكره العلامة المتعقب نقلا عن الشعرانى ولفظه وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى اليواقيت والجواهر المهدى من ولد الإمام الحسن العسكرى ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام هكذا أخبرنى الشيخ حسن العراقى المدفون فوق كوم الريش المعلل على بركة الرطل بمصر المحروسة ووافقة على ذلك سيدى على الخواص اهـ بلفظه إذا علمت ذلك النقل من هذا المحقق عن القطب الشعرانى ظهر لك عدم المنافاة ضرورة وذلك لأن الأمام سيدى الحسن العسكرى بينه وبين جده الحسين ستة من الآباء فيعلم من ذلك أن الإمام المذكور ليس والد السيد المهدى مباشرة وأن والده مباشرة عبد الله كما فى بعض الروايات ويعلم أن تخصيصه الإمام العسكرى بالذكر لكونه أول المشاهير من قبل أبيه عبد الله المذكور بذلك يتقوى الاحتمال الأول من دفع المنافاة وقول العلامة المحقق ثالثًا، وما ذكره أيضًا من كونه مدته إما خمسا أو سبعا أو تسعا مخالف لما مر عن الصواعق أخذا من الأحاديث السابقة من كون المحقق سبع سنين فهو فى غاية الغرابة أيضًا وذلك أن العارف فى المحل الأول من الفتوحات قال يعيش خمسا وسبعا أو ثمانيا أو تسعا وقال فى محل آخر له وزراء لايزيدون عن تسعة ولا ينقصون عن خمسة فأنت تراه فى المحلين لم يقطع بواحد بعينه والشك فى ذلك العدد لا ينافى القطع الذى عينه ابن حجر لأن المقطوع به من أفراد المشكوك فيه غير أنه لم يعينه بخصوصه احتياطًا لرواية الجميع ولعل الجزم بالسبع من ابن حجر لما ترجح عنده وهذا لا ينافى ما ذكره العارف على أن ابن حجر فى الصواعق ذكر روايات متعددة موافقة لروايات العارف ابن العربى ولفظه روى الطبرانى والبزار بعد أن ذكر حديثا طويلاً وفيه يمكث فيهم سبعا أو ثمانيا فإن أكثر فتسعا قال وفى رواية للترمذى أن فى أمتى المهدى يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا فيجئ الرجل إليه فيقول يا مهدى أعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله ثم بعد أن ذكر هذه

الأحاديث من غير تضعيف لها ذكر بعد ذلك ما يرجع عنده رواية سبع سنين بقوله الذى اتفقت عليه الأحاديث سبع سنين من غير شك وعلى تسليم ذلك فمثل هذا العارف لا يرد عليه بما فى الصواعق وإن كان من أكابر الحفاظ فلا يكون ما فيها حجة فى الرد عليه، وقول المحقق رابعًا وما ذكره أيضًا من كونه يضع الجزية يقتل من لم يسلم مناف لما مر من كون ذلك لعيسى لا مانع من إمكان الجمع فإن اتصاف عيسى بذلك لاينافى اتصاف المهدى به لأن من المعلوم أن كلا منهما إمام متبع ومقر لشريعة رسول الله ﷺ فلا مانع من استوائهما فى هذا الأمر ويؤيد هذا ورود فتح الكنوز فى وقته فلا تقع لأخذ الجزية حينئذ حتى يشرع أخذها لأن الوسيلة إذا لم يترتب عليها مقصدها لا تشرع على أنه لا مانع من كون ذلك على لسان عيسى فى آخر ظهور المهدى عند اجتماعه مع عيسى لما ورد من مساعدة المهدى لعيسى على قتل الدجال، وهذا يفيده العارف الشعرانى فى مختصره جوابًا عما رواه ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال «لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارًا ولا الناس على الدنيا إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدى إلا عيسى بن مريم» قال العارف قال الإمام القرطبى وهذا لا ينافى ما تقدم فى أحاديث المهدى لأن معناه تعظيم شأن عيسى لعصمته وكماله فلا ينافى وجود المهدى قال العارف ويؤخذ ذلك من حديث المهدى من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا وإنه يخرج مع عيسى عليه السلام يساعده على قتل الدجال بباب لد من أرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلى خلف عيسى ابن مريم اهـ فأنت تراه قد ذكر خروجه معه للمساعدة على الدجال فيكون لا مانع من نسبة ما تقدم إليهما جميعًا وإنما تخصيص عيسى فى بعض الروايات بذلك تعظيما لشأنه كما سمعته عن الإمام القرطبى وهذا وإن كان تطفلا منا على مثل هذا الإمام إلا أن سلوك الإصلاح والوصل أولى بالاتباع، وقول المحقق فى الاعتراض المار وأن ما ذكره من كون عيسى هو الذى يصلى بالناس حين ينزل مناف لمامر من كون الذى يصلى بهم المهدى لا مانع من إمكان الجمع بإمكان تعدد الصلوات عملاً بالروايتين فإن الحين صادق بالزمن المتسع وإن كان المتبادر من تقييده بالنزول عدم الاتساع لكن استعماله ظرفًا متسعا لقرب ما بين الصلاتين يكون فيه عمل بالروايتين فيكون المصلى أولاً

حين النزول فى صـلاة الصبح هو المهدى وفى صلاة العـصر عيسى ثم بعـد كتبى لتسويد هذا الجواب الأخير رأيت العلامة ابن حـجر ذكر ما يفيده بقوله ما ورد أن المهدى هو الذى يصـلى بعيسى هو الذى دلت علـيه الأحاديث قـال وما صحـحه السعـد التفتازانى من أن عـيسى هو الإمام بالمهدى لأنه أفـضل فإمامتـه أولى فلا شاهد له فيـما علله لأن القصد بإمـامة المهدى بعيسى إنما هو إظـهار أنه نزل تابعًا لنبينا بشريعـته غير مستـقل بشىء من شريعة نفسه واقتـداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذى اقتدى به فـيه من إذاعة ذلك وإظهاره مالا يخفى على أنه يمكن الجمع بأن يقال إن عيسى يقـتدى بالمهدى أولا لإظهار ذلك الغرض ثم بعد ذلك يقتدى المهدى به على أصل القاعـدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتـمع القولان وبهذا الجواب يجـاب عن الاعتراض الأخـير فى دفع التنافى بين الصلاتـين وقد تم بهذا الجـمع بين كلام العـارف وإذا أمكن الجمع والـوصل فلا ينبـغى التورك لاسـيما من مـثل هذا المحقـق على هذا العارف خـصوصًـا وكلام العارفين حجـة فى التصحيح للحديث أو ضـعفه وقد سبق للعلامـة المعترض نقلا عن بعض المحقـقين أن المهدى يـحرم عليه القـياس وكذلك أهل الله العـارفون لشهـودهم للنبى ﷺ يقظة ومشـافهة فـهم مطلعون على صحـة الحديث وضعـفه ولذلك قال سـيدى أحمد بن المبـارك فى كتابه الأبزير كنا مـعاشر العلمـاء نعرض كتب السنة على سيدى عبد العزيز الدباغ وهو أمى ويبين لنا الحديث الصحيح من غيره فكنا نجد ما يخبر بعدم صحته منصوصًا كذلك للحفاظ إذا علمت ذلك فكلام الأستـاذ حجة لا يعارضـه غيره، وجاء فى بعـض الروايات أنه ينادى عند ظهوره فوق رأسه ملك هذا المهـدى خليفة الله فاتبعـوه فتقبل عليه الناس ويشـربون حبه وأنه يملك الأرض شرقهـا وغربها وأن الذين يبايعونـه أولابين الركن والمقام بعدد أهل بدر ثم تأتيه أبدال الشام ونجباء مصر وعـصائب أهل الشرق وأشباههم ويبعث الله له جيشا من خراسان برايات سود نصرة له ثم يتوجه إلى الشام وفى رواية إلى الكوفة والجمع ممكن، وأن الله يؤيده بثلاثة آلاف من الملائكة وأن أهل الكهف من أعوانه، قال الأستاذ السيوطى وحينئذ فسر تأخيرهم إلى هذه المدة إكرامهم بشرفهم بدخولهم فى هذه الأمة أى واعانتـهم للخليفة الحق وأن على مقدمة جيـشه جبريل

ومكائيل على ساقته وأنه يكون بعد موت المهدى القحطانى وهو رجل من أهل اليمن بعدل فى الناس ويسير سير المهدى، أما حديث أنه ﷺ قال لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا أدبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدى إلا عيسى بن مريم فتكلم فيه وعلى تقدير صحته لا مهدى معصوم إلا عيسى أولا مهدى على الإطلاق سواه يأتى بعده قال ابن حجر فى الصواعق الأظهر أن خروج المهدى قبل نزول عيسى وأن ظهوره بعد أن يكسف القمر فى أول ليلة من رمضان وتكسف الشمس فى النصف منه فإن مثل ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والأرض اهـ صبان والله أعلم (وفى) شرح الشيخ الشرقاوى على ورد الأستاذ البكرى ينزل عيسى فى زمانه بالمنارة البيضاء مشرق مسجد دمشق والناس فى صلاة العصر فيتنحى له الإمام فيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة محمد ﷺ قال، والمراد بالإمام أمير المهدى على دمشق وأما هو ففى بيت المقدس ثم يذهب عيسى إلى بيت المقدس فيقتدى بالمهدى فى صلاة الصبح، قال وقيل إن مدة المهدى أربعون سنة يجتمع مع عيسى فى سبع سنين أو تسع ويتقدم عليه بأكثرمن ثلاثين سنة ويتأخر عنه عيسى ببضع وثلاثين سنة لأن مدة مكثه خمس وأربعون سنة قال وهذا لا يعارض ما تقدم من أن غاية مكث المهدى تسع سنين قال لأن التسع هى التى ينفرد فيها بملك الأرض كلها وإن كان ملكه من ابتداء الأربعين ومولده بالمدينة وقيل ببلاد الغرب ثم يهاجر من المدينة إلى بيت المقدس قال وأحاديثه بلغت مبلغ التواتر المعنوى فلا معنى لإنكارها قال وأما ما ورد من أنه لا مهدى إلا عيسى بن مريم فهو مع كونه ضعيفًا عند الحفاظ مؤول بأن المعنى لا مهدى معصوم مطلقًا إلا عيسى أو المعنى لا قول للمهدى إلا بمشورة عيسى بناء على أنه من وزرائه انتهى وقال فى محل آخر وتدخل سائر الملوك فى طاعته وعند مبايعته فى المرة الأولى يكون عمره خمسًا وعشرين سنة وقيل بل أكثر من سبعمائة سنة وقال فى محل آخر بعد نقله عبارة العارف ابن العربى المتقدمة وهى قوله يفرح به عامة المسلمين ويبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق وله رجال إلاهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء إلى أن قال وهم تسعة على أقدام رجال من الصحابة لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط هو أخص الوزراء

وأفضل الأمناء .اهـ. قال وذلك الحافظ هو عيسى فيكون هو وزيره الأخص فى بعض المدة وإن انفرد بعده وهو ليس من جنس الوزراء لأنهم من الأعاجم يعنى الفرس وعيسى من بنى إسرائيل .اهـ وللقطب الشعرانى فى كتابه بهجة النفوس والأسماء قال أخبرنى سيدى حسن العراقى بأنه اجتمع بالإمام المهدى بجامع بنى أمية ولقنه الذكر وأمره بصيام وإفطار يوم وأن يصلى كل ليلة خمسمائة ركعة أبدًا ما عاش وأمره يسيح فى البلاد قال فخرجت بعد إلى الشام سائحًا فسحت سبعًا وخمسين سنة حتى وصلت سد اسكندر ذى القرنين ومسكت القفل بيدى إلى أن قال وقال لى المهدى عمرى الآن مائة وسبع وثلاثون سنة .اهـ فلينظر هذا مع الذى سبق نقله للعلامة الصبان فى عمره وكذلك للعلامة الشرقاوى.

الفصل الثالث: فى الدجال

(اعلم) أنهم اختلفوا فى موضع خروج الدجال فقال قوم يخرج من المشرق من أرض خراسان، وقالت طائفة يخرج من يهود أصفهان، وقال قوم يخرج من أرض الكوفةواختلفوا فى أتباعه فقيل اليهود والنساء المومسات وأولادهن أى أولاد الزنا قيل أغلب أتباعه اليهود قال العارف الشعرانى روى أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال يا رسول الله أخبرنى عن الدجال أمن ولد آدم هو أو من ولد إبليس قال هو من ولد آدم وأمه من ولد إبليس وهو على دينكم معشر اليهود، هذا يفيد أن السائل كان يهوديًا وقال العارف أيضًا قال بعضهم أن الدجال لم يولد وسيولد آخر الزمان قال القرطبى رحمه الله والأول أصح اهـ يعنى وجوده فى زمنه عليه الصلاة والسلام وقال العارف أيضًا وقد اختلف الناس فى أمر الدجال اختلافًا كثيرًا لما يقع على يديه من الخوارق التى تنافى حال الكذابين مع أنه كذاب قال قال بعض العلماء والذى عندى فتنة امتحن الله بها عباده المؤمنين فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وقد امتحن الله قوم موسى فى زمانه بالعجل فافتتن به قوم فهلكوا ونجا ممن هداه الله وعصمه منهم هذا كله بناء على الأصح من وجوده فى حياة المصطفى ﷺ إلا أنه يوجد آخر الزمان، قال وهب علامة خروجه أن تهب ريح عاصفة كما هبت فى أيام عاد، وعلامة ذلك ترك الناس فعل الخير وتركهم الأمر بالمعروف والنهى المنكر وسفك الدماء واستحلال الزنا وشرب الخمر واشتغال

الرجال بالرجـال كفعل قـوم لوط فعند ذلك يخـرج الدجال على حمـار مطموس العين مشوه الوجه طويل الأنف مكسور الطرف محدودب الظهر يخرج منه الحيات والعقارب، معـه جميع آلات السلاح ويمد يده تقرض السحـاب ويخوض البحار من طوله ولا يتبعـه من الدواب إلا الحمار وأكثر جيـشه أولاد الزنا وأهل الغضب والشقاوة والسحـرة، وأما المؤمنون فيصيرون فى هم ونكد وحزن لتـركهم المساجد ومكثهم فى بيوتهم من أجل هذا الكافـر والشمس تطلع فى ذلك اليوم على ألوان مـختلفـة مرة حـمراء ومـرة بيضـاء ومرة سـوداء ومرة صـفراء والأرض تتـزلزل والمسلمون صابرون حـتى يسمعوا بقدوم المهدى فـيستبشرون بقـدومه، وفى رسالة الشيخ الصـبان وفى مسند أحـمد من حديث جـابر: يخرج الدجال فى خـفة من الدين وإدبار من العلم أربعون ليلة يسيحـها فى الأرض أول يوم منها كالسنة وثانى يوم كالشهر وثالث يوم منها كالجمعة وسـائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه ما بين أذنيه أربعون ذراعًا فيقول للناس أنا ربكم وربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كـافر يقـرؤه كل مؤمن كـاتب وغـير كـاتب يرد كل مـاء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهـما الله تعالى عليه وقامت الملائكـة بأبوابها ومعه جبـال من خبز والناس فى جهد إلا من اتبـعه ومعه نهران أنـا أعلم بهما منه نهر يقول الجنـة ونهر يقول النار فمن أدخله الذى يسمـيه الجنة فهو فى النار ومن أدخله الذى يسميـه النار فهو فى الجنة قال وتبعث معه شياطين تلكم ومعه فتنة عظيـمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسًا ويحييها فيقول هل يفعل مثل هذا إلا الرب فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشـام فيحاصـرهم فيشـتد حصارهم، وفى رواية أن الدجـال يخرج من أصبهان ومعه تسعون ألفًا من اليـهود وهو أشد فتنة على الناس اسمه المسيح بالحاء المهملة لأنه يـمسح الأرض فى أربعين يومًـا والمسيخ بالخـاء المعجمـة لأنه ممسوخ إحدى عينيـه ولا يستقر عـوره فتارة يكون فى اليمنى وتارة يكون فـى اليسرى وله جبال من الحبوب حتى الفول ومعه صورة جنة ومعه صورة نار فناره جنة وجنته نار يأمر الســماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فـتنبت يدخل سائر الأرض إلا بيت المقدس ومكة والمدينة وجبل الطور يخرج له رجل من المدينة فيقول له أتؤمن فيقول لا فيأمر بقتله ثم يحييه ويقول له أتؤمن فـيقول لا ماازددت فيك إلا يقينًا فيلقيه فى

نار فتصبر عليه جنة قيل: إن ذلك الرجل هو الخضر والصحيح أنه غيره ولم يسلط على غيره وأول يوم من أيامه كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وبقية أيامه كأيامنا هذه قالوا يا رسول الله ما نفعل فى هذه الأيام الطوال قال: أقدروا إلهًا أوقاتًا باجتهادكم لأجل العبادات، وبالسند إلى البغوى عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان رسول الله ﷺ فى بيتى ذات يوم فذكر الدجال فقال: «**إن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها والسنة الثالثة تمسك السماء قطرها والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات خف من البهائم إلا هلكت وإن من أشد فتنته أن يأتى الأعرابى فيقول له أرأيت إن أحييت لك إبلك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فيمثل له نحو إبله أحسن ما كانت ضروعًا وسمنة ويأتى الرجل قد مات أخوه وأبوه فيقول أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم أنى ربك فيقول بلى فتتمثل له الشياطين نحو أخيه وأبيه**» ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ثم رجع والقوم فى غم مما حدثهم به فقال: «**إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وإلا فإن ربى خليفتى على كل مؤمن**» قالت أسماء فقلت يا رسول الله إنا لعجن عجينًا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين قال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس اهـ واختلف فى اسمه فقال قوم هو صائف بن صائد اليهودى ولد فى عهد رسول الله ﷺ فكان أحيانًا فى مهده ينبو وينتفخ فى بيته حتى يملأه، وروى أن اسمه عبد الله وكان يلعب مع الصبيان فقال له النبى ﷺ أتشهد أنى رسول الله فقال أتشهد أنى رسول الله، وقيل إن يهوديًا اسمه صياد مكث أربعين سنة لا تلد زوجته فولدت هذا الدجال فبلغ سيد المرسلين ﷺ أمره فذهب عليه الصلاة والسلام إليه واستتر بجذوع النخل وتزاوى عنه هو ومن معه من أصحابه حتى وصل إليه فنادته أمه يا صائف هذا محمدًا عند رأسك فقال له رسول الله ﷺ: أتؤمن بى فقال لا أنت رسول الأميين فقال له رسول الله ﷺ قد خبأت لك خبأ أى أعددت لك أمرًا فقال الدخ فقال له النبى ﷺ اخسأ ولن تعد وقدرك ومعناه أن النبى ﷺ قد أضمر له فى نفسه قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] لدعواه علم الغيب فلم يعلم وإنما قال الدخ وذلك اختطاف له من الشياطين

لكونهم يلقون إليه بعض الكلام لكن إن قلت أن النبى معصوم من اطلاع الشياطين على ما فى سره أجاب عن ذلك شراح الحديث بأن رسول الله ﷺ أخبر الذين معه من الصحابة بأنه أضمر فى نفسه له هذه الآية فـفهم الشياطين من الصحب لا من النبى ﷺ وألقوها عليه فلم يفهم الدجال إلا قوله الدخ فلذلك قال له النبى ﷺ ما تقدم فقال عمر رضى الله تعالى عنه أأقتله يا رسول الله فقال ﷺ دعه إن يكنه فلن تسلط عليه وإلا يكنه فلا خير لك، وفى الكرمانى أنه ﷺ قال إن يكنه لأنه إذ ذاك لم يكن قد اتضح له أمره، وفى القسطلانى أن هذا تزوج وولد له ودخل مكة والمدينة وأسلم ومات مسلمًا بالطائف أى فهو غير الدجال الآتى آخر الزمان ثم دعا النبى الله سبحانه وتعالى أن يرفعه من الحجاز فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر إلى وقت خروجه ويدلل ذلك ما روى عن فاطمة بنت قيس قالت إن تميمًا الدارى حدث النبى ﷺ أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من أهل الشام فى نفر من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرًا فى البحر فأووا إلى جزيرة فدخلوا فيها فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يعرفون قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا فأخبرينا قالت ما أنا بمخبرتكم ولكن ائتوا رجلاً فى هذا الدير فإنه إلى رؤيتكم بالأشواق قالوا فلما سمت لنا رجلاً فزعنا منها أن تكون شيطانة فانطلقنا حتى دخلنا الدير فإذا فيه إنسان عظيم رأيناه خلقًا فى أشد وثاق مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك من أنت قال قد قدرتم على خبرى فأخبرونى من أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا الموج شهرًا فدخلنا هذه الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا إلى هذا الرجل الذى فى الدير فأقبلنا إليك سراعًا فقال أخبرونى عن نخل شنان هل تثمر قلنا نعم قال أما إنها سيوشك ألا تثمر قال أخبرونى عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هى كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال أخبرنى عن عين زعر هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبرونى عن النبى الأمين ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل بيثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب

«فأطاعوه قال أما إن ذاك خير لهم إن يطيعوه وإنى مخبركم عنى إنى المسيح يوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج وأسيح فى الأرض فلا أدع قرية إلا أهبطها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمان على» انتهى، وقوله غير مكة وطيبة يدل له ما رواه الإمام البخارى كما فى المواهب عن أبى بكر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان**» قال الشارح أى يحميانها وفى المواهب اللدنية أيضًا وقد استنبط العارف بالله ابن أبى جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام المروى فى البخارى ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة التساوى بين مكة والمدينة حيث قال وظاهر هذا الحديث يعطى التسوية بينهما فى الفضل، لأن جميع الأرض يطؤها الدجال إلا هذين البلدين فدل على تسويتهما فى الفضل قال شارحها العلامة الزرقانى إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها إلا أن قوله أخبرونى عن بحيرة طبرية فأجابه الصحب بقولهم هى كثيرة الماء ينافيه ما ذكره شراح الهمزية وخلافهم من ذهاب مائها ببعثة النبى ﷺ رلا أن يقال لعل المراد بالذهاب ذهاب لبعض والله أعلم بالحقيقة وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى إله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الرابع: فى نزول عيسى بن مريم عليه السلام

قال الإمام المناوى فى جواهر العقدين وفى مسلم فى حديث خروج الدجال «فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضته» الحديث وقال أيضًا واخرج النسائى عنه ﷺ «لن تهلك أمة أنا أولها ومهديها وسطها والمسيح ابن مريم آخرها، ونزول عيسى بن مريم من على المنارة البيضاء شرق دمشق آخر الليل ويأتيه المهدى فيجتمع عليه ويطلبه الناس وقت الصبح فيمتنع ويقول إمامكم منكم فيتقدم المهدى ويصلى بعيسى تكرمة لهذه الأمة ونبيها ثم يسير عيسى والمهدى فى أثر الدجال فيفر منه هاربًا فيلحقه عيسى عند باب لد قريبًا من الرملة فيضربه بحربة ويذبحه بسكين ويقتل من معه من اليهود حتى لا تبقى شجرة إلا نادت يا مسلم خلفى يهودى

ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية إذ هى مغياة بنزوله ويكثر الأمن والأمان فى زمنه حتى تلعب الصبيان بالحيات والأفاعى فلا تضرها وتلعب الذئاب مع الغنم وتفتح كنوز الأرض ويكثر الخصب والرخاء ويباع الثور بمائة دينار لكثرة الزرع والفرس بدينار واحد لقلة الجهاد وتخرج المرأة من المدينة إلى الكوفة ومن مصر إلى السويس لا تحمل زادًا معها لكثرة ما تنبت الأرض من الخير والبركة والقطف العنب يكفى عشرة أنفار والرمانة كذلك» وفى رواية «يأمر الله جبريل عليه السلام أن يهبط لعيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأرض وهو يومئذ فى السماء الثانية فيأتى إليه ويقول يا روح الله وكلمته ربك يقرئك السلام ويأمرك بالنزول إلى الأرض فينزل ومعه سبعون ألفًا من الملائكة وعلى رأسه عمامة خضراء وقيل سوداء وهو متقلد بسيف راكب على فرس من الجنة وبيده حربة فإذانزل إلى الأرض نادى منادٍ من السماء جاءكم الحق وزهق الباطل فأول من يسمع بذلك المهدى فيسير إليه ويسلم عليه ويذكر له الدجال فيسير عيسى عليه السلام إليه فإذا نظره الدجال يرعد كما ترعد السعفة فى الريح العاصف فيأتيه عيسى عليه السلام وبيده الحربة فإذا رآها الدجال يذوب كما يذوب الرصاص فيقول له عيسى عليه السلام ألست عملت اليوم عملاً سيأ فادفع اليوم عن نفسك القتل ثم يطعنه بالحربة فيخر ميتًا ثم يضع المهدى وأصحابه السيف فى أصحاب الدجال فيقتلونهم عن آخرهم ثم يضع عيسى عليه السلام العدل فى الأرض» إلى آخر ما تقدم وجاء عن النبى ﷺ أنه قال «**إن عيسى نازل فيكم وهو خليفتى عليكم فمن أدركه فليقرئه سلامى فإنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحج فى سبعين ألفًا فيهم أصحاب الكهف فإنهم يحجون ويتزوج امرأة من الأزد**» وفى النفراوى على الرسالة أن عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق بين مهرودتين بالدال المهملة أو الذال المعجمة ومعناه أنه لابس ثوبين مصبوغين بورس، ثم قال واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه كبر وإذا رفع رأسه تحدر منه الماء كاللؤلؤ فى صفائه وانعقد الإجماع على أن عيسى عليه السلام متبع لهذه الشريعة المحمدية ليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله لأنه عليه السلام لا ينقص عن رتبة الاجتهاد المطلق واستنباط أحكام من القرآن والسنة وفى بعض الآثار أنه يتزوج يولد له لتحقق

التبعـية ثم يموت ويدفن فى روضة النبى ﷺ والناس فى زمـانه فى أمن وخصب روى مسلم «أنـه يقال للأرض انبتـى ثمرك لأوليائنا وتـأكل العصابة مـن الرمانة ويتظللون بقحفـها [بكسر القاف وهو قشرها] ويبـارك الله فى اللبن حتى إن الناقة لتكفى الجـماعة الكثـيرة من الناس ويقع الأمـن فى زمانه حتى يـرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقـر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيـات ولا يصاب أحد منهم ويتسلم الأمـر من المهدى ويكون المهدى مع أصـحاب الكهف الذين هم من أتباع المهـدى من جملة أتباعه ويصـلى عيسى وراء المهدى صـلاة الصبح وذلك لا يقدح فى قدر نبوته ويسلم المهدى لعيسى الأمر ويقتل الدجال ويموت المهدى ببيت المقدس وينتـظم الأمر كله لعيـسى ويمكث فى الأرض بعد نزوله أربعـين سنة ثم يموت ويصلى عليـه المسلمون». وسئل الجلال السيـوطى عن حياة عيـسى ومقره فقال هو حى فى السماء الثانية لا يأكل ولا يشـرب ملازم للتسبيح كالملائكة، قال العلامـة النفراوى وسئل شـيخنا الاجهـورى هل ينزل عليه جبـريل بعد نزوله من السماء فأجاب بأنه ينزل عليه كما فى حديث مسلم من قوله فأوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً إلخ فإنه ظاهر فى نزول جـبريل إليه وأما حديث الوفاة قوله عليه السلام هذا آخر وطأتى فى الأرض فضعيف، ونقل بعض المحدثين أن عيسى نزل إلى الأرض بعد الرفع فى حياة أمه وخالته ليـسكنهما بأخبارهما بحاله ثم رفع حتى ينزل إلى آخر الزمان، قال وسئلت عن حاله فى السماء هل هو مكلف أم لا فأجبت بعـدم تكليفه أحداً من قول السـيوطى هو ملازم للتسبـيح كالملائكة وحرر المسئلة والحكمة فى نزول عيسى دون غيره مـن الأنبياء الرد على اليهود فى زعمهم قتلوه فـبين الله كذبهم. انتهى نفـراوى باختصـار وصلى الله على سيدنا محـمد وعلى آله وأصحابه وسلم وشرف وكرم وعظم.

الفصل الخامس: فى خروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ومجىء الحبشة لهدم الكعبة ورفع القرآن وموت المؤمنين بريح لينة

فأما خروج يأجوج ومأجوج فقال الشيخ الصبان فى سيرته بينما الناس فى رغد من العـيش إذ خرج يأجـوج ومأجـوج من السـد بعد فـتحـه إذ هم فى كل يوم يلحسونه بألسنتهم ويقولون نفـتحه فى غد فيصبحون فيـجدونه كما كان وهم على

هذه الحالة حتى يأتى اليـوم الموعود بفتحه فـيقولون غدًا نفتحـه إن شاء الله تعالى فيصبحون فيـجدونه مفتوحًا فيخرجون للفساد وهمـا قبيلتان لا ينحصران من ولد يافث بن نوح عليه السلام فهما من ذرية آدم من غـير خلاف فلا يتركون قطرة ماء إلا شربوها ولا شجرة خضراء إلا قلعوها أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ماءها ويأتى من بعدهم فيـقولون كان ههنا ماء فيلحسون الطين ويـتسافدون على الطرق كالحميـر، وفى الثعلبى من حديث خديجة قلت يا رسول الله مـا يأجوج ومأجرج قال: «**أمم كل أمة أربعـمائة ألف لا يموت الرجل حتى يرى ألف ذكـر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وكلهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا**» انتهى وفى الخازن هم ثلاثة أصناف صنف أمثال الأرز شجر بـالشام طوله عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جـبل ولا حديد وصنف منهـم يفترش إحـدى أذنيه ويلتـحف بالأخرى وصنف منهم عرض أحدهم وطوله سواء لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه ومـقدمتهم بالشام وسـاقتهم بخراسـان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، وعن على: منهم من طوله شـبر .اهـ وقيل إن فيهم طائفة لكل واحد منهم أربعة أعين عينان فى رأسه وعينان فى صدره، ومنهم من له رجل واحدة ينقر بها نقرًا، ومنهم من هو متلبس بشعره كالبهائم، ومنهم طائفة لا تأكل إلا لحم الناس ولا تشـرب إلا الدم، قال فى كنز الأسـرار إن المعمـور من الأرض ببنى آدم مسافـة مائة سنة ثمانون منها ليأجـوج ومأجوج وعشرة للسـودان وعشرة لبقية الأمم اهـ قال بعضهم إن أرض يأجوج ومأجوج ما بين المشرق والمغرب تحت كرسى بنات نعش.

(ثم اعلم) إن أولاد نوح عليه السلام ثلاثة: سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحـبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والبربر وصـقالبة ويأجوج ومأجوج والترك قـيل منهم وذلك أن طائفة منهم خرجت على الناس قبل أن يبنى ذو القرنين السـد ومازالوا خارجـه حتى بنى وتركوا خـارجين عنه فلذلك سموا تركًا وبيان ذلك أن ذا القرنين لمـا أُمر بالبعث إلى أمم الأرض كلها وقد أمده الله بإمـدادات قوية حيـث قال ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾

[الكهف: ٨٤] ومر بمطلع الشمس ومغربها وهاويل وقاويل جهتى الأرض فهاويل تحت الجنوب وقاويل قطر الأرض الأيسر وقد أيده الله تعالى بالنور أمامه والظلمة خلفه تحرسه وقد سخر الله له يده وقلبه فلا يخطئ إذا عمل عملاً ثم عطف إلى الأمم التى فى وسط الأرض من الإنس والجن ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقًا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع ويأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذى روح فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا وذلك لأنهم كانو يخرجون عليهم كل عام فى زمن الربيع فيأكلون الرطب ويحملون اليابس ليدخرونه ومن وجدوه منهم أكلوه وحينئذ فاتصافهم بالفساد فى الآية على ظاهره أو متوقع لكثرة النسل منهم وطول أعمارهم احتمالان فى الآية وعلى كل فكان سببه الشروع فى السد وكان مسكنهم وراء جبلين وأرضهم متسعة جدًا تنتهى إلى البحر المحيط وليس ليأجوج ومأجوج طريق يخرجون منها إلى الأرض العامرة إلا فتحة الجبلين وكان طولها مائة فرسخ وكان كل فرسخ مسافة ساعة ونصف فأجابهم ذو القرنين بطلب ما يلزم له الأمر فى السد غير طالب لجُعْلهم كما حكى الله عنه حيث قال ﴿**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾ [الكهف: ٩٥] وأجعل لكم السد تبرعًا من نفسى (وروى) أنه قال لهم أعدوا لى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى وصل بلادهم فوجدهم على أحوال مختلفة فالبعض منهم له مخاليب وأضراس كالسباع والبعض له أذنان كبيرتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر له أساسًا حتى بلغ الماء فبنى الجدار بالصخر والنحاس المذاب فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع من الحديد وذلك بأنهم صنعوا له الحديد على قدر الحجارة وبنى بها حتى ساوى جانبى الجبلين وكان كلما رص رصا منها جعل بينه وبين ما فوقه الحطب والفحم وهكذا إلى أن أتمه مائتى ذراع طولاً وخمسين عرضًا ووضع المنافيخ والنار حول ذلك وقال لهم انفخوا حتى صار الحديد مشتعلاً كالنار وساح الحديد حتى انضم

بعضــه على بعض وبقى فيــه بعض فرج وخلو فأتى بالقطـر وهو النحاس المذاب والرصاص المذاب وصبه عليه لسد ذلك فصــار أملس لا يثبت عليه قدم فاستطاعوا أن يظهروه لما علمت من أن ارتفــاعه مائتا ذراع ومــا استطاعوا له نقبًـا لأن سمكه خمسون ذراعًا ولما تم بنيانه قال: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨] وقد علمت كـيفية خروجـهم أول الفصل. واختلف فيــه هل كان نبيًا أو ملكًا أو وليًـا قال المحقق أبو السعود المفـسر قال ابن كثيـر والصحيح أنه ما كـان نبيًا وإنما كان ملكًـا صالحًا عادلاً ملك الأقالـيم وقهر أهلها من الملـوك وغيرهم وروى أنه حج مـاشيًا فلمـا سمع إبراهيم عليـه السلام بقدومــه تلقاه ودعا له وأوصــاه بوصايا ويقــال أنه أتى له بفرس ليركب فـقال: لا أركب ببلد فيــها الخليل فـعند ذلك سخر له الســحاب وطوى له الأسبــاب وبشره إبراهيم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا غزو قوم، وقال أبو الطفيل: سئل عنه على كرم الله وجه أكان نبيًا أم ملكًا فقال: لم يكن نبيًا ولا ملكًا بل كان عبــدًا أحب الله فأحبه الله وناصح له فناصحه ســخر له السحاب ومد له الأسباب وســمى ذو القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومـغربها وقيل غير ذلك وفى شرح الخريدة للعارف الكبير القطب الدردير أنه لما يأتى اليوم الموعود لخروج يأجوج ومأجـوج يخرجون فيمرون بأنهار الدنيا فـيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبرية حـتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنـا أهل الدنيا فقاتلوا من فى السماء فـيرمون نشابهم إلى السماء فـيرد الله نشابهم محمــرًا دمًا وروى مسلم من حديث النواس بن ســمعــان أن الله تعالى يوحى إلى عيـسى عليه الســلام إنى قد أخرجت عــبادًا لى لا يدان لأحد أن يقاتــلهم أى لا قدرة ولا طاقة لأحد فــاحرز عبادى إلى الطور أى ضــمهم إليه واجعله لهم حرازًا ويبعث الله يــأجوج ومأجوج وهم من كل حـدب ينسلون أى يسرعــون النزول فى الآكام والـقلاع ويحـصرون عيـسى وأصحـابه فى الطور حـتى يكون رأس الثور عندهم خـيرًا من مـائة دينار لأحدكم فيـرغب نبى الله وأصحابه إلى الله تعالى فيـرسل الله تعالى عليهم النغف فى رقابهم فيصـبحون فرسى كموت نفس واحدة والنغف بتحـريك الغين المعجمة الدود الذى فى أنوف الإبل والغنم وقوله فرسى أى مـوتى ثم يهبط نبى الله عيسى

وأصحابه إلى الأرض فـلا يجدون موضع شبـر إلا ملأته زهامتهم فـيرسل الله طيرًا كأعناق البـخت فتحملـهم فتطرحهم حيث شـاء الله ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فـيغـسل الأرض حتى يتركـها كالزلفـة يقال للأرض أنبـتى ثمرك ويموت المهدى ويصلى عليـه عيسى عليـه السلام ويدفن ببيت المقدس ويحج عـيسى بالناس ويرجع إلى المدينة ويولد له ولدان موسى ومحمد أو عـبد الله ومحمد ومكثه فى الأرض أربعون سنة وقيل سبع سنين ويموت بـالمدينة ويدفن بجوار أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى بقية الروضة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

* (وأما خروج الدابة): فـبينما عيسى بن مريم يطوف بالبـيت إذ تهتز الأرض من تحتهم وينشق الصفـا مما يلى المشعر الحرام فيخـرج رأس الدابة من الصفا تجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها وبعد خـروجها يمس رأسها السحاب وفى الحديث أن طولها سـتون ذراعًا ولهـا قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفـوتها هارب ولا يدركهـا طالب (وعن) كعب أن صورتهـا صورة حمارة وقـيل لها رأس ثور وعين خنزير وأذن إبل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير ولبعضهم يراها أهل كل جهة فى جهتهم وهذا أولى جمعًا بين الروايات معها عصا موسى وخاتم سليمان وتسم المؤمن فى وجـهه فيصير نورا وتختم على وجه الكافر فيصـير سوادًا وتنادى للمسلم يا مسلم وللكافر يا كـافر وفى النفراوى على الرسالة قـال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٢] أى إذا قـرب وقوع القول وهو ما وعدوا به من البـعث والعذاب أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم من الكلام واختلف فى كلاهما فقيل ببطلان الأديان إلا دين الإسلام وقيل تقول يا فلان أنت مـن أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقـيل تقول أن الناس كـانوا بآياتنا لا يوقنون أى لا يوقنون بخروجى، وقال ابن عمر: تخرج الدابة ليلة جمعة والناس يسيـرون إلى منى فتخرج على النـاس بذنبها وعجـزها ولا يبقى منافق إلا حطمته ولا مؤمن إلا مـسحته وهو المراد بقراءة تكلمهم بفـتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وروى أنه ﷺ سئل عن مخـرجها فقال: «**من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام**» وروى مرفوعًا: تخرج دابة الأرض من أجياد وقال على: تمر ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثـها، وعنه عليه الصلاة

والسلام: «**إن لها خـرجات خرجة بأقـصى اليمن فيـفشو ذكـرها فى البادية ولا يدخل ذكرها مكة ثم تمكث زمانًا طويلاً، وخرجة قريبة من مكة فيفشو ذكرها فى البادية ومكة، وخرجة حين يطوف عيسى بن مريم بالبيت ومعه المسلمون إذ تهتز الأرض تحتهم وينشق الصفـا مما يلى المشعر فـيخرج رأس الدابة من الصفـا تجرى الفرس ثلاثة أيام ومـا خرج ثلثها وبعـد تكامل خروجها تمس رأسهـا السحاب ورجلاها فى الأرض فسبحان القادر الحكيم**» انتهى بتقديم وتأخير وتصرف وقد علمت الجمع بين هذه الروايات بما تقدم لبعضـهم من أنه يراها أهل كل جهة فى جـهتهم فيـفعل الله ما يشاء سبـحانه من عزيز حكيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وذريته إلى يوم القيامة وسلم وشرف وكرم وعظم.

* (وأما طلوع الشـمس من مغربها): فـبينما الناس فى شئـونهم وأحوالهم إذ طلعت الشمس من مـغربها واختلـف فى ذلك هل هو فى يوم واحد أو فى ثلاثة أيام ثم تطلع من المشرق على عادتها إلى يوم القيامة وإذا طلعت من المغرب غربت فى المشرق وعند ذلك يغلق باب التوبة على المؤمن العـاصى والكافر وقد تقدم لك ذلك أول الكتاب بحمد الله ،مستوفى فراجعه إن شئت.

* (وأما الكلام على مجىء الحبشة لهدم الكعبة): فبينما الناس كذلك إذ جاءت الحبشة فى السفن لهـدم الكعبة فينقلونها حجرًا حجرًا ويلقونهـا فى البحر يصفون من البيت إلى جدة ويناول بعضهم بعضًا حجارتها وأشار لذلك سيد المرسلين ﷺ بقوله: «**كأنى أنظر إلى ذى السـويقتين وقد صعـد إلى هذه هدمها حجراً حـجراً وترفع الملائكة الحجر الأسود إلى جبل أبى قبيس ويدخر فيـه إلى يوم القيامة فيشهد لمن استلمه بحق وعلى من استلمه بباطل ويدخله الله الجنة**». اهـ.

* (وأما الكلام على رفع القـرآن): فبينمـا الناس تبيت وتصبح وإذا بالقـرآن قد ارتفع من المصاحف ولا يوجد فيـها حرف واحد ويبيتون ويصـبحون وقد ارتفع من صدور الرجال فلا يحـفظ واحد حرفًا واحدًا، وروى عبـد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: اقـرؤا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تـقوم الساعة حـتى يرفع. قيل يا أبا عبد الرحمن: كيف يرفع وقد أثبتناه فى صـدورنا ومصاحفنا؟ قال: يسرى عليه ليلاً فلا يذكر ولا يقرأ. اهـ. من تحفه الإخوان، ولا ينافى هذا رفع العلم قبل ذلك كما

فى الإمام البخارى ونـصه عن أنس قال: لأحدثنكم بحديث سمـعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غـيرى. قال شارحه القسطلانى لأنه آخر مـن مات بالبصرة من الصحـابة سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «**إن من أشـراط الساعـة أن يرفع العلم ويكثر الجـهل ويكثر الزنا ويكـثر شرب الخـمر ويقل الرجـال ويكثر النساء حـتى يكون الخمسون امرأة لقيم والواحد**». اهـ. وهذه من العلامات الصغـرى كما تقدم ثم بعد ذلك تطلع قزعة سحاب فتفترش وتصب عليها دخانًا يصير فى رءوس المؤمنين زكامًا ويصير رأس الكافر كالعجل الحنيذ أى المشوى وفى تحفة روى عن الحسن رضى الله عنه قال يجىء دخان فيملأ ما بين السماء والأرض حتى لا يذرشرقًا ولا غربًا ويأخذ الكفار فيخرج من مسامها ويكون على المؤمنين كهيئة الزكام ثم يكشفه الله عز وجل بعد ثلاثـة أيام أ. هـ وفى النفراوى قولـه تعالى ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾ [الدخان: ١٠] الآية قال ابن عباس وغيره هو دخـان قبل قيام الساعة يدخل فى أسماع الكفار والمنافقين ويعترى المؤمنين كـهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص ثم تهب ريح لينـة لا تدع مؤمنًا إلا قبضته فلا يبقى على وجه الأرض من يقول الله وفى تحفة الإخوان روى أن الله عز وجل يبعث ريحًا يمانية ألين من الحرير وأطيب نفحة من المسك فلا تدع أحـد فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبـضتـه ويبقى الناس بعـد ذلك مائة عـام لا يعرفون دينًا ولا ديـانة وهم شرار الخلق وعليهـم تقوم الساعـة وهم فى أسواقهم يتـبايعـون، وفى الحديث «**لا تقوم الساعة حـتى لا يعبد الله فى الأرض مائة سنة ثـم يحصل ثلاث خسفات خـسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخـسف بجزيرة العرب كما جـاء فى الأخبار**» اهـ. ثم تخرج نار من قعر عـدن بلدة باليمن تسوق الناس من المشرق إلى المغـرب ومن المغرب إلى المشرق اثنان على بعير وثلاثة على بعير وتفـزع الجن وتفر إلى الجزائر فتردها الملائكة، وفى تحفة الإخوان النار التـى تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحـشر قال القاضى عياض هذا المحـشر، فى الدنيا قبل قيام السـاعة وهو آخر أشراطها كمـا ذكر مسلم وفى الحديث «**لا تقوم الساعـة حتى تخرج نار من أرض الحجـاز تضىء لها أعناق الإبل ببصرى**» انتهى وصلى الله على سيـدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحـبه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الفصل السادس: فى بيان النفخة الأولى وما يقع عندها

واختلف فى عدد النفخات فقيل ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة الإحياء والصحيح أنهما نفختان كما فى القرطبى نفخة الصعق فتفزع الخلائق وتتحير وتنحاز أهل البوادى والقبائل إلى القرى والمدن ثم تزداد الصيحة فينحازون إلى أمهات الأمصار وتعطل الرعاة عن السوائم وتفارقها وتأتى الوحوش والسباع وهى مذعورة من هول النفخة فتختلط بالناس وتأنس بهم وعن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال تهيج الساعة والرجلان يتبايعان قد نشرا أثوابهما فلا يطويانها، والرجل قد انصرف بلبن دابته فلا يطعمه، والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يأكلها، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩] وقال تعالى ﴿وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] مأخوذ من فواق الحالب وهى الرضعة بين الحلبتين يرضعها الفصيل، وعن ابن كعب أنه قال بينما الناس فى أسواقها إذ ذهب ضوء الشمس وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض واضطربت ففزعت الجن والإنس واضطربت الدواب والطيور والوحوش فهاج الناس بعضهم فى بعض ثم تزداد الصيحة شدة وهولاً فتسير الجبال على وجه الأرض سرابًا جاريًا فزلزلت الأرض وارتجت وانتفضت ثم تكور الشمس وتنكدر النجوم وتسجر البحار والناس حيارى ينظرون إليها ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ١ - ٦] ولذا قال بعضهم عن ابن عباس أن فى هذه السورة اثنى عشر هولاً الستة الأولى منها عند النفخة الأولى والستة الأخرى بعد النفخة الثانية، وللإمام ابن الوردى فى خريدة العجائب قال روى أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض فاضطربت لأن الله تعالى جعل

الجبال أوتادا ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واضطربت الدواب والطيور والوحوش فهاج بعضهم فى بعض فقالت الجن نحن نأتيكم بالخبر اليقين فانطلقوا فإذا هى نار تتأجج فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم قال وهذه من ظاهر القرآن ظاهرة لا يسع المؤمن ردها ثم تشتد الصيحة شدة وهولاً فيصعق أى يموت من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وأخرج البيهقى عن مقاتل بن سليمان فى قوله تعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾ [الزمر: ٦٨] وقال هو القرن وذلك أن إسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظره متى يؤمر فينفخ فى القرن النفخة الأولى فصعق يعنى مات من فى السماوات ومن فى الأرض من الحيوان من شدة الصعقة والفزع إلا من شاء الله فاستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فأمر ملك الموت أن يقبض روح ميكائيل ثم روح جبريل ثم روح إسرافيل ثم أمر ملك الموت أن يموت فيموت ثم تلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين عامًا ثم تكون النفخة الأخرى فيحيى الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨] وأخرج أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن وهب قال هؤلاء الأربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم هم المدبرات أمراوا المقسمات أمرا وقد جرى الخلاف فى المستثنى فقيل هم الشهداء حول العرش وقيل الحور العين والولدان قيل موسى عليه السلام جوزى بصعقة الطور وقيل حملة العرش وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل كما فى الروايتين المتقدمتين قال السيوطى فى البدور تنبيه لا تنافى بين هذه الروايات فى أن المستثنى الشهداء أو طوائف من الملائكة لإمكان الجمع فى المستثنى وإنما صح استثناء الشهداء لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وبحث فى هذا المستثنى الإمام الحليمى بعدم صحة واحد مما ذكر ما عدا الشهداء قائلاً بأن الاستثناء فى الآية إنما وقع فى سكان السموات والأرض وحملة العرش ومن ذكر معهم من الملائكة ليسوا من سكان السماوات والأرض لأن العرش وحملته فوق السوات وجبريل والثلاثة معه من الصافين حول العرش وبأن الجنة والنار عالمان بانفرادهما وهما خلقا للبقاء

فهـما بمعـزل عما خلق للـفناء فلم يدخلا فى الآية وأيضًـا فالجنان جمـيعًـا فوق السمـوات ودون العرش فلم تدخل فى الآية ولا يسـتنكر عدم مـوت الحور العين والولدان والخزنـة بأنها دار الخلد ومن يدخلهـا لا يموت فيـها أبدًا مع كونـه قابلاً للموت والذى خلق فيهـا من باب أولى أبدًا وأما قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨] فـمعناه قابل للـهلاك وكل محـدث قابل لذلك وإن لم يهلك بخلاف القـديم الأزلى ويؤيد ذلك أن العرش لم يرد خبـر بأنه يهلك فلتكن الجنة مثله. أ.هـ. وزاد القرطبى فى التذكرة فى البحث للحليمى وصرف الاستثناء لموسى لأوجه له لأنه قد مات حقيقـة فلا يموت عند نفخ الصور ثانيًا قال السيوطى فى البدور وقـال صاحب المفهم التـحقيق أن المراد بالصـعق ما هو أعم من الموت فلمن لم يمت الموت ولمن مات الغشـية فإذا نفخ الثانية فـمن مات حى ومن غشى عليه أفاق فهذه الغـشية للأنبياء إلا موسى عليه الصلاة والـسلام فيكون قد جوزى بصعقة الطور وهذه فضيلة عظيمـة فى حقه ولكن لا توجب أفضلية على نبينا ﷺ لأن الشىء الجزئى لا يوجب أمرًا كليا انتهى. وقال البيهقى الأنبياء بعدما قبضوا رد الله إليهم أرواحـهم فهم أحيـاء عند ربهم يرزقون كـالشهداء فـإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن يصـعق ثم لا يكون ذلك موتًا فى جميع معانيه إلا فى ذهاب الاستشعار فإن كان موسى ممن استثنى الله فإنه لا يذهب استشعاره فى تلك الحالة ويحـاسب بصعقـة يوم الطور قال قلت الذى ذكر مـن أن المراد بالصعق فى حق موسى عدم الغـشية كما فى الـرواية الأولى وعدم ذهاب الاستشعـار كما فى الروراية الثانية بخلاف غيره من الرسل يعارضه مـا أخرجه الشيخان والترمذى عن أبى هريرة قال قـال رجل من اليهود فى سوق المـدينة والذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه قال أتقول هذا القول وفينا رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال «**قال الله**: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨] **فأكـون أول من رفع رأسه فـإذا أنا بموسى آخذ قـائمة من قـوائم العرش فـلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله**» فهذا يقتضى عدم تفسير الصعق بالغشيان وذهاب الاستشعار وأيضًـا هذا التفسير مشكل على رواية أن المراد بالمستـثنى الشهداء وكما

أخرجه أبو يعلى والحاكم وصححه البيهقى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**سألت جبريل عن هذه الآية ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم قال هم الشهداء مقلدون أسيافهم حول العرش**» وذلك لأنه إذا حصلت الغشية للأنبياء حتى سيد المرسلين فالشهداء من باب أولى اللهم إلا أن يقال إن هذه مزية فلا تقتضى الأفضلية وفيه بعد، وفى المواهب اللدنية وقد اختلف فى المستثنى من هو على عشرة أقوال فقيل الملائكة، وقيل الأنبياء وعنه قال البيهقى فى تأويل الحديث فى تجويزه أن يكون موسى ممن استثنى الله قال ووجه عندى أنهم أحياء كالشهداء فإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صعقوا ثم لا يكون ذلك موتًا فى جميع معانيه إلا فى ذهاب الاستشعار، وقيل الشهداء واختاره الحليمى قال وهو مروى عن ابن عباس وضعف غيره من الأقوال، قال وقال أبو العباس القرطبى صاحب المفهم الصحيح أنه لم يأت فى تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قال وتعقبه تلميذة فى التذكرة فقال قد ورد فى حديث أبى هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح وقال وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا قال هم شهداء الله وصححه الحاكم ثم ذكر بقية العشرة وتعقبه الحليمى كما ذكرناه لك آنفًا، ثم قال وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع أن الموتى لا إحساس لهم فقيل يعنى فى الجواب المراد بالذين يصعقون هم الأحياء وأما الموتى فهم الاستثناء فى قوله إلا من شاء الله أى إلا من سبق له الموت قبل ذلك فإنه لا يصعق وإلى هذا جنح القرطبى ولا يعارضه ما ورد فى الحديث أن موسى ممن استثنى الله لأن الأنبياء أحياء عند الله. اهـ. قال العارف الشعرانى قال العارف أبو العباس القرطبى والصحيح أنه لم يرد فى تعيين المستثنى خبر صحيح والكل محتمل قال الإمام السيوطى قال النسفى فى بحر الكلام قال أهل السنة والجماعة سبعة لا تفنى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار بأهلهما من ملائكة العذاب والحور العين والأرواح وما أفاده صاحب الفهم من أن التحقيق أن الصعق عام للحى والميت هو ما أفاده القاضى البيضاوى وكذلك الجلال المحلى ونص البيضاوى فصعق من فى السموات أى خر ميتًا أو مغشيًا عليه انتهى. ومثله للمحلى قال العلامة الجمل نقلاً عن السمين أى أن من كان حيًا فى ذلك الوقت من الملائكة وأهل الأرض مات يعنى وغشى على من كان ميتًا من قبل لكنه حى

فى قبره كالأنبياء والإغماء موسى عليه السلام فإنه يصعق من تلك النفخة أى لا يغشى عليه بل يبقى متيقظًا ثانيًا لأنه صعق فى الدنيا مرة فى قصة الجبل فلا يصعق أخرى (قال) المحقق الشهاب على قول البيضاوى أو مغشيًا ههنا إشكال أورده بعض السلف وهو أن نص القرآن يدل على أن الاستثناء بعد نفخة الصعق وهى النفخة الأولى التى مات فيها من بقى على وجه الأرض والحديث لصحيح المروى فى الصحيحين والسنن أن النبى ﷺ تلا هذه الآية وقال: «**فأكون أول من رفع رأسه فإذا موسى عليه السلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله**» فإنه يدل على نفخة البعث وما قيل أنه يحتمل أن موسى عليه السلام ممن لم يمت من الأنبياء باطل لصحة موته، وقال القاضى عياض يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق الأرض والسموات فتتوافق الآيات والأحاديث، قال القرطبى ويرده ما مر فى الحديث من أخذ موسى عليه السلام بقائمة العرش فإنه إنما هو عند نفخة البعث وأيضًا تكون النفخات أربعًا ولم ينقله الثقات إلى أن قال والذى يزيح الأشكال ما قاله بعض مشايخنا أن الموت ليس بعدم محض للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء فإنهم موجودون أحياء وإن لم نرهم فإذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من فى السموات والأرض، وصعق غير الأنبياء موت وصعقهم غشى فإذا كانت نفخة البعث حى من مات وأفاق من غشى عليه ولذا وقع فى الصحيحين فأكون أول من يفيق. أ.هـ. وفى النفس منه شىء. (فائدة): قال العلامة الجمل على التفسير وفى الجامع الصغير عن أبى يعلى وابن السنى عن الحسين السبط عن النبى ﷺ قال: «أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقولوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١-٤٢] إلى قوله ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾» [الزمر: ٦٧] قال وعن ابن عباس من قرأ هاتين الآيتين فعطب أو غرق فعلىَّ ذلك. أ.هـ. من المناوى، وفى رواية مقاتل فعلىَّ ديته، واستفيد من عموم ما تقدم أن آخر الخلائق موتًا عزرائيل وقيل جبريل، وفى الجمل نقلاً عن الرقاشى قال وحديث أبى هريرة أن آخرهم موتًا ملك الموت هو الأصح وأما إبليس فإنه يموت هو وأولاده قبل ذلك، فهو وإن

كان طلب البقاء إلى النفخة الثانية بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩] طالبا بذلك من خديعته أن يتخلص من الموت فلذلك قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨٠، ٨١] أى يوم وقت النفخة الأولى فيموت فيها عند الجمهور وقال المحقق البيضاوى إلى يوم الوقت المعلوم أى المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى عند الجمهور وقال وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال فلم يجبه إلى دعائه وهل ذلك الإنظار له خاصة أو له ولأولاده والذى أفاده المحقق سيدى محمد الزرقانى شارح المواهب فى شرحه على منظومة الأسئلة المرفوعة إليه أن ذلك خاص به وأما ذريته فيموتون قبله ونصه أعمار الجن كالإنس أم هى أطول قال الجواب أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس سئل أيموت الجن قال نعم غير إبليس ثم نقل قولا آخر بقوله وأخرج ابن جرير وابن أبى الدنيا عن قتادة قال الحسن الجن لا يموتون مثلنا بل ينظرون مع إبليس ثم قال قلت معقبًا لهذا القول قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأحقاف: ١٨] يعنى ففى الآية دليل على أنهم يموتون. أ.هـ. قلت لعل رواية أبى الشيخ فى الجن غير إبليس وأولاده وإن كانت لرواية غير إبليس ورواية أبى الحسن فى فرقة منهم المتمردة فإنهم ينظرون معه يدل لهذا قول العلامة المذكور ظاهر قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] يدل على أن إبليس غير مخصوص بالإنظار ثم قال لكن لم يقم دليل على أن الجن من المنظرين ثم قال ما قيل أن كلهم لا يموتون ينافيه ما روى فى وقائع كثيرة أنهم ماتوا وكفنوا ودفنوا قال وورد فى أخبار ما يدل على طول أعمارهم والجمهور على أنهم مكافئون عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**» ونقل الإجماع على أنهم متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص وأن نبينا ﷺ مبعوث إليهم بإجماع المسلمين قاطبة وإن من الجن مقربين وأبرار كالإنس وأنهم يصومون ويحجون ويطوفون ويقرؤن القرآن ويتعلمون العلوم، قال الأستاذ المذكور ويروون الأحاديث عن أهلها وإن لم يشعروا بهم فهذا كله يدل على أنهم كالإنس فى عدم الإنظار أيضًا ومذاهب الأئمة الثلاثة غير الإمام الأعظم أنهم مثابون فى الآخرة يدل له قوله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا

عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩] بعد قوله ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ووافق الأئمة الثلاثة أبو يوسف ومحمد بن الحسن، قال المحقق المذكور وهل يدخلون مدخل الإنس وهو قول الأكثر وهو الأشهر قال زاد الحارث ابن أسد المحاسبى ونراهم فى الآخرة ولا يرونا عكس الدنيا، قال الضحاك ويأكلون فيها ويشربون وقال غيره يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه أهل الجنة من اللذات وهل يتولدون ويتناكحون قال المحقق المذكور نعم عملاً بقول الله تعالى ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠] قال والدلالة من ذلك ظاهرة لأن الطمث الافتضاض والذى يكون تدمية الفروج والمسيس بالجماع. اهـ. وكونهم أولاد إبليس والجن غيره وأصله من الملائكة خلاف طويل وإلى هذا أشار الأستاذ بقوله:

ولم يك إبليس من أملاك ربنا ... على ما عليه ناقلوا العلم عولوا
له زوجه أو فرجة فى شماله ... وفى الفخذ اليمنى ذكير فيدخل
فيخرج منه عشر بيضات دائمًا ... فسبعون شيطانًا تكون تقولوا
ويحتمل التكثير إذا قيل إنه ... له كل يوم ألف ولد تنسل
وأكل شياطين وجن حقيقة ... على أرجح الأقوال والشم مغفل
وغالب وجدان لهم فى مزابل ... ونحو نجاسات وحمام تنزل
بكل الذى قد كلف الإنس كلفوا ... على أرجح القولين ما عنه محول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس: فيما يتعلق بالأموات عند البعث إلى أن يصلوا إلى الموقف، وفيه سبعة فصول

الفصل الأول: فى حقيقة الصور وعدد النفخات

اعلم أن حقيقة الصور على ما قاله العلامة النقراوى قرن من نور فيه ثقب على عدد الخلائق تجتمع فيه الأرواح لا تخطئ روح ثقبها من الصور وقال العلامة على عبد السلام وفى حاشية شيخنا العدوى على ابن عبد الحق لشرح بسملة شيخ

الإسلام أن الصور من لؤلؤة بيضاء فى صفاء الزجاجة فيه كوة بقدر تدوير ذالسماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة قال العلامة الأمير وفى اليواقيت للشعرانى أنه على صفة القرن، وقال الإمام السيوطى فى البدور وأخرج ابن منده فى مسنده بسند صحيح عن ابن مسعود قال الصور كهيئة القرن ينفخ فيه، وأخرج أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء فى صفاء الزجاجة قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان إسرافيل فأمره أن يأخذه الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة لا تخرج روحان من ثقب واحد وفى وسط الصور كوة كاستدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة ثم قال له الرب تبارك وتعالى قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة وللصيحة فدخل إسرافيل فى مقدم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش وقدم اليسرى ولم يفض طرفه منذ خلقه الله ينتظر متى يؤمر به. أ هـ. وفى المواهب اللدنية زيادة على هذا ولفظه ثم تجتمع الأرواح كلها فى الصور ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح فى جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع فى الصور أولاً ليصل النفخ بالروح إلى الصور وهى الأجساد، قال فإضافة النفخ إلى الصور الذى هو القرن حقيقة وإلى الصور التى هى الأجساد مجاز قال محشيه الشبراملسى يعنى أن إسرافيل نفخ فى الصور يصل أثر نفخه إلى جميع الأرواح ويذهب بها إلى أجسادها فتحمل فيها، وقال شارحها الزرقانى قوله فتدخل كل روح فى جسدها ثم يأمر الله جبريل أن يدخل يده تحت العرش فيحركها حتى تنشق فينفضهم على الأرض فإذا هم قيام ينظرون. اهـ. وقال فى تحفة الإخوان أن الصور له ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج من الأرواح وترجع إلى أصلابها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى وشعبة فى فم الملك فيها ينفخ فإذا أراد الله انقراض الدنيا أمر الله صاحب الصور أن ينفخ فيه. انتهى.

الفصل الثانى: فى النافخ وصفته

اعلم أن صاحب النفخ فيه هو إسرافيل بالإجماع ولكن اختلف هل يكون معه ملك آخر كما يدل على ذلك بعض الروايات، قال السيوطى فى البدور السافرة أخرج ابن ماجه والبزار عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبى

الصور بأيديهما قرنان ملاحظان النظر متى يؤمران» وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات عن النبى ﷺ قال: «**النافخان فى السماء الثانية رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب أو قال رأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق وينتظران متى يؤمران أن ينفخا فى الصور فينفخا**» قال الإمام القرطبى هذه الأحاديث تدل على أن مع إسرافيل ملكًا آخر فلعل له قرنًا آخر ينفخ فيه قال الإمام السيوطى قلت ها هو مصرح به فى حديث ابن ماجه عن أبى سعيد وذكر الحافظ ابن حجر أن ما فى بعض الروايات مما يدل على أن النافخ غير إسرافيل يحمل على أن ذلك فى النفخة الأولى إذا رأى إسرافيل ضم جناحيه ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية وهى نفخة البعث وإسرافيل ملك عظيم وأقرب الخلق إلى الله عز وجل له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وإن قدميه قد مرقتا من الأرض السفلى، وروى أن إسرافيل سأل الله تعالى أن يعطيه قوة سبع سموات وسبع أرضين وقوة الجبال وقوة الريح وقوة الدواب كلها وقوة دواب البحر فأعطاه الله ذلك وهو مع ذلك ينظر كل ليلة وكل يوم إلى جهنم ثلاث مرات فإذا نظر إليها اقشعر جلده فرقًا من الله يعنى خوفًا وفى رواية أن إسرافيل لو وضعت بحار الدنيا على رأسه لما سقط على الأرض منها قطرة ماء، وفى القرطبى عن كعب أنه له أربعة أجنحة جناحان فى الهواء وجناح قد تسربل به وجناح على كاهله والعرش على كاهله والقلم على أذنه فإذا نزل الوحى كتب القلم ودرست الملائكة وقد تقدم أيضًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث: فى كيفية قيامهم من قبورهم

اعلم أنه بعد النفخة الأولى تصير الأرض خرابًا أربعين عامًا وهى المدة التى بين النفختين ويدل له ما أخرجه ابن أبى الدنيا فى البعث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ «**ينفخ فى الصور والصور كهيئة القرن فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض وبين النفختين أربعون عامًا فيمطر الله فى تلك الأربعين مطراً فينبتون من الأرض كما ينبت البقل ومن الإنسان عظم لا تأكله الأرض عجب ذنبه ومنه يركب جسده يوم القيامة**» وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين النفختين ومقدار ما بينهما أربعون عامًا فينبت منه كل خلق بلى من إنسان أو

طير أو دابة ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا ثم ترسل الأرواح وتزوج بالأجساد فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال يسيل واد من أصل العرش فتنبت منه كل دابة على وجه الأرض ثم تطير الأرواح تؤمر أن تدخل فى الأجساد فهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن وهب قال: البحر المسجور أوله فى علم الله وآخره فى إرادة الله فيه ماء ثخين شبه ماء الرجل تمر الموجة خلف الموجة سبعين عامًا لا تلحقها يمطر الله منه على الخلائق أربعين عامًا فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل وتخرج أرواح المؤمنين من الجنان وأرواح الكفار من النار فتجعل فى الصور ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فتدخل كل روح فى جسدها ثم يأمر الله تعالى جبريل أن يدخل يده تحت العرش فيحركها كلها حتى تنشق وتنفضهم على الأرض فإذا هم قيام ينظرون وأخرج ابن عساكر عن يزيد بن جابر التابعى فى قوله تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] قال يقف إسرافيل على صخر بيت المقدس فيقول أيتها العظام النخرة والجلود المتفرقة والأشعار المنقطعة إن الله يأمر أن تجتمعن لفصل الحساب، وقال الحليمى إنما تقع نفخة البعث بعد أن يجتمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوان الماء فى بطن الأرض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته الشمس وذرته الرياح فإذا كملت وجمع كل بدن منها كما كان بأعيانه وعوارضه وصفاته ولونه ولم يبقى إلا الأرواح فى الصور وأمر إسرافيل فأرسله للنفخة من ثقب الصور فرجع كل روح إلى جسده بإذن الله. (فائدة): قال القرطبى فإن قيل كيف يسمعون صيحة الخروج وهم أموات وأجيب بأن نفخة الأحياء تمتد وتطول فيكون أولها للأجساد وما بعدها للأرواح ويحتمل أن يكون الأسماع من أول وهلة وتكون الأرواح فى الصور قاله السيوطى فى البدور وفى المواهب عن صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر «**وثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**» قال والليت بكسر اللام والياء التحتية ثم الفوقية صفحة العنق

وأصغى أمال انتهى. والمعنى أمال صفحة عنقه. اهـ. قال الأستاذ المحقق حجة الإسلام الغزالى فإذا كملت الأربعون عامًا بعد فناء الخلق أنزل الله تعالى ماء فاترًا من تحت العرش كالطل وكمنى الرجال يقال له ماء الحياة يغوص فى القبور اثنى عشر ذراعًا فتنبت الأجسام من عجب أو عجم الذنب كما تنبت البقلة فى حميل السيل وعجب الذنب كحبة الخردل فى آخر العصعص لا يفنى لأن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب فإنه يبقى منه خلق وعليه يركب أجزاؤه فتعود عليه جميع أجزائه الأصلية يوم ولادته ويرد إليه ما أكلته السباع والوحوش والطير أو أحرق وذرى فى الهواء فيعود لمكانه ولا يغيب منه شىء بقدرة الله تعالى من يقول للشىء كن فيكون وهو العليم الخبير، فإذا نبتت الأجسام وكملت وصارت كما كانت يجمع الله جميع الأرواح فى الصور ويجئ إسرافيل ويأمر أن ينفخ النفخة الثانية فينفخ ويقول عندها أيتها الأجساد البالية والعظام النخرة واللحوم المتمزقة والشفور المتفرقة هلموا إلى الحساب فتطير الأرواح من الصور وتتنزل إلى أجسادها لا تخطئ روح جسدها الذى كانت فيه لما بينهما من الاتصال المعنوى فيصيرون أحياء كما كانوا فى الدنيا وتنشق الأرض عنهم فإذا هم قيام ينظرون فأول من يحييه الله إسرافيل ثم رؤساء الملائكة ثم ملائكة السماوات ثم يقول لجبريل وميكائل وإسرافيل انطلقوا إلى رضوان خازن الجنان وقولوا له إن رب العزة والجبروت والكبرياء والملكوت يأمرك أن تزين البراق وترفع لواء الحمد وتاج الكرامة وسبعين حلة من حلل الجنة الفاخرة فاهبطوا بها إلى قبر البشير النذير حبيبى محمد عليه صلواتى وتسليمى فنبهوه من رقدته وأيقظوه من نومته وقولوا له هلم إلى استكمال كرامتك واستيفاء منزلتك وارتقائك فى الأولين والآخرين وشفاعتك فى المذنبين قال فينطلقون إلى باب الجنة فيقرعونه فيقول رضوان من بالباب فيقولون جبريل وميكائيل وإسرافيل فيبلغ جبريل الرسالة فيقول وأتت القيامة فيقول جبريل هذا يوم القيامة قال فيقبل رضوان بالبراق ولواء الحمد وتاج الكرامة والحلل فتبشر الولدان والحور ويرتفعون إلى أعلى القصور ويحمدون الملك الغفور ويفرحون بلقاء الأحباب ويشكرون رب الأرباب ثم يأتى النداء من قبل الله تعالى يا رضوان زخرف الجنان وأمر الحور أن تتزين بأكمل زينة وأحسن تيجان لقدوم سيد الأنبياء والمرسلين وقدوم أزواجه أمهات المؤمنين فما بقى إلا الوصال

والاجتماع والاتصـال ثم يقبل جبريل وميكائيل وإسرافـيل عليهم الصلاة والسلام إلى قبـر النبى ﷺ فيقـف إسرافيل عند رأسـه وميكائيل عند وسطه وجـبريل عند رجليه فيقول إسرافـيل لجبريل نبهه يا جبريل فأنت صاحبه ومؤنسـه فيقول جبريل نبهه يا إسرافيل فأنت صاحب النفخة فى الصور فـيقول إسرافيل أيتها النفس البهية الطاهرة الزكية عـودى إلى الجسد الطيب الزكى يا محمد قم بإذن الله وأمـره فيقوم ﷺ وهو ينفض التـراب عن رأسه ووجهـه ثم يلتفت عن يمينه فـإذا بالبراق ولواء الحمـد وتاج الكرامة وحلل المجد والشـرف وتسلم الملائكة عليه ويقول له جـبريل إن الجنان قد تزخرفت والحور العين قد تزينـت وهم فى انتظار قدومك أيها المختار فهلم إلى حضـرة الملك الجبار فيقـول سمعًا وطاعة لرب الـعالمين أين تركت أمتى المساكين فـيقول يا مـحمد وحق من اصطفـاك على العالم مـا انشقت الأرض عن أحد قبلك مـن بنى آدم قال فيسيـر النبى ﷺ ويلبس الحلل ويتقدم فـيركب البراق وتضع الملائكة على رأسه تاج الكرامة ويسلمونه لواء الحمد فيأخذه بيده ويسير فى موكب الكرامة فرحًا مسرورًا مبجلاً معظمًا محبورًا حتى يقف بين يدى الله تعالى. اهـ (وقال) فى المواهب اللدنية اعلم أن الله تعالى كما فضل نبينا ﷺ فى البدء بأن جعلـه أول الأنبياء فى الخـلق وأولهم فى الإجابة فى عـالم الذر يوم ألست بربكم فض له خـتم كمال الفـضائل فى العـود فجـعله أول من تنشق عنه الأرض وأول شـافع وأول مشـفع وأول من يؤذن له بالسـجود وأول من ينظر إلى رب العـالمين والخلق محجوبون عن رؤيته إذ ذاك أول الأنبياء يقضى بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بـأمته وأول داخل الجـنة وأمته أول الأمم دخـولاً إليهـا وزاده من لطائف التحف ما لا يعد ولا يحد وخصه بالمقام المحمود ولواء الحمد بيده، آدم فمن دونه تحت لوائه إلى أن قال وقـيامه عن يمين الـعرش ليس أحد من الخـلائق يقوم ذلك المقام غيره يغـبطه فيه الأولون والأخرون وشهادته بين الأنبيـاء وأممهم وإتيانهم إليه يسألونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وطول وقـوفهم وشفاعته فى أقوام قد أمر بهم إلى النار وأن المؤمنين كلـهم لا يدخلون الجنة إلا بشـفاعـتـه وأنه يشـفع فى رفع درجات أقـوام لا تبلغها أعمـالهم وهو صاحب الوسيـلة التى هى أعلى درجة فى الجنة إلى غـير ذلك ممـا يزيد الله تعالى به تعـظيمـا وتبجـيـلا وتكريما على رؤس

الأشهـاد من الأولين والأخرين والملائكة أجمعين ذلك فـضل الله يؤتيه مـن يشاء والله ذو الفضل العظيم (فأما) تفضيله بأولية انشقاق القبر المقدس عنه فروى مسلم من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخـر وما من بنى آدم فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عـمر ثم آتى أهل البقـيع فيحشرون مـعى ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشـر بين الحرمين»** قال وعن أنس قال رسول الله ﷺ **«أنا أول الناس خروجًا إذابعثوا وأنا قـائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا مـستشفعهم إذا حـبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئـذ بيدى ولواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطـوف علىَّ ألف خـادم كـأنهم بيض مكنـون أو لؤلؤ منثـور»** قال رواه الدرامى وفى حديث كـتاب حادى الأرواح أن رسـول الله ﷺ يبعث يوم القيـامة وبلال بين يديه ينادى بالأذان، وفى كتاب ذخائر العقبى للطبرى أن رسول الله ﷺ قال **«تبعث الأنبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر أبناء فاطمة على ناقتى العضباء والقـصواء وأحشر أنا على البراق خطوها عند أقصى طرفـها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة»** قال وأخرجه الطبرانى والحاكم بلفظ **«يحشر الأنبياء على الدواب وأبعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من فوق الجنة يـنادى بالأذان محضًا وبالشهادة حقـًا حتى إذا قال أشهـد أن محمـدا رسول الله شهـد له المؤمنون من الأولين والآخرين»** وفى رواية **«تبعث ناقـة ثمود لصالح فيـركبها مـن عند قبره حتى توافى به المحـشر وأنا على البراق اخـتصصت به من دون الأنبيـاء يومئذ ويبعث بلال على ناقـة من فوق الجنة ينادى على ظهرها بالأذان حـقا فإذا سمـعت الأنبياء وأممها أشـهد أن محمـدا رسول الله قالوا ونحن نشـهد على ذلك»** وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال **«فأكـسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العـرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقـام غيرى»** قال العلامة الشارح الـزرقانى وصدر الحديث **«أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة»** أى تكرمة له حيث أتى له من لباسهـا قبل دخولها كدأب الملوك مع خواصها قال ويشاركـه فى ذلك إبراهيم مجازاة له على تجرده حين ألقى فى النار. اهـ وهذا لا ينـافى مـا ورد **«أول من يكسـى من الجنة إبراهيـم يكسى حلة مـن الجنة ويؤتى بكرسى فيطرح ثم يؤتى بى فـأكسى حلة من الجنة لا يقوم لهـا البشر»** لأن هذه

الحلة غير الحلة السابقة لترقيه فى الكمال والجمال ظاهرًا وباطنا دائما وأبدا ويشهد لذلك التعقيب المترتب فى الرواية الأولى على انشقاق الأرض وحلة الكرامة ثانيًا عند إجلاسه على يمين العرش على كرسى لا يقوم مقامى فيه أحد وأولية إبراهيم بالنسبة لمن عداه من الأنبياء والمرسلين كما أجاب به المحقق الشارح الزرقانى فلا تلتفت لغيره فهو أحسن ما قيل من الأجوبة فى هذا المقام قال العارف الشعرانى روى ابن المبارك عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ذكروا ورسول الله ﷺ وكعب الأحبار حاضر فقال كعب ما من فجر يطلع إلا وسبعون ألفا من الملائكة يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ فلا يزالون كذلك سبعون ألفا بالنهار وسبعون ألفا بالليل فإذا انشقت الأرض عنه ﷺ خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه ﷺ، وفى المواهب هذا الحديث مع زيادة ولفظه عن كعب أنه دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه ﷺ، قال وفى نوادر الأصول من حديث ابن عمر قال خرج ﷺ ويمينه على أبى بكر وشماله عن عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة. انتهى فأسأل الله تعالى من فضله أن يحشرنا فى زمرته بجاهه عنده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الرابع: فى إعادة الأعراض القائمة بالأجسام تبعالها وعرض الأزمان بأكوانها وهيئآتها

اعلم أن التحقيق عند أهل السنة إعادة الجسم عن عدم محض لا عن تفريق خلافًا لبعضهم فيعاد بجميع أجزائه الأصلية ولو قطعت منه فى حال حياته ولو القلفة أى محل الختان على ما حققه العلامة الأمير فى حاشيته على عبد السلام ومحل الخلاف فى غير الأنبياء ومن جاء الشرع باستثنائهم من عدم أكل الأرض

أجسادهم كالأنبياء والمؤذنين احتسابًا وحامل القرآن العامل به ومن لم يعمل خطيئة والعلماء العاملين والروح وعجب الذنب والجنة والنار وأهلهما والعرش والكرسى واللوح والقلم كما تقدم لك كما أشار إليه اللقانى بقوله:

وقيل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

محضين لكن ذا الخلاف خصا بالأنبياء ومن عليهم نصا

قال العارف الشعرانى قال الإمام القرطبى «ولا فرق فى عدم البلى للشهداء بين شهيدنا وشهداء الأمم السابقة الذين جاهدوا مع أنبيائهم وماتوا فى القتال بدليل ما صح عن الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود من أن الغلام الذى قتله الملك وأصبعه على صدغه أخرج من قبره فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا أصبعه على صدغة كما وضعها حين قتل، والمراد بعدم الذوبان عدم أكل الدود لهم بدليل ما قاله العارف فى حديث المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه وإن مات لم يذب فى قبره قال العارف أى لم يدود كما فى رواية أخرى ولذلك قال بعض المحققين لا عبرة بالصورة الظاهرة بالجسم فإن حياتهم حياة معلومة عند الله وإن كنا نشاهدهم مع التمزق والتفرق واختلف فى إعادة العرض القائم بالأجسام تبعا لمحله والراجح إعادته وهو مذهب الأكثر من أهل السنة وإليه مال إمامنا الأشعرى رضى الله تعالى عنه وأنها تعاد بأجسامها التى كانت فى الدنيا قائمة بالجسم حال الحياة ولا فرق فى ذلك بين الأعراض التى يطول بقاؤها كالبياض وبين غيرها كالأصوات ولا بين ما هو مقدور للعبد كالضرب وغيره كالعلم والجهل لأن نسبة الأعراض إلى قدرته تعالى كنسبة الأعيان إليها وقد قام الدليل على إعادتها فكذا أعراضه، وقيل يمتنع إعادته مطلقا، قال العلامة الأمير ثم الذى تطمئن له النفس أنه لا يعاد من الأعراض والحركات والسكنات إلا ما يتعلق به ثواب أو عقاب على ما وقع فى شرح المصنف ولا يلزم أن تكون إعادته بالتلبس به كما كان فى الدنيا وإن ورد يحشر المرء على ما كان عليه فيجوز ذلك بتمثيل أو غيره مما يعلمه الله تعالى والوقف والتفويض فى هذه المواطن أحسن. انتهى ويؤخذ من كلام العلامة من قوله ورد يحشر المرء على ما كان عليه أن السقط وغيره يكونون عند قيامهم من قبورهم

على الحالة التى ماتوا عليها ولا يحصل التبديل إلا عند دخول الجنة ولا مانع من مشى السقط ألا ترى أن بعض الكفار يحشرون على وجوههم أقدامهم مرتفعة يطئون الأرض بوجوههم ورؤسهم، قال فى المواهب اللدنية عن البخارى قال رجل يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال «**أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**» اهـ. ولذلك قالوا فى حواشى التفسير فقدرة الله صالحة لذلك ولا استغراب فى حشر السقط حينئذ على حالته التى مات عليها ولذلك قال الأستاذ سيدى محمد الزرقانى

ويحشر أطفال وسقط كمثل ما   يكونون عند الموت ثم تكمل

وقال فى النثر فى شرحه للنظم هل يحشر الطفل والسقط بصفته وقت الموت أم لا؟ جوابه قال الحافظ ابن حجر كل واحد من أهل الموقف يكون على ما مات عليه ثم عند دخول الجنة يصيرون طولا واحداً، قال: وفى الحديث الصحيح «**يبعث العبد على ما مات عليه**» وفيه فى صفة أهل الجنة أنهم على صورة آدم وطول كل واحد منهم سنوت ذراعًا، قال وزاد أحمد وغيره فى عرض سبعة أذرع وهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة. اهـ. قال وعن ابن ماجة عن على مرفوعًا «**إن السقط ليراغم ربه إذا دخل أبواه النار فيقال أيها السقط المراغم ربه أدخل أبويك الجنة فيخرجهما حتى يدخلهما الجنة**» واختلف أيضًا فى إعادة الأزمان والأرجح إعادة جميع الأزمنة للأجسام التى مرت عليها فى الدنيا تبعًا للذوات المعادة فتعاد بأزمانها وأوقاتها كما تعاد بأكوانها وهيئاتها، قال العلامة الأمير ولعل وجه القول برجوعها لتشهد بما فيها ويدل لإعادتها ما أخرجه الحاكم وابن خزيمة عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ «**إن الله ليبعث الأيام يوم القيامة عن هيئاتها وتبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضىء له فيمشون فى ضوئها ألوانهم كالثلج بياضًا وريحهم كالمسك يخوضون فى بلاد الكافور وينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجبًا حتى يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون**» وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن مجاهد قال ما من يوم ينقضى من الدنيا إلا قال ذلك اليوم الحمد لله الذى أخرجنى من الدنيا وأهلها ثم يطوى فيختم إلى يوم القيامة حين يكون الله هو الذى يفض خاتمه؛ قاله السيوطى فى البدور والله

أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

الفصل الخامس: فيما يقولونه عند قيامهم من قبورهم وهل يقومون عراة أو لابسين أكفانهم

(اعلم) أن أحوال الناس تختلف أيضًا بالقول عند القيام من القبور قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢] أى فتجيبونه حامدين وبعضهم كما فى الآية **«قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فتقول لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون»** قال الإمام السيوطى فى البدور أخرج الطبرانى وأبو يعلى والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ **«ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا فى القبور ولا فى النشور كأنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن»** وأخرج صاحب الديباج عن ابن عباس مرفوعًا **«أخبرنى جبريل أن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم فينقضون رءوسهم هذا يقول لا إله إلا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم»** حمانا الله من ذلك. (وأما ما جاء فى كونهم عراة أو لابسين أكفانه)، اعلم أنه ورد ما يفيد كونهم لابسين أكفانهم عند قيامهم من قبورهم وفى بعض الروايات ما يفيد كونهم عراة فقد أخرج الشيخان والترمذى عن ابن عباس قال قام رسول الله ﷺ فى الناس فوعظهم وقال **«أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا** [أى غر مختونين] **ثم قرأ** ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] **وأول من يكسى من الخلائق إبراهيم عليه السلام»** وأخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ **«تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة الأمر يومئذ أشد من ذلك»** وأخرج الطبرانى والبيهقى عن سودة بنت زمعة قالت قال رسول الله ﷺ **«تبعث الناس حفاة عراة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان»** قلت يا رسول الله وا سوأتاه ينظر بعضهم بعضا قال لاشغل الناس عن ذلك ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] قال القرطبى ولا ينافى قوله عراة ما ورد أن

الموتى يتزاورون فى قبورهم بأكفانهم لأن ذلك يكون فى البرزخ فإذا قاموا من قبورهم خرجوا عراة ما عدا الشهداء، اهـ أقول لكن ورد ما يدل على أن الموتى يبعثون فى أكفانهم فقد أخرج أبو داود والحاكم وصححه وابن حبان والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى أنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها**» وأخرج ابن أبى الدنيا بسند حسن عن معاذ بن جبل أنه دفن أمه فكفنت بثياب جدد فقال أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها، وأخرج سعيد بن منصور فى مسنده عن عمر بن الخطاب قال أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يبعثون فيها يوم القيامة، قال القرطبى وهذه الأحاديث معارضة لحديث الحشر عراة، وبعضهم قال بظاهر هذه والأكثرون حملوا هذه على الشهداء الذين أمر الشارع بدفنهم فى ثيابهم التى قتلوا فيها بها الدم وإن أبا سعيد سمع الحديث فى الشهيد فحمله على العموم قال البيهقى ويجمع بين هذه الروايات بأن بعضهم يحشر عاريًا وبعضهم بثيابه وبعضهم حمل حديث البعث فى الثياب على العمل الصالح لقوله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، ولكن أحسن ما أجيب به ما لابن حجر أنهم يبعثون من قبورهم بثيابهم التى ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر ويحشرون عراة وهذا هو الأليق فى الجمع لأن أحاديث اللباس قال يبعثون وأحاديث عراة قال يحشرون وقد ذكر مثل هذا المناوى فى شرحه على الجامع الصغير، وفى المواهب اللدنية عن أبى سعيد عن أبى داو وصححه ابن حبان أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها**» وعند الحرث بن أبى أسامة وأحمد بن منيع أنهم يبعثون فى أكفانهم، قال الزرقانى فى شرحه لهذا الحديث صدر الحديث عن جابر رفعه «**إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يبعثون من قبورهم فى أكفانهم التى كفنون فيها ويتزاورون**» أى يزور بعضهم بعضا فى القبور فى أكفانهم إكرامًا للمؤمنين بتأنيس بعضهم ببعض كما كان حالهم فى الدنيا وإن كانت الأحياء لا تشاهد ذلك فأحوال البرزخ لا يقاس عليها اهـ. (ولنرجع) إلى تمام عبارة المصنف فنقول قال ويجمع بينه وبين ما فى البخارى بأن بعضهم يحشر كاسيًا وبعضهم يحشر عاريًا أو يحشرون كلهم

عراة ثم تكسى الأنبياء وأول من يكسى إبراهيم أو يخرجون من القبور بالثياب التى ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقه ورضا نفسه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل السادس: فى بيان حشر الإسلام والأعمال والقرآن والأمانة والرحم والدنيا فى صورة الأشخاص

قال الحافظ فى البدور أخرج أحمد وأبو يعلى والطبرانى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ تجىء الأعمال يوم القيامة فتجىء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة فيقول إنك على خير فتجىء الصدقة فتقول يارب أنا الصدقة فيقول إنك على خير ثم يجىء الصيام فيقول يارب أنا الصيام فيقول إنك على خير ثم تجىء الأعمال على ذلك فيقول إنك على خير ثم يجىء الإسلام فيقول يارب أنا الإسلام فيقول إنك على خير بك اليوم آخذ وبك اليوم أعطى قال الله تعالى فى كتابه «**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**» وأخرج مسلم عن أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يزتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان** [بالمثناة التحتية قبل الفوقية تثنية غياية وهى السحابة] **وفرقان** [أى قطيعان] **من طير صواف يحاجان عن أهلهما**» وأخرج مسلم عن النواس بن سمعان سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرف وكأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما**» وأخرج أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان بسند صحيح عن بريدة قال قال رسول الله «**إن القرآن يلقى صاحبه حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب فيقول هل تعرفنى فيقول ما أعرفك فيقول أنا الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك فىّ وان كل تاجر من وراء التجارة وأنا لك اليوم وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم بهما الدنيا فيقولان لم كسيناهما فيقال لهما بأخذ**

ولدكما القرآن» ومعنى الشاحب بالشين المعجمة والحاء المهملة والباء الموحدة الذى تغير جسمه وأخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة مثله سواه وأخرج الطبرانى بسند جيد عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ **«من تعلم آية من كتاب الله تعالى استقبلته يوم القيامة تضحك فى وجهه»** وأخرج الحاكم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض وكفى بحامله شرفًا»** قول الإمام البخارى عنه ﷺ **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»** وأخرج ابن المبارك وأحمد والبزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ **«إن المعروف والمنكر لخليقتان ينصبان للناس يوم القيامة فأما المعروف فيبشر أهله وأما المنكر فيقول إليكم إليكم»** وأخرج ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال بغنى أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة فى صورة أحسن ما خلق الله وجهًا وثيابًا وأطيبه ريحًا فيجلس إلى جنبيه كلما أفزعه شىء أمنه وكلما تخوف شىء هون عليه فيقول جزاك الله من صاحب من أنت فيقول أما تعرفنى وقد صحبتك فى قبرك وفى دنياك أنا عملك كان والله حسنًا فلذلك ترانى حسنا وكان طيبًا فلذلك ترانى طيبًا ثم تعال فاركبنى طالما ركبتك فى الدنيا وهو قوله تعالى ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر: ٦١] حتى يأتى إلى ربه فيقول يارب إن كل صاحب عمل فى الدنيا قد أصاب فى عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب فى تجارته غير صاحبى قد شغل فى نفسه فيقول له الرب ما نعنى فيقول المغفرة والرحمة فيقول فإنى قد غفرت له ثم يكسى حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضىء مسيرة يومين ثم يقول يارب إن أبويه قد كان مشتغلاً عنهما وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمله فيعطيان مثل ما أعطى، ويتمثل للكافر عمله فى صورة أقبح ما يكون وأنتنه ريحًا فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شىء زاده خوفًا فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول أما تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك كان قبيحًا فلذلك ترانى قبيحًا وكان منتنًا فلذلك ترانى منتنًا فطأطئ رأسك أركبك فطالما ربكتنى فى الدنيا فهو قوله تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل: ٢٥] وأخرج الخرائطى فى مكام الأخلاق قال رسول الله ﷺ **«المعروف والمنكر منصوبان للناس يوم القيامة**

فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار» وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عباس قال **«يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال لهم هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها وتقاطعتم وتحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى أى رب أين أتباعى وأشياعى فيقول الله ألحقوا بها أتباعها وأشياعها»** وأخرج الأصبهانى فى ترغيبه عن جابر قال قال رسول الله ﷺ **«إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة إلى قبرى تقول السلام عليك فأقول وعليك السلام يا بيت الله ما صنع بك أمتى بعدى فتقول من أتانى فأنا أكفيه وأكون له شفيعًا ومن لم يأتنى فأنت تكفيه وتكون له شفيعًا»** وأخرج الطوسى فى عيون الأخبار من طريق أبى هدية عن أنس مرفوعًا **«من تعلم القرآن وعلق مصحفًا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقًا به يقول عبدك هذا اتخذنى مهجورًا اقض بينى وبينه»**. (وأما ما يتعلق بصلة الرحم). فهى تأتى يوم القيامة نافعة لأصحابها وتزيد فى الدنيا البركة والخير فى الرزق فهى نافعة دنيا وأخرى فأما نفعها فى الدنيا فدليله قوله ﷺ **«صلة الرحم تزيد فى العمر وتكثر الرزق»** ومعنى زيادة العمر البركة فيه (اعلم) أنه قد وردت آثار كثيرة وأخبار صحيحة فى الحث على صلة الرحم وأنها تستوجب الفوز الأعظم والوصال الأفخم وهى أفضل من الصدقة لأنها صدقة وصلة وقد ورد أنها تكون سببًا لبسط الأرزاق وطول العمر ويتأكد طلبها فى يوم عاشوراء أكثر من باقى أيام السنة لكونه يومًا عود الله فيه عبيده الإحسان وتمام الامتنان على بعض أنبيائه الكرام وفى الإمام البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«من سره أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه»** قال الإمام القسطلانى شارحه أو ينسأ له بضم أوله وسكون النون آخره همز أى يؤخر له فى أثره بفتح الهمزة المقصورة والمثلثة أى فى بقية عمره قال والصلة تكون بالمال وبالخدمة وبالزيارة قال واستشكل هذا مع حديث كتب رزق العبد وأجله فى بطن أمه قال وأجيب بأن معنى البسط فى الرزق البركة فيه إذ الصلة صدقة وهى تربى المال وتزيد فيه فينمو وفى العمر حصول القوة فى الجسد أو يبقى ثناؤه الجميل على

الألسنة فكأنه لم يمت، ويجوز أن يكون من باب التعليق بأن يكتب فى بطن أمه إن وصل رحمه فرزقه وأجله كذا وإن لم يصل فكذا قال وفى حديث الحافظ أبى موسى المدينى عن النبى ﷺ أنه قال «**إن الإنسان ليصل رحمه وما بقى من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله تعالى فى عمره ثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاثون سنة فينقص الله تعالى من عمره حتى لا يبقى فيه إلا ثلاثة أيام**» قال هذا حديث حسن قال الشارح المذكور وفى حديث إسماعيل بن عباس عن داود بن عيسى قال مكتوب فى التوراة صلة الرحم وحسن الخلق وبر القرابة يعمر الديار ويكثر الأموال ويزيد فى الآجال وإن كان القوم كفارًا، قال الشارح المذكور ويروى هذا من طريق أبى سعيد الخدرى مرفوعًا عن التوراة اهـ. قسطلانى على البخارى (وأما النفع فى الآخرة) فقد أخرج حميد من طريق عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال «**تبعث الرحم يوم القيامة بلسان فصيح ذلق تقول اللهم فلان وصلنى فأدخله الجنة وتقول إن فلانًا قطعنى فأدخله النار**» وأخرج الترمذى وابن ماجة والحاكم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال «**ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب من إهراق الدم وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسًا**» وإنما ذكرت هذه مع أحاديث صلة الرحم لأنه ينبغى صلة الرحم مع التضحية فى ذلك اليوم زيادة على غيره قاله فى البدور (إن قلت) إن الأعمال أعراض فكيف يصح حشرها وتصورها بصورة الأجسام. أجاب جماعة بأن الله تعالى يخلق من ثواب الأعمال أشخاصًا ويضعها فى الميزان وكذلك من ثواب قراءة القرآن، قال الحافظ السيوطى والصواب أن يجاب بأن الأعمال والمعانى كلها مخلوقة ولها صور عند الله وإن كنا لا نشاهدها وقد نص أصحاب الحقيقة على أن من أنواع الكشف الوقوف على حقائق المعانى وإدراك صورها والأحاديث شاهدة بذلك وهى كثيرة وأقواها حديثًا حشر الأيام فإنه لا يقبل التأويل السابق، وفى الصحيح «**لما خلق الله الرحم قامت فقالت هذا مقام العائذ بك**» فأخبر النبى ﷺ عنها بأنها مخلوقة وقائلة وكل ذلك من صفات الأجسام ولا يصح فيها التأويل المذكور والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السابع: فى بيان حشرهم على نياتهم وأحوالهم التى ماتوا عليها واختلاف أحوالهم فى الحشر من راكب وخلافه وبيان من يحشر ومن لا يحشر وحشر كل شخص مع من أحبه

(اعلم) إن الإنسان يحشر على نيته التى مات عليها من قصد خير أو شر قال فى البدور وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إنما يبعث المسلمون يوم القيامة على النيات**» وأخرج الحاكم وصححه عن فضلة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال «**من مات على مرتبة من هذه المراتب أى حالة من هذه الأحوال التى عليها الناس بعث عليها يوم القيامة**» وأخرج الشيخان عن ابن عباس أن محرمًا وقصته ناقته أى ألقته على الأرض فمات فقال رسول الله ﷺ «**غسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولا تمسوه طيبًا فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا**» وفى رواية «**ملبدًا**» أى الشعر وأخرج الأطبهانى عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «**إن المؤذنين والملبين يخرجون من قبورهم يوم القيامة يؤذن المؤذن ويلبى الملبى**» وأخرج من طريق ابن أبى هدية عن أشعث الحذاء عن أنس مرفوعًا «**من فارق الدنيا وهو سكران يبعث يوم القيامة من قبره وهو سكران**» وأخرج ابن ماجة عن صفوان بن أمية قال جاء مخنث إلى النبى ﷺ ليستأذنه فى الغناء فلم يأذن له ولما ولى قال النبى ﷺ «**هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان فى دار النيا مختثًا عريانًا لا يستتر من الناس كلما قام صدع يحشر كل شخص مع من أحبه فى الدنيا**» وقد ورد أن بعض الناس يحشر مغلولاً ملجمًا، وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبى هريرة وسعد بن عبادة عن النبى ﷺ قال «**ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل شىء إلا العدل**» وأخرج الطبرانى بسند جيد عن ابن عباس يرفعه ما من رجل ولى عشرة «**إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه حتى يقضى بينهم وبينه**» وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن بريدة والبزار عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «**ما من أمير عشرة إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فإن كان محسنًا فك عنه وإن كان مسيئًا زيد غلا إلى غله**» وأخرج أبو يعلى والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «**من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا**

بلجام من نار ومن قال فى القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار» (وأما مسيرهم إلى الموقف من راكب وخلافه) فيختلف بحسب الأعمال قال الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا** ﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] الآية فيحشر التقى راكبًا قال فى البدور وأخرج الحاكم والبيهقى وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن جرير وابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب أنه قرأ هذه الآية فقال والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقًا ولكنهم يوفون بنوق من نوق الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها عليها رجال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة، وأخرج الحاكم والبيهقى عن أبى ذر قال حدثنى الصادق المصدوق أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج فوجًا راكبين طاعمين كاسين وفوجًا تسحبهم الملائكة على وجوههم وفوجًا يمشون ويسعون، وفى المواهب وقد اختلف فى هيئة حشر الناس ففى البخارى من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير أوربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا»** قال الحليمى إن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور قال وجزم به الغزالى اهـ. وأخرج الطبرانى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«يحشر الأنبياء يوم القيامة على الدواب ليوافوا الحشر ويبعث صالح على ناقته وأبعث على البراق ويبعث ابناى الحسن والحسين على ناقتين من نوق الجنة ويبعث بلال على ناقته فينادى بالأذان محضًا وبالشهادتين حقًا حتى إذا قال أشهد أن محمدًا رسول الله شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين فقبلت ممن قبلت وردت ممن ردت»** قاله العلامة الدردير فى شرحه على خريدته ومراتب الناس فى المحشر متفاوتة فمنهم الراكب ومنهم الماشى على رجليه ومنهم الماشى على وجهه ويكونون فى صور مختلفة على حسب الأعمال فمنهم من يبعث وهو على صورة القردة وهم الزناة، ومنهم من يبعث على صورة الخنازير وهم أكله السحت والمكس، ومنهم الأعمى وهو الجائر فى الحكم، ومنهم الأصم الأبكم وهو الذى يعجب بعمله، ومنهم من يمضغ لسانه متدليًا على صدره يسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أفعالهم أقوالهم، ومنهم المقطوع الأيدى والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران، ومنهم من يصلب على

جـذوع من النار وهم السـعاة بالناس إلـى السلطان، ومنهم من هو أشـد نتنًا من الجيف وهم الذين يقبلون على الشهوات واللذات أى المحرمة ويمنعون حق الله من أموالهم، ومنهم من يـلبس جبة سابغـة من قطران لاصقة بـجلده وهم أهل الكبر والعجب والخيلاء قـال القطب المذكور كذا رأيته بخط شيـخنا ناقلاً له عن الثعلبى اهـ. (وأما بيان من يحـشر ومن لا يحشر) اعلم أن الحـشر هو السوق إلى الموقف المسمى بالمحشر بعـد بعثهم من قبورهم المسمى بالنـشر وإن الحشر يكون لكل ذى روح آدميًا أو غيره كـما يدل له حديث البـخارى المتقـدم من قوله عليـه الصلاة والسلام أنه ليقتص للشاة الجلحاء من الشـاة القرناء، وقد ذكر الإمام السيوطى فى البدور ما يفيـد ذلك حيث قال باب نفخة البعث وإحياء كل الخـلائق حتى البهائم والوحش والطيـر قال تعـالى **﴿ومـا من دابة فى الأرض ولا طائر يطيـر﴾** الآية قال وأخرج الطبرانى بسند حسن عن المقداد بن معديكرب سمعت رسول الله ﷺ يقول **«يحشر ما بين السقط إلى الشيخ الفانى يوم القيامة»** قال الحليمى والقرطبى هذا ظاهر فى السقط الذى تم خلقه ونفخ فيه الروح بخـلاف ما لم ينفخ فيه الروح، وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى **﴿وإذا الوحوش حشرت﴾** قال يحشر كل شىء حتى إن الدواب لتحشر وهذا هو الصحيح وذهب إليه المحققون وصححه النووى واختـاره وذهبت طائفة إلى أنه لا يحـشر إلا من يجازى وهو مـرجوح لما سمعت. (وأما بيان حشر كل شخص مع من أحبه)، فأخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر قال قال رسول الله ﷺ كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شىء قال الله تعالى **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾** [الصافات: ٢٢] وقال **﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾** [التكوير: ٧] أخرجه البيهقى من طريق النعمان بن بشير رضى الله عنه قـال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وإذا النفـوس زوجت قال هما الرجـلان يعملان العـمل يدخلان به الجنة أو النار، وأخـرج البيهـقى عن ابن عبـاس فى قوله تـعالى **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾** أى أشباههم، وأخرج سعيد بن منصور بلفظ يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فـى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الـرجل السوء فى النار، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وعلى أئمتنا والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الباب السادس: فيما يتعلق بالموقف إلى أن يصلوا إلى الجنة، وفيه فصول ثمانية

الفصل الأول: فى بيان محل الموقف وفى الأرض المبدلة وكيف هم عند التبديل

اعلم أنه قد اختلف فى محل الموقف فقيل إن الناس يحشرون إلى بيت المقدس وقيل يصير الله صخرة بيت المقدس مرجانة وقد أخرج الحاكم والبيهقى عن معاوية قال قال رسول الله ﷺ «**يحشرون ههنا وأومأ بيده نحو الشام**» وأخرج البزار والبيهقى عن ابن عباس قال من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ [الحشر: ٢] قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ «**اخرجوا**» قالوا إلى أين قال «**إلى أرض المحشر**» وأخرج البزار والطبرانى بسند حسن عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ كان يقول لنا «**إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجتمعون يوم القيامة**» وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن وهب بن منبه قال يقول الله لصخرة بيت المقدس لأضعن عليك عرشى ولأحشرن عليك خلقى وليأتينك داود يومئذ راكبًا (وأما تبديل الأرض) فاعلم أنه قد اختلفت الأحاديث والآثار فى الأرض المبدلة، قال الإمام السيوطى قد وقع الخلاف قديمًا للسلف فى ذلك قال وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط فرجح الأول ابن أبى جمرة وأشار إلى أن أرض الدنيا تضمحل وتنعدم وتتجدد أرض الموقف والسر فى ذلك أن هذا اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن المحل الذى يكون فيه ذلك يكون طاهرًا عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه وتعالى على أرض تليق بعظمته، وقال الحافظ ابن حجر لا تنافى بين تبديل الأرض وأحاديث صفتها والزيادة فيها والنقص منها لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا وأرض الموقف غيرها فإنهم يزجرون من أرض الدنيا بعد تغيرها بما ذكر إلى أرض الموقف قال ولا تنافى أيضًا بين أحاديث مصيرها خبزة وغبرة ونار ابان ذلك مجموع فيها بأن يصير بعضها خبزة وبعضها نارًا قال وهو أرض البحر خاصة، وأخرج الخطيب عن ابن مسعود قال «**يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما**

كانوا قط فمن أطعم لله أطعمه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله ومن عمل لله نجاه الله» قال الحافظ ابن حجر يستفاد من بعض الروايات أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع فى طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله بغير علاج ولا كلفة قال ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن سعيد قال تكون الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، وأخرج البيهقى عن عكرمة قال تبدل الأرض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب اهـ. لكن قد علمت مما تقدم عدم عموم هذا فلا تغفل، وقال القرطبى جمع صاحب الإيضاح بين هذه الأخبار بأن تبديل السموات والأرض يقع مرتين إحداهما تبديل صفتها فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر الكواكب وتخسف الشمس والقمر وتصير السماء كالمهل وتكشف عن الرءوس وتصيير الجبال وتصيير البحار نارًا وتموج الأرض وتنشق إلى أن تصير الهيئة غير الهيئة ثم بين النفختين تطوى السماء وتبدل سماء أخرى وهو قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] الآية وتبدل الأرض فتمد مد الأديم وتعاد كما كان فيها القبور وتبدل أيضًا تبديلا ثانيًا وذلك إذا وقفوا فى المحشر فتبدل لهم الأرض التى يقال لها الساهرة ويحاسبون عليها وهى أرض عفراء بيضاء من فضة لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها معصية وحينئذ تقوم الناس على الصراط وهو لا يسع جميع الخلائق، قال عبد الله إنها أرض من نار اهـ. كلامه قال السيوطى وتقدم كلام البيهقى فى جمع حديثى مسلم فالتأمت الأخبار جميعها ولله الحمد قال وأما الخلائق عند التبديل فإنهم يكونوا على الصراط قال ويدل لذلك ما أخرجه مسلم عن ثوبان قال جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال **«هم فى الظلمة دون الجسر»** وأخرج مسلم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله أرأيت قول الله يوم تدل الأرض غير الأرض أين الناس يومئذ قال **«على الصراط»** مجاز لكونهم يجاوزونه فوافق قوله فى حديث ثوبان دون الجسر لأنها زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها ولأن ذلك عند الزجرة التى تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى أرض الموقف قال العلامة النفراوى على الرسالة وتكون الخلق وقت التبديل على الصراط ثم بعد

التبديل يردون إلى الأرض المبدلة فيحشرون عليها وقد علمت ما قاله البيهقى فلا تغفل والحاصل أنه ورد فى التبديل روايات منها رواية ابن عباس أنها تبدل أرضًا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة، ومنها رواية ابن عباس أنها تبدل أرضًا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة، ومنها رواية أخرى إنها تبدل نارًا والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها، وفى رواية تبدل خبزة نقية، وفى رواية تبدل قرصة كقرصة النقى أى الخبز الشعير وأن المؤمن يطعم يومئذ من بين رجليه ويشرب من الحوض (وأما تبديل السماوات)، فقيل هو تكرير شمسها وقمرها وتناثر نجومها وقيل اختلاف أحوالهم فتارة كالمهل أى النحاس المذاب وتارة كالدهان وقيل تصييرها دخانًا وقيل طيها كطى السجل للكتاب وقد جمع الإمام ابن حجر كما تقدم لك بين هذه الأقوال وكذلك البيهقى بحصول جميع المذكورات فى أوقات مختلفة بأن يقال إذا اجتمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد تناثرت النجوم من فوقهم وطفئ ضوء الشمس والقمر فتشتد الظلمة ويعظم الأمر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها فتسمع الخلائق لتشققها صوتًا عظيمًا فظيعًا تدهش لهوله الألباب وتخضع لشدته الرقاب ثم تنزل ملائكة سماء الدنيا فى الغمام فيحيطون بالإنس والجن وغيرهم ثم ملائكة السماء الثانية خلفهم دائرة ثانية فيحيطون بالجميع ثم ملائكة السموات كذلك حتى تكون الملائكة سبع دوائر بعدد السبع سموات ثم تطوى السموات كطى السجل للكتب ثم تسيل كالمهل وهو النحاس المذاب ثم يتغير لونها حتى تكون كالدهان ثم تصير دخانًا ثم تذهب فى علم الله والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الثانى: فيما جاء فى اختلاف أحوال الواقفين على حسب أعمالهم وبيان بعض ما ورد مما يكون سببًا للنجاة فيه

اعلم أنه إذا اجتمعت الخلائق فى الموقف تعلق الشمس فى ساق العرش وتقرب من رءوس الخلائق قدر الميل ويزداد فى حرها الدنيوى سبعون ضعفًا فتغلى أدمغتهم وتزفر نار جهنم على أهل المحشر فيشتد الكرب من الزحام حتى يصير على كل قدم أقدام كثيرة ويكثر العرق وفى المواهب اللدنية من حديث مسلم تدنو

الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، قال وهذا ظاهر فى أنهم يستوون فى وصول العرق إليهم ويتفاوتون فى حصوله فيهم، قال قال العارف ابن أبى جمرة ظاهر الحديث يقتضى تعميم الناس بذلك ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله فأشدهم الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم اهـ. (أقول) والذى يقطع به جمعًا بين الروايات أن أهل الإيمان الكامل لاسيما الأنبياء والشهداء لا يصل إليهم شىء من العرق ولا الكربات عملاً بالأحاديث الصحيحة المصرحة بقوله كقوله عليه الصلاة والسلام كما فى المواهب «**يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق**» قيل له فأين المؤمنون قال «**على كراسى من ذهب ويظلل عليهم الغمام**» وفى رواية أبى سعيد عند أحمد «**أنه يخفف الوقوف على المؤمن حتى يكون كصلاة مكتوبة**» وسنده حسن، وأما ما ورد مما يفيد التعميم كقوله ﷺ «**إذا حشر الناس قاموا أربعين عامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء لا يكلمهم الله والشمس على رءوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر**» فمحمول على غير كامل الإيمان (إن قلت) كيف يتأتى التفاوت فى العرق ولا يستوون فيه مع هذه الحالة التى تقتضى سبح الجميع فيه سبحًا واضحًا (أجاب) الإمام الزرقانى نقلاً عن القرطبى بأن الله يخلق فى الأرض التى تحت كل واحد ارتفاعًا بقدر عمله فيرتفع العرق بقدر ذلك اهـ. (أقول) والأظهر أن هذا كله من مواقف العقول يجب علينا أن نتلقاه بالقبول وأن أحوال الآخرة خارقة للعادات الدنيوية فلا استغراب فى التفاوت فى العرق ولو كان الجميع فى صعيد واحد والقدرة صالحة لإمساكه عن البعض دون البعض وتفاوت قوم آخرين فيه ولذلك قال الإمام القسطلانى فى المواهب ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، قال وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدنو الشمس من الرءوس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرونه من العرق مع أن كل أحد لا يجد إلا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هؤلاء فى عرقهم مع تنوعهم فيه إن هذا مما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضى الإيمان بأمور الآخرة وأن ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وإنما يؤخذ

بالقبول اهـ. وقال رسول الله ﷺ **«إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين ذارعًا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس وآذانهم»** رواه مسلم ويكون الناس يومئذ فى العرق مختلفين على قدر أعمالهم فمنهم من يأخذه إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى إبطيه، ومنهم من يأخذه إلى عنقه، ومنهم من يعوم فيه عوما ولا ظل يومئذ إلا ظل الله وهو ظل يخلقه الله تعالى فى المحشر لا يكون فيه إلا من أراد الله إكرامه ثم يأمر الله تعالى أن يؤتى بجهنم فيؤتى بها فتجدها تتلهب غيظًا على من عصى الله فيقول لها جبريل يا جهنم أجيبى خالقك فتثور وتفور وتشهق فنسمع الخلائق لها صوتًا عظيمًا يملأ القلوب فزعًا ورعبًا ثم تزفر زفرة فترمى بشرر كالقصر وكالبطيخ والنارنج فينزل على رءوس الخلائق فترتعد القلوب وتذوب الأكباد ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف ثم تزفر ثالثة فتخر الخلائق على وجوههم وتبلغ القلوب الحناجر وتجثوا الأنبياء على الركب ويتعلق جبريل بساق العرش قال الله تعالى ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] الآية قال الغزالى تأتى جهنم تمشى على أربعة قوائم وتقودها الملائكة بسبعين ألف زمام فى كل زمام سبعون ألف حلقة لو جمع الله حديد الدنيا فى حلقة ما عدلها فيجثو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلون فيتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بعرش الرحمن وكل واحد يقول نفسى نفسى لا أسألك غيرها وسيدنا محمد ﷺ يقول أمتى أمتى ويطول ذلك اليوم على الكفار مقدار ألف سنة وفى حق بعض المؤمنين مقدار خمسمائة سنة وفى حق الطائعين مقدار صلاة ركعتين ثم يشتد الكرب ويعظم الأمر فيا له من يوم ما أطوله ويا له من كرب ما أهوله كيف وقد حشروا حفاةً ووقفوا عراة وقد مدت لهم الأرض ووقفوا للعرض من الهول حيارى ومن الكرب سكارى وقد أجهدهم العطش واشتد بهم الحر وعمهم الخوف وكثر البكاء وفنيت الدموع ولازموا الخضوع واشتد بهم القلق وعمهم العرق وطاشت العقول وكثر الذهول وتبلبلت الصدور وعظمت الأمور وتحيرت الألباب وتقطعت بهم الأسباب ورأوا العذاب وركبهم الذل وخضع الكل وزلت الأقدام وطال المقام وانقطع الكلام ولا كوكب يسرى ولا فلك يجرى ولا أرض تقل ولا سماء تظل فيا له من موقف تفاقم أمره وتعاظم ضره يوم تشخص فيه الأبصار بين يدى الملك

الجبار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار قد هجعت لهوله الأصوات وقل فيه الالتفات وبرزت الخطيات وانقطع الأمل وصار الجزاء من جنس العمل (تنبيهان الأول) قال الغزالى مانع زكاة الإبل يأتى يوم القيامة يحمل بعيرًا على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء أى صوت كالرعد وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار بمعنى الثغاء ومانع زكاة الزرع يحمل ظرفًا ملىء من الجنس الذى بخل به أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور ومانع زكاة الذهب والفضة يحمل شجاعًا أقرع له زبيبتان وذنبه قد صار فى منخريه وثقل يعدل الجبل العظيم على كاهله كأنه طوق قال تعالى ﴿**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ **[آل عمران: ١٨٠]** قال والأخبار دالة على أن شارب الخمر يقوم من قبره والكوز فى يده والطنبور معلق فى عنقه (الثانى) اعلم أن أهل الشرور تنصب لهم ألوية شهيرة بالخزى لهم والنكال والتعذيب والوبال كما روى عنه ﷺ قال «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال هذا غدرة فلان**» بن فلان وروى الزهرى بسنده عن النبى ﷺ قال «**امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار**» نعوذ بالله من الخزى والفضيحة ونسأله حسن الخاتمة، وأما ألوية أهل الخير فأعظمها لواء نبينا محمد ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام «**لواء الحمد بيدى**» وفى المواهب من حديث أبى سعيد عند الترمذى بسند حسن قال قال رسول الله ﷺ «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من بنى آدم فمن سواه إلا تحت لوائى**» الحديث قال الإمام الزرقانى شارحها وهل اللواء معنوى كناية عن انفراده بالحمد والسؤدد وشهرته على رءوس الخلائق والراجح أنه حقيقى وإضافته للحمد الذى هو الثناء على الله بما هو أهله لأنه منصبه فى الموقف وهو المقام المحمود المختص به ﷺ، قال فى المواهب واللواء الراية وفى عرف العرب لا يمسكها إلا صاحب الجيش ورئيسه وتارة تكون بيد غيره بإذنه تابعة له متحركة بحركته تميل معه حيثما مال، وفى استعمال العرب عند الحروب إنما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك القتال بل يقاتل بها ممسكًا لها أشد القتال ولذا لا يليق بإمساكها كل أحد بل مثل على رضى الله عنه كما فى حديث «**خيبر لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه مدينة خيبر**» اهـ.

ثم يليه ألوية الأنبياء وعقد الألوية لهم عليهم الصلاة والسلام بعد الترحيب بهم والثناء عليهم وراية أهل البلاء مع أيوب عليه السلام وراية الشباب المتعففين بيد يوسف عليه السلام وراية البكائين من خشية الله بيد نوح عليه، ويعقد للعلماء راية بيضاء وتجعل بيد إبراهيم عليه السلام ثم ينادى أين الفقراء الصابرون فيؤتى بهم إلى الله عز وجل فيقول لهم مرحبًا بمن كانت الدنيا سجنهم وتعطى راياتهم بيد عيسى عليه السلام، ويؤتى بالأغنياء الشاكرين فيعد عليهم نعمه وما خولهم فيه وتجعل راياتهم بيد سليمان عليه الصلاة والسلام والله أعلم قاله حجة الإسلام الغزالى (وأما بيان ما يكون سببًا للنجاة فيه) قال فى البدور أخرج الطوسى فى عيون الأخبار من طريق أبى هدية عن أنس مرفوعًا **«من أشبع جائعًا أو كسا عريانًا أو آوى مسافرًا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة»** وأخرج الأصبهانى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ **«إن أنجاكم من يوم القيامة وأهوالها ومواطنها أكثركم علىَّ صلاة فى دار الدنيا»** وأخرج الطبرانى فى الصغير وأبو الشيخ بسند جيد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ **«من لقى أخاه المسلم بما يحب يسره بذلك سره الله يوم القيامة»** وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى ذؤابة كان يقول صلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا فى الدنيا لحر يوم النشور وتصدقوا مخافة يوم عسير، وأخرج البيهقى بسند حسن عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ **«أكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة»** وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ **«من جاء أجله وهو يطلب العلم لقى الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة»** وقال فى البدور أخرج ابن أبى الدنيا والأصبهانى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ **«من مشى فى حاجة أخيه كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة فإن قضيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن هلك فيما بين ذلك أدخله الله الجنة بغير حساب»** وأخرج أبو يعلى والبيهقى فى شعب الإيمان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ **«إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون إلى الجنة سراعًا فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا رأيناكم سراعًا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون وما فضلكم فيقولون كنا إذا**

ظلمنا صبرنا وإذا أوسى علينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد أين أهل الصبر فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون إلى الجنة سراعًا فتتلقاهم الملائكة فيقولون رأيناكم سراعًا إلى الجنة فمن أنتم فيقولون نحن المتحابون فى الله فيقولون وما تحابيكم فيقولون كنا نتحاب فى الله ونتزاور فى الله ونتعاطف فى الله ونتباذل فى الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين قال رسول الله ﷺ ثم يضع الله الموازين للحساب بعدما يدخل هؤلاء الجنة» اهـ من البدور (وأما بيان الأعمال الموجبة لظل العرش وما ينجئ من أهوال يوم القيامة) قال الحافظ فى البدور وأخرج هناد وابن المبارك والبيهقى عن أبى موسى الأشعرى قال **«الشمس فوق رؤس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم»** وأخرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: **«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب فقال إنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه»** وأخرج أبو مسلم عن أبى اليسر سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أنظر معسر أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»** وأخرج الأصبهانى فى الترغيب عن جابر بن عبد الله قال رسول الله ﷺ: من **«من كفل يتيمًا أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»** وقال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة من كن فيه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الوضوء على المكاره والمشى إلى المساجد فى الظلم وإطعام الجائع»** وأخرج الطبرانى فى مكارم الأخلاق عن جابر قال رسول الله ﷺ: **«من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه»** وأخرج الأصبهانى والديلمى قال رسول الله ﷺ: **«التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة»** وأخرج ابن جرير عن قتادة قال كنا نحدث أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة فى ظل العرش يوم القيامة وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ: **«التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء يوم القيامة»** وأخرج أيضًا عن جابر قال رسول الله ﷺ: **«من كفل يتيمًا أو أو أرملة أى امرأة لا زوج لها أظله الله فى ظله يوم القيامة»** وأخرج الطبرانى وابن عدى فى الكامل والأصبهانى فى ترغيبه قال قال رسول الله ﷺ **«أوحى الله إلى إبراهيم يا خليلى حسن خلقك ولو مع**

الكفار تدخل مداخل الأبرار وإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشى وأسقيه من حظيرة قدسى وأدنيه من جوارى» وأخرج أحمد وابن مسنده والبيهقى فى الشعب عن عائشة -رضى الله عنها تعالى- قالت قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة قالوا الله ورسوله أعلم قال الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإن سئلوه بذلوه وإن حكموا للناس حكموا كحكمهم لأنفسهم» وأخرج الطوسى فى ترغيبه والديلمى عن أبى بكر وعمر ابن حصين قال قال رسول الله ﷺ «قال موسى لربه: ما جزاء من عزى النكلى بالمثلثة أى فاقدة الولد قال أظله تحت ظلى يوم لا ظل إلا ظلى» وأخرج أبو الشيخ والديلمى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله واصل الرحم يزيد الله فى رزقه ويمد فى أجله وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتامًا صغارًا فقالت لا أتزوج أقيم على أيتامى حتى يموتوا أو يغنيهم الله وعبد صنع طعامًا فأضاف ضيفه وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعم لوجه الله» وهذا يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] الآية والله أعلم جعلنا الله منهم بجاه سيد أحبابه ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

(الفصل الثالث فيما ورد من تجلى الحق فى الموقف والعرض والحساب لبعض الأفراد والعفو عن آخرين واستخلاص حقوق بعضهم من بعض وإرضائه بعض الخصوم عن بعض).

(أما تجليه سبحانه وتعالى لأهل الإسلام وامتحانهم)، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢] قال بعض المحققين كشف الساق كناية عن رفع الحجاب لعباده المؤمنين فى الموقف ويرون ربهم خالقهم من غير كيف ولا انحصار كما هو التحقيق عند أهل السنة وينكشف له انكشافًا تامًا قال العلامة الأمير على عبد السلام: أى انكشافًا لا على سبيل الظن والتخيل وليس المراد رؤيته من كل وجه وإنما هى بحسب طاقة الرائى كما يشير له تقيد الكشف بالساق، قال وقرر لنا شيخنا أنهم يغيبون من شدة النعيم فإذا

أفاقوا لا يعون شيئًا يخبرون به. اهـ وقـال المفسر البيضاوى كشف الساق كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته ولفظه يوم يشـتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك، قال وأصله تشمير المخدرات عن ساقهن فى الحرب كما قال حاتم، وإن شمرت عن سـاقها الحرب شمـر أى يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقـته بحيث يصـير عـيـانًا وهذا تباعـد منه عن ثبـوت الرؤية والتـجلى فهـو يمـيل لما ينكره الزمخـشرى من الرؤيـة، ودليل أهل السنة فى رؤيته تعـالى فى الموقف وتجليـه ما أخرجه الشـيخان عن أبى هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القـيامة قال: هل تضـارون فى الشمس ليس دونهـا سحـاب قالوا: لا يا رسـول الله قال: **«هل تضارون فى القمـر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا: لا يا رسـول الله قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شـيئًا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كـان يعبد القمر القـمر ويتبع من كان يعبـد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيهـا منافقوها فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعـرفون فيقول أنا ربكم فيـقولون: نـعوذ بالله منك هذا مكاننا حـتى يأتينا ربنا فـإذا أتانا ربنا عرفناه فـيأتيـهم فى الصورة التى يعرفون فيـقول أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعـونه ويضرب جسر جهنم»** قال رسول الله ﷺ : **«فأكون أول من يجوز ودعاء الرسل يومـئذ اللهم سلم سلم وفيه كـلاليب مثل شـوك السـعدان غـير أنهـا لا يعلم قـدر عظمهـا إلا الله فـتخـطف الناس بأعمالهم فـمنهم الموثق بعمله ومنهم المخردل، ثم ينجو حتى إذا فـرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوه فيعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل من بنى آدم أثر السجود فيخـرجونهم قد امـتحشوا فـيصب عليهم ماء يقـال له ماء الحياة فـينبتون نبات الحبة فى حميل السيل ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول يارب قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فاصرف وجهى عن النار فلا يزال يدعـو الله كذلك فيقول لعلى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره فيقول لا وعزتك وجلالك لا أسـألك فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك يارب قربنى إلى باب الجنة فـيقول أليس قد زعمت أن لا تسـألنى غيره ويلك يا ابن آدم مـا أغـدرك فلا يزال يـدعو فـيقـول لعلى إن أعطيـتك ذلك تسـألنى غـيـره فيـقـول**

لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطى الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت فيقول رب أدخلنى الجنة فيقول أليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول رب لا تجعلنى أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله عز وجل، فإذا ضحك الله منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل له تمن من كذا فيتمنى ثم يقال له تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأمانى فيقول هذا لك ومثله معه» قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً قال وأبو سعيد الخدرى جالس مع أبى هريرة لا يغير عليه شيئًا من حديثه حتى انتهى إلى قوله هذا لك ومثله معه قال أبو سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول «**هذا لك وعشرة أمثاله**» قال أبو هريرة حفظت ومثله معه، والسعدان فى الحديث نبت ذو شوك والمخردل المرمى المصروع وقيل المنقطع وامتحش بضم الفوقية وكسر المهملة وشين معجمة احترق، وقيل أن تذهب النار الجلد وتبدى العظم والحبة بكسر الحاء بذور البقول والرياحين وحميل السيل بفتح المهملة وكسر الميم الزبد وما يلقيه على شاطئه وقشبنى بقاف ومعجمة وموحدة آذانى ولا يخفاك أن ما تقدم فى الحديث من نزول الحق وما يفيد الانتقال مما هو من صفات الحوادث فهو إما على تقدير مضاف كقوله وجاء ربك وينزل ربنا أى ملك ربنا ورسوله وإما باعتبار لازمه كالضحك فالمراد منه الرضا والمكر المراد منه لازمه وهو الانتقام والغضب كذلك والقاعدة أن كل شيء استحال على الله باعتبار المبدأ فلمراد منه الغاية والنهاية (وأما العرض على الله) قال الغزالى أنه بعد أن يتجلى الرب سبحانه وتعالى على عباده بفصل القضاء ينادى مناد من قبل الله تعالى وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولا جور جائر ولأقتصن من الشاة القرناء إذا نطحت الشاة الجماء ولأسألن العود إذا خدش العود فأول ما يبدأ به العرض على الله ثم أخذ الصحف ثم السؤال ثم الحساب ثم لوزن والميزان فالأول وهو العرض على الله فهو النظر فى أحوال الخلق للتخويف بإفشاء الحال وإظهار تفاوت أرباب الكمال وفضيحة أرباب الضلال وعظائم العرب على الرب لا تخفى على ذى لب فإنه اليوم الذى يذيب الأكباد يفرق الأحباب ويفرق الولد من أبيه والأخ من أخيه يشتد فيه القلق ويكثير فيه العرق حتى يغوص فى الأرض سبعين ذراعًا وتشهد فيه

الألسن والأيدى والأرجل والجلود والسمع والبصر والأرض والمكان والليل والنهار والحفظة الكرام وتتغير فيه الألوان فتبيض وجوه وتسود وجوه فشدائد العرض على الله معلومة لا ينكرها إلا ملحد قال الله تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ٨] على العاقل أن يحافظ على فعل المأمورات واجتناب المنهيات لعله أن ينجو من المهلكات ووقع التوقف حينئذ فى العرض، هل هو عام فى الكافر وغيره ممن لا يحاسب كالسبعين ألفًا أولا يعرض إلا من يحاسب؟ قال الفاكهانى لم أر فى ذلك نصًا والعرض أخص من الحشر فلا ينافى ما قيل أن البهائم تحشر ولكن لا تعرض، ووقع خلاف فيما يدعى به الشخص يوم القيامة والصحيح أنه يدعى بأبيه ولو من زنا وقيل بأمه ستر الولد الزنا انتهى نقراوى باختصار (تنبيه) كما يقع السؤال أيضًا لأهل الموقف يقع للملائكة فأول من يدعى إسرافيل عليه السلام فيسئل عن تبليغ الرسالة فيقول بلغتها جبريل فيصدقه جبريل عليه السلام ويقول بلغتها جبريل فيصدقه جبريل عليه السلام ويقول بلغتها الرسل فيدعى أول المرسلين وهو نوح عليه السلام فيسئل فيقول بلغت قومى فيدعى قومه فيسئلون فمن صدقه منهم فهو من المؤمنين ومن كذب وأنكر شهدت عليه أمة محمد ﷺ ويصدقهم ﷺ أى يزكيهم كما قال ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣] أى لكم ثم يسئل بقية الرسل عن التبليغ كما قال تعالى ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأعراف: ٦] وأما قوله تعالى ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا**﴾ [المائدة: ١٠٩] فقيل معناه لا علم لنا بمن صدقنا وبمن كذبنا إذ لا اطلاع لنا على أسرارهم ولذلك قالوا ﴿**لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ [المائدة: ١٠٩] وسؤال الملائكة والرسل إظهارًا للعدل وإقامة للحجة ويسأل الله العبد عن كل شىء حتى إنه يسأله عن نظره بعينه وعما سمعته أذناه قال تعالى ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿**قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ**﴾ [التغابن: ٧] وأخرج أبونعيم عن النبى ﷺ أنه قال «**أول ما يسئل عنه يوم القيامة أنه يقال له ألم نصحح لك جسمك ونرويك من الماء البارد**» وعنه ﷺ «**إذا كان يوم القيامة دعا الله العبد من عباده لموقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما**

يسأله عن غلمه» وعنه ﷺ أنه قال «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه**» وورد «**كل راع مسئول عن رعيته فإن عدل فيهم نجا وإلا كان من الهالكين**» والأمير مسئول عمن تولى أمرهم فإن أقسط بينهم فاز وإلا كان من الخاسرين والقاضى مسئول عن حكمه بينهم فإن عدل خلص وإلا كان من المنادمين وناظر الوقف مسئول عن المستحقين فإن وفى سلم وإلا كان من الظالمين والزوج مسئول عن زوجته والراعى مسئول عن ماشيته وذو المال مسئول عن ماله، وعن أبى هريرة «**وكل من تولى أمراً من أمور المسلمين فهو مسئول عنه فإما عافية وسلامة وإما حسرة وندمة**» والله أعلم (وأما الحساب) فهو لغة العد وأصطلاحًا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرًا كانت أو شرًا تفصيلاً بالوزن إلا من استثنى منهم وهم السبعون ألفًا الذين لا يأخذون كتبًا ويدخلون الجنة بغير حساب، واختلف العلماء فى معنى محاسبة الله عباده على أقوال أحدها أنه تعالى يخلق فيهم علمًا ضروريًا بمقادير أعمالهم، ثانيها أن يوقفهم بين يديه وتأتيهم كتب أعمالهم، ثالثها أن يكلم الله عباده فى شأن أعمالهم بأن يسمعهم صوتًا يخلقه الله تعالى يسمعه كل واحد يفهم منه ماله وما عليه، وكيفية الحساب مختلفة فمنه اليسير ومنه العسير ومنه الجهر ومنه السر ويكون للمؤمن والكافر والأنس والجن إلا من ورد الحديث باستثنائه ففى حديث حذيفة «**أول من يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا ليس عليهم حساب**» وإذا كان المؤمن من يكون أدنى إلى رحمة الله فلا يبعد أن يكون من الكافرين من هو أدنى إلى غضب الله فيدخل النار ولا يحاسب أيضًا. ا هـ نفراوى وفى حاشية شيخ مشايخنا العدوى على شرح الرسالة والحساب أن يعدد الله على العبد كل ما فعل فيكلم المولى عباده فى شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب، قال فخر الدين إما بأن يسمعوا كلامه القديم أو يسمعوا صوتًا يدل عليه يخلقه فى كل أذن من المكلفين أو فى محل يقرب من أذنه بحيث تبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ما كلف به فعلى هذا المحاسب هو الله تعالى. اهـ قال الإمام اللقانى وعندى أن الحق أى من أقوال ذكرها أن الخلق فى المحاسبة مختلفة الأحوال فمنهم من يحاسبه الله والملائكة

ومنهم من تحاسبه الملائكة ومنهم من لا يحاسب أصلاً. اهـ عدوى، وفى كتاب التحفة واختلفوا فيمن يحاسب الخلق فقيل أن الله تعالى يحاسب جميع الخلق بنفسه ويخاطبهم جميعًا وقيل أنه لا يحاسبهم واحدًا بعد واحد بل جملة وفى الحديث «**ما منكم أحد ألا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان**» وفى بعض الأحاديث «أن يوقف شيخ للحساب فيقول الله يا شيخ ما أنصفت غذيتك بالنعيم صغيرًا فلما كبرت عصيتنى أما إنى لا أكون لك كما تكون لنفسك أذهب فقد غفرت لك ما كان فيك وأنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه واصطكت ركبتاه فيقول الرب جل جلاله أما استحييتنى أما راقبتنى أما خشيت نقمتى أما علمت أنى مطلع عليك فخذوه إلى أمه الهاوية، وآخر يقال له لقد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ومنهم من يعدد عليه ذنوبه فلا يفضحه بين الخلائق ثم يعفو عنه فهذا هو الحساب اليسير، وأما من نوقش الحساب عذب قيل أن الله تعالى يحاسب المؤمنين ويأمر الملائكة فتحاسب الكافرين ولا يكلمهم الله تعالى ولا يخاطبهم ورجع الأول ويكون خطابه تعالى للمؤمنين خطاب رحمة ولطف ومسرة ويكون خطابه للكافرين خطاب تعذيب وتغليظ وتوبيخ وتحزين، قال شيخنا العدوى والكافرون يحاسبون على رؤوس الأشهاد وينادى بهم ﴿**هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ١٨] فيحاسب المؤمن بالفضل ويحاسب الكافر بالعدل فلما كان فى حساب المؤمن ستر وغفر ناسب الفضل ولما كان فى حساب الكافر الهتك ناسب العدل، ونقل اللقانى عن بعضهم أن الفاسق يحاسب بين معارفه ليكون ذلك أفظع ومع هذا فتسع قدرته تعالى محاسبة الخلق كلهم معًا فلا يشغله شأن عن شأن كما تسع قدرته تعالى إحياء الخلق الكثير معًا قال الله تعالى ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [لقمان: ٢٨] وفى البخارى عن صفوان قال بينما أنا أمشى مع ابن عمر آخذ بيده إذ عرض رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ فى النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أى ربى حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته، وأما

الكافـر أو المنافق ﴿وَيَقُـولُ الأَشْـهَـادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَـذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] قال الشارح القسطلانى وإنجاء الله العبد على الإقرار بذنوبه ليعرف مـنة الله عليه فى سترها عليـه فى الدنيا وفى عفوه عنهـا فى الآخرة. ا هـ (قلت) وهذا لمن كان شأنه الستر على إخـوانه المؤمنين فى الدنيا ويدل عليه ما رواه الإمام البخارى عن ابن عمـر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ «**قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه [بضم أوله وكسر ثالثـه أى لا يتركه مع من يؤذيه بل يحميه] ومن كان فى حاجة أخية كان الله فى حاجـته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كـربات يوم القيـامـة ومن سـتـر مسلمًـا سـترة الله يوم القـيامـة**»، وفى المواهب فى حديث ابن عبـاس لابى داود مرفوعًا «**إذا أراد الله أن يقضى بين خلـقه نادى مناد أين محمـد وأمته فأقوم وتتـبعنى أمتى غرًا محـجلين من أثر الطهور**» وقال رسول الله ﷺ «**فنحن الآخـرون الأولون وأول من يحـاسب وتفـرج لنـا الأمم عن طريقنا نقـول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبـياء كلها**» قال وللنسائى مـرفوعًا «**أول ما يحـاسب عليه العـبد الصـلاة وأول ما يقـضى بين الناس فى الدمـاء**» قال وروى البـزار عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال «**يخرج لابن آدم يوم الـقيامـة ثلاثة دواوين ديوان فيـه العمل الصالح وديوان فـيه ذنوبه وديوان فـيه النعـم من الله عـليـه فيقـول الله لأصـغر نـعـمة - أحسبـه قال من ديوان النعم - خذى ثمنك من عمله الصـالح فتستوعـب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح فإذا أراد الله أن يرحم عبدًا قـال يا عبدى قد ضاعفت لك حـسناتك وتجاوزت عن سيئاتك -أحـسبه قال ووهبت لـك نعمى**» وسئل على بن أبى طالـب عن محاسبـة الخلق فقال كـما يرزقهم فى غـداة واحدة كذلك يحاسـبهم فى ساعة واحـدة وروى «أن الله تعالى يوقف العبد بين يديه ويقول له يا عبدى أما فعلت كذا وكذا ويعدد له ذنوبه فيقول بلى يارب فيقول الله تعـالى يا عبدى قد سترتها عليـك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ا هـ فقيل هى ذنوب تاب منها الله تعالى يـغفرها بالتوبة لكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليـها كذا نقل الأوزاعى ولا يعارض هذا بما ورد أن السيئات تبدل بالتوبة حسنات لاحتمال كون التبـديل بعد وقوفه عليهم يوم القيامة وقيل هى ذنوب بين العبـد وبين ربه، وأما مظالم العـباد فلابد فيـها من القصـاص وإيصال

الحقوق لأربابها لأنه تعالى حكم عدل فيرد مظالم العباد لأصحابها ولو ذرة كما قال تعالى ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] وهو الخيط الرفيع الذى يكون فى بطن النواة والقطمير والقشرة الرقيقة التى تكون على ظهر النواة، وعن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله ﷺ «**إذا كان يوم القيامة خلال الله عز وجل بعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنبًا ثم يغفر له ولا يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ويستر من ذنوبه عليه ما يكره أن يقف عليها أحد ثم يقول لسيئاته كونى حسنات**» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال «**يدنى الله العبد يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه كتابه فى ذلك الستر فيقول اقرأ يا ابن آدم كتابك قال فيمر بالحسنة فيضئ وجهه ويمر بالسيئة فيسود وجهه فيقول الله تعالى أتعرف يا عبدى فيقول يارب أعرف فيقول فإنى أعرف بها منك غفرتها لك فلا يزال بالحسنة تقبل فيسجد لها فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك فينادى الخلائق بعضها بعضًا طوبى لهذا العبد الذى لم يعص قط ولم يدروا ما قد لقى فيما بينه وبين الله تعالى**» وكل ذلك تفضل منه سبحانه وتعالى ومع ذلك فيكفى المؤمن خجلته من المنعم إذا أقرره بذنوبه وعدد عليه نعمه، قال الفضيل رحمه الله تعالى وا سوآتاه وإن عفا، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيره قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] الآية أى لا تزال الخصومة بين الناس ويوم القيامة حتى يتخاصم الروح والجسد فتقول الروح إلى آخر ما تقدم مبسوطًا فى القضاء فى باب عذاب القبر ونعيمه فليراجع من شاء (تنبيه) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى شارح البخارى فى فتاويه جوابًا عن أسئلة رفعت إليه صورتها هل إذا لحد الميت وجاءه منكر ونكير هل يقعد ويسئل أو يسئل وهو راقد؟ وهل تلبس الروح الجثة كما كانت أولاً وبعد السؤال أين تقيم روحه هل تقيم على القبر أبدًا أو أحيانًا تصعد وتأتى؟ وهل الميت إذا أهيل عليه التراب ولقن من فوق القبر يسمع التلقين وبينه وبين الملقن مسافة بعيدة؟ وهل عذاب القبر على الروح أو على الجثة أو عليهما معًا؟ وهل إذا دفنت الرقبة فى مكان والجثة فى مكان أين تكون الروح من المكانين؟ وهل الأجساد إذا بليت وفنيت وأراد الله إعادتهما كما كانت هل تعاد بالأجساد الأول أو يخلق الله لها أجسادًا غير الأول؟ وهل تكون العينان فى الوجه أو الرأس؟ وهل يكون الناس

كلهم طولاً واحدًا وشكلاً واحدًا أو مختلفين كما هم الآن عليه؟ وهل يحشر الناس بشعورهم أو بغير شعورهم؟ وهل يعرف الناس بعضهم بعضًا أو لا؟ وهل يميت الله بعض العصاة من هذه الأمة إماتة صغرى يعنى وهم فى النار أو لا؟ أفيدوا حكم الله فى ذلك، فأجاب رضى الله عنه بقوله اللهم اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك أما السؤال الأول فجوابه أن الملكين يسألان الميت وهو قاعد كما فى حديث البراء المشهور ففيه تصريح بذلك، والجواب عن السؤال الثانى ظاهر الحديث أنها تحل فى نصفه الأعلى، وجواب السؤال الثالث أرواح المؤمنين فى عليين كما تقتضيه ظواهر الأحاديث الصحيحة وأرواح الكفار فى سجين ولكل روح اتصال بجسدها وهو اتصال معنوى لا يشبه الاتصال فى الحياة الدنيا بل أشبه شىء به حال النائم وإن كان أشد من حال النائم اتصالاً وهذا يجمع ما افترق من الأخبار من أن محل الأرواح فى عليين وفى سجين وكون الأرواح عند أفنية قبورها كما نقله ابن عبد البر عن الجمهور، وأما جواب السؤال الرابع عن سماعه التلقين وعدمه فالجواب نعم يسمع التلقين لوجود الاتصال الذى أشرنا إليه ولا يقاس ذلك على حال الحى إذ كان فى قعر بئر مردوم مثلاً، وأما جواب السؤال الخامس من كون العذاب للروح فقط أو مع البدن قال فالجواب له عليهما معًا لكن حقيقته على الروح ويتألم الجسد مع ذلك ويتنعم لكن لم يظهر أثر ذلك لمن شاهد من أهل الدنيا ولهذا لو نبش على الميت لوجد كهيئته يوم وضع وليس فراق الروح للبدن إذ ذاك فراقًا كليًا لما علمت أنه بقى لها اتصال ما به وبه يقع إدراك بدن المؤمن للتنعيم وبدن الكافر للتعذيب هذا هو المذهب المرجح عند أهل السنة من أن النعيم والعذاب فى البرزخ يقع على الروح والجسد، قال وقد وردت آثار كثيرة فى منامات عديدة تبلغ التواتر المعنوى فى تقوية المذهب الراجح أورد منها الكثير أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب القبور له وأبو عبد الله بن منده فى كتاب الروح وذكر الكثير منها أيضًا ابن عبد البر فى التمهيد وذهب فريق من الناس إلى أن ذلك للروح فقط أما الجواب عن سؤال مصاحبة الروح للجسد أو الرقبة إذا دفنا مفترقين قد علمت أن الروح متصلة بكل منهما ولو فرض تفريق لسائر الأعضاء فالجواب كذلك وأما الجواب عن عود الأجساد كما كانت فالصحيح بل الصواب إعادة

الأجساد الأول لا غيرها، قال ومن قال غيره فقد أخطأ فيه لمخالفته ظاهر القرآن، وأما الجواب عن العينين فى محلهما يوم الحشر أو فى الرؤس فجوابه أنهما فى الوجه على ما كانا فى الدنيا وردائهما فى الرأس وهو محتمل ولكن ظاهر الحديث فى جوابه ﷺ لأم المؤمنين عائشة حيث استعظمت كشف العورة فى الموقف فأحابها ﷺ لكل امرئ منهم شأن يغنيه ففيه إشارة إلى أن العينين فى الوجه، وأما جواب سؤال كون الناس فى الموقف على طول واحد أو على ما كانوا عليه فى الدنيا فالجواب أن كل أحد منهم على ما مات عليه ثم عند دخول الجنة يصيرون طول شىء واحد ففى الحديث الصحيح «**يبعث كل واحد على ما كان عليه**» وفى الحديث فى صفة أهل الجنة ما ذكرت، وأما الجواب عن سؤال كونهم بشعورهم أم لا فالجواب نعم يبعثون كذلك ثم يدخلون الجنة جردا مردًا كما ثبت فى الصحيح، وأما معرفة بعضهم بعضًا فالجواب نعم وأما إماتة الله لبعض عصاة المؤمنين فى النار ثم يخرجهم فجوابه نعم ثبت فى صحيح مسلم أن من يدخل النار من العصاة يميتهم الله تعالى فيها إماتة ثم يخرجهم بالشفاعة فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة الحديث والله أعلم.

(وأما ما جاء فى القصاص يوم القيامة وكيفية رد الحقوق الخاصة والعامة إلى أهلها فآيات وأخبار كثيرة) قال الله تعالى ﴿**فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**﴾ [الأنبياء: ٤٧] ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾ [العنكبوت: ١٠٣] وقال تعالى ﴿**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [النحل: ٢٥] وهذا يبين معنى قوله تعالى ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الإسراء: ١٥] أى لا تحمل حاملة حمل أخرى إذا لم تتعدد فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنه يحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها فيؤخذ للمظلوم من حسنات الظالم ويؤخذ من سيئات المظلوم فيطرح على الظالم ثم يطرح فى النار كما دلت عليه السنة ردًا على من أنكر ذلك من أهل البدع، وأما الأخبار فكثيرة جدًا وقد تقدم بعضها فى أول الكتاب ومنها ما روى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه «**إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الجن والأنس والدواب والوحوش فإذا كان كذلك يقتص للشاة الجماء من القرناء بنطحها فإذا كان الله قد فرغ من القصاص من الدواب**

قال لهـا كونى ترابًا فـيراها الكافر فـيقول ياليـتنى كنت ترابًا» وفى المواهب عن الإمام أحمد بسند حـسن عن أبى هريرة قال: قال ﷺ **«ليخـتصمن كل شىء يوم القيـامة حتى الشاتان فيـما انتطحتا»** قال الشارح الزرقـانى وفى رواية لأحمد عن أبى هريرة عنه ﷺ **«يحشر الخلق كلهم يوم القـيامة البهائم والدواب والطير فـيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القـرناء ثم يقول كونا ترابا»** وروى القشيرى فى الخبر **«أن الوحوش والبهـائم تحشر فـتسجد لله سـجدة فتـقول الملائكة ليس هذا يوم سجـود هذا يوم الثواب والعـقاب فـتقـول البهـائم هذا سـجود شكر حـيث لم يجـعلنا من بنى آدم»** وفى خبر البخارى عن النبى ﷺ أنه قال «من كانت عنده مظلـمة لأخية من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمـته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سـيئات صاحـبه فحمل علـيه قال شارحـه القسطلانى مظِلمة بكسـر اللام وحكى فتحـها، وقوله عن عرضـه بكسر العين والضاد والهـاء موضع الذم والمدح من الإنسان سواء كـان فى نفسه أو أصله أو فروعه وقوله أو شىء كـالأموال والجراحات حتى اللطمة فـهو من عطف العام على الخاص وقوله فليـتحلله منه اليوم نصب على الظرفية ومجـرور من الضمير، والمراد من اليوم أيـام الدنيا لمقابلتـه لقوله قـبل أن لا يكون دينار ولا درهم والمراد بالتحلل أن يجـعله فى حل ويطلبه ببـراءة ذمته، وقـال الخطابى يستـوهبه ويقطع دعـواه عنه لأن ما حـرم الله من الغـيبـة لا يمكن حله، ولذلك جـاء رجل لابن سيرين فقـال اجعلنى فى حل فقد اغتبتك فقـال إنى لا أحل ما حرم الله ولكن ما كان من قـبلنا فأنت فى حل (ثم اعلـم) أن ذلك الذى يؤخذ من الظالم كـما فى البدور والقـرطبى يكون بعد الصـراط قبل دخـول الجنة وأن الصحيـح عند الحاكم وغيره تـقدم الصراط على الحوض، قـال وهو الذى ينبغى اعتمـاده وممن صرح به صاحب الإفصاح قال ويؤيده من جـهة المعنى أن الصراط يسقط منه من يسقط من المؤمنين ويخدش فيـه من يخدش ووقع ذلك للمؤمن بعد شربه من الحـوض بعيد فناسب تقديم الصراط وإذا أخلص شـرب وذلك مبدأ إيقاع النعيم، قـال فإن قيل فـإذا خلصـوا قرب دخـول الجنة فـإذن لم يحـتج إلى الشـرب قلت كـلا بل هم محبوسـون هناك لأجل التظالم فكان الشرب فى موقف القصاص ويحـتمل الجمع بأن يقع الشرب مـن الحوض قبل الصـراط لقوم وتأخر بعـده لآخرين بحـسب ما

عليهم من الذنوب حتى يهذبوا منها على الصراط، قال ولعل هذا أقوى والله أعلم .١ هـ لفظه وفى حاشية الشيخ الجمل فى تفسير قوله تعالى ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر: ٧٣] فى الدنيا قال مجاهد بطاعة الله، وقيل بالعمل الصالح حكاه النقاش والمعنى واحد وقال مقاتل إذا اقطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذاهذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين ا هـ قال قلت خرج البخارى حديث القنطرة هذا فى جامعة من حديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى أيأعرف بمنزله فى الجنة منه بمنزلة كان فى الدنيا»، وحكى النقاش أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم فذلك قوله تعالى ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُوراً﴾ [الإنسان: ٢١] ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وهذا يروى معناه عن على رضى الله عنه .اهـ وفى رواية للبخارى أيضًا عنه ﷺ قال «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة فوالذى نفسى بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل منه بمنزله كان فى الدنيا**»، قال شارحه القسطلانى خلص بفتح اللام أى نجا، وقوله من النار أى من الصراط المضروب على النار، وقوله حبسوا بقنطرة أى كائنة بين الجنة والصراط الذى على متن النار، وقوله فيتقاضون بضم الصاد مشددة من القصاص والمراد تتبع ما بينهم من المظالم، وقوله مظالم كانت بينهم فى الدنيا أى أنواع المظالم المتعلقة بالأبدان والأموال فيتقاصون بالحسنات والسيئات فمن كانت مظلمته أكثر من مظلمة أخيه أخذ من حسناته ولا يدخل أحد الجنة ولأحد عليه تباعة، وقوله حتى إذا نقوا بضم النون والقاف المشددة مبنى للمفعول من التنقية، وقوله وهذبوا بضم الهاء وتشديد الذال خلصوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض أذن لهم بدخول الجنة، وقوله لأحدهم بالرفع مبتدأ وفتح اللام للتوكيد وخبر المبتدأ أدل، قال وإنما كان أدل لأنهم عرفوا

مساكنهم يعرضها عليهم بالغداة والعشى .ا هـ (وفى) المواهب قد صح «**أن أول ما يقضى بين الناس فى الدماء**» كما فى البخارى وفى رواية لـلنسائى مرفوعًا «**وأول ما يحاسب عليه العبد الصـلاة وأول ما يقضى بـين الناس فى الدماء**» قال وفى البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال أنا أول من يحشر يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة يريد قصته فى مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر وفيهم نزلت ﴿**هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ [الحج: ١٩] .ا هـ قال شارحه الزرقـانى عن قيس بن عباد نزلت فى المتبـارزين يوم بدر حمزة وعلى وعبادة بن الحرث برزوا لعتـبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتـبة، وفى الشيخ عبد الباقى على خليل ورد فى الخبر «**نفس المؤمن مرهونة**» بدينة قال أى محـبوسة عن مقـامها الكريم فى البـرزخ فلا تكون منبسطة فيـه مع الأرواح المنبسطة، فيـه قال ومحبوسـة بمعنى معوقة عن دخول الجنة بمطالبة رب الدين لـه به حتى يرضيه الله من عنده أو يعوضـه بقدر دينه من حسناته إن وجدت ولو فى الصـوم، قال ولقد سها من استثناه زاعمًا أنه مـعنى الصوم لى ويرده حديث مسلم حيث قال «**المفلس من يأتى يوم القيـامة بصلاة وصيـام وزكاة**» إلخ، قال الإمام الأمـير فى حاشيـة عبد الباقى ومعنى قوله فى الحديث الصـوم لى أى أنه أبعد عن أغراض النفس بمخالفة الشهوات كما ورد يترك طعامـه وشرابه من أجلى، قال نعم قال بعض العارفين لا يؤخذ فى التبعـات الإيمان ولا ما كان من شروط صحته كـمحبة الله ورسوله لأن بذلك الخلوص من الخلود كـما يتـرك للمفلس ضـرورياته، فى الدنيا وفـى الإمام البخارى عنه ﷺ قال «**من أخذ أموال الناس يريـد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**» قال الإمام ابن ناجى فى شرحه على مسلم عند شرحه على مسلم عنـد شرحه للحـديث المتقدم عند قـول مسلم «**طرح عليـه من سيئات المظلوم**» محل الطرح المـذكور إذا مات الظالم وهو قـادر على الوفاء أمـا إن مات على توبة مع الإعسـار أو عدم معرفتـه لأرباب الحقوق فليرجع إلى مـولاه بالتوبة والاستغفـار له ولأرباب الحقوق عليه فالله يرضى عنه خصمـاءه ويوم القيامة. اهـ ويدل ما ذكره الإمـام القسطلانى فى شرحه على البـخارى عند أبى أمامة مـرفوعًا «**من تداين بدين وفى نفسـه أداؤه ثم مات تجـاوز الله عنه وأرضى غـريمه بما شـاء ومن تداين بدين وليس فى نفسـه وفاؤه ثم مات اقـتص الله منه لغريمه يوم القيـامة**» قال رواه

الحاكم ورواه أيضًا الطبراني فى الكبير بأطول من هذا ولفظه «**من أدان دينا وهو ينوى أن يؤديه أدى الله عنه يوم القيامة ومن استدان دينًا وهو ينوى أن لا يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت أنى لا آخذ لعبدى حقه فيؤخذ من حسناته فتجعل فى حسنات الآخر فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فتجعل عليه**» ا هـ (قال) العارف الشعرانى فى كتابه الأنوار القدسية تنبيه ينبغى لمن يعلم نفسه أن عليه للناس حقوقًا فى المال والعرض وتعذر رضاهم أن يقرأ مع حضور قلب سورة الاخلاص اثنتى عشرة مرة والمعوذتين كل ليلة ويهدى ثوابهن فى صحائف أرباب الحقوق عليه ويقول بعد القراءة اللهم صل وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وأثبنى على ما قرأته واجعله فى صحائف من له على تبعة من عبادك مال وعرض. اهـ وعلى هذا يحمل ما رواه أنس كما فى المواهب ولفظه بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى قال «**رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شىء قال يارب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يارب أرى مدائن من ذهب وفضة مكللة بالؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد هذا قال لهذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يارب فإنى قد عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة فقال رسول الله ﷺ عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين**» رواه الحاكم والبيهقى فى البعث وقال الحاكم صحيح الأسناد، قال الشارح الزرقانى وعن أم هانئ رفعته «**أن الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة فى صعيد واحد ثم ينادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد إن الله عز وجل قد عفا عنكم فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض فى ظلامات فينادى مناديًا يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلىَّ الثواب**» قال قال الغزالى هذا محمول على من تاب من المظالم ولم يعد إليها وهم الأوابون فى قوله تعالى ﴿**أنه كان للأوابين غفورًا**﴾ قال قال القرطبى وهذا تأويل حسن قال أو يكون فيمن له خبيئة من عمل صالح فيغفر الله له به ويرضى خصماءه قال لو كان عامًا فى جميع الناس ما دخل

أحد النار. ا هـ (تنبيه فى ترتيب أحوال يوم القيامة على سبيل الأجمال) قال فى البدور قال ابن بزخان فى الإرشاد إذا ألهم رؤوس المحشر طلب من يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤوس اتباع الرسل ترددوا إلى الأنبياء ووقعت الشفاعة وأمر آدم ﷺ أن يخرج بعث النار من أمته وهم سبعة أصناف البعثان الأولان يلتقطهم عنق النار من بين الخلائق لقط الحمام حب السمسم وهم أهل الكفر بالله جحدًا وعتوًا وأهل الكفر إعراضًا وجهلاً ثم يقال لأهل الجمع السبع كله لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فمن كان يعبد من دون الله شيئًا اتبعه حتى يقذف فى جهنم قال تعالى ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٣٠: يونس] قال ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤، ٩٥] ثم يبعث الله الرابع وهم قوم وحدوا الله وكذبوا الرسل وجهلوا صفات الله جل جلاله وردوا عليه كتبه ورسله، ثم يبعث الخامس والسادس وهم أهل الكتابين أى التوراة والأنجيل يأتون ربهم عطاشًا فيقال لهم ما تبغون فيقولون عطشنا فاسقنا فيقال لهم ألا ترون فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيردونها فيسقطون فيها ثم تقطع المحنة بالمنافقين والمؤمنين فى معرفة ربهم وغيره من المعبودات فيذهب الله المنافقين ويثبت المؤمنين ثم ينصب الصراط مجازًا على جهنم فيسقط أهل البدع ومن عجز عمله من المؤمنين فى النار ويحلص الباقون على تفاوت درجاتهم ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يقضون مظالم كانت منهم فى الدنيا فإذا صفو أو هذبوا دخلوا الجنة ومن ذلك المقام موقف أصحاب الأعراف. ا هـ قال القرطبى هكذا ذكر هذا الترتيب وهو ترتيب حسن لكن ربما يقال أنه غير جيد لعدم تعرضه للميزان مع أن التحقيق فيه أنه عند إرادة المرور على الصراط قال النسفى فى بحر الكلام فإن قيل أين الحساب وأين الميزان قلنا الميزان على الصراط فتوزن حسنات كل واحد وسيئاته فمن ثقلت موازينة يمضى إلى الجنة ومن كان من أهل الشقوة يسقط فى النار فلعله كان الميزان على الصراط اكتفى انتقالهم من الحساب إلى الصراط وقوله فى الحديث أخرج بعث جهنم من ذريتك قال ابن حجر هذا أول شىء يقع يوم القيامة وأخرج الترمذى وصححه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«يخرج عنق يوم القيامة من النار له عينان تنظران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إنى وكلت بثلاثة بكل جبار**

عنيد وبكل من ادعى مع الله إلهًا آخر وبالمصورين» والعنق بضم العين والنون أى طائفة وجانب من النار وأخرج أحمد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال أما عند ثلاث فلا أمّا عند الميزان حتى يعلم الثقل أو الخفة فلا وأما عند تطاير الكتب فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا وحين تخرج عنق من النار فتطوى عليهم وتتغيظ عليهم ويقول ذلك العنق وكانت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الهًا آخر ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ووكلت بكل جبار عنيد فتطوى عليهم وتطرحهم فى غمرات، وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن أبى سعيد سمعت رسول الله ﷺ يقول **«إذا جمع الله الناس فى صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضًا وخزنتها يكفونها تقول وعزة ربى وجلاله ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقًا واحد (أو ليُخلين بضم الياء مبنى للمفعول) فيقولون ومن أزواجك فتقول كل متكبر جبار فتخرج لسانها فتلتقطهم من بين ظهرانى الناس فتقذفهم فى جوفها ثم تستأخر ثم تقبل يركب بعضها بعضًا وخزانتها يكفونها وهى تقول وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقًا واحد فيقولون ومن أزواجك فتقول كل ختار كفور فتلتقطهم من بين ظهرانى الناس فتقذفهم فى جوفها ويقضى الله بين العباد»** وفى رواية البزار زيادة **«ومن قتل نفسًا بغير نفس فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام»** وأخرج البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال **«أنه أول من يدعى يوم القيامة آدم فيتراءى ذريته فيقال هذا أبوكم آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول يارب كم أخرج فيقول من كل مائة تسعة وتسعين»** فقالوا يا رسول الله إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى قال **«أمتى فى الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود»** والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وال بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الرابع: فى بيان أول من يكسى وما ورد فى أناس من كونهم جالسين على منابر من نور أو كثبان من مسك وبيان أول من يدخل الجنة

اعلم أن أول من يكسى فى الموقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم بعده نبينا ﷺ، قال الإمام القرطبى وهذه مزيه لا تقتضى الأفضلية كما جوزى موسى بعدم

الصعق، قال والحكمة فى تقديم إبراهيم بالكسوة أنه لما ألقى فى النار جرد من ثيابه وكان ذلك فى ذات الله فصبر واحتسب فجوزى بأن جعل أول من يدفع عنه العرى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ثم يكسى محمد ﷺ حلة أعظم من حلة إبراهيم ليجبر التأخير بنفاسة الكسوة، وقيل أنه أول من سن الستر بالسراويل، قال السيوطى فى البدور وأخرج عن جابر قال **«أول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم ثم محمد ﷺ ثم النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أزمتها من زمردة خضراء رحالها من الذهب ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر»** وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال **«من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجًا ضوءه أحسن من ضوء الشمس فما ظنكم بالذى عمل به»** وأخرج الترمذى والحاكم عن معاذ بن أنس قال قال **«من ترك اللباس تواضعًا لله تعالى وهو قادر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها»** (وأما ما ورد فى أناس من كونهم جالسين على منابر من نور أو كثبان من المسك) قال فى البدور أخرج الطبرانى بسند حسن عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ **«ليبعثن الله أقوامًا يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ليسوا بأنبياء ولا شهداء»** قيل من هم قال **«هم المتحابون فى الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه»**، وأخرج أبو نعيم والدارقطنى عن ابن عمر مرفوعًا **«إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من فضة مفضضة بالدر والياقوت والزبرجد وجلالها السندس والاستبرق ثم يجاء بالعلماء فيجلسون عليها ثم ينادى منادى الرحمن أين من حمل إلى أمة محمد ﷺ علمًا يريد به وجه الله اجلسوا على هذه المنابر فلا خوف عليكم حتى تدخلوا الجنة»** وأخرج أحمد والترمذى وحسنه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ **«ثلاثة على كثبان المسك لا يهولهم الفزع الأكبر يوم القيامة رجل أم قومًا وهم له راضون ورجل كان يؤذن فى كل يوم وليلة وعبد أدى حق الله وحق مواليه»** وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ **«إن لله عبادًا استخصهم بنفسه لقضاء حوائج الناس وآلى على نفسه أن لا يعذبهم فى النار فإذا كان يوم القيامة جلسوا على منابر من نور يحادثون الله والناس فى الحساب»** (وأما بيان ما يتعلق بأول من يدخل الجنة) أخرج ابن المبارك عن سعيد بن المسيب أن رجلاً قال: يا رسول

الله أخبرنى بجلساء الله يوم القيامة قال «**هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرًا**» قال يا رسول الله إنهم أول الناس قال «**لا قال فمن أول الناس قال الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة تخرج إليهم ملائكة فيقولون ارجعوا إلى الحساب علام نحاسب والله ما أفيضت علينا الأموال فى الدنيا فنقبض فيها ونبسط وما كنا أمراء نعدل ونجور لكن جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين**» ولكن هذالهم بعد رسول الله ﷺ فإنه أول من يقرع باب الجنة أخرج مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول من يقرع باب الجنة» وأخرج أبو يعلى والأصبهانى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول لها مالك ومن أنت فتقول أنا امرأة قعدت على أيتامى**» وأخرج الطبرانى فى الأوسط بسند حسن عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال «**الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى**» وقد ورد أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين عامًا، وفى رواية بأربعمائة عام أو خمسمائة عام قال بعضهم والجمع ممكن وأن الفقراء متفاوتو الحال فى هذا، وقال القرطبى فقراء المهاجرين يسبقون سباق الأغنياء منهم بأربعين خريفًا، ويسبقون غير سباق الأغنياء بخمسمائة عام، وكذلك فقراء كل قرن يسبقون بسباق أغنيائهم بأربعين، وغير سباقهم بخمسمائة عام. والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الخامس: فى أخذ العباد صحفهم وكونه قبل الصراط والميزان وبيان أول من يأخذ كتابه بيمينه بالعكس ولا يحتاج إلى أخذه

(أما أخذ الصحف) فهى الكتب المشحونة بأعمالهم التى كتبها عليهم الحفظة الكرام وهى المرادة بقوله تعالى ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الكهف: ٤٩] الآية قيل أن الريح تطير تلك الكتب من خزانة تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها قال تعالى ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ [الإسراء: ١٣] ثم يجئ الملك فيأخذها من عنقه ويعطيها له فى يمينه إن كان سعيدًا فإن كان شقيًا فيثقب الملك صدره ويدخل يده الشمال فيه ويستخرجها من وراء ظهره، ويعطيها له فى شماله من وراء ظهره ووقع التوقف فى المؤمن العاصى والمشهور أنه يأخذه

بيمينه ويكون ذلك علامـة على عدم خلوده فى النار، ثم إن أخذ الصحف إنما هو لمن أراد الله حسابه فيخرج الذين يدخلون الجنة بغير حساب لما أخرجه البيهقى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ «**قال سألت ربى فوعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفًا على صورة القمر ليلة البدر فاستزدته فزادنى مع كل ألف سبعين ألفًا فإنهم لا يأخذون صحفًا وكذلك الأنبياء والملائكة**» وظاهر الآيات والأحاديث عدم اختصاص أخذ الصحف بهذه الأمة بل هو عام بل الجن كذلك المؤمن والكافر، وأول من يعطى كتابه مطلقًا وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب قيل عند ذلك يا رسول الله فأبو بكر قال «هيهات زفت به الملائكة إلى الجنة». اهـ عبد السلام، قال: العلامة الأمير وظاهر أنه لا يلزم من ذلك دخول الجنة قبل النبى ﷺ ثم هذا يفيد أن عمر ليس من السبعين ألفًا قال شيخنا العدوى جبرا للجماعة الذين يأخذون كتابهم فيقال جعلنا مقدامكم عمر أميرًا وبعده أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة، وأول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد، قال العلامة الأمير لأنه أول من بادر النبى ﷺ بالحرب يوم بدر، وظواهر النصوص أن القراءة حقيقية وقيل مجازية عبارة عن علم كل أحد بماله وما عليه، وعن الحسن البصرى أنه يقرأ كل إنسان كتابه أميًا كان أو غيره. اهـ نفراوى، وقال فى تحفة الإخوان ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾ [الحاقة: ١٩] فيعلم أنه من أهل الجنة ﴿**فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ [الحاقة: ١٩] وذلك حين يأذن الله تعالى فيقرأ كتابه فإذا كان الرجل رأسًا فى الخير يدعو إليه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض فى باطنه السيئات وظاهره الحسنات فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه فإذا بلغ آخر كتابه وجد فيه هذه سيئاتك قد غفرتها لك فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحًا حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك، وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله فإذا قرأه اسود وجهه وازرقت عيناه وفى آخر هذه وسيئاتك قد ضوعفت عليك أى يضاعف عليه العذاب فحينئذ يكسى سرابيل بالقطران ويقال له انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق ويقول ﴿**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾

[الحاقة: ٢٥ - ٢٨] أى هلكت عنى حجتى ثم يقول الله تعالى ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢] أى فيها تدخل من فيه حتى تخرج من دبره، وقيل يدخل عنقه فيها ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب فينادى أصحابه فيقول هل تعرفونى فيقولون فمن أنت فيقول أنا فلان بن فلان فأبشروا فلكل إنسان منكم مثل هذا فيالها من حسرة ما أعظمها ويالها من بشارة ما أقبحها ويالها من ندامة ما أطولها. ا هـ من التحفة، والصحيح أن أخذ الصحف قبل الصراط والميزان وقبل الحساب قال النسفى لقوله تعالى ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل السادس: فى الشفاعة العظمى وعدد شفاعاته ﷺ وبيان من يشفع من الاخيار

اعلم أن أول شفاعاته ﷺ الشفاعة لأهل الموقف فى الانصراف وهى الشفاعة العظمى ففى حديث أبى سعيد الخدرى أخرج الترمذى وحسنه وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول إنى أذنبت ذنبًا أهبطت منه إلى الأرض ولكن ائتوا نوحًا فيأتون نوحًا فيقول إنى دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إنى كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله ﷺ ما منها كذبة إلا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيقول إنى قتلت نفسًا ولكن ائتوا عيسى فيقول إنى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمد ﷺ فيأتونى فأنطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فاتعتعها فيقال من هذا فأقول محمد فيفتحوا لى فيقولون مرحبًا فأخر ساجدًا فيلهمنى الله من الثناء والحمد والمجد فيقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك فهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾»** [الإسراء: ٧٩] وقال القرطبى قوله فيفزع الناس ثلاث فزعات إنما ذلك

والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها فإذا رأت الخلائق فارت وشهقت. ا هـ قال الحافظ فى البدور وذكر الغزالى فى كشف علوم الآخرة أن بين إتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحًا ألف سنة وكذا بين كل نبى قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ولم أقف لذلك على أصل قال وقد أكثر فى هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشىء منها، وفى المواهب اللدنية عن الإمام البخارى من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال هو (الشفاعة) وفى البخارى أيضًا عن ابن عمر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة إلىَّ فذلك المقام المحمود**» قال الإمام الزرقانى جثًا بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منونًا مقصورًا، قال الحافظ جمع جثوة كخطوة وخطا ويروى أيضًا بكسر المثلثة وشد التحتية جمع جاث وهو الذى يجلس على ركبتيه والمراد هنا أنهم يصيرون طوائف متميزا بعضها عن بعض كل طائفة تتبع نديبها، قال الإمام ابن الجوزى الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة العظمى وادعى الإمام فخر الدين الإنفاق عليه وهناك أقوال أخر قيل هو اجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل اجلاسه على الكرسى، وقال الإمام الطبرانى روى عن حذيفة يجمع الله الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد ﷺ فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس إليك والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك ولا ملجأ منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت، قال وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾» [الإسراء: ٧٩]، قال الإمام الزرقانى فهذا الدعاء هو المقام المحمود على هذا القول قال الحافظ فى الفتح ولا منافاة بين هذا وبين حديث ابن عمر المتقدم من أن المقام المحمود هو نفس الشفاعة وذلك لأن هذا الكلام كان مقدمة للشفاعة، قال الإمام القسطلانى فى المواهب فإن قلت إذا قلنا بالمشهور أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة فأى شفاعة هى فالجواب أن الشفاعة التى وردت فى الأحاديث فى المقام المحمود نوعان النوع الأول العامة فى فصل القضاء والثانى الشفاعة فى إخراج المذنبين من النار لكن الذى يتجه رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العظمى العامة فإن إعطاءه ﷺ لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك

صفات للمقام المحمود الذى يشفع فيه ليقضى بين الخلق، وأما شفاعته ﷺ فى إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك قال وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة فى إخراج من أدخل من المذنبين وتمسكوا بظاهر قوله تعالى ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾ وبقوله تعالى ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ وأجاب أهل السنة بأن هذه الآيات فى الكفار، قال القاضى عياض مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعًا لصريح قوله تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾ [طه: ١٠٩] وقوله تعالى ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ وقوله تعالى ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾» [الإسراء: ٧٩] المفسر بها عند الأكثرين كما قدمته وقد جاءت الآثار التى بلغ مجموعها التواتر بصحه الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين وعن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ «**أرأيت ما تلقى أمتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يؤتينى شفاعة يوم القيامة ففعل**» وفى حديث أبى هريرة «**لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة**» وفى رواية أنس «**جعلت دعوتى شفاعة لأمتى**» وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة فى أهم أوقات حاجتنا فجزاه، الله أفضل الجزاء وعن أبى هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك فى الشفاعة قال: «**شفاعتى لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا يصدق بها لسانه قلبه**» وعن أبى زرعة عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: «**فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعى تدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه ألا ترون إلى ما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى إلى نوح فيأتون نوحًا عليه الصلاة والسلام فيقول يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدًا شكورًا ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوت**

بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيقولون: أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول لهم: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسًا لم أومر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى عليه الصلاة والسلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا إلى ربك فيقول عيسى عليه الصلاة والسلام: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبًا نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ألا ترى ما نحن فيه أشفع لنا إلى ربك فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربى يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد من قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وأشفعْ تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يا ربل أمتى يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» الحديث رواه البخارى ومسلم (قال) فى البدور سئل قاضى القضاة جلال الدين البلقينى عن حكم سجود النبى ﷺ من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت لأنه ﷺ حى لا يموت فى قبره ولا ناقض لطهارته، ويحتمل أن يجاب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا يتوقف، بعض طرق الأحاديث عن البخارى فيلهمنى محامد لا أقدر عليها الآن فأحمده بتلك المحامد، إن قلت ما الحكمة فى اختصاص الأنبياء المذكورين بالتردد إليهم دون سائر النبيين، قال بعض المحققين كونهم مشاهير الرسل وأصحاب شرائع عمل بها مددًا طويلة مع كون آدم والد الجميع ونوح الأب

الثانى وإبراهيم المجمع على الثناء عليه عند جميع أهل الأديان وهو أبو الأنبياء وموسى أكثر الأنبياء تابعًا بعد النبى ﷺ، إن قلت لم ألهم الناس التردد إلى غير النبى ﷺ قبله ولم يلهموا المجىء إليه من أول وهلة، الجواب أن ذلك لإظهار فضل نبينا ﷺ عند عجز غيره، قال الحافظ ابن حجر ولا شك أن فى السائلين يومئذ من سمع هذا الحديث فى الدنيا وعرف أن ذلك خاص به ومع ذلك فلا يستحضره إذ ذاك أحد منهم فكأن الله أنساهم ذلك للحكمة المذكورة، قال القرطبى هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا ﷺ من دون سائر الأنبياء هى المرادة بقوله ﷺ لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وهذه الشفاعة لأهل الموقف إنما هى ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف والله أعلم، قال شيخ مشايخنا العدوى وله ﷺ شفاعات أخرى، ونصه الثانية الشفاعة لقوم فى دخول الجنة بغير حساب، وهى مختصة به ﷺ على ما قاله النووى، الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فلا يدخلونها أى مع الحساب ولا تختص به ﷺ على ما قاله عياض وغيره، الرابعة لقوم دخلوا النار فيخرجون ويشترك فيها الأنبياء وغيرهم بشرط أن يكون لهم عمل خير زائد على الإيمان، وأما الشفاعة لمن فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان لإخراجه من النار فمختصة به ﷺ كما قاله القاضى وغيره، الخامسة لقوم فى رفع الدرجات فى الجنة وهى مختصة به ﷺ ما قاله العراقى فى السادسة الشفاعة فى تخفيف العذاب عن بعض الكفار كأبى طالب، قال العلامة الأمير وهل التخفيف من عذاب الكفر أو غيره المشهور الثانى ويحتمل الأول لأنهم متفاوتون فى الكفر وهى مختصة به ﷺ، وسابعة وهى التخفيف فى عذاب القبر ولم يذكروا أنها من خصائصه ﷺ وفى المواهب اللدنية جمعًا بين الروايات فظهر أنه ﷺ أول من يشفع ليقضى بين الخلق وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وأن العرض والميزان وتطاير الصحف تقع فى هذا الموطن ثم ينادى لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتسقط الكفار فى النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن فى نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون فى النار وتمر المؤمنون عليه إلى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة

للمقاصصة ثم يدخلون الجنة، وقد قال النووى ومن قبله القاضى عياض الشفاعات خمس الأولى فى الإراحة من هول الموقف، والثانية فى إدخال قوم الجنة بغير حساب، الثالثة فى إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا، الرابعة فى إخراج من أدخل النار من العصاة، الخامسة فى رفع الدرجات اهـ فأما الأولى وهى التى لإراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث أبى هريرة وغيره المتقدم وحديث أنس عند البخارى ولفظه «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربك فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا نوحًا وذكر إتيانهم الأنبياء واحدًا واحدًا إلى أن قال فيأتونى فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعنى ما شاء الله ثم يقال لى ارفع رأسك وسل تعطه وقل تسمع وأشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى» الحديث وأما الثانية وهى إدخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها ما فى آخر حديث أبى هريرة عند البخارى ومسلم الذى قدمته «فأرفع رأسى فأقول يا رب أمتى فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة» قال أبو حامد والسبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا وإنما هى براءة مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدًا فما مر عليه شىء أسر من ذلك المقام، وأما الثالثة وهى إدخال قوم حوسبوا أن لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله فى حديث حذيفة عند مسلم «ونبيكم على الصراط يقول رب سلم» الحديث وأما الرابعة وهى فى إخراج من أدخل النار من العصاة فدلائلها كثيرة وقد روى البخارى عن عمران بن حصين مرفوعًا «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين وأما الخامسة وهى فى رفع الدرجات فقال النووى فى الروضة أنها من خصائصه ﷺ ولم يذكر لذلك مستندًا فالله أعلم، وقد ذكر القاضى عياض شفاعة سادسة وهى شفاعته ﷺ لعمه أبى طالب فى تخفيف العذاب لما ثبت فى الصحيح أن العباس قال

لرسول الله ﷺ إن أبا طالب كـان يحوطك وينصرك ويغضب لك فـهل نفعه ذلك قال: نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح» وفى الصحيح أيضًا من طريق أبى سعـيد أنه ﷺ قال: «لعـله تنفعه شـفاعتى يوم القـيام فيـجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دمـاغه» وزاد بعضهم سابعة وهى الشفاعة لأهل المدينة لحديث سـعد رفعـه «لا يثبت أحـد على لأوائها إلا كنت شهـيدًا أو شفيعًا يوم القـيامة» وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن متـعلقها ألا يخرج عن واحد من الخمس الأول وبأنه لوعد مـثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عبـاد سمعت النبى ﷺ يقـول: «أول من أشـفع لـه أهل المدينة ثم أهل مكة ثـم أهل الطائف» رواه البزار، وأخـرى لمن زار قبـره الشريف، وأخـرى لمن أجاب المؤذن ثم صلى عـليه ﷺ، وأخرى فى التجاوز عن تـقصير الصلحاء، لكن قال الحافـظ ابن حجر أنها مندرجة فى الخامسة، وزاد القرطبى أنه أول شافع فى دخول أمته الجنة قبل الناس، وزاد فى فتح البارى أخرى فيمن استوت حسناته وسيأته أنه يدخل الجنة لما أخرجه الطبرانى عن ابن عبـاس قال السابق بالخيـرات يدخل الجنة بغير حساب والمقـتصد يرحـمه الله والظالم لنفـسه أصـحاب الأعـراف يدخلون بشفـاعتـه ﷺ، وأرجح الأقوال فى أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيأتهم، وشفاعة أخرى وهى شفاعته فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرًا لرواية الحسن عن أنس فأقول يا رب ائذن فـيمن قـال لا إله لا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعـزتى وكبـريائى وعظمتى لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله، فالوارد على الخمس أربعة وما عداها لا يرد كـما لا ترد الشفاعـة فى التخفيف عن صـاحبى القبرين وغـير ذلك لكونه من جملة أحـوال الدنيا اهـ (فإن قلت) فأى شـفاعة ادخرها ﷺ لأمـته أما الأولى فلا تختص بهم لإراحة الجمع كلهم وهى المقام المحـمود كما تقدم وكذلك باقى الشفاعات الظاهرة أنه يشاركها فيـها بقية الأمم (فالجواب) أنه يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى التى للإراحة من هول الموقف وهى وإن كانت غـير مختصة بهذه الأمة لكنهم الأصل فيـها وغيرهم تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقـول عنه ﷺ فيها «أنه قال يا رب أمتى» فدعـا لهم فأجيب وكان غيرهم تبعًـا لهم لهم فى ذلك ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهى التى فى إدخال قوم الجنة سبعون ألف الحديث، ولم

ينقل ذلك فى بقية الأمم ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الأمة يشاركونهم فيها أو فى بعضها لا ينافى أن يكون عليه الصلاة والسلام أخر دعوته وشفاعه لأمته فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم، بل يشفع لهم أنبياؤهم ويحتمل أن تكون الشفاعة لغيرهم تبعًا كما تقدم مثله فى الشفاعة العظمى والله أعلم، وعن بريدة أن رسول الله ﷺ قال «إنى لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة» رواه أحمد، (وأما بيان من يشفع من الأخيار)، فهو ثابت كما أشار لذلك اللقانى بقوله:

وغيره من مرتضى الأخيار يشفع كما قد جاء فى الأخبار

قال شارحه كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء الصالحين فلذلك حث النبى ﷺ على تكثير الإخوان فى الدنيا بقوله: «أكثروا من الإخوان فإن لكل واحد منهم شفاعة يوم القيامة والشفاعة وإن كانت واجبة شرعًا إلا أن لها دليلاً عقليًا أيضًا من الجائز غفران غير الكفر لأنه يجوز عقلاً وسمعًا عليه تعالى تفضلا منه وإحسانًا غفران غير الكفر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٣٥] ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦] ولو فى جميع وكافة المسلمين وتخلف الوعيد لا يعد نقصًا بل من تمام الكرم وهذا هو التحقيق عند الأشاعرة وأما قول اللقانى:

وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة ثم الخلود مجتنب

فهو على طريق الماتريدية من وجوب تحقيق الوعيد ولو فى واحد من كل نوع فهى مرجوحة والصحيح أن تخلفه لا يعد نقصًا بخلاف تخلف الوعد فلا يجوز، بل يجب الوفاء به شرعًا بمعنى أنه ألزم نفسه ذلك تفضلا منه لا بإيجاب عليه ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران: ٩] ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠] وأخرج البيهقى عن ابن مسعود قال يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد فى أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم الصديقون ثم الشهداء، وأخرج الترمذى والحاكم وصححه البيهقى عن عبد الله بن أبى الجدعاء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة

بشفاعـة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا سواك يـا رسول الله؟ قال «سواى» قال الفريابـى يقال إنه عثمان رضى اللـه عنه، وفى رواية «أكثر من ربيعـة ومضر» وقال بعض شـراح الجامع الصغـير قيل أنه أويس القـرنى اهـ. وأويس القرنى من ضمـن الذين انتهى إليـهم الزهد فى التـابعين، قـال البكرى قد انتـهى الزهد فى التابعين إلى ثمانيـة قال واشتهر أن من ذكرهم على داء أو كتب أسـماءهم وغلقها على ذى علة يبرأ بإذن الله ونظمها بعضهم فقال:

ثمـانيـة فى التـابعين قـد انتـهى ... إليهم جـميع الزهد فـافهمـه ترشد

هم الحسن البصرى ومعروف عامر ... أبو مـسلم ثـم الربيع والأسـود

أويس بن حبـان إذا مـا ذكـرتهم ... على علـة تبـرأ وذكـرك يحـمـد

وذكر الإمام الشيبانى فى حاشية الشفا أن من ذكرهم عند نومه حشر معهم ومن ذكرهم على وجع به شفاه الله اهـ. وأخرج البيـهقى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «**يقال للـرجل يا فلان قم فاشـفع فيـقوم الرجل فـيشفع لـلقبيلة ولأهـل البيت والرجل والرجلين علـى قدر عـمله**» وأخرج أبو يعلى والطبـرانى عن أنس أن النبى ﷺ قال «يعرض على أهل النار يوم القـيامة صفوفـًا تمر بهم المؤمنون فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين قـد عرفه فى الدنيا فـيقول يا فلان مـا تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكـذا فيذكر ذلك المؤمن فيعرفه فيشفع له عند ربه فـيشفعه فيه» ورواية البيهقى زاد بلفظ «**أما تذكر يوم صنعت إليك فى الدنيـا معروفًا**» وأخرجه ابن ماجة بلفظ «يصف يوم القيامة صـفوف ثم يمر أهل الجنة فيمر الرجل على الرجل فيقول يا فلان أما تذكر يوم استسقـيت فأسقيتك شربة فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيـقول يا فلان أمـا تذكر يوم ناولتك طهـورًا فيشفع لـه ويمر الرجل على الرجل فيقول أما تذكر يوم بعثتنى لحـاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له» وأخرج ابن عاصـم وأبو نعيم عن ابن مـسعـود قال قال رسـول الله ﷺ فى قوله تـعالى ﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾ [فاطر: ٣٠] قال «يوفيهم أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فـضله الشـفاعـة لمن وجـبت له من الناس فيـمن صنع إليـهم المعروف فى الدنيـا» وأخرج البزار عن أبى موسى أن النبى ﷺ قـال «الحاج يشفع

فى أربعمـائة من أهل بيتـه» وأخرج الطبـرانى فى الأوسط بسند مقـارب عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**المرابط إذا مات فى رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامـة وغدى وريح عليه برزقه ويزوج سـبعين حوراء وقيل له قـف اشفع إلى أن يفرغ الحساب**» وأخرج الترمذى وابن ماجـة عن على قال قال رسول الله ﷺ «**من قرأن القرآن فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم وجبت لهم النار**» وأخرج إسحق بن راهوية فى مسنده عن أم حبيبة قالت كنا فى بيت عائشة فدخل رسول الله ﷺ قال «**ما من مسلمين يـموت لهما ثلاثة من الولد أطفالا لم يبلغوا الحنث إلا جىء بهم حتى يقـفوا على باب الجنة فيقال لهم ادخلوا الجنة فـيقـولون أندخل ولم يدخـل أبوانا فيـقـال فى الثانيـة أو الثـالثـة ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم وذلك قولـه تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] فيـقال نفـعت الآباء شفـاعـة أبناءهم**» وصلى الله على سـيدنا مـحمد وعلـى آله وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم وشرف وكرم وعظم.

الفصل السابع: فى الصراط والميزان

اعلم أن فى حكمـة الوزن كما قـاله بعض المحققـين امتحـان العبـاد بالإيمان بالغيب فى الدنيا وجعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة وتعريف العباد ما لهم من الجزاء على الخير والشـر وإقامة الحجة عليهم وهو قبـل الصراط على الصحيح كمـا تقدم لك، قال العلامـة النفراوى وبلغت أحاديثـه مبلغ التواتر وانعقـد عليه إجماع أهل الحق وأنه ميـزان واحد له كفتان ولسان وتوضع فيه صـحائف الأعمال أو أعيانها بعد تجسيمها ليظهـر الرابح والخاسر، وفى حاشية شيخ الأشياخ العدوى واقتصـرت الشراح على الصحف لأنه ورد فى الحديث أن كـتب الأعمال هى التى توزن وقيـل توزن الذوات لما ورد عنه ﷺ أنه قال «ليـؤتى بالعظيم الثقـيل لا يزن عند الله جناح بعوضة» وفى بعض الروايات «لرجل عبد الله بن مسعود فى الميزان أثقل من جبل أحـد» .اهـ. فهذه أقوال ثلاثة أرجـحها القولان الأولان كـما قال اللقانى:

فتوزن الكتب أو الأعيان

أى أعيان الأعمال فالتنويع للخلاف وأرجحهما القول الأول وعلى القول الثانى وهو أن الذى يوزن هو الأعيان مع أنها أعراض يقلب الله الأعراض أجسامًا حسية ثم توزن والله تعالى قادر وقيل يخلق الله تعالى صورًا نورانية بقدر الحسنات وصورًا ظلمانية بقدر السيئات فتوزن، قال الشيخ النفراوى لا توزن أعمال من لا يحاسب كما قاله القرطبى أن الميزان ليس لكل أحد، للحديث فإن فيه «**قال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن**» فالذى لا يحاسب لا توزن أعماله وذكر بعض الأكابر أن أهل الصبر أيضًا لا توزن أعمالهم وإنما يصب لهم الأجر صبًا .اهـ. (وفى) تحفة الإخوان قد ورد فى الحديث «**تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة وأهل الصوم وأهل الصدقة وأهل الحج ويؤتى بالشهداء فيعرفون أجرهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا يشهر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبًا بغير حساب حتى أن أهل العافية يتمنون فى الموقف أن أجسادهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض**» قال الله تعالى: «**إذا وجهت إلى عبد من عبادى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا أو أنشر له ديوانًا**» وفى حديث «**ولم يشكنى إلى عواده**» اهـ فقد تبين أن هناك من يدخل الجنة بغير حساب ولا ميزان وكذلك الكفار منهم من يدخل النار بغير حساب ولا ميزان كمن لم يكن له منهم حسنة ولا عمل خيرًا قط كما قال تعالى: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ**﴾ [الرحمن: ٤١] فيؤخذ بالنواصى والأقدام اهـ قال النفراوى وفى الكفار قولان فقيل توزن أعمالهم لعموم آية الوزن ولا يرد عليه قوله تعالى: ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف: ١٠٥] لأنه على حذف الصفة أى وزنًا نافعًا وقيل لا توزن أعمالهم نظرًا لظاهر قوله تعالى: ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف: ١٠٥] ووقت الوزن بعد الحساب كما ذكرنا إحدى كفتيه على الجنة والأخرى على النار والمنتصب لذلك جبريل لأنه الذى يأخذ بعموده مستقبلا به العرش وميكائيل أمين عليه وهو ميزان واحد لجميع الخلق اهـ وذكر العارف الشعرانى فى كتاب الميزان عند صورة الميزان واحتياط الأئمة الأربعة به كل واحد

فى جهة من جهاته الأربع وأتباعه خلفه قال وقد ذكرنا فى كتاب الأجوبة عن أئمة الفقهاء والصوفية أن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون فى مقلديهم ويلاحظونهم عند طلوع روحهم وعند سؤال منكر ونكير لهم وعند النشر والحشر والحساب والميزان والصراط فلا يغفلون عنهم فى موقف من المواقف. ولما مات شيخنا شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقانى رآه بعض الصالحين فى المنام فقال له ما فعل الله بك فقال لما أجلسنى الملكان فى القبر يسألانى فى القبر يسألانى أتانى الإمام مالك فقال مثل هذا يحتاج إلى سؤال فى إيمانه بالله ورسوله تنحيا عنه فتنحيا عنى، وإذا كان مشايخ الصوفية يلاحظون مريدهم فى جميع الأحوال والشدائد فى الدنيا والآخرة فكيف بائمة المذاهب والدين هم أوتاد الأرض وأركان الدين وأمناء الشارع على أمته رضى الله عنهم أجمعين فطب نفسًا يا أخى وقر عينًا بتقليد كل إمام شئت منهم والحمد لله رب العالمين اهـ. (وفى) المواهب قال ذكر الحافظ أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**من قضى لأخيه المؤمن حاجة كنت واقفًا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له**» قال الشارح الزرقانى أى حاجة كانت وإنما جمع فى قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧] لعظمته، بين يوسف بن عمر ذلك بقوله له كفتان كأطباق السموات أحداهما من نور وهى التى يوزن فيها الحسنات والأخرى من ظلمة وهى التى يوزن فيها السيئات وقيل لو وضعت السموات والأرض فى إحداهما لوسعتهن انتهى عدوى (وقال) النفراوى وقيل متعدد بتعدد الأمم وقيل بعدد المكلفين وظواهر الأحاديث وأقوال العلماء أن كيفية الوزن خفة وثقلاً فى الآخرة مثل كيفيته فى الدنيا ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرجع إلى عليين وما خف طاش إلى أعلى ثم ينزل إلى سجين اهـ. والمتبادر من ذلك أن الرجحان حسى لا معنوى وقيل تجعل جميع أعمال العباد فى الميزان مرة واحدة الحسنات فى كفة النور والسيئات فى كفة الظلمة ويجعل الله لكل إنسان علمًا ضروريًا يفهم به خفة أعماله وثقلها. ثم إنه اختلف فى معنى قوله تعالى: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] على طريقتين إحداهما وهى لبعض العلماء قائلاً أن كل مؤمن يثقل ميزانه

لأن إيمانه يوزن مع حسناته وأن قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] أى ابتداءً أو بعد التعذيب وثمرة الوزن على هذا أمارة على أنه لا يخلد فى النار واستحسن هذا القول الأجهورى، وذهب آخرون وهى الطريقة الثانية إلى أن الثقل محمول على ما إذا كانت حسناته أكثر ويكون معنى قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] أى ابتداء وأما لو كانت سيئاته أكثر فيثقل بها ميزانه ويكون معنى قوله تعالى: ﴿**ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون**﴾ أى بعضهم خالدون وكذا يقال فى غيرها انتهى عدوى رحمه الله، قال النفراوى ويبقى من استوت حسناته وسيئاته قيل هم أصحاب الأعراف وهو سور بين الجنة والنار يحبس فيه طائفة من أمة محمد ﷺ استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم الحسنات من النار والسيئات من الجنة فيقيمون على سور الجنة ثم يدخلهم الله جنته برحمته (وأما الأمور التى يوزن بها) فقال بعض العلماء كمثاقيل الذر تحقيقًا للعدل قال وأقول يفهم من قولهم توضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة إن الصنج إنما يحتاج إليها من له حسنات فقط أو سيئات فقط قال العلامة ابن ناجى إذا وضع الوزن بين العباد فى المظالم والحقوق ونفدت أى فرغت حسنات الظالم قبل فراغ ما عليه فإنه يؤخذ من سيئات المظلوم ويطرح على الظالم كما نص عليه مسلم ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] أى لا تحمل نفس ذنب أخرى لأن الآية فى شخصين لا حق لاحدهما على الآخر ومحل الطرح المذكور إذا مات الظالم وهو قادر على القضاء وأما إذا مات عاجزًا عنه فلا يطرح عليه من سيئات مظلومه شىء كما تقدم اهـ. قال فى المواهب اللدنية ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال والذى عليه الأكثر وهو المعتمد أن الميزان واحد يوزن به للجميع وإنما ورد فى الآية بصيغة الجمع للتفخيم، قال واختلف فى كيفية وضع الميزان والذى جاء فى أكثر الأخبار أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر

الأصول واختلف أيضًا فى الموزون صحائف الأعـمال قال ويدل له حديث البطاقة المشهـور ولفظه كما رواه التـرمذى «**أن الله يسـتخلص رجلاً من أمـتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فـينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً منها مـثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيـقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشـهد أن محـمدًا عـبده ورسوله فـيقـول أحضر وزنك فـيقـول ما هذه البطاقة مع هذه السجـلات فيقال إنك لا تظلم قـال فتوضع السجلات فى كـفة والبطاقة فى كـفة فطاشت السـجـلات وثقلت البطاقة فـلا يثـقل مع اسم الله شىء**» قال وذكر الغزالى يؤتى برجل يوم القـيامة فمـا يجد حسنة يرجح بهـا ميزانه وقد اعـتدلت بالسـوية فيـقول الله له رحـمـة منه اذهب فى الناس فالتـمس من يعطيك حـسنة لأدخلك بها الجنة فما يجد أحـدًا يكلمه فى ذلك الأمر إلا قال له أنا أحوج لذلك منك فيـيأس فيقول له رجل لـقد لقيت الله فمـا وجدت فى صحيفـتى إلا حسنة واحدة وما أظنها تغنى عنى شيئًا خذها هبـة فينطلق بها فرحًا سرورًا فيقول الله له ما بالك والله أعلم فيـقول يا رب اتفق من أمرى كيت وكيت فينادى اللـه بصاحبه الذى وهبه الحسنة فيقول الله تعالى كـرمى أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة والله أعلم.

(وأما الصراط) فهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ [يس: ٦٦] وقال ﷺ: «**ينصب الصـراط على متن جـهنم فأكـون أول من يحـوزه وأمتى فـيجب الإيمـان به والحق تفويض مـعرفـة حقـيقـته إلى الله تعـالى يرده الأولون والآخرون حتى من لا حـساب عليهم**»، قال العلامـة الأمير وكلهم سكوت إلا الأنبياء وقولهم إذ ذاك اللهم سلم سلم كذا فى التصحيح اهـ. وهو لغة الطريق الواسع وشرعًـا قال الدردير فى شرح خـريدته: جسر ممدود علـى متن جهنم بين الموقف والجنة أرق من الشعرة وأحـد من السيف قال، وأنكر الغزالى تبعًـا لشيخه العز بن عبـد السلام كونه أرق من الشعـرة وأحد من السيف قال بل هـو متسع لما ورد مما يدل على ذلك قالوا وعلى فـرض صحته يؤول بأنه كناية عن شـدة المشقة اهـ أمير، قال الاسـتاذ الدردير والأظهر أنه مختلف فى الضيـق والاتساع باختلاف

الأعمـال وقيل إن الكفـار لا يمرون عليـه بل يؤمر بهم إلى النـار من أول الأمر، وقيل بعضـهم يمر وبعضهم لا يمـر، قال القطب الدردير والمارون عليه مـختلفون فمنهـم سالم بعمله ناج مـن نار جهنم وهم على أقـسام فمنهم من يجـوزه كلمح البصـر ومنهم من يجوزه كالبرق الخـاطف ومنهم كالريح العاصف ومنهم كـالطير ومنهم كالجواد السابق ومنهم من يسعى سعيًا ومنهم من يمشى ومنهم من يمر عليه حبوًا على قدر تفاوتهم فى الأعمال الصالحة والأعراض عن المعاصى فكل من كان أسرع إعـراضًا عن المعـاصى إذا مرت على خـاطره كان أسرع مـرورًا، ومنهم من تخدشه كلاليب فيـسقط ولكن يتعلق بها فيعتدل ويمـر ويجاوزه بعد أعوام فمنهم من يجوزه على مائة عام ومنهم من يـجوزه على ألف عام وبقدرها يعطون الأنوار ومنهم غـير السـالم وهم متـفاوتون أيضًـا بقدر الجرائـم منهم من يخلد فى النار كالكفار ومنهم من يخرج منها بعد مـدة على حسب ما شاء الله تعالى وهم عصاة المؤمنين بشفـاعة النبى ﷺ أو غيره من الأخيـار قال الفاكهـانى وهو موجود الآن والأخبار عنه صـحيحة وأهل السنة أبقـوها على ظاهرها مع تفويض علم حقيـقته إلى الله تعالى، وقال بعضهم أنه يوجد عند الحاجة إليه، قال فى البدور ويختلفون عليه فى الأنوار قال أخرج الطبرانى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يعطى كـل مؤمن نـورًا وكل منافق نورًا فـإذا اسـتووا عـلى الصـراط سلب الله نور المنافقين والمنافـقات فقال المنافقون انظرونا نقـتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا**» وأخرج ابن مردويه فى تفسيره بسند لا بأس به عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجـمعة سطع له نور من تحت قدمـيه إلى عنان السمـاء يضئ له يوم القيامـة وغفر له مـا بين الجمعـتين**» وأخرج الديلمى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**الصلاة علىَّ نور على الصراط**» وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قـال قال رسول الله ﷺ «**من فرج عن مسلم كربـة جعل الله له يوم القيامـة شعبتين من نـور على الصراط يستضىء بضـوئهما عالم لا يعلمهم ولا يحصيهم إلا رب العزة**» اهـ قال الشيخ عبد السلام وطوله ثلاث آلاف سنة ألف صعود وألـف هبوط وألف استواء وجبـريل فى أوله وميكائيل فى وسطه يسألان الناس عن عمـرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيـما أبلوه وعن علمهم

فيما عـملوا به، قال العلامة الأميـر واستشكل التوصل إلى الجنة فإنها عـالية جدًا وهو على متن جهنم، قال وأفـاد العارف الشعرانى أنه لا يوصل للجنة حقـيقة بل لمرجها الذى فيه الدرج الموصل لها حيث الحوض، قال ويوضع لهم هناك مأدبة أى وليمـة قال ويقوم أحـدهم فيـتناول مما تدلى هناك من ثمار الجنة، قـال ومن كلام الشيخ الأكبر ما يفيد عدم التعويل على ظاهر هذه الآلاف وإنما هى كناية عن كثرة الاختـلاف فيـه مع أنه ماله امـتداد للعلو حـتى يوصل وإنما العلم عند الله (وفى) المواهب اللدنية وقال بعض أهـل العلم فيما حكاه القرطبى فى التـذكرة ولن يجوز أحد الصراط حتـى يسئل فى سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى فيـسئل عن الإيمان بالله وهى شهادة ألا إله إلا الله فـإن جاء بها مخلصًا جـاز، ثم يسئل فى القنطرة الثانية عـن الصلاة فإن جاء بها تامـة جاز، ثم يسئل فى القنطرة الثـالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تامًا جاز، ثم يسئل فى القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسئل فى الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامة جاز، ثم يسئل فى السـادسة عن الغسل والوضوء فـإن جاء بهما تامين جـاز، ثم يسئل فى السابعة وليس فى القناطر أصـعب منها فيسئل فى ظلامـات الناس قال وقد ذهب بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار وهذا مروى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار وقيل الـورود الدخول دليله حديث جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود الدخول لا يبقى بار ولا فـاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار ضجيجًا من بردهم ثم ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الزمر: ٦١] الآية رواه أحمد والبيهقى بإسناد حسن، قال واعلم أن فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر إلا من دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق النار فإذا خلص من خلص من الصراط الأكـبر حبسوا على صراط آخـر لهم ولا يرجع إلى النار أحد مـن هؤلاء إن شاء الله لأنهم عـبروا الصـراط الأول المضروب على متن جـهنم قال شارحـه الزرقانى ولا يخلص من الأكـبر إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصـاص لا يستنفد حسناتهم وقد تقـدم تفصيل

ذلك قريبًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرتيه وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الثامن: فى الحوض

وهو ما يجب اعتقاد وجوده ويبدع منكره دل على وجوده ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ بناء على أحد التفاسير، وقيل الكوثر نهر على باب الجنة، قال السيوطى فى البدور وقد رواه أكثر من خمسين صحابيًا وسردهم رضى الله عنه فقد بلغت أحاديثه التواتر ففى الصحيحين قال ﷺ «**حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدًا**» والصحيح أن لكل نبى حوضًا فليس من خصوصيات نبيا محمد ﷺ، وأنه يكون قبل الميزان وهل هو حوض واحد أو حوضان والثانى بعد الصراط قولان وقيل الذى بعد الصراط هو الكوثر وهو نهر من الجنة لا حوض وإنما الحوض قبل الصراط يصب فيه ميزابان من ماء الكوثر ترده أمته عليه الصلاة والسلام من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ويكون الشرب فى الجنة إنما هو على سبيل التلذذ لا العطش ويطرد عنه من بدل وغير إما بالارتداد وإما بأن يحدث فى الدين ما ليس منه كأهل البدع على اختلاف أنواعهم وكأهل الكبائر المعلنين لها وكالظلمة الجائرين فى الأحكام إلا أن المرتد مخلد فى النار وخالف المعتزلة فى ذلك وهم أحق بالطرد من غيرهم، ومن أدلته أيضًا قوله ﷺ: «**أنا فرطكم على الحوض من مر علىَّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا وليردن علىَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى يحال بينى وبينهم فأقول إنهم منى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا لمن غير بعدى**» .اهـ. أى باعد الله بينى وبين من غير سنتى وفى رواية قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال «نعم لكن بسيما أى علامة ليست لأحد من الأمم تردون غراً محجلين من آثار الوضوء» وقوله فى الحديث لا يظمأ أبدًا قال العلامة الأمير وإن دخل النار عذب بغير الظمأ انتهى وفى المواهب اللدنية عن أنس قال سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال: «**أنا فاعل إن شاء الله تعالى**» قلت: فأين أطلبك قال: «**أول ما تطلبنى على الصراط**» قلت فإن لم ألقك على الصراط قال: «**فاطلبنى عند الميزان**» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان قال: «**فاطلبنى عند الحوض**

فإن لا أخطئ هذه الثلاث مواطن» رواه الترمذى وقال حسن غريب، قال الشارح الزرقانى لا أخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء أى لا أتجاوز هذه الثلاث مواطن إلى غيرها، قال وظاهر هذا الحديث أن الحوض بعد الصراط وصنيع البخارى فى إيراده لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة بعد نصب الصراط مشعر بذلك، قال السيوطى ويجمع بأنه يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ويتأخر بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يهذب منها على الصراط، قال ولعل هذا أقوى قال ثم رأيت فى الزهد للإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال كأنى أنظر إلينا صادرين عن الحوض للحساب فيلقى الرجل فيقول شربت يا فلان فيقول لا وا عطشاه اهـ (وأقول) والذى يظهر فى الجمع أنهما حوضان فبعض المؤمنين لكماله يشرب من كل والبعض الآخر إنما يشرب من الثانى بعد تهذيبه، وللإمام اللقانى فى شرحه الكبير على جوهرية قال القرطبى اختلف فى الميزان والحوض أيهما قبل الآخر فقيل الميزان قبل وقيل الحوض، قال أبو الحسن القابسى والصحيح أن الحوض قبل الميزان قال القرطبى يقتضيه فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيقدم لهم الحوض قبل الصراط والميزان، قال وبالجملة جهل تقديم كل من الثلاثة على بعضها وتأخره لا يضر فى العقيدة .اهـ. ويقوى ما أفدناه لك آنفًا ما روى فى حديث مسلم أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة فإن ظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة ويصب فيه الماء من النهر الذى داخلها والصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة، ولذلك قال فى المواهب والصحيح أن للنبى ﷺ حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة إلا أن هذا تعقبه الحافظ ابن حجر إلى أن قال فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبى أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار فى النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وقد ورد فى حديث الحوض كما فى الصحيحين «**ما بين صنعاء والمدينة**» وحديث أسامة «**ما بين عدن وعمان**» وحديث البخارى «**مسيرة شهر**» وزاد مسلم وزواياه، هذا وأجاب النووى عن ذلك بأنه ليس فى ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فأخبر أولاً

بما كان يعلمه من القليل ثم تفضل الله عليه باتساعه شيئًا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة وثبت أن لكل نبى حوضا كما فى الحديث «**إن لكل نبى حوضًا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرفه من أمته ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعًا ألا وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا**» قال الحافظ فى فتح البارى فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به فى سورة ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر: ١] وفى تحفة الإخوان والمواهب بأركانه الخلفاء الراشدون الأربعة فعلى الركن الأول أبو بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع على رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على رضى الله عنهم أجمعين. وقوله فى الحديث السابق كيزانه أكثر من نجوم السماء قال العلامة الأمير لا يستشكل بأنه يصغر عن وضعها فيه لأننا نقول يمكن أنها بيد الملائكة قال وألغز القاضى فى الكوز فقال:

وذى أذن بلا سمع ... له قلب بلا قلب

إذا استولى على صب ... فقل ما شئت فى الصب

.اهـ وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وشرف وعظم.

الباب السابع: فيما يتعلق بالنيران والجنان،

فأما بيان النيران فيتعلق بها فصول

الفصل الأول: فى بيان ما جاء فى صفتها ومحلها

الثانى: فى عدد أبوابها وطبقاتها

الثالث: فى آخر من يخرج منها ومن يموت فيها من عصاة الأمة المحمدية

(فأما بيان ما جاء فى صفتها ومحلها) قال فى البدور وأخرج الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام

طالبها» وأخرج أحمد فى مسنده عن رسول الله ﷺ «**أنه قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكًا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**» وفى تحفة الرخوان والبدور أيضًا ما يفيد معناه «قال جاءنى جبريل عليه السلام يقول هذه الآية ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الحجر: ٤٣] فقلت يا جبريل صف لى النار وأهوالها فقال لى يا محمد لما خلق الله النار أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وقودها الناس والحجارة قعرها بعيد وعذابها شديد وشراب أهلها صديد وسرابيلهم من القطران لا يطفأ لهيبها ولا يخمد جمرها، والذى بعثك بالحق نبيا لو أن مثل ثقب الأبرة فتح من جهنم لاحترقت الدنيا ومن عليها، والذى بعثك بالحق نبيا لو أن ذراعًا من السلسلة التى ذكرها الله فى سورة الحاقة وضع على أعظم جبل فى الدنيا لذاب حتى يبلغ الأرض السابعة، والذى بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار علق ما بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من شدة نتنه يا محمد، والذى بعثك بالحق نبيا لو أن رجلاً يعذب بالمغرب لاحترق أهل المشرق من شدة عذابه يا محمد لها سبعة أبواب» كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ**﴾ [المدثر: ٢٧، ٢٨، ٢٩] أى مغيرة للبشر وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [القارعة: ١٠، ١١] وقال تعالى: ﴿**لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**﴾ [الهمزة: ٤، ٥] ورد تفسيرها فى الحديث المرفوع «أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت ثم يعود كما كان ثم تستقبله أيضًا فتطلع على فؤاده فهو كذلك أبدًا» وقال الله تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ**﴾ [المعارج: ١٥، ١٦] جمع شواه وهى جلدة الرأس وقال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ**﴾ [التكوير: ١٢] أى أوقدت وأضرمت. (وأما ما جاء فى محلها) قال فى البدور وأخرج أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى من طريق أبى الزرعاء عن عبد الله قال الجنة فى السماء السابعة العليا والنار فى الأرض، وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «**إن جهنم محيطة بالدنيا وإن الجنة من ورائها فلذلك كان الصراط على جهنم طريقًا إلى الجنة**» والله أعلم.

الفصل الثانى: فى عدد أبوابها وطبقاتها

قال الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] وروى أن النبى ﷺ كان يصلى فى مسجده وحده فمرت به أعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها فقرأ ﷺ هذه الآية ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤] فخرت الأعرابية مغشيًا عليها فسمع ﷺ ضجيجًا فانصرف ودعا بماء فصب على وجهها فأفاقت وجلست فقال النبى ﷺ يا هذه مالك؟ فقالت أهذا شىء من كتاب الله تعالى أو من تلقاء نفسك فقال يا أعرابية هو من كتاب الله المنزل فقالت كل عضو من الأعضاء يعذب على محل باب منها قال يا أعرابية لكل باب منهم جزء مقسوم يعذب كل أهل ملة على قدر أعمالهم فقالت والله إنى امرأة مسكينة مالى مال ومالى إلا سبعة أعبد أشهدك يا رسول الله أن كل عبد منهم عن كل باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله بشر الأعرابية أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم وفتح لها أبواب الجنة كلها» وقد قيل فى معنى هذه الآية ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] أى من الكفار والمنافقين والشياطين بين الباب والباب خمسة آلاف عام فالباب الأول يسمى جهنم لأنه ينجهم فى وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذابًا من غيره؛ والباب الثانى لظى، والباب الثالث سقر، والباب الرابع الحطمة، والباب الخامس الجحيم وإنما سمى الجحيم لأنه عظيم الجمر الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا، والباب السادس السعير وسمى السعير لأنه يسعر لم يطفأ منذ خلقه الله، فيه ثلثمائة قصر فى كل قصر ثلثمائة بيت فى كل بيت ثلثمائة لون من العذاب وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال والأنكال وفيه جب الحزن ليس فى النار أشد منه إذا فتح حزن أهل النار حزنًا شديدًا، والباب السابع يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج أبدًا وفيه بئر الهباب إذا فتح يخرج منه نار تستعيذ منه النار فيه صعود المذكور فى القرآن وهو جبل من نار يوضع وجوه أعداء الله عليه مغلولة أيديهم إلى أعناقهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم والزبانية واقفون على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة يسمع ضربها الثقلان وأبواب النار حديد وغشاؤها

الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجـاج النار من فوقهم والنار من تحتهم ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] قد مزجت بغضب وقد ورد فى جبالها وأوديتها وزقومها وحميمها وعـذابها أخبار كثيرة نسأل الله العفو والعافيةفى الدين والدنيا والآخرة اهـ. تحفة الإخوان. (وأما طبقـاتها) قال العلامة الأمير ففى حاشية شيـخنا العدوى على الشيخ عبد السلام أن أعلاها جهـنم وفيها من يعذب على قدر عمله من عصـاة المؤمنين ثم يخرج وتحتها لظى وفيهـا اليهود ثم الحطمة وفيها النصارى ثم السعير وفيها الصابئـون ثم سقر وفيها المجوس ثم الجحيم وفيها عبـدة الأوثان والاصنام ثم الهاوية وفـيهـا المنافقـون اهـ. وقد نظم الطبـاق شيخ مشايخنا بقوله:

جـهنم لـلعـاصى لظى ليـهـودها ... وحطمــة للناصـرى أولى الـغـمم

سـعيـر عـذاب الصـابئين ودارهم ... مجوس لها سقر جحيم لذى صنم

وهاوية دار الـنفــاق وقـيــتــهــا ... وأسـأل رب العـرش أمنًا من النقم

وسكون عين حطمـة وسقر للوزن اهـ.وفى تذكرة القرطبى قـال العلماء وأعلى الدرجات جهنم وهى مخـتصة بالعصاة من أمة محـمد ﷺ وهى تخلى من أهلها فتـصفق الرياح أبوابها وفى رواية وهى التى ينبت علـى شفيرها الجـرجير، وفيـها أيضا وملائكتها كما وصفهم الله تعالى غلاظ شداد قال رسول الله ﷺ «فى خزنة جهنم فى منكبى أحدهـم المشرق والمغرب» وقال ابن عباس مـا بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة وقـوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيقع بتلك الضـربة سبعون ألف إنسان فى قعر جـهنم، وأما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] فالمراد رؤساؤهم وأما جملتهم فـما يعلم جنود ربك إلا هو. اهـ. وأما مالك عليه السلام فهو رئيس جميع خـزنة النار والمتكلم عليهم والآمر لهم، وفى التذكرة عن العباس أن حـجارتها حجـارة الكبريت خلقها اللـه تعالى كيف شاء أو كـما يشاء وقيل المراد بالحجـارة الاصنام وعليه فتكون الناس والحجـارة وقود النار اهـ. وفى الخازن فى تفسيـر قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ [الدخان: ٤٣] أى التى هى نزل أهل النار والزقوم شجـرة خبيثة مرة كريهـة الطعم يكره أهل النار على تناولها

فهم يتجرعـونه على أشد كراهة حتى يملؤا بطونهم فإذا عطشـوا جئ لهم بالحميم وهو ماء شديد الحرارة فـيشربونه فيمزق أقدامهم من شـدة حرارته قال الله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] قال ابن عـباس هو أى الغساق الزمـهرير يحرقهم ببـرده كما تحرقهم النار بحرها نعـوذ بالله من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار والله أعلم.

الفصل الثالث: فى آخر من يخرج من النار ومن يموت فيها من عصاة الأمة المحمدية

أخرج الطبرانى عن ابن مسعود قال «**إن آخر أهل الجنة دخولا رجل قال له ربه قم فادخل الجنة فـأقبل عليه عـابسًا قال وهل أبقـيت لى شيئـا قال لك مثل مـا طلعت عليه الشمس وغربت**» وأخرج الدارقطنى فى غرائب مـالك فى رواية عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «**أن آخر من يدخل الجنة رجل من جـهينة يقال له جـهينة فيـقول أهل الجنة عند جهـينة الخبر اليقين سلوه هل بـقى من الخلائق أحد**» وأخرج عن المغيرة بن شعبة رفعه قال سأل مـوسى ربه فقال يا رب أخبرنى بأدنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يجىء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال أدخل الجنة فيقول أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهـم وقد أخذوا خزائنـهم فيقال لـه أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت فيقـول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامـسة رضيت فيـقول الرب لك هذا وعشرة أمـثاله ولك ما اشتـهت نفسك ولذت عينك قال رب فمن أعظمهم منزلة قـال أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عـين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر مثلها، (وأما بيان موت العصاة فيها من الأمة المحـمدية)، فقد أخرج مسلم عن أبى سعيد قال قـال رسول الله ﷺ «**أمـا أهل النار الذين هم أهلهـا فإنهم لا يمـوتون فـيهـا ولا يحـيون ولكن ناس أصـابتهـم النار بذنوبهم فأمـاتتـهم إماتة حـتى إذا كانوا فـحمًا أذن بالشفـاعة فجىء بهم ضـبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قـيل يا أهل الجنة أفيضـوا عليهم فينبتـون نبات الحبة فى حـميل السيل**» قال القرطبى هذه الموتة للعصاة مـوتة حقيقية لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريمًا لهم حتى لا يحـسوا بألم العذاب، قال فإن قيل فأى فائدة حينئذ فى إدخالهم النار وهم لا يحسون بالعذاب قلنا يجوز أن يدخلهم

النار تأديبًا وإن لم يذوقوا فيها العـذاب ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين فى السجن فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن غل ولا قيد، قال ويحتمل أنهم يعـذبون أولاً وبعد ذلك يموتون ويختلف حالهم فى طول التعذيب بحسن جرائمهم وآثامهم، ويجـوز أن يكونوا متألمين حالة موتتهم غير أن آلامهم تكون أخف من آلام الكفار لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء ليلة ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥] إلى قوله ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ويؤيد الأول من موتهم حـقيقة أنهم يعذبون لحظة بعد الدخول فيها كما ذكره بعض المحققين قال العلامة الأمير ولا يستخف بهذه اللحظة بل لا ينسى عذاب القبـر وقيل الموت هنا حالة تشبـه النوم قال فبالجملة لا يسـتمر عليهم الإحساس ا هـ وصلى الله على سدنا مـحمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم وعظم.

وأما ما يتعلق بالجنة ففيه فصول

(الأول)، فى عدد أبواب الجنة وأسـمائها وسعـة أبوابها، (الثانى) فى حـائطها وأرضها وترابها وحصبائها وغرفها وقصورها وبيتها ومساكنها وما ورد من الأعمال الموجبة لبناء البيوت فيها، (الثالث)، فى ظلها وأنه لا حر فيها ولا شمس ولا قمر ورائحتها وعدم النوم فيها، (الرابع) فى شجرها والأعمال الموجبة لنيل ذلك وغرار الجنة وطعام أهلها (الخامس) فى أنها الجنة وعيونهـا ولباس أهلها والأعمال الموجبة لذلك وحلية أهل الجنة وفرشهم وأرائكهم وأسرتهم وخـيامهم وقبابهم، (السادس) فى أزواج أهل الجنة وعـددهم والأعـمـال الموجـبة لذلـك وسمـاع غناء الحـور، (السابع)، فى أوانيـها وريحـانها وزروعهـا وخيالهـا وطيرها ودوابهـا والوسيلة، (الثامن) فيما جـاء من الآيات إجمالاً وقوله تعالى ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ [هود: ١٠٧]، (التاسع) فيما يقولونه بعد دخلوهم وما يقال لهم وأكثر أهل الجنة وصفـوفها وذكرهم وقراءتهم وفتوى العلمـاء واحتياج الناس إليهم فـيها، (العاشر) فى صـفة أهل الجنة وأسنانهم وألوانهم وحليهـم وعرضهم

وطولهم وأسمائهم ولسانهم ومذاكرتهم ما كان منهم فى الدنيا وزيارتهم الأنبياء أصحاب الدرجات واطلاعهم على أهل النار وكلامهم لهم والخاتمة التى تتعلق بالنظر لوجه الله الكريم.

الفصل الأول: فى عدد الأبواب وأسمائها

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال «**إن فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون**» وفى لفظ «**إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد غيرهم**» وأخرج الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال «**من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر يا رسول الله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى منها كلها أحد قال نعم وأرجو أن تكون منهم**» وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «**إن فى الجنة بابًا يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوا برحمة الله**» قال القرطبى قيل الدعاد من جميعها دعاء تنزيه وإكرام ثم يدخل الجنة من الباب الذى غلب عليه العمل، (وأما سعة أبوابها)، أخرج مسلم عن عتبة بن غزوان قال ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن سلام قال قال رسول الله ﷺ «**إن ما بين المصراعين فى الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم يزاحم عليه كازدحام الإبل وردت الخمس ظمأ**» وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال «**ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمائة ألف متماسكين آخذ بعضهم بيد بعض لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**» وفى المواهب اللدنية من حديث مسلم عنه ﷺ «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة**» قال وروى ابن أبى شيبة من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «**أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة**

التى تدخل منه أمتى» فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أن كنت معك حتى أنظر ليه فقال ﷺ **«أما أنك يا أبا بكر أول من يدخل من أمتى»** قال فقد دل هذا الحديث على أن لهذه الأمة بابًا مختصا يدخلون منه الجنة دون سائر الأمم قال فإن قلت من أى أبواب الجنة يدخل النبى ﷺ قال فالجواب أنه قد ذكر الترمذى الحكيم أبواب الجنة كما نقله عنه القرطبى فى التذكرة فذكر باب محمد ﷺ قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة قال فإن قلت كم عدد أبواب الجنة قال فاعلم أن فى حديث أبى هريرة عند الشيخين مرفوعا **«من أنفق زوجين فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبدالله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان»** وروى الترمذى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرفوعا **«ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»** قال بزيادة من فى الحديث قال القرطبى وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية قال وانتهى عددها إلى ثلاثة عشر بابا كذا قال ا هـ، (أقول) والأظهر أن من ليست للتبعيض يدل عليه رواية مسلم من غير من وهو حديث واحد قال فى المواهب فإن قلت فما تقول فى الحديث الذى صححه الترمذى من حديث بريدة قال أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالا فقال **«يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى»** أجاب عنه ابن القيم بأن تقدم بلال إنما هو بين يديه ﷺ لأنه كان يدعو إلى الله أولا بالأذان ويتقدم أذانه بين يدى النبى ﷺ فيقدم دخوله بين يديه ﷺ كالحاجب والخادم كما أنه يبعث يوم القيامة ﷺ وبلال بين يديه بالأذان فتقدمه حينئذ كرامة له ﷺ وإظهار الشرف للحبيب ﷺ لاسبقا من بلال له، وأما ما رواه أبو هريرة مرفوعا **«أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك أو من أنت؟ فتقول أنا امرأة قعدت على أيتامى»** رواه أبو يعلى قال وإسناده حسن وقوله تبادرنى أى لتدخل معى أو تدخل فى أثرى ويشهد له حديث أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وقال أى أشار بإصبعيه السبابة والوسطى رواه الإمام البخارى من حديث سهل قال شارحه حق على من سمع هذا الحديث أن

يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة ولا منزلة فى الجنة أفضل من ذلك قال ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حال دخوله الجنة اهـ جعلنا الله من أهلها من رفقائه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثانى: فى حائطها وأرضها

أخرج أحمد والترمذى وابن حبان والبيهقى وعبدالله بن حمير عن أبى هريرة قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وملاطها المسك وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» والملاط بكسر الميم الطين الذى يجعل بين اللبن فى البناء وأخرج ابن أبى شيبة والبرانى وابن أبى الدنيا بسند حسن عن ابن عمر قال سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هى قال «**من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب ملاطها مسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران**» وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «**أرض الجنة بيضاء عرضتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أولهم وآخرهم فيتعارون فيبعث الله ريح الرحمة فتفيح عليهم المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسنا وطيبا فتقول لقد خرجت من عندى وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجابا**» (وأما الكلام على غرفها) فقد أخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال «**إن أهل الجنة ليرون أهل الغرف فوقهم كما ترون الكواكب النائرة فى الأفق من المشرق أو المغرب بتفاضل ما بينهم**» قالوا يا رسول الله ذلك منازل الأنبياء لا يدركها غيرهم قال رسول الله ﷺ «**بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**» وأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقى عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال «**إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**» قالوا لمن يا رسول الله قال «**لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام**» وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ «**ألا أخبركم بغرف الجنة قلنا بلى يا رسول الله قال إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم المقيم واللذات والشرف ما لا عين رأت**

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» قلنا يا رسول الله لمن هذه الغرف قال **«لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»** قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال **«أمتى تطيق ذلك وأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الأخيرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس نيام»**، وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن بريدة عن النبى ﷺ قال **«إن فى الجنة غرفا يرى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه والمتباذلين فيه»**، (وأما قصورها)، فأخرج ابن المبارك والطبرانى وأبو الشيخ والبيهقى عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢] قال **«قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشًا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونًا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة من القوة ما يأتى على ذلك كله أجمع»** وأخرج ابن أبى الدنيا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى الجنة قصر له أربعة آلاف مصرع على كل باب خمس وعشرون من الحور العين لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد (وأما ما ورد من الأعمال الموجبة لبناء البيوت فيها) فمنها السخاء ولذلك أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ **«إن فى الجنة بيتا يقال له بيت السخاء»** وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال **«من بنى لله مسجداً يتبغى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا فى الجنة»** وأخرج الترمذى وابن ماجه عن أنس قال قال رسول الله ﷺ **«من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصرا فى الجنة من ذهب»** وأخرج البزار عن عائشة عن النبى ﷺ قال **«أيكم أصبح صائما؟»** قال أبو بكر أنا قال **«أيكم شيع جنازة؟»** قال أبو بكر أنا قال **«أيكم عاد مريضا؟»** قال أبو بكر أنا قال **«أيكم تصدق بصدقة؟»** قال أبو بكر أنا قال **«من كانت له هذه الأربع بنى**

له بيت فى الجنة يعنى وفق لجمعها فى يوم واحد» وأخرج الطبرانى فى كتاب آداب النفوس بسنده عن حكيم بن محمد الأحمس قال بلغنى أن الجنة تبنى بالذكر فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البنيان، وأخرج الترمذى عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجعك فيقول الله ابنو لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد**» وأخرج الدارمى فى مسنده عن سعيد بن المسيب أن النبى ﷺ قال «**من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بنى الله له قصرا فى الجنة ومن قالها عشرين مرة بنى له قصران ومن قالها ثلاثين مرة بنى ثلاثة قصور فى الجنة**» فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا تكثر قصورنا فقال رسول الله ﷺ «**رحمة ربك أوسع من ذلك**» وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وشرف وكرم وعظم.

الفصل الثالث: فى ظلها وأنه لا حر فيها ولا شمس ولا قمر ورائحتها وعدم النوم فيها

قال الله تعالى ﴿**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**﴾ [الواقعة: ٣٠] ﴿**وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً**﴾ [النساء: ٥٧] وأخرج البيهقى عن عمرو بن ميمون فى قوله تعالى ﴿**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**﴾ قال مسيرة سبعين ألف عام، وأخرج البيهقى عن شعيب بن الحجاب قال خرجت أنا وأبو العالية الرياحى قبل طلوع الشمس فقال إن الجنة هكذا ثم تلا ﴿**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**﴾ اهـ من البدور، والمشار إليه بهكذا زمن قبل طلوع الشمس (وأما دليل عدم الحر والبرد فيها) فهو قوله تعالى ﴿**لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ١٣] وأخرج ابن المبارك وعبدالله بن أحمد فى زوائد الزهد عن ابن مسعود قال الجنة لا حر فيها ولا برد (وأما رائحتها) فقد أخرج الطبرانى فى الصغير وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة قال قال رسول ﷺ «**تراح رائحة الجنة من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق ولا مر من خمر**» وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «**ريح الجنة يوجد من مسيرة**

ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء» بضم الخاء وفتح الياء وأخرج أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال «**من قتل معاهدا له ذمة من الله ورسوله لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما**»، وقوله لم يُرح قال الكسائى هو بضم الياء من قولك أرحت الشىء فأنا أريحه إذا وجدت ريحه وقال أبو عمر وهو بكسر الراء وفتح أوله من رحت أريح إذا وجدت الريح وقال غيرهما هو بفتح الياء والراء معا وهو شم الرائحة أ هـ م لا يخفى أنه يختلف باختلاف أهل الجنة فلا تنافى حينئذ بين هذه الروايات من كون بعضها ألف عام وبعضها أربعين وبعضها خمسمائة (وأما ما جاء فى عدم نومهم) أخرج البزار والطبرانى فى الأوسط والبيهقى بسند صحيح عن جابر بن عبدالله قال قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة قال «**النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون**» وأخرج ابن أبى حاتم والبيهقى عن عبدالله بن أبى أوفى قال قال رجل يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا فى الدنيا فهل فى الجنة من نوم قال «**إن النوم شريك الموت وليس فى الجنة**» موت قال فبم راحتهم فأعظم ذلك النبى ﷺ وقال ليس فيها الغوب كل أمرهم راحة فنزلت ﴿**لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٥] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم وعظم.

الفصل الرابع: فى شجرها والأعمال الموجبة لغرس ذلك فيها وثمارها وطعام أهلها

قال الله تعالى ﴿**طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾ [الرعد: ٩] وقال تعالى ﴿**فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ**﴾ [الواقعة: ٢٨] وأخرج الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها اقرؤا إن شئتم ﴿**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**﴾» وأخرج الترمذى وصححه عن أسماء بنت أبى بكر سمعت النبى ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال «**يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة سنة فيها فرش الذهب كان ثمرها القلال**» وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «**ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من**

ذهب» وقوله فى الحديث فى ظل الفنن الفنن بفتح الفاء والنون الغصن، (وأما ما جاء فى الأعمال الموجبة لغرس ذلك)، أخرج الترمذى والحاكم وصححه عن جابر أن النبى ﷺ قال «**من قال سبحان الله العظيم غرست له شجرة فى الجنة**» وأخرج البزار عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ «**من قال سبحان الله والحمد لله غرست له نخلة فى الجنة**» وأخرج الحاكم أيضا وصححه وابن ماجه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسا فقال «**ألا أدلك على غرس خير لك منه**» قال قلت ما هو قال «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة**» (وأما ثمراتها) فقال تعالى ﴿**وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ [محمد: ١٥] ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي**﴾ [البقرة: ٢٥] الآية وأخرج ابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفسيرهما عن ابن عباس ﴿**فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**﴾ [الرحمن: ٥٢] قال ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل واخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ومسعود فى مسنده وهناد فى الزهد والبيهقى عن ابن عباس قال ليس فى الجنة شىء مما فى الدنيا إلا الأسماء، وأخرج البزار والطبرانى عن ثوبان سمع رسول الله ﷺ يقول «**لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد فى مكانها مثلها**» وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن مسعود إنه كان بالشام فتذاكروا الجنة فقال إن العنقود من عناقيدها من ههنا إلى صنعاء، وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى والبزار عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال «**إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شىء فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير**» وتلك لا تتغير (وأما طعام أهلها) فاخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ «**أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم وأيما مؤمن كسا مؤمن على عرى كساه الله يوم القيامة من خز الجنة**» واخرج ابن المبارك والطبرانى فى الأوسط وابن أبى الدنيا بسند رجاله ثقات عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف بيد كل واحد صفحتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى يأكل من آخرها مثل ما يأكل من**

أولها يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذى يجد من أولها ثم تكون مثل ريح المسك الأذفر لا يبولون ولا يتغوطون إخوانًا على سرر متقابلين» وأخرج البزار وابن أبى الدنيا والبيهقى عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ **«إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًا»** وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى أمامة إن الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطير من طير الجنة فيقع فى يديه مقليًا نضيجًا أى بحسب الشهوة فلا ينافى ما قبله، وأخرج أيضًا عن ميمونة أن النبى ﷺ قال **«إن الرجل يشتهى الطير فى الجنة فيخرج مثل البخت حتى يقع على خوانه** [أى ما يضع عليه طعامه] **لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير»** وأخرج ابن المنذر عن الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى **﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾** قال ليس فى الجنة ليل هم فى نور أبدًا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخاء الحجب (وأما) أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أخرجه مسلم عن ثوبان أن حبرًا من اليهود سأل رسول الله ﷺ **«أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟»** فقال رسول الله ﷺ **«فى الظلمة دون الجسر»** قال: فمن أول الناس إجازة على الصراط؟ قال **«فقراء المهاجرين»** قال فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال **«زيادة كبد الحوت»** قال ما غذاؤهم على إثر ذلك؟ قال **«ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها»** قال فما شرابهم عليها؟ قال **«من عين تسمى سلسبيلا»** قال: صدقت، وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عنه ذكره الغافلون.

الفصل الخامس: فى أنهار الجنة وعيونها ولباس أهلها والأعمال الموجبة لذلك وحلية أهل الجنة وفرشهم وأرائكهم وسررهم وخيامهم

(أما أنهارها وعيونها) قال الله تعالى: ﴿**فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾ [١٥: محمد] الآية ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ [الإنسان: ٦] أخرج ابن حبان والحاكم والبيهقى وابن أبى حاتم والطبرانى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ **«أنهار الجنة تفجر من جبال المسك»** وأخرج أبو نعيم وابن مردويه والضياء عن أنس قال قال رسول الله ﷺ **«لعلكم تظنون إن أنهار الجنة أخدود فى الأرض لا والله**

إنهـا السابحـة على وجه الأرض حـافتـاها أخـام اللؤلؤ وطينها المسك الأذفـر» قلت يا رسول الله ما الأذفر؟ قال **«الذى لا خلط معه»** وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال الكوثر نهـر فى الجنة عمـقه سبـعون ألف فرسخ مـاؤه أشد بيـاضًا من اللبن وأحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الأنبياء، وأخرج الترمذى وصحـحه البيهقى عن معاذ بن جبـل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول **«إن فى الجنة بحر المـاء وبحر العسـل وبحـر اللبن وبحر الخمـر ثم تتشـقق الأنهار منها»** وأخرج البيهقى عن كـعب قال نهر الماء فى الجنة نهرًا ينبت الجوارى الأبكار وأخرج ابن عـساكر عن أنس مرفـوعًا **«فى الجنة نهـر يقال له الريان عليـه مدينة من مرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن»**.

(وأما عيـونها) فأخرج سعيـد بن منصور وهناد والبيهقى عن مـجاهد فى قوله تعالى ﴿**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً**﴾ [الإنسان: ٨] أى شديد الجرية، وأخرج البيهقى عن عطاء قال التسنيم اسم العين التى يمزج بـها الخمر، وأخرج ابن أبى حاتم عن البراء بن عازب فى قوله ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**﴾ [الرحمن: ٥٠] قال: هما خير من النضاختين، والنضـاختان قال ابن عباس الفائضتـان بالماء وعن أنس نضاختان بالمسك والعنبر، وعن سعيد بن جبيـر ينضخان بألوان الفاكهة، وأخرج الحاكم فى النوادر عن الحسن قـال قال رسول الله ﷺ **«أربع عيـون فى الجنة عينان تجـريان من تحت العرش أحـداهما التى ذكر الله فـيها يفجـرونها تفجيـراً والأخرى الزنجبـيل وعينان نضاختان من فوق احداهما التى ذكر الله سلسبيلاً والأخرى التسنيم»**.

(وأمـا لباس أهلهـا) فـقال تعـالى: ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج: ٢٣] ﴿**وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**﴾ [الكهف: ٣١] وقال تعالى: ﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ**﴾ [الإنسان: ٢١] وأخرج النسـائى والطيالسى والبزار والبيـهقى بسند جيـد عن ابن عمر قـال يا رسول الله أخبـرنا عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أونسج فتنسج فضحك بعـض القوم فقال رسول الله ﷺ: **«تضحكون من جاهل يسـأل عالمًا قال بل تتشق عنها ثمـار الجنة مرتين»** وأخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى من حـديث جابر مثله بسند صحـيح وأخرج البيهقى عـن أبى الخير بن

عبد الله قال «**فى الجنة شجرة تنبت السندس منه يكون ثياب أهل الجنة**» وأخرج ابن المبارك عن أبى هريرة قال «**إن دار المؤمن درة مجوفة فيها أربعون بيتًا فى وسطها شجرة تنبت الحلل فيذهب فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان**» وأخرج الشيخان عن أنس قال أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها أى من حسنها فقال «**والذى نفس محمد بيده المناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذه**» وأخرج الشيخان عن عمر قال قال النبى ﷺ «**من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة**» قال بعضهم أى مع السابقين، لتأخرة مجازاة له بلبسه فى الدنيا فهو حرمان تقدم لا حرمان تأبد، وقال بعضم بإبقاء الحديث على ظاهره وإنه ينعم بغير الحرير بعد الدخول وهو بعيد والأول أقرب لقوله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾.

(وأما الأعمال الموجبة لذلك) فقد أخرج الحاكم وصححه قال قال رسول الله ﷺ من «**كفن ميتًا كساه الله من سندس وإستبرق من الجنة**» وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم عن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال «**من ترك اللباس تواضعًا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخير من أى حلل الإيمان شاء يلبسها**» وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «**من عزى مصابًا كساه الله حلتين من حلل الجنة لا تقوم بهما الدنيا**» أى بضم التاء وتشديد الواو (وأما حلية أهل الجنة). قال الله تعالى ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ**﴾ [الحج: ٢٣] ﴿**وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ**﴾ [الإنسان: ٢١] قال القرطبى قال المفسرون ليس أحد من أهل الجنة إلا وفى يده ثلاث أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ، قال ولما كان الملوك تلبس فى الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم الملوك، وأخرج الترمذى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى «**أن النبى ﷺ تلا قول الله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر: ٣٣] فقال إن أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب**» وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن كعب الأحبار قال إن الله تعالى خلق ملكًا يصوغ على أهل الجنة من يوم خلق إلى أن تقوم الساعة ولو أن حليًا أخرج من حلى أهل الجنة لذهب بضوء الشمس، وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال

«**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء لله**» . (وأما فراشهـا) فقال تعالى: ﴿**وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ**﴾ [الواقعة: ٣٤] ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**﴾ [الرحمن: ٥٤] وأخرج الإمام أحمد والترمذى وحسنه وابن حبان والبيهقى وابن أبى الدنيا عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ «**فى قوله تعالى** ﴿**وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ**﴾ [الواقعة: ٣٤] **قال مـا بين الفراشيـن كما بين السـماء والأرض**» قال الترمـذى قال بعض أهل العلم فى تفسيـر معناه أن الفرش فى الدرجات كما بين الـسماء والأرض، وأخرج أبو نعيم عن سعـيد بن جبيـر فى قوله تعالى ﴿**بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**﴾ [الرحمن: ٥٤] قـال: وظواهرها من نور جـامـد. (وأما أرائكهـم وسررهم)، قـال تعـالى ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ**﴾ [الإنسان: ١٣] وقال تعالى ﴿**عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ**﴾ [الواقعة: ١٥] وأخرج البيهقى من طريق أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى على سرر موضونة قال مصفوفة وفى قوله تعالى ﴿**رَفْرَفٍ خُضْرٍ**﴾ [الرحمن: ٧٥] قال المجالس، وعبقرى حسان قـال الزرابى، ونمارق مصفوفة قال المرافق، وأخرج هناد والبيـهقى عن سـعيد بن جـبير قـال الرفرف رياض الجنة، والعـبقرى عـتاق الزرابى، (وأما خيامهم) فقال تعالى ﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ [الرحمن: ٧٢] وأخرج الشيخان والترمذى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال «**الخيمة درة مجوفـة طولها فى السماء سـتون ميلاً فى كل زاوية منها للـمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن**» وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن ابن عـباس قال الخيمة درة مجوفـة فى فرسخ لها أربعة آلاف مصـراع من ذهب، وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن مسعود عن النبى ﷺ «**قال الخيام درة مجوفة**» أخرجا مثله عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه موقوفًا وابن جرير مثله عن أبى مجاز مرفوعًا مرسلاً، وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحـدة فيها سبعون بابًا من در وأخرج هناد عن عمرو بن ميمون رضى الله عنه قال الخيمة درة مجوفة، وأخرج مثله عن مجاهد وأبى الأحوص وأخرج هناد عن مجاهد فى قوله تعالى (متقابلين) قال لا يرى بعضهم قـفا بعض، وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل السادس: فى أزواج أهل الجنة وعددهم والأعمال الموجبة لذلك وجماع أهل الجنة وغنائهم

(أما الأزواج) فقال تعالى: ﴿**أزواج مطهرة**﴾ وأخرج الشيخان عن أبى هريرة إنهم تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء فقال ألم يقل رسول الله ﷺ «**ما فى الجنة رجل إلا وله زوجتان إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة ما فيها عزب**» وأخرج الترمذى وصححه والبزار عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**يزوج العبد فى الجنة سبعين زوجة**» قالوا يا رسول الله أيطيقها قال «**يعطى قوة مائة**» وأخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء» (أما الأعمال الموجبة لذلك) فدليله ما أخرجا أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة عن معاذ بن أنس أن النبى ﷺ قال «**من كظم غيظًا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء**» وأخرج أنس أن النبى ﷺ قال «**كنس المساجد مهور الحور العين**» وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال «**إن فى الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيفة عن يمينها وعن يسارها كذلك وهى تقول أين الأمَّارون بالمعروف والناهون عن المنكر**» وأخرج أيضًا عن ابن عباس قال «**إن فى الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بزقت فى البحر لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى**» وأخرج الترمذى وحسنه وابن ماجة عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال «**لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك رحيل يوشك أن يفارقك إلينا**»، (وأما جماع أهل الجنة)، فقال تعالى ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ [يس: ٥٥] وأخرج ابن أبى حاتم وابن أبى الدنيا عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿**فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾ قال فى افتضاض الأبكار، وأخرج أبو يعلى والطبرانى والبيهقى عن أبى أمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ هل يتناكح أهل الجنة فقال[1] «**دحامًا دحامًا لا**

---

(١) (قوله: دحامًا دحامًا لا) قال في القاموس دحه كمنعه دفعه اهـ أي دفاعًا دفاعًا وفي رواية دحما دحما وهو قياس المصدر أي دفعا دفعااهـ.

منى ولا منية» وأخرج البزار والطبرانى فى الصغير وأبو الشيخ فى العظمة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ **«أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارًا»**، ثم إنه اختلف هل فى الجنة توالد ونسل فقال بعضهم بوجوده واستدل بما أخرجه الترمذى وحسنه وأبو الشيخ عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ **«المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى»** قال الترمذى اختلف أهل العلم فى هذافقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا يروى عن طاوس وعن مجاهد والنخعى، وقال إسحق بن إبراهيم فى هذا الحديث إذا اشتهى ولكن لا يشتهى اهـ من الترمذى، قال فى البدور وقال جماعة بل وفيها الولد إذا شتهاه الإنسان ورجحه الأستاذ أبو سهل الصعلوكى، قلت ويؤيده أن أول حديث أبى سعيد عن هناد فى الزهد قلنا يا رسول الله إن الولد من قرة العين وتمام السرور فهل لا يولد لأهل الجنة فقال **«إذا اشتهى»** وأخرج الأصبهانى فى الترغيب عن أبى سعيد الخدرى ولم يرفعه قال إن الرجل من أهل الجنة يتمنى الولد فيكون حمله ورضاعه وفطامه وشبابه فى ساحة واحدة، (وأما غناؤهم وسماعهم) قال الله تعالى ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال البيهقى عن يحيى بن كثير الحبر لسماع فى الجنة وأخرج الطبرانى والبيهقى عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال **«ما من** عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور يغنيان باحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشياطين ولكن بتحميد الله وتقديسه، وأخرج الطبرانى فى الأوسط والبيهقى وابن أبى الدنيا بسند جيد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال **«إن الحور فى الجنة ليغنين يقلن نحن الحور الحسان هدية لأزواج كرام»** وأخرج أحمد فى الزهد والبيهقى عن مالك بن دينار قال يقام داود عليه السلام عند ساق العرش فيقول الرب يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا فيقول يارب وكيف وقد سلبتنيه فيقول إنى سأرده عليك اليوم فيندفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنة، وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعى فى قوله تعالى ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال، هو السماع إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا أوحى الله إلى رياح يقال لها الهفافة فدخلت فى آجام قصب اللؤلؤ الرطيب فحركته فضرب بعضه بعضًا فتطرب الجنة فإذا طربت لم يبق

فى الجنة شجرة إلا وردت، وأخرج الاصبهانى فى الترغيب عن أبى هريرة قال قال «رجل يارسول الله هل فى الجنة سماع فإنى أحب السماع قال نعم والذى نفسى بيده إن الله ليوحى إلى شجرة أن أسمعى عبادى الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكرى فتسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها قط بالتسبيح والتقديس» وأخرج الحاكم فى نوادر الأصول عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ «من استمع إلى صوت غناء لم يؤذر له أن يسمع الروحانيين فى الجنة قيل ومن الروحانيين يا رسول الله قال قراء أهل الجنة» وأخرج الديلمى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة قال الله أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم عن مزامير الشيطان ميزوهم فيمرون فى كثبان المسك والعنبر ثم يقول للملائكة أسمعوهم من تحميدى وتسبيحى وتهليلى قال فيسبحون بأصوات لم يسمع السامعون مثلها قط» وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل السابع: فى أوانيها وريحانها وزرعها وخيلها وطيرها ودوابها والوسيلة

(أما أوانيها) قال الله تعالى ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ۝ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ [الدخان: ٧١] وأخرج البيهقى عن ابن عمر فى قوله تعالى ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الأخرى وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الأكواب الجزار من فضة وأخرج هناد عن مجاهد قال الآنية الاقداح والأكواب المكوكيات وتقديرها أى فى الآية إنها ليست بالملأى التى تفيض، وعن مجاهد قال الأكواب التى ليس لها آذان (وأما ريحانها) فأخرج ابن المبارك عن ابن عمر قال الحناء سيد ريحان الجنة وإن فيها من عتاق الخيل وكرائم النجائب يركبها أهلها (وأما زرعها) أخرج البخارى عن زبى هريرة إن النبى ﷺ قال «إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له ألست فيما شئت فقال بلى ولكنى أحب الزرع قال فبذر فبادر الطرف

نباته استواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء» وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة قام رجل فقال يا رب ائذن لى فى الزرع فأذن فبذر حبه فلا يلتفت حتى يكون طول كل سنبلة اثنى عشر ذراعًا لا يبرح مكانه حتى يكون منه ركام أمثال الجبال. (وأما خيلها وطيرها ودوابها) فقد أخرج الطبرانى والبيهقى بسند جيد عن عبد الرحمن بن ساعدة قال كنت أحب الخيل فقلت يا رسول الله هل فى الجنة خيل قال إذا أدخلك الله الجنة كان لك فيها فرس من ياقوت لها جناحان تطير بك حيث شئت» وأخرج الترمذى والبيهقى عن بريدة أن رجلاً قال يا رسول الله هل فى الجنة خيل؟ قال «إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك فى الجنة حيث شئت إلا ركبت» فقال آخر يا رسول الله هل فى الجنة إبل فلم يقل له مثل الذى قال لصاحبه قال «إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» وأخرج البيهقى عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ «إن فى الجنة طيراً أمثال البخاتى» قال أبو بكر إنها الناعمة يا رسول الله من يأكلها أنعم منها «وأنت ممن يأكل منها يا أبا بكر» وأخرج هناد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «إن فى الجنة طيراً أمثال البخت تأتى الرجل فيصيب منها ثم تذهب كأن لم ينقص منها شيء» وأخرج ابن ماجة عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ قال «أحسنوا إلى المعز وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة» وأخرج عن ابن عمر إن النبى ﷺ قال «عليكم بالغنم فإنها من دواب الجنة»، (أما الوسيلة) ، فقد أخرج مسلم عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة»، قال فى المواهب اللدنية وأما تفضيله ﷺ فى الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة» قال شرحها الزرقانى ووجه تخصيص الدعاء له ﷺ

بالوسيلة والفضيلة بعد الأذان أنه لما كان دعاء إلى الصلاة وهى مقربة إلى الله تعالى ومعراج المؤمنين ومما امتن الله به علينا بإرشاده وهدايته ﷺ لنا ناسب أن يجازى على ذلك بالدعاء بالتقرب إلى الله ورفعة المنزلة فإن الجزاء من جنس العمل. اهـ، قال الإمام القسطلانى قال الحافظ عماد الدين بن كثير الوسيلة علم على أعلى منزلة فى الجنة وهى منزلة رسول الله ﷺ وداره فى الجنة وهى أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسل إليه إذ تقرب وتطلق على المنزلة العلية قال ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى وهى أعلى درجة فى الجنة فأمر النبى ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان قال، وأيضًا فإن الله قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الهدى والايمان، (وأما الفضيلة) قال فهى المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسير للوسيلة، وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ «**الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لى الوسيلة**» قال رواه أحمد فى المسند قال وعن على عن النبى ﷺ قال «**إذا سألتم الله فسلوا لى الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن معك**» قال الشارح أى على سبيل التبعية لأنها لا تكون إلا لواحد قال على وفاطمة والحسن والحسين. اهـ (إن قلت) قد ورد ما يقتضى بظاهره تسوية المحبين فى المنزلة وكما هو ظاهر قوله تعالى ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ وكما فى الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يا رسول الله متى الساعة قال «**وما أعددت لها**» قال: لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله قال: «**أنت مع من أحببت**» قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبى ﷺ أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم (قال) الإمام القسطلانى ليس المراد بكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل فى درجة واحدة لا أن هذا يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وإن بعد المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضًا وإذا أرادوا الرؤية والتلاقى قدروا على ذلك فهذا هو المراد

من هذه المعيــة قال الشارح أى لا المســاواة فى المنزلة، قال ولو عــجزوا عن ذلك لتحسروا ولا حسرة فى الجنة. اهـ قال الإمام القسطلانى فى المواهب ريئت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لى قيل لها بماذا قالت بمحـبتى لرسول الله ﷺ وشـهوتى النظر إليه نوديت من اشـتهى النظر إلى حبيبنا نستحى أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه، قال وانظر قوله تعالى ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الزمر: ٢٩] وإن طوبى اسم شجرة فى الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل وإن أغـصانها لترى من وراء سـور الجنة وإن أصلها فى دار النبى ﷺ وفى دار كل مؤمن منها غصن فما من جنة من الجنان إلا وفيها من شجـرة طوبى ليكون سر كـل نعيم ونصيـب كل ولى من سره عليـه الصلاة والسلام وإنه صلى الله عليه وسلم ملأ الجنة فلا ولى يتنعم فى جنته إلا والرسول متنعم بتنعـمه لأن الولى ما وصل إلى ما وصل إليـه من النعيم إلا باتباعه لـنبيه ﷺ فلهذا كان سر النبوة قائمًا يه فى تنعمه قال وفى البحر لأبى حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] قيل هى عين فى دار رسـول الله ﷺ تنفجـر إلى دور الأنبياء والمؤمنين من الله عـلينا بجاه نبيه بصـحبته ﷺ والتـوفيق إلى ما يحبـه ويرضاه وصلى الله على سيدنا مـحمد وعلى آله وأصحـابه وأزواجه وذريتـه وآل بيته كلمـا ذكرك الذاكـرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل الثامن

فى تفسيـر بعض ما جاء من الآيات إجمـالاً وقوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] وقال تـعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، أخـرج البيهـقى عن مجـاهد فى الآية قال هو استئذان الملائكة عليهم لا تدخل عليهم إلا بإذان وأخرج ابن وهب عن الحسن البصرى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين عـلى خـيل من يا قـوت أحـمر لـها أجـنحـة من ذهب إذا رأيت ثم رأيت**

نعيما وملكا كبيرًا وقال تعالى ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] الاستبرق الديباج الصفيق الكثيف، والسندس الرقيق الخفيف وقال المسيب ابن شريك قال النبى ﷺ فى قوله تعالى «**إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكار عربا أترابا**» قال «**من عجائز الدنيا أنشأهن خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا**» فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبى ﷺ ليس هناك وجع وقال تعالى ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم: ٦٢] قال العلماء ليس فى الجنة ليل ولا نهار وإنما هم فى نور أبدا وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ذكره أبو الفرج بن الجوزى، وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**﴾ [الإنسان: ١٤] يعنى ظلال الشجر ﴿**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**﴾ [الإنسان: ١٤] أى ذللت لهم ثمارها يتناولون منها كيف شاؤا إن قام ارتفعت بقدرة الله، وإن قعد تدلت إليه وإن اضطجع تدلت إليه حتى ينالها قال رسول الله ﷺ «**والذى نفسى بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكؤن على فرشهم فما تصل إلى فم أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى**» وقال تعالى ﴿**يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ**﴾ [المطففين: ٢٥] يعنى الخمرة الصافية الطيبة البيضاء وقوله مختوم يعنى ختم ذلك الشراب، ومنع من أن تمسه الأيدى إلى أن نفك ختمه الأبرار وقوله: ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ [المطففين: ٢٦] أى طينته التى ختم بها عليه مسك بخلاف خمرة الدنيا فإن ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك، وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك. اهـ من الخازن، ﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين: ٢٦] أى فى الدنيا بالأعمال الصالحة ﴿**وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ**﴾ [المطففين: ٢٧] أى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء متسنما فينصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها وقال تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا**﴾ [الإنسان: ١٩] أخرج ابن المبارك وهناد والبيهقى عن ابن عمر قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى إليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه وتلا هذه الآية، وأخرج ابن أبى الدنيا عن أنس قال قال رسول الله ﷺ:

«إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم وعندهم قاصرات الطرف [أى نساء] قد قصرن طرفهن على أزراجهن فلا ينظرن إلى غيرهم» وقوله: ﴿ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦] العبقرى الفرش قال ابن عباس الواحدة عبقرة وهى النمارق أيضًا فى قوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٥] وفى الخازن فى قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٤] قال ابن عباس ألوانها ذهب مكالة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها فإذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع إلى موضعها، وقوله: ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٤] يعنى عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشراب منها وجدوه، وقوله: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ يعنى وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض أيما أراد أن يجلس ولى الله على واحدة واستند إلى الأخرى. اهـ من الخازن (وأما) قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٨] فإن ظاهر الاستثناء يقتضى عدم التأبيد وخروجهم منها فقد أجيب عن ذلك بوجوه، منها ما قاله العلامة الأمير بقوله قيل الاستثناء من أول المدة باعتبار تأخر العصاة وقيل يخرجون لمرج الجنة كالتنزه وفى كلام العارف الشعرانى ما يوضحه أن الاستثناء بمعنى الشرطية التى لا تقتضى الوقوع وإنما هو إشارة لحضرة الإطلاق التى لا يبالى فيها بشىء فليتدبر. اهـ أمير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل التاسع: فيما يقولونه بعد دخولهم الجنة وما يقال لهم وأكثر أهل الجنة وصفوفها وذكرهم وقراءتهم وفتوى العلماء واحتياج الناس إليهم فيها

(فأما ما يقولونه بعد دخولهم الجنة وما يقال لهم) قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ [الزمر: ٧٤] الآية ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [فاطر: ٣٤] الآية وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:

٤٣] ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وقال: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ [الطور: ٢٥، ٣٦] الآية وأخرج أحمد وابن حبان عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**أول من يدخل الجنة من خلق الله فقراء المهاجرين الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاءاً فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**» وفى المواهب اللدنية قال جميع العبادات تزول فى الجنة إلا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذى يدل عليه الحديث الصحيح أنهم يلهمون ذلك كإلهام النفس، كما فى مسلم من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يمتخطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاءاً ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس**» بمعنى أن تسبيحهم وتحميدهم يجرى من الأنفاس فليس عن تكليف وإلزام وإنما هو عن تيسير وإلهام، قال ووجه التشبيه أن نفس الإنسان لابد له منه ولا كلفة ولا مشقة فى فعله وكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم صوابغ نعمه وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخالته وألسنتهم ملازمة لذكره، وقد أخبر الله عن شأنهم فى ذلك بقوله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] قال الشارح: أى طلبهم ما يشتهون فى الجنة أن يقولوا سبحانك اللهم فإذا قالوا ذلك وأومأوا طلبوه حضر بين أيديهم. اهـ وقال فى الخازن هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى إحضار الطعام فإذا أرادوه قالوا سبحانك اللهم فيأتوهم به فى الوقت على حسب ما يشتهون واضعين له على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضا فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:

١٠]، (وأما أكثر أهلهـا وصفوفها)، أخرج الشيخـان عن عمر أن بن حصين عن النبى ﷺ قال: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» وأخرج عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «**وقفت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون [أى الغنى والمال الصارفون له غير استحقاقه الشرعى وإلا فالراجح عندهم أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر] غير أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار ووقفت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**» وأخرج البزار عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**أكثر أهل الجنة البله**» قال العلماء المراد البله فى أمر دنياهم وهم فى الآخرة أكياس أى فيما يتعلق بآخرتهم حذاق، قال الأظهرى: الأبله الذى طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه، وقال الذهبى البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدر وحسن الظن بالناس، وأخرج مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**» قال القرطبى فى تأويله وجهان أحدهما أنها مثلها فى الخوف والهيبة فإن الطير أكثر الحيوانات خوفًا وحذرًا، والثانى أنها مثلها فى الضعف والرقة كما جاء فى وصف أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة ويحتمل وجها ثالثا أنها مثلها خالية من كل ذنب سالمة من كل عيب لا خبرة لهم بأمور الدنيا فيكون كالحديث السابق فى البله، وأخرج مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبى ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتو جواظ متكبر**» قال القرطبى يعنى ضعيفا فى أمور الدنيا قويا فى أمور دينه والعتو الجافى الشديد الخصومة، وقيل الأكول الشراب الظلوم، وقيل الفظ الغليظ الذى لا ينقاد لخير، والجواظ بتشديد الواو الجموع المنوع، وقيل الجافى القلب وقيل الكثير اللحم المحتال، (وأما صفوفها) فأخرج الترمذى وحسنه والحاكم وصححه البيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم**» ورواية المواهب «**أهل الجنة عشرون ومائة صنف أنتم منها ثمانون**» قال وعن عبد الله بن سلام لما نزلت هذه الآية ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ**﴾ [الواقعة: ٣٩] قال ﷺ: «**أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة**» (وأما ذكرهم وقراءتهم) فهو

التسبيح والتحميد أخرج مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا ينزفون، طعامهم جشاء ورشحهم كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس**» والنزيف دم الحيض (وأما فتوى العلماء) الذين كان حالهم فى الدنيا اشتغالهم بربهم فرحًا وسرورًا بإهداء الحق لهم هذه النعمة العظمى مع كونهم أشد الناس خشية وخوفًا من ربهم ليس لهم دعوى علم تحولهم عن الحق وإنما وقع من بعض الكاملين هفوات بأنه بلغ الغاية القصوى فى العلوم دون أهل زمانه فيكمل لهم الحق تعالى صفاتهم ويؤدبهم على يد عاقل أو غيره فيرجعون لكمال الأدب والعجز، قال العارف الشعرانى فى العهود وكثيرًا ما يجد العالم عند بعض العوام علوم ماليست عنده، وقد وقع للشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه أنه ركب البحر فهاجت الريح فقال: اسكن يا بحير فإن عليك بحرًا من العلم فسكن البحر بمجرد قوله، ثم طلعت له هائشة وقالت يا محيى الدين أسألك عن مسألة فإن أجبت عنها فأنت بحر علم كما قلت وإلا فأنت جاهل لا ينبغى لك دعوى العلم فقال لها ما هى فقالت إذا مسخ الله زوج امرأة هل تعتد عدة الأحياء أو عدة الأموات؟ فما درى الشيخ يقول شيئًا فقالت الهائشة تجعلنى شيخة لك وأنا أقول لك فقال لها: نعم إن مسخ حيوانا اعتدت عدة طلاق وإن مسخ جمادا اعتدت عدة وفاة، قال العارف فمن ذلك اليوم ما سمع من الشيخ محيى الدين دعوى علم حتى مات، وحكاية الحسن البصرى وابن الشجرى فى ذلك وغيرهم رضى الله عنهم شهيرة ودليل ما ذكرنا ما أخرجه الديلمى وابن عساكر بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة وذلك أنهم يرون الله فى كل جمعة فيقول تمنوا على ما شئتم فيلتفتون إلى العلماء ويقولون ماذا نتمنى على ربنا فيقولون تمنوا كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا**» وأخرج ابن عساكر عن سليمان بن عبد الرحمن قال بلغنى أن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى الدنيا فتأتيهم الرسل من قبل ربهم فيقولون سلوا ربكم فيقولون ما ندرى ما نسأل ثم يقول بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى العلماء الذين كانوا إذا أشكل علينا فى الدنيا شىء أتيناهم فيأتون العلماء فيقولون: إنا قد أتانا ربنا يأمرنا نسأل فما ندرى ما

نسأل فيفتح الله علــى العلماء فيقولون سلوا كذا وكذا فيــسألون فيعطون، وقد ورد أن أهل الجنة تتحسر على ترك الذكر فى الدنيا أخـرج الطبرانى والبيهقى بسند جيد عن معاذ بن جـبل قال قال رسول الله ﷺ: «**ليس يتحســر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا فيها**» (أقول) لعل المراد بأهل الجنة الذين يقع منهم التحسر من يكون من أهلها قبل دخولهم فيها وإلا فالتحسر نوع من الحزن ولا حزن فيها بنص الكتاب الشريف ويشهد لهذا رواية إلا كانت عليهم حسرة يوم القيامة، وذلك عند رؤيتهم لمنازلهم فى الجـنة قبل دخولهم فـيها بأن يكشف لهم عن حـجاب قلوبهم فينظرون بالبصر والبصيرة لمنازلهم فـيها كما فى لفظ البخارى «**وإن أحدهم لأعرف بمنزله فى الجنة أشد من معـرفته لمنزله فى الدنيا**» وأخرج أحمد والتـرمذى وابن حبان والحاكم وصححه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**ما قعد قوم مـقعدًا لم يذكروا الله فـيه ولم يصلوا على النـبى ﷺ إلا كان عليـهم حسـرة يوم القـيامـة وإن دخلوا الجنة للثواب**» والذكر أعم من أن يكون بالـتهليل أو التسـبيح ولذلك ورد عنه ﷺ «**من قال إذا أصبح سبحان الله ألـف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وكان آخـر يومه عتيقًا من النار**» أخرجـه الطبرانى والخرائطى وبالجـملة فقد ورد الحث على الذكـر مطلقًا منفردًا ومجتمعًا سرًا وجهرًا فمن الاجـتماع ما ذكره الأستاذ الحقنى فى رسالته فى آداب الذكـر قال روى الحـاكم عن شـداد بن أوس قال: إنا عند رسـول الله ﷺ فقال: «**ارفعـوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فقلنا فقـال اللهم إنك بعثتنى بهـذه الكلمة وأمرتنى بهـا ووعدتنى عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد**» ثم قال: «**أبشروا بأن الله قد غفر لكم**» قال وفى رواية أخرى عنه عليـه الصلاة والسلام: «**لا يقعد قـوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتـهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**» وفى رواية «**إذا مـررتم برياض الجنة فارتعـوا**» قالوا يا رسـول الله وما رياض الجنة؟ قـال: «حلق الذكر» وفى رواية قـال: «**مـجـالس العلم**»، ثم قـال القطب المذكـور فى رسالتـه وينبغى للذاكـر أن يكون فى غاية الخـشوع والأدب مـلاحظًا للمذكور كأنه واقف بين يديه ولا يضره التمايل يمينًا وشـمالا فيبدأ بالنفى من جهة اليمين قـال لأن النفس الأمارة فيهـا والقلب فى الجهة اليسـرى وهو محل الأنوار والأسرار فـيجعـل لفظ الجلالة الشريفـة عليه ليلتـقى أنواره وأسراره والذكـر سرًا أفضل من الجهر لمن خاف رياء أو أذية نائم أو قـارئ وإلا فالجهر أفضل لأن العمل

فيه أكثر ويبعد الكسل ويوقظ قلب الذاكر ويجمع همته إلى الفكر إليه ويطرد النوم ويزيد فى النشاط تمايلا يمينًا وشمالا قال ولا عبرة بما أنكره بعض الناس على القول فى التمايل وقولوا لم يرد بذلك نـص وإنما وردالحث على ذكر الله من غير تمايل. قال الأستاذ المـذكور والجواب أن الحافظ أبا نعيم روى عن الفضـيل بن عياض أنه قال كـان أصحاب رسـول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمايـلوا يمينًا وشمالا كـما تتمايل الشجرة فى الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع إلى وراء فاغتنم ذلك يا أخى وإن كنت منكرًا ولابـد فأنـكر على أهل المحـرمـات بالنص. اهـ. (فـائدة): قـال العلامة الأمير فى حـاشيته على عبد السلام ينبغى للذاكـر عند ابتدائه بذكر الجلالة أن يلاحظ كونها آية فـى كتاب الله فإنه يثاب حـينئذ وإن لم يلاحظ المعنى فى كل مرة وصلى الله على سـيدنا محمد وعـلى آله وأصحابه وأزواجه وذريتـه وآل بيته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

الفصل العاشر: فى صفة أهل الجنـة وأسنانهم وألوانهم وطولهم وعرضهم وأسمائهم ولسانهم وزيارتهم لإخوانهم ومذاكراتهم ما كان منهم فى الدنيا وزيارتهم الأنبياء وأصحاب الدرجات وإطلاعهم على أهل النار وكلامهم لهم والخاتمة التى تتعلق بالنظر لوجه الله الكريم

(أما صفتـهم وأسنانهم وألوانهم وطولهم وعرضهم وأسماؤهم ولسـانهم) فبيانه ما أخـرجه الشيـخان عن أبى هريرة قال: قـال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة على صـورة القمـر ليلة البدر والذيـن يلونهم على أشد كـوكـب درى فى السمـاء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتـمخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة** (بفتح الهمزة أو ضمـها مع ضم اللام وتشديد الواو العود الطيب) **وأزواجهم الحـور العين أخلاقـهم على خلق رجل واحد على صـورة أبيهم آدم ستين ذراعًا فى السماء**»، وأخرج أحمد والطبرانى فى الأوسط وابن أبى الدنيا بسند حسن عـن أبى هريرة قال قـال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة جـردًا مردًا بيضًا جعـدًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة وهم على خلـق آدم طولهم ستـون ذراعًا عرض سبعة أذرع**» وأخرج الترمذى وأبو يعلى وابن أبى الدنيـا عن أبى سعيد عن

رسول الله ﷺ قال: «**من مات من أهل الدنيا من صغير وكبير يردون أبناء ثلاث وثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبدًا وكذلك أهل النار**» وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعًا بذراع الملك وعلى حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين وعلى لسان محمد جردًا مردًا مكحلين**»، وأخرج الطبرانى والبيهقى بسند حسن عن المقداد بن معد يكرب سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر ما بين السقط إلى الشيخ الفانى يوم القيامة فى خلق آدم وقلب أيوب وحسن يوسف مردًا مكحلين** قلنا يا رسول الله فكيف بالكافر؟ قال: «**يغلظ للنار حتى يصير مثل غلظ جلدة أربعين ذراعًا**» قال القرطبى يكون الآدميات فى الجنة على حسن واحد وأما الحور فأصناف مصنفة صغارًا وكبارًا وعلى ما اشتهت أهل الجنة، وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال: أهل الجنة جرد مرد ليس لهم لحى إلا ما كان من موسى بن عمران فإن لحيته تضرب إلى صدره، وأخرج أبو الشيخ فى العظمة وابن عساكر عن جابر أن النبى ﷺ قال: «**ليس أحد يدخل الجنة إلا جردًا مردًا إلا موسى بن عمران فإن لحيته تبلغ سرته وليس أحد يكنى فى الجنة إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد**»، وأخرج ابن عساكر عن كعب قال ليس أحد فى الجنة له لحية إلا آدم عليه السلام له لحية سوداء إلى سرته وذلك لأنه لم يكن له لحية فى الدنيا وإنما كانت اللحى بعد آدم وليس يكنى فى الجنة غير آدم يكنى فيها أبا محمد، وأخرج تمام فى فوائده وابن عدى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة يوم القيامة يدعون بأسمائهم إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد**» وأخرج ابن عدى والبيهقى فى دلائل النبوة وابن عساكر عن على قال قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة ليست لهم كنية إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد تعظيمًا وتوقيرًا**»، وأخرج أبو الشيخ عن بكر بن عبد الله المزنى قال ليس أحد فى الجنة له كنية إلا آدم يكنى أبا محمد أكرم الله بذلك محمدًا ﷺ، وأخرج الطبرانى والحاكم والضياء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «**أحب العرب لثلاث لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى**»، وأخرج ابن المبارك عن ابن شهاب قال: لسان أهل الجنة عربى، قال القرطبى ولسانهم إذا خرجوا من القبور سريانى. وقد تقدم، وقال سفيان بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة

بالسرنانية فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية. (وأما زيارة أهل الجنة إخوانهم وزيارتهم الأنبياء وأصحاب الدرجات العلى ومذاكرتهم ما كان منهم فى الدنيا واطلاع أهل الجنة على أهل النار وكلامهم لهم). فبيانه ما أخرجه البزاز والبيهقى وابن أبى الدنيا وأبو الشيخ بسند حسن عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجىء سرير هذا إلى سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا سرير الآخر فيتحدثان ويتكئ هذا ويتحدثان بما كان فى الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه يا فلان أتدرى يوم غفر الله لنا فى يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا**»، وأخرج الطبرانى وابن أبى الدنيا عن أيوب عن النبى ﷺ قال: «**إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت وليس فى الجنة من البهائم إلا الإبل والطير**»، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد عن عطاء مرسلا بلفظ «**ليس فى الجنة غيرها وغير الطير**» وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة قال إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون، عليها رحال ملس تنثر مناسمها غبار المسك خطام أحدهما خير من الدنيا وما فيها، والعيس إبل فى بياضها ظلمة خفيفة، والجون يطلق على الأبيض والأسود والمناسم بنون وسين مهملة جمع منسم وهو باطن خف البعير، وأخرج الطبرانى وأبو نعيم والضياء وحسنه عن عائشة رضى الله عنها قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى ومن أهلى ومن ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك وما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك فإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإنى إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه شيئًا حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء :٦٩] (وأما اطلاع أهل الجنة على أهل النار) قال تعالى: ﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾ [الصافات: ٥٥] أخرج هناد عن ابن مسعود فى الآية قال اطلع ثم التفت إلى أصحابه فقال لقد رأيت جماجم القوم تغلى حمانا الله منها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وآل بيته كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. (خاتمة فى رؤيته

سبحانه وتعالى) وهى خاتمة الكتاب وأجله قدرًا وهى الغاية التى شمر إليها المحبون وتسابق إليها المتسابقون وتنافس فيها المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون، وعند نوال أهل الجنة لها ينسون مـا هم فيه من النعيم ولو حجب الله عن بعض أحبـابه فيها الاستـغاث من الجنة كمـا يستغيث أهـل النار من الجحيم، ولذلك قـال البسطامى سلطان العارفين لله رجال لو حجب الله عنهم فى الجنة طرفـة عين لاستغاثوا منها كما يسـتغيث أهل النار من الجحيم فيـالها من نعمة اتفق عليهـا الأنبياء والمرسلون والصحابة والتـابعون ولا عبرة بإنكار أهل البـدع فإنهم منها مبعـدون وعن جميع الأديان منسلخون وبحبـائل الشيطان متمسكون ولسنة رسول الله وأهلـها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون ولذلـك كانوا عن ربهم لهم المحجبون وعن بابه مطردون وقد دل عليـها الكتاب والسنة والإجمـاع وأنه يرى منزها عن المقابلة والجهة والمكان إذ الرؤية على مذهب أهل الحق قوة يجعلها الله فى خلقه لا يشترط فيـها اتصال الأشـعة ولا مقـابلة المرئى، ويراه جمـيع من يدخل الجنة من الإنس والجن والأمم السابقـة والصبيـان والبله والملائكة على القول الأرجـح خـلافًا لابن عبد السلام وبعض الحنفية قال شيخ الإسلام الشبراملسى فى حاشيته على المواهب نقل إمـام أهل السنة والجمـاعة الشيـخ أبو الحسن الأشعـرى فى كتـابه الأيانة فى أصول الديانة مـا نصه أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ثم رؤية نبـيه ﷺ فلذلك لم يحرم الله أنبيـاءه المرسلين وملائكته المقربين وجمـاعة المؤمنين والصديقين النظر إلى وجهه الكريم. اهـ وذلك يتفاوت باعتبـار مقامات أهلها فمنهم من يراه بمقدار كل عام ومنهم من يراه بمقدار كل جمعة ومنهم من يراه غدوة وعشية ومنهم من لا يحجب عن رؤيتـه جمعًـا بين الروايات بذلك، وتمسكت المعتزلة عن نـفيها بشـبه عقلية أقواها شـبهة المقابلة قالوا لا تتعلق الرؤية عـقلا إلا بمن هو فى جهة ومكان ومسافة مخصوصة لأنه يقال لـو كان مرئيًا لكان مقابلا للرائى للضرورة فيكون فى جهة وحـيز وهو محال، ولو كان مـرئيًا إما أن يكون كله فيكون محـدودًا متناهيًا محصـورًا وأما بعضه فـيكون متبعضًـا متحيزًا، وقـد أشار أهل السنة إلى رد هذه الشبـهة التى نشـأت من فرط جـهلهم بسنة سيـد الأنام وذلك لأن هذه الرؤية بلا كيف أى تكيف للمـرئى من مقابلة وجهه ومـسافة مخصـوصة به بل يجب تجرده

عنها فإن الرؤية نوع من الإدراك يخلقه الله تعالى متى شاء ولو يتوقف حينئذ على تحيز وجهه وإنما هى بحسب رؤية الرائى ومنشأ ماسبق لأهل الاعتزال من تمام الغباوة فى قياس القديم على الحادث فإن رؤية الحق سبحانه وتعالى تسكر عقول الرائين من تمام لذتها فلا يكون عندهم فكرة فى ذلك، ولذلك قال العلامة الأمير قرر لنا شيخنا أنهم يغيبون من شدة النعيم فإذا أفاقوا لا يعون شيئًا يخبرون به واستدلوا أيضًا على نفيها بظاهر قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قالوا إن نفى إدراكه تعالى وارد مورد التمدح والثناء فيكون نقيضه وهو الإدراك بالبصر نقصًا وهو على الله تعالى محال، ونحن نقول لا نسلم أن الإدراك بالبصر المنفى فى الآية الكريمة هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة وهى التى تكون على وجه الإحاطة بجوانب المرئى فالادراك المنفى فى الآية أخص من الرؤية فلا يلزم من نفى الإدراك على هذا نفى الرؤية ولا من كون نفيه مدحًا كون الرؤية نقصًا وقد اشتهرت هذه النزعة عن صاحب الكشاف حيث اشتهر عنه

لجماعة سموا هواهم سنة	وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه فتخرفوا	شنع الورى فتستروا بالبلكفه

أى بقولهم بلا كيف ولا انحصار وقال الأستاذ ابن المنير وحيث انتقل للهجو فقد أذن النبى ﷺ لحسان فيه.فنقتدى به ونقول:

وجماعة كفروا برؤية ربهم	هذا لوعد الله ما لن يخلفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم	إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه

وقال أبو حيان أيضًا فى الرد عليه:

شبهت جهلا صدر أمة أحمد	وذوى البصائر بالحمير الموكفة
وجب الخسار عليك فانظر منصفا	فى آية الأعراف فهى المنصفة
أترى الكليم أتى بجهل ما أتى	وأتوا شيوخك ما أتوا عن معرفة
أن الوجوه إليه ناظرة بذا	جاء الكتاب فقلتم هذا سفه
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى	فهو الهوى بك فى المهاوى المتلفه

وقد اشتهر عنه أنه تاب قبل مماته حيث قال:

أمنن علـى بتــوبة أمــحـــو بهــا ... مــا كــان منـى فى الزمــان الأول

وقول الأسـتاذ أبـى حيان أتـرى الكليم يشيـر بذلك إلى الاستـدلال من الآية الشريفة على جـوازها وإمكانها حيث أخبر سبـحانه وتعالى عن أعلم الخلق به فى زمانه وهو كليمه ونجيبــه موسى أنه سأله النظر إليه فقال له: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية ووجه الدليل منها من وجوه كما حققه المحقق ابن الجوزى فى كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفـراح حيث قال وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة أحـدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم أن يسأل ربه مـا لا يجوز عليه فـهو من أبطل الأباطيل وأعظم المحـال. الثانى أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه ولهذا لما سأل نوح ربه نجاة ابنــه أنكر عليه ســؤاله وقال: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: ٤٦] الثـالث أنه أجاب بـقوله لن ترانى ولم يـقل إنى لا أرى ولا إنى لست بمرئى ولا تجوز رؤيتى والـفرق بين الجوابين ظاهر لمن تـأمله وهذا يدل على أنه سبـحانه وتعالى يُرى ولكن موسى لا تحـتمل قواه رؤيته تعـالى فى هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى أهــ. والأنسب للمحقق فى رالتعليل أن يزيد غير نبينا وحبيبنا مـحمد ﷺ والثبوت قواه ﷺ عن موسى فقـد ثبت له ﷺ فى الدنيا كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [النجم: ١١] ولذلك كان السر فى ترجيع موسى له ﷺ ليلة الإسراء اقـتباس الأنوار من وجهه الشريف وإن كان الحامل ظاهرًا لطلب التخفيف كمـا فى المواهب وشراحها وللعلامة الأمير فى حاشيته على عبد السلام ومن كلام الأستاذ الوفائى

والسر فى قـول موسى إذ يراجـعه ... ليـجـتلى النور فـيـه حين يشـهـده

يبـدو سناه على وجه الرسـول فيـا ... لله حـــــسن رســــول إذ يـردده

ولم تقع لغيـر نبينا عليه الصلاة والسـلام فى دار الدنيا بالإجماع غـاية ما تمناه العارفون الرؤية القلبية كقول ابن الفارض:

أنلنـا مع الأحـبـاب رؤيتـك التى إليـهـا قلوب العـارفين تسـارع

ومن ذلك قوله أيضًا:

وأباح طـرفى نـظرة أملتــهـا فـغـدوت مـعـروفًـا وكـنت منكرًا

وأما قوله:

وإذا سـألتك أن أراك حـقـيـقـة فاسمح ولا تجـعل جوابى لن ترى

مما يفيد بظاهره علو مـقامه عن موسى فأجـاب عنه العلامة الأمير فى حاشـيته على عبد السلام بأن رؤيته كل بحسبه أى فهو طالب للرؤية القلبية ولذلك قال فى محل آخر:

ابق لـى مـقلة لـعلـى يومـا قـبل مـوتى أرى بهـا من رآكـا

ثم قال الأسـتاذ ابن الجـوزى الرابع من الوجوه قـوله تعالى: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية فاعلم أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لـتجليه فى هذه الـدار فكيف بالبشـر الضعيف الذى خلـق من ضعف. الخامس أن استقرار الجـبل مكانه فى قدرته لكونه من الممكنات وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا فى ذاتها لم تتعلق بالممكن فى ذاته. السادس قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهذا من أبين الأدلـة على جواز الرؤية فإنه إذا جاز أن يتـجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عـقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبـيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامتـه. السابع من الوجوه أنه نال منه المخـاطبة والكلام والمناجاة ومن جـاز عليه التكلم والتكلـيم وأن يسمع كلامه بغير واسطة فـرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بإنكار التكلم وأما قوله تعالى: ﴿لن ترانى﴾ فإنما يدل على النفى فى المستقبل ولا يدل على دوام النفى ولو قـيـدت بالتأبيـد فكيف إذا أطلقـت قال تعـالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] إلخ أى مع قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك. الثانى من الآيات الدالة عليها قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] وقد أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى

نسب إلى الحى السليم من العمى والموانع اقتضى المعاينة والرؤية، قال المحقق ابن الجوزى ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**﴾ [التوبة: ٧٧] فإن الأحاديث الصحيحة صريحة فى أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة بل والكفار أيضًا قال كما فى الصحيحين فى حديث التجلى يوم القيامة ويكون حجبهم بعد ذلك حسرة. الثالث قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٥، ٢٦] قال المحقق ابن الجوزى المذكور فسر رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن والصحابة من بعده الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، ففى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال قرأ رسول الله ﷺ الذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادي يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهى الزيادة**» وكشف الحجاب فى الحديث معناه أن يرفع الموانع عن الإدراك وعن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب إنما هو فى حق الخلق لا الخالق، قال وفى رواية عن ثابت عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦] قال «**الذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم**» وفى رواية عن كعب «**الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله**». الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥] ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه، ولذلك قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه وفى هذه الآية أعظم دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة، ولذلك قال الحاكم حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد ابن إدريس الشافعى وقد جاءته وقعة من الصعيد فيها ما تقول فى قول الله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ**

﴿يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقال الشافعى لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضا قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول قال نعم وبه أدين لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى الدار الآخرة لما عبد الله عز وجل. الآية السادسة قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال الطبرى قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقال به من التابعين زيد بن وهب وغيره. الآية السابعة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] هذه الآية منادية نداء صريح أن الله سبحانه وتعالى يرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة، ولذا قال بعض المحققين من المفسرين وأن أبيت لا تحريفا وهو الذى لا يسميه المحرفون تأويلا فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها[1]، قال المحقق ابن الجوزى وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته مبادأة إلى الصريحة فى النظر بالعين صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين فى الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب مقاماته وتعديه فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] وإن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالإبصار كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩] إذا أثمر فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر، ولذلك قال الحسن نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنضرت بنوره، ولذلك قال فاسمع أيها السنى تفسير النبى ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية، وفى الحديث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ «فى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال فى البهاء والحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال فى وجه الله عز وجل» وفى رواية لعكرمة قال «ناضرة من النعيم إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظرًا».

(وأما الأحاديث عن النبى ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة) قال المحقق ابن الجوزى أحاديث الرؤية قد رواها أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد

(١) هكذا فى المطبوع وفى الكلام اضطراب؛ فليحرر. اهـ مصححه.

الخدرى وصهيب بن سنان الراوى وعبد الله بن مسعود الهذلى وعلى بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وعدى بن حاتم الطائى وأنس بن مالك والأنصارى وأبو ذر العقيلى وجابر بن عبد الله الأنصارى وأبو أمامة الباهلى وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص إلى أن قال فهاك سياق أحاديثهم من الأسانيد والسنن فتلقها أيها السنى بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل، قال وأما حديث أبى بكر الصديق فقال الإمام أحمد عن حذيفة عن أبى بكر قال أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبى بكر ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شأنا لم يصنعه قط قال فسأله فقال «نعم عرض على ما هو كائن فى أمر الدنيا وأمر الآخرة نجمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد ففظع بذلك الناس حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ إلى آخر حديث الشفاعة إلى قول عيسى انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد ﷺ فيشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجدًا قدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيرفع فإذا نظر إلى ربه عز وجل خر ساجدًا قدر جمعة أخرى فيقول عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيذهب ليقع ساجدًا فيأخذ جبريل بعضديه فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه على بشر قط فيقول أى ربى جعلتنى سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر حتى إنه الآن ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ثم يقال ادع الصديقين فيشفعون ثم يقال ادع الأنبياء قال فيجىء النبى ومعه العصابة والنبى ومعه الخمسة والستة والنبى وليس معه أحد ثم يقال ادع الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال فإذا فعلت الشهداء ذلك قال يقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئًا قال فيدخلون الجنة قال ثم يقول الله عز وجل انظروا فى النار هل تلقون من أحد عمل خيرًا قط فيجدون فى النار رجلاً

فيقولون هل عملت خيرًا فيقـول: لا غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع فيقول: الله -عز وجل- اسـمحوا لعـبدى كسـماحه إلى عـبيدى» وحـديث أبى نعيم عن الأسلمى عن النبى ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليغـدون فى حلة ويروحون فى أخرى كغدوا أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم -عز وجل-» وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التى يأتون ربهم -عز وجل- وحديث على -رضى الله عنه- «قال: إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيـقول: إن الله يأمركم أن تزوروه فيـجتمعـون فيأمر الله داود عليـه السلام فيـرفع صوته بالتسـبيح والتهليل ثـم توضع مائدة الخلد» قالوا: يا رسـول الله وما مائدة الخلد قال: «**زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فـيقولون: لم يبق إلا النظر فى وجـه ربنا -عز وجل- فيـتجلى لهم فيـخرون سجدًا فيقـال لهم لستم فى دار عمل إنما أنتم فى دار جزاء**» (ولنختم الكتاب) بحديث الكرامة ونضارة الوجه راجين من مـولى النعم أن يخلص قلوبنا من غياهب الغمم وأن يمن من فيـضه بانتظامنا فى سلـك أهل هذا النعيم، قال فى المواهـب اللدنية اعلم أن أعظم نعـيم الجنة وأكـمله التـمتع بالـنظر إلى وجه الرب تـبارك وتعـالى ورسوله ﷺ وقرة العـين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكـرامة الرضوان التى هى أكبـر من الجنات وما فـيها كـما قـال الله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التـوبة: ٧٢] قـال ولا ريب أن الأمـر أجل مما يخطر ببـال أو يدور فى خـيـال ولاسيما عند فـوز المحبين فى روضة الأنس وحظيرة القدس بمعيـة محبوبهم الذى هو غاية مـطلوبهم فأى نعـيم وأى لذة وأى قرة عيـن وأى فوز يدانى تلك المعـية ولذتها وقرة العين بهـا وهل فوق نعيم قرة العين بمعيـة الله ورسوله نعيم فلا شىء والله أجل ولا أجـمل ولا أكـمـل ولا أجلى ولا أحلى ولا أعلـى ولا أغلى من حضرة يجـتمع فيهـا المحب بأحبابه فى مشـهد مشاهد الإكرام حـيث يتجلى لهم حبيـبهم ومعبودهم الإله الحق جل جـلاله خلف حجاب واحد فى اسمـه الجميل اللطيف فيـنفهق، قال الشـارح بفتح أوله وسكون النون وفـتح الفاء وكسـر الهاء بعدها قـاف أى يتسع ويبـيض عليهم نور يسرى فى ذواتهـم فيبـهتون بفـتح الهاء وضمـها أى يتـحيرون من جـمال الله وتشـرق دواتهم بنور ذلك الجمـال الأقدس

بحضـرة الرسول ويقول لهم الحق جل جلاله: سـلام عليكم عبادى ومرحـبًا بكم أهل ودادى أنتم المؤمـنون الآمنون لا خـوف عليكم اليـوم ولا أنـتم تحـزنون أنتم أوليائى وجيرانى إنى أنا الله الجواد الغنى وهذه دارى قد أسكنتكموها وجنتى وهذه يدى مبـسوطة ممتدة عليكم وأنا ربكم أنظر إليكـم لا أصرف نظرى عنكم أنا لكم جليس وأنيس فارفعوا إلىّ حوائجكم فيقولون: ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم والرضا عنا فيقول لهم جل جـلاله: هذا وجهى فانظروا إليه وأبشروا فإنى عنكم راض ثم يرفع الحـجاب ويتجلى لهم فـيخرون سـجدًا فـيقول لهم ارفـعوا رؤسكم فليس هذا موضع سجـود يا عبادى ما دعوتكم إلا لتتمـتعوا بمشاهدتى يا عبـادى قد رضيت عنكم فـلا أسخط عليكم أبدًا، قال فـما أحلاها من كلمـة وما ألذها من بشرى فـعندها يقولون: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] انتهى، قال الشارح الزرقانى وقوله ويقول لهم الحق جل جلاله إلخ روى ابن ماجه وغيره مرفوعًا «**بينما أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فـإذا بالرب قد أشـرف عليهم من فوقـهم يقال السـلام عليكم أهل الجنة وذلك قوله تـعالى:** ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾ [يس: ٥٨] **قال: فـينظر وينظرون إليـه فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم. ويبقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم**» قال وإشـرافه سبـحانه اطلاعه منزهًا عـن المكان والحلول، قال وقوله فيـقول لهم: ارفعوا رؤسكم إلخ يشهد له مـا رواه ابن المبارك والآجرى عن جابر مرفوعًا وموقوفًا «**فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأنعم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خروا سجدًا فيقول الجبـار: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم رضا لا سخط بعده، يا أهل الجنة ارفـعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار عمل إنما هى دار مـقامة ودار نعـيم فيـرفعون رؤوسـهم**، قال وللبـيهقى عن جابر رفـعه: **بينما أهل الجنة فى منازلهم إذ سطع لهـم نور فرفـعـوا رؤوسهم فـإذا الرب قـد أشرف فـقـال يا أهل الجنة سلونى قالوا: نسألـك الرضا عنا قال: رضائى أحلكم دارى وأنيلكم كـرامتى هذا أوانها فسلونى قالوا: نسألك الزيادة فيؤتون بنجائب من ياقوت إلى أن قال حتى ينتهى بهم إلى**

جنة عدن وهى قصبة الجنة فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم فيقول: مرحبًا بالصادقين مرحبًا بالطائعين فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فيتمتعون بنور الرحمة حتى لا يبصر بعضهم بعضًا ثم يقول: ارجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا قال ﷺ: فذلك قول الله: ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]» انتهى وقال فى البدور أخرج يحيى بن سلام عن بكر بن عبيد المزنى قال: إن أهل الجنة ليزورون ربهم فى مقدار كل عيد لهم كأنه يقول فى سبعة أيام مرة فيأتون رب العزة فى حلل خضر ووجوههم مشرقة وأساور من ذهب مكللة بالدر والزمرد يركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم بالكرامة، قال الإمام القسطلانى فى المواهب اللدنية عن مسند الإمام الشافعى عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال أتى جبريل النبى ﷺ بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبى ﷺ: «ما هذه يعنى جبريل فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا أستجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبى ﷺ يا جبريل وما يوم المزيد فقال: إن ربك اتخذ الفردوس واديًا أفيح قال الشارح الزرقانى أى واسعًا بفتح الهمزة والياء بعد الفاء الساكنة فيه كثب من مسك (أى بضم الثاء والكاف) فإذا كان يوم القيامة أنزل الله ما شاء من ملائكته وحولهم منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزمرد عليها الشهداء والصديقون يجلسون من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله: أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى أعطكم (أى بضم الهمزة) فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدى مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش» قال رواه الشافعى فى مسنده انتهى (وأما) حديث النضار قال فى البدور أيضًا أخرج ابن أبى الضياء عن صيفى بن اليمان أن عبد العزيز بن مروان سأله عن وفد أهل الجنة قال: إنهم يفدون إلى الله سبحانه وتعالى فى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة كل إنسان منهم أعرف بسريره منك فإذا قعدوا عليه قال تبارك وتعالى ورواية ابن الجوزى فى حادى الأرواح لهذا الحديث بزيادة أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذى أنت عليه فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال تبارك وتعالى، الحديث الذى ذكره

المحقق السيوطى فى البدور موافق فى باقيه قال فإذا قعدوا عليه قال تبارك وتعالى: أطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى فيطعمون ثم يقول اسقوهم فيأتون بآنية من ألوان شتى مختتمة فيشربون ثم يقول فكهوهم فتجى بثمرات شجر مدلى فيأكلون منها ثم يقول: اكسوهم فتجى ثمرات شجر أخضر وأحمر وأصفر وكل لون لم ينبت إلا الحلل فتنثر عليهم حلل وقمص ثم يقول: طيبوهم فيتناثر عليهم المسك والكافور مثل رذاذ المطر أى نقطه ثم يقول: عبادى قد طعموا وشربوا وتفكهوا وكسوا وطيبوا، لأتجلين عليهم حتى ينظرون إلىّ فإذا تجلى عليهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم فيقول لهم أزواجهم خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون: إن الله تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا نسأل الله أن ينضر وجوهنا بين يديه بجاه أشرف الرسل لديه (ولنتروح بما أفاده بعض العارفين بقوله):

فللّه واديها الذى هو موعد	لرائد وفد الحب لو كنت متهم
ففى ذلك الوادى يهيم صبابة	محب يرى أن الصبابة مغرم
ولله أفراح المحبين عندما	يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة	فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة	غدا كل وجه بالجمال مبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها	فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
فياخاطب الحسناء إن كنت باغيًا	فهذا زمان المهر فهو المقدم
وكن مغضبًا للخائنات بحبها	فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما مما سواها فإنها	لمثلك فى جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك فى غد	تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها	ولم يك فيها منزل لك تعلم
فحى على جنات عدن فإنها	منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلم

وحى على السوق الذى فيه يلتقى المحبون ذاك السوق للقوم يعلم

فمـا شئت خـذ منه بلا ثمن له فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

وحى على يوم المزيد الذى به زيارة رب العرش فاليوم موسم

تجلى لهم رب السموات جهرة فيظهر فوق العرش ثم يكلم

سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يسلم

يقول سلونى ما اشتهيتم فكل ما تريدون عندى إننى أنا أرحم

فقالو جميعًا نحن نسألك الرضا فأنت الذى تولى الجميل وترحم

فيا بائعًا هذا يبخس معجل كأنك لا تدرى بلى سوف تعلم

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

اهـ فيا عجبًا كيف طاب العيش فى هذه الديار بعد سماع الأخبار وكيف للمشتاق القرار دون معانقة هاتيك الأبكار وكيف قرت دونها أعين المشتاقين وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين أسأل الله من فيضه العميم متوسلاً بنبيه الكريم وأهل بيته وأصحابه ذوى الجاه العظيم أن يجعل هذا الكتاب خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به كل قاصر وعليم وأن يكون سببًا للفوز بجنات النعيم وأن ينضر ظواهرنا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وأن يخلص سرائرنا من شوائب الأغيار والشيطان ودواعيه وأن يجعلنا ممن يكون فى ظل عرشه فى يوم قال الله فيه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] وأن يتفضل علينا بالسعادة التى لا يلحقها زوال وأن يذيقنا لذة الوصال بمشاهدة الكبير المتعال وأن يلحقنا بالذين هم فى روضات الجنة يتقلبون وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون وعلى القرش التى بطائنها من استبرق يتكؤن وبالحور العين يتمتعون وبأنواع الثمار يتفكهون يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فنالوا بذلك السعادة الأبدية وكانوا بلذيذ المشاهدة هم الواصلون وصلى الله على سيدنا محمد الواسطة العظمى لنا فى كل نعمة ولاسيما نعمة هذا الكتاب

حيث كان تبصرة لأولى الألباب وجديراً بأن يرجع إليه عند طلب الصواب لاستنباطه من كتب الأئمة المحققين وشموس هداة الأئمة المحدثين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه مالاحت شموس التحقيق لأنوار المشارق وفاح شذا التوفيق من قطف ثمار هاتيك المعارف لأهل النمارق وصلاة وسلامًا عدد ما فى علم الله دائمين بدوام ملك الله كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

(قال جامعه الفقير) حسن العدوى الحمزاوى المالكى قد جمع هذا الكتاب الشريف فى ست عشرة خلت من ربيع الآخر الذى هو من شهور سنة أربع وستين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف عليه الصلاة والسلام.

ما قاله المصحح الأول فى تقريظ هذا الكتاب نظمًا ونثرًا

(ولما تم طبعه وأينع طلعه قرظة الفاظل الأديب الحسيب النسيب شاعر مصر المفرد وبليغها الأوحد السيد محمد شهاب الدين تقريظًا مشتملاً على تاريخ طبعه وهو منقول من خطه)، قال الفقير محمد بن إسماعيل شهاب الدين مصحح دار الطباعة سابقًا نحمدك اللهم يا رب المشارق على ما أوليت من النعم ونشكرك لما أسديت من فضلك الأعم ونصلى ونسلم على من ختمت بمسك ختامه الرسالة ومحوت بأنوار هدايته غياهب الضلالة وأنزلت عليه فى كتابك العزيز قولك: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾ [المعارج: ٤٠] وقولك: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١، ٢] اللهم وسلم عليه وعلى آله المنتمين إليه وصحابته الأجلة البررة وعصابة أهل بيته المطهره ماذر شارق ولاح بارق، (وبعد) فإنه قد ساعدت العناية بصدور الأوامر السنية الجلية على مقتضى إدارة الحضرة السعيدية العلية بطبع الكتب الثلاثة التى تصدت نفحاتها لإرشاد المريد وأبانت مشارق أنوارها عن طالع هذا الكوكب السعيد طلبًا لنشر الذى انطوت عليه من الثمرات والفوائد ورغبًا فيما يتعلق به من الصلاة والعوائد كيف لا والذى كلف بتأليفها وشغف بجمعها وتصنيفها علامة عصره وزمانه وفهامة وقته وأوانه جامع أشتات العلوم ورافع ألوية المنطوق والمفهوم وهو حضرة مولانا الأجل الشيخ حسن العدوى فسح الله له فى مدى الأجل ولما كان هذا الكتاب آخرها طبعًا وكانت

نتيجة تمامه قد استكملت حملاً ووضعًا حيث أجرى حفظة، الله تصحيحه على يديه حسبما هو المرغوب فيه لديه، جاء بحمد الله على أجمل الوجوه كما كان جنابه يأمله ويرجوه وعند ذلك أنشأت ناظمًا وأنشدت وقلت مؤرخًا وأجدت:

مجلى البدور مشارق الأنوار ... والروض مجنى الزهر والأنوار
يا صاح طب نفسًا فقد نلت المنى ... بنفيس درفى عقود درارى
حدث عن البحر العباب بما تشا ... وأنقله عن صلة وعن بشار
لله من يجلو بحلو حديثه ... كأسًا يدير بها عتيق عقار
تبدو المعانى فى بديع بيانه ... شمسًا ولم تحجب بغين نوارى
يحلوا امتداحى إذ هو سكر ... تقوى حلاوته لدى التكرار
هئت يا عدوى هاجرت العدا ... حيث العلى والتك بالأنصار
ألفت أسفارًا لنشر علومها ... فى الكون تطوى شقة الأسفار
تنشى لنا تحفًا عليل نسيمها ... يروى الشذا عن صحة الأخبار
عمت منافعها الأنام وخصصت ... بالسر من يرعى جوار الجار
بينت فيها أهل بيت نبينا ... ونظمت درًا فى سلوك نضار
وهديت إرشادًا إلى نفاحاتهم ... وفتحت كنز مطلسم الأسرار
طعنوا مذ الحجاج شتت شملهم ... وتفرقوا كالقطر فى الأقطار
فمشرق ومغرب منهم ... ومنهم سادة حلوا بهذى الدار
وغدت مدافن بعضهم مجهولة ... فبدت معالمها لدى الزوار
وإذا مليك الملك ساعد عبده ... نفذت أوامره على الأحرار
هذا سعيد الدهر مغرد عصره ... من مصرة افتخرت على الأمصار
حيث اجتلاها وهى روضة بهجة ... تزهو وفيها نزهة الأبصار
صدرت مكارم فضله بالطبع إذ ... وردت عليه جليلة المقدار

من رام مــجـلاها بـتـاريخ يجـد مـجلى البـدور مـشـارق الأنوار
جـوزيت بالإحسـان يا حـسن الثنا حـتى تنال شـفـاعـة المختـار
ولك القـبول مـدى الزمان مكمـلاً ببلوغ عـمـرك أطول الأعـمـار
مـا طاب مسك ختامنا نفـحًا ومـا بلغ الـنهـاية فـى سـراه سـارى

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمـدك اللهم يا من فتـحت بمشارق أنوار نبـيك معضـلات العلوم، ومنحت بنفحـات إرشاده من فـيض الفضل ذوى المعـارف والفهـوم، ونصلى ونسلم على صفوة خلقك سرك الجـامع الدال عليك، ورسولك الأعظم القائم لك بين يديك، الذى أبرزت من نور جـماله جـميع الخلق والأكـوان، وعلى آله وأصحـابه الذين أشرق بمشارق أنوارهم كل قاص ودان، (وبـعد) فيقول جامعـه أسير ذنبه، وراجى عفو ربه، الفقير حسن العدوى الحـمزاوى، غفر الله له ولأحبابه المساوى، لما كان من أعظم المنن الربانية، والمواهب الرحـمانية، تبليغ السنة المحمدية، لنيل مـبلغها الدرجة العليـة، مثل أجر من عمل بهـا من سائر الأمة المحمديـة، تفضلاً من ذى المواهب اللدنيـة، من الرحمن وتكرم على العـبد الذليل ووفق وتفـضل لجمع هذا الكتـاب الجليل، الذى حوى من حـسن السنة وصحـيح الأخبار، ومـا ينوف عن ثلاثة آلاف خلاف الآثار، لاسـيما وقد وشح بذكـرها لآل البيت من المآثر، رشح بذكر نسبهم ومحالهم ومـالهم من المفاخر، وكان ذلك هو الغرض الحامل لى أولاً على تصنيفه، وكنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى مع تسويف الوعد بتأليفه، زيادة عن نحو نصف سنـة لما أرى فى نفسى من القصـور، وإنى لست أهلاً لأن يكون منى تأليف وظهـور، ولكن لما كنت مولع القلب بزيارة آل بيت المصطفـى، فكان عين الظهـور فى حب الخـفـا، وذلـك إنى لما توقـفت مع من طلب منـى تأليف هذا الكتاب، لبـيان كـيفيـة الزيارة وما يطلب من الآداب، وكـان الطالب لذلك لأهل البـيت من أعيـان الأحبـاب، ومن المتـوسدين آناء الليـل وأطراف النهار بهـاتيك الأعتاب، أذن لى منامًـا من كريمة الدارين بالشروع فيه إجـابة للطالب، فشرعت فيه مـحبًا أن أكون منتظمًا فى سلك خـدام حديث رسول الله وأهل هذه المناقب،

فلعل وعسى بالحب والتشبه يكرم الطفيلى فى ساحة الكرام، لما ورد من تشبه بقوم فهو منهم كما نقله الحافظ ابن حجر فى كتابه بلوغ المرام، ولما من الله بإتمامه شغفت به قلوب المحبين والإخوان، وانتشر فى سائر الأقطار والبلدان، غير أنه من كثرة تداول أيدى الكتاب نقصوا من ألفاظ الأحاديث ما يخل المعانى، فكنت فى حزن من عدم تمام بلوغ الأمانى، فاتفق فى سنة اثنتين وسبعين فى شهر ربيع الآخر أن قدم إلى مصر الأوحد الهمام، العلامة السيد أبو النصر اليافى الخلونى من الشام، لزيارة أهل بيت النبى عليه الصلاة والسلام، ومريدًا التوجه إلى بيت الله الحرام ولم يكن بينى وبينه معرفة ولا سماع قبل هذا الآوان، فاتفق أن رأى الكراس الأول من مشارق الأنوار بيد بعض الإخوان فأخذه وطالعه، وأمعن فيه النظر وأعطاه لصاحبه بعد المطالعة وبعد ذلك بنحو ثلاثة أيام جلس بالمقام الحسينى وشرذمة من أعيان العلماء معه، يحدثهم والبشر يتلألأ من وجهه نورًا، حيث أكرمه الله بضيافته للإمام الحسين وزاده حبورًا، برؤيته مناما سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، جالسًا مع ولده الحسين فى هذا المقام والإمام الحسين جالس متواضع بين يديه وبيده الكراس الذى طالعه من مشارق الأنوار يتلوه عليه وأفضل الخلق على الإطلاق يقول مقبول مقبول، فلما أخبر الأستاذ الرائى من معه من الأفاضل الفحول، أفادوا أن هذا الكتاب تأليف جديد وصاحبه موجود الآن، فحضر عندى بعض الأحبة ممن كان جالسًا مع الأستاذ من الأخوان، وبشرنى بتلك الرؤيا فحصل عندى من السرور، وما لا أستطيع أن أكيفه من الحبور، فقمت مسرعًا إلى لقاء هذا الأستاذ فى المقام، فقبلت يده وسمعت منه ما رأى تلذذا بسماع رؤية سيد الأنام، وكان إذ ذاك أستاذنا السيد الذهبى جالسًا فى المقام، فأخبرته بما حدثنى هذا الإمام، فزادنى سرورًا بأنه يصير لهذا الكتاب شأن كبير، اذهو بالقبول حقيق وجدير، فما كان بعد ثلاثة أشهر إلا وتحقق مدلول الرؤيا بصدور أمر الداورى الأعظم والخديو المبجل المفخم للمحافظة بأن يطبع خمسمائة نسخة من هذا الكتاب، مع كتابى الإرشاد والنفحات لكثرة الطلاب، وبعد تمام الطبع للكتب الثلاثة تناولها أهل المدن والأقطار بالقبول، وكان ذلك سر قول المصطفى عليه الصلاة والسلام مقبول مقبول، ولما فرغت الطبعة الأولى وكثر الطلب لمشارق

الأنوار، من بعض المدن والأقطار، شـرعت فى أن يطبع منه ألف نسخة حـبًا فى نشره وقد هيئت أسبابه ولاحت علامات بشره، فطبـعت وتمت بحمد الله فى هذا اليوم العظيم، تفضلاً من اللطيف الخبير العليم، ولما كان الأستاذ أبو النصر مشغوفًا بحب هذا الكتاب لما رآه يتلى بين يدى المصطفى ﷺ فى ذلك المقـام المهاب، أنشأ قصيـدة مشحونة بمدح المـؤلف والتأليف، فجاءت على نمط حـسن ووجه لطيف، فأحـببت أن أضعهـا الآن فى الطبعة الثانيـة خاتمة للكتاب ترغـيبًا لطالبيـه وتذكرة لأولى الألباب، والله أرجو أن يمن بتمام القبول إذ هو خـير مسئول ومأمول، وقد قال عليه الصلاة والسلام «**المؤمن من سرته حسنته وساءته سيئته**» وعطايا الرحمن لا تتوقف على طاعة ولا إحسان، فنسألك اللهم أن تجعل سـيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت وهى هذه:

شـمس المعـارف من ورا الأسـتـار ... بزغت بـفـضل مـشــارق الأنوار

وغدت بحُلى الحسن تحلى والبهاء ... إلى ذوى الألـبـــاب والأبصـــار

تسـقى لمن يهوى جـمـال وصالهـا ... من راحــهـا المخـتـوم بالأسـرار

وتفـيض من بحر المواهب حكمـة ... وبـدائعًـــــا لـروائق الأفـكـار

فـيـهـا انتـشق يا صـاح نفـحـاتهـا ... من طيب الأنفــاس فى الأسـحـار

لكنـهـا مـحـجـوبة أسـرارها ... عن ســائر النقـــاد والأغـيـــار

ما افتض مـسك ختامهـا غير الذى ... لمحـتـــه أهل البـــيت بالأنـظار

فلقـد دعـاه الحب صـدقًا فـيـهم ... فلـذاك أضـــحى منهـم بجـــوار

حـسن الفـعـال صفـاته مـلكيـة ... والنـفس منـه ذكـيـــة الأعـطار

أسـتـاذنا العــدوى حـجـة مـالك ... صـدر الشــريعـة بل أمـيـر وقـار

ذوهمـــة علـيـا يـجل قلـيلهـــا ... عن أن يـحـاطـه وليث ضـــارى

شيـخ الشريعـة والحقـيقة كـيف لا ... ولقـد كـسى من سُنة المخـتـار

حلـل المحـبــــة والمودة والثناء ... أبـدًا وزيـن بـالـعـطا المـدرار

بحــر من العلم الـلدنى فـيـضـه ... من عـــالم الأرواح والأســـرار

لله جـامع أزهر فلـقـد حـوت ... روضـــاتـه من طيب الأزهـار
لا غَـرو للعـدوى أن يـبـدى لنا ... مـا عنه قـد قـصـرت يد الأحبـار
فـوداد آل البـيـت دومـا شـأنه ... فـاضـت عليـه مـواهب الغـفـار
أبدت لنـا المكنون تحـقـيـقـاته ... وبهـا أزال غـشـاوة الأبصـار
قـد شـوق الأحبـاب فى آل الذى ... منه فـخـار الرسل والأخـيـار
وأفـادنا طرق الـوصـول إليـهم ... أنعم بهـا من نعـمـة وفـخـار
نفـحـاته أبدت لنا سـرًا غـدا ... فى يوم عـاشـوراء والأذكـار
قل للذى قـد جـاء ينكر فـضله ... قـصـر فـذاك يجل عـن إنكار
من أين للخـفـاش يبـصـر للسنا ... ويرى ضـيـاء مـشـارق الأنوار
هذا مـقـام دونـه نجم السـهى ... وينـال بالـتـوفـيق والأنـظار
مـاذا أقـول بمدحـه وكـمـاله ... قـد جل عن نظمى وعن أشعـارى
لازال نورًا تسـتـضـئ به الورى ... متـعـاقـبًا بتـعـاقـب الأعـصار
مـادام رب العـالمين مـرقـيـا ... لحبيبـه المخصـوص بالأسـرار
فـعليـه منى ألف تحـيـة ... والآل مع أصـحـابه الأخـيـار
والتـابعـين وكل مـن لاذوا بهم ... حـبًا لآل السـيـد المخـتـار
مـا قـال منشـيـهـا لهـا أرخ ودم ... بالطـبع فـاق مـشـارق الأنوار

وقال بعض المحبين السيد أحمد الأبيارى

أعـروس فـكر أم شـمـوس نـهـار ... وأنيـس لفـظ أم نفـيس دراري
وكـمـال حـسن نـفـائس فـكرية ... أم ذا جـمـال عـرائس الأبكار
وسنا الـفـضـائل فـكرية ... أم لاح ضـوء ومـشـارق الأنوار
بهـر العـقول جـمـالهـا وكمـالهـا ... فـزهت بحسـن الطبع ذات وقـار
آياتهـا شـهـدت لـهـا بفـضـائل ... جلت وسل مـن سـامع أو قـارى

أثنت على العدوى باريها بما — هو أهله قد جل صنع البارى
جمع الفضائل والمعالى والتقى — فغدا وحيدا ليس فيه ممارى
وله تآليف إذا ما شمتها — نزهت وحدته عن الأنظار
لاسيما هذا الكتاب فإنه — طبعًا أرق من النسيم السارى
أثنى على آل النبى بمالهم — فى الدين والدنيا من الآثار
ومزار فاطمة به بنت الحسين — بدا لنا كالشمس وسط نهار
والفاضل الصبان غير مصرح — فى كتبه أبدا بذكر مزار
ولذاك مذ نظر العزيز نصوصه — قد شاد مسجدها بكل فخار
أن كان فى الدنيا مؤلفة انتمى — لا شك فى الأخرى يفر بجوار
فالله عوده الجميل بحبسه — آل النبى الطيب المختار
صلى عليه الله فى ملأ العلى — والآل والأصحاب والأخيار
ما قال الأبيارى فيه مؤرخًا — أكرم بطبع مشارق الأنوار

يقول خادم التصحيح إبراهيم الطاهرى الحنفى

بحمد الله العزيز الغفار تم طبع هذا الكتاب المسمى بمشارق الأنوار بالمطبعة الأزهرية المصرية إدارة راجى عفو ربه العلى القادر (حضرة مصطفى بك شاكر وأخيه) فى شهر جمادى الأولى سنة (١٣٢٠) هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

(سيد مسلم)

الفهرس

الباب الثالث

فيما يتعلق بزيارة القبور وفيه ستة فصول

الباب الرابع

فى بيان كيفية انقراض الدنيا إلى النفخة الثانية

وفيه فصول ستة

الباب الخامس

فيما يتعلق بالأموات عند البعث إلى أن يصلوا إلى الموقف وفيه سبعة فصول

الباب السادس

فيما يتعلق بالموقف إلى أن يصلوا إلى الجنة وفيه فصول ثمانية

الباب السابع

فيما يتعلق بالنيران والجنان فأما النيران فيتعلق بها فصول ثلاثة

رقم الايداع بدار الكتب : ٢٠٠٦/٤٣٣٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-315-105-0

دار التوفيق النموذجية للطباعة ت: ٥١١٥٣٠٤